كتاب

الأمالي

تأليف

أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي

الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني و"الذيل والنوادر" للمؤلف وكتاب "التنبيه" لأبي عُبَيد البكري وفهارس بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن وقوافي الأبيات وغير ذلك .

طبع على نفقة ملتزمه

إسماعيل يوسف دياب

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٥٢/١٩٢٥/٥٠٠٠)

بمطبعة دار الكتب المصرية مع إدخال تحسينات عدّة عليـه ، بإضافة فهارس أبجدية بأسماء الأعلام والقبائل والشعوب والبيوت والبلاد والمدن والأماكن ونحوها ، وأسماء الكتب وقوافى الأبيات الواردة فيه ، قمنا بوضعها وترتيبها على أحسن نظام وأجمل تنسيق . مع إضافة هـذا الكتاب البديع التنميق ، الممتاز بالتحقيق والتدقيق ؛ وهو كتاب :

"التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليـه"

للعالم الكبير أبى عُبيد عبد الله بن عبـد العزيز بن محمد البكرىّ ؛ وهو من التُّحَف الثمينة والدُّرَر الغالية المحفوظة بخزانة حضرة صاحب السعادة قُدْوَة العلماء المحققين "أحمد تيمور باشا" عمّرها الله ببقاء سعادته ، وقد تفضّل به حفظه الله — شأنه فى كل كتاب مفيد — لحضرة ناشر الأمالى ليُلْحِقَه به إتمـاما للفائدة وتعميما للنفع ، وخدمةً لنشر العلم ، ليتيسّر للأدباء أن يَرْتَشِفوا من مَناهِلِه العَـذْبة ، ويَقْتَطِفوا ثمار محاسنه الدانية ، بعد أن كانت مَعالِمُه طامسة ، وآثاره دارسة ؛ فأحياه بحفظه فى مكتبته العامرة . كما تفضّل حضرة الباحث الفاضل "الأب أنطون صالحانى اليسوعى" بتعليقاته القيّمة على هذا الكتاب الجليل ، لأنه كان يَنْوِى طبعه على حِدَة ، ولمـا طلبها حضرة المحترم "السيد إسماعيل" لنشرها مع الكتاب خدمة للعلم وتعميما لنشره ، سَمَحَ بها ؛ فكان حقًّا علينا أن نُسَطِّر لها آية من الحمـد والشكر ، فى تضاعيف هذا السِّفْر . ولا حاجة بنا الى وَصْف كتاب التّنبيه فى هذا المقام بعد الوصف الكافى والبيان الشافى الذى كتبـه حضرة الباحث "الأب أنطون صالحانى" فى مقدّمتـه النفيسة التى وضعها لكتاب التنبيه ، وقد صدّرناه بها ، لأنها تدلّ على سـعة اطلاعه ورسوخ قدمه فى البحث والتحقيق ، وتبرهن على حُسن عنايته بمراجعة النسخة الأصلية التى وصفها وصفا دقيقا يُشْكَر عليـه ، ويَجْدُر بكل ناشر كتاب أن يسلُك هذا المسلك الجميل .

أما التعليقات التى كتبها الباحث الفاضل "الأب أنطون صالحانى" فكانت مكتوبة على حدة فى أوراق صـغيرة بخط دقيق ويتخلّل ثنايا سطورها إشارات وتعليقات أخرى تحتاج الى إنعام النظر وكثرة التأمل ؛ ممـا كان يضطرنا إلى مراجعة دواوين الأدب ومعجمات اللغة والمصادر التى راجعها تفاديًا من الوقوع فيما يجب اجتنابه ؛ ولذا عانينا فى قراءتها ومراجعتها وتطبيقها على ما فى كتاب "التنبيه" كثيرا من المشقّة ، وكابدنا من المجهود ما لا يَعرفه إلا المشتغلون بمثل هذه الأمور . ولزيادة

الفائدة أضفنا إلى تعليقاته قليلا من الحواشى التى يَستوجبها المقام . وقد قسّمنا المطالب التى نَقَدَها أبو عُبيد فى كتابه "التنبيه" إلى قسمين: قسم خاصّ بالجزء الأوّل، والآخر خاصّ بالجزء الثانى؛ وقد جعلنا فى أوّل كلّ مَطْلب رقم الصفحة وعدد السطر من هذه الطبعة (طبع مطبعة دار الكتب) ليتسَنّى للقارئ مراجعته فى موضعه، ويسهل عليه معرفته . أما الجزء الثالث وهو كتاب "الذيل والنوادر" فلم يتعرّض له أبو عبيد فى كتابه "التنبيه" بل أفرد له كتابا آخر أشار إليه فى أوّل كتابه .

ولا يَسعنا فى الختام إلا أن نُسدى الشكر الجزيل والثناء العاطر لحضرة المحترم "السيد إسماعيل يوسف" ناشر كتاب "الأمالى" لأنه قام بخدمة أدبية كبرى بإعادة طبعه فى المطبعة الأميرية بدار الكتب المصرية الشهيرة بجمال الحروف وجَوْدة الطبع ودِقّة التصحيح .

ومع ما بذله حضرة الناشر المحترم من الجهود العظيمة فى نشر هذا الكتاب الجليل بإدخال هذه التحسينات العظيمة عليه، كان غيرَ مُبال بما كابده من النفقات الكبيرة التى لا تنبسط بها أيدى الكثيرين من أغنيائنا فى مثل إحياء هذه الكتب الأدبية الكثيرة الفائدة الجمّة النفع . أكثر الله من أمثاله العاملين . ونسأله تعالى أن يتقبّل هذا العمل الصالح خالصا لوجهه الكريم، إنه حسبنا ونعم الوكيل،،

محمد عبد الجواد الأصمعىّ
بدار الكتب المصرية

فهرس

الجـــزء الأوّل من كتاب الأمالى

ترجمة

أبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى

كان إماما فى اللغة وعلوم الأدب ؛ ولِصيته الذائع فيها دعاه الخليفةُ عبدُ الرحمن الناصر[1] أشهرُ ملوك بنى أُمَيّة بالأَنْدَلُس لنشر علومه وآدابه ، فحَظِىَ عنده حُظْوة كبرى ؛ وفى قُرْطُبَة عاصمة الأندلس ، أملَى تصانيفه المُمْتِعة ، وكُتُبه القيّمة التى لم يُجارِه فى تأليفها أحد ؛ بل أعجز بها مَن بعده ، وفاق مَن تقدّمه[2] .

مولده ونشأته :

هو أبو علىّ إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سَلْمان ، وجدّه سَلْمان مَوْلَى عبد الملك بن مَرْوان الأُمَوىّ . وُلد بِمَنَازْجِرْد من ديار بكر سنة ٢٨٨ هـ ، فنشأ بها ورحل منها إلى العراق لطلب العلم والتحصيل .

سبب تسميته القالى البغدادىّ :

وأمّا سبب تسميته القالى ، فهو منسوب إلى قَالِى قَلاَ — بلد من أعمال إِرْمِينِيَة — قال القالى عن نفسه : « لما انحدرنا الى بغداد كنا فى رُفْقة كان فيها أهلُ قَالِى قَلاَ ، وهى قرية من قُرَى مَنَازْجِرْد ،

---

(١) هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس من الأمويين ويعرف بعبد الرحمن الثالث . ولد فى سنة ٢٧٧ هـ واعتلى عرش الأندلس سنة ٣٠٠ هـ وتوفى سنة ٣٥٠ هـ . وهو أوّل من تلقب بألقاب الخلافة وتسمى بـ« أمير المؤمنين » وكانت يده بيضاء على العلم والعلماء ، فأنشأ فى عهده الجوامع والمدارس وأشهرها (مدرسة الطب) وهى أوّل مدرسة أنشئت فى أوروبا بإجماع المؤرخين (والمكتبة الشهيرة) بغرناطة ، وهى أجلّ مكتبة كانت فى عهدها على ظهر الأرض ، أودعها ستمائة ألف مجلد ؛ ولذا كانت الأندلس فى زمانه زاهية بالمعارف والعلوم . وكان جديرا بأبى علىّ القالى أن يهدى كتابه « الأمالى » اليه ، ويتوجه باسمه الكريم .

(٢) ففى معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٢) قال : « قال الزبيدى : ولا نعلم أحدا من المتقدّمين ألف مثله » . وصاحب نفح الطيب (ج ٢ ص ٥١ طبع مدينة ليدن) قال : « وله كتاب المقصور والممدود وجمع فيه ما لا يحدّ ولا يعدّ ، وأعجز من بعده به وفاق من تقدّمه » .

وكانوا يُكْرِمُون لمكانهم من الثَّغْر، فلمّا دخلنا بغداد نُسِبت إليهم لكونى معهم، وثبت ذلك علىّ[1] »
وكانوا يسمّونه البغدادىّ لطول مُقامه فيها، ووصوله إليهم منها[2]؛ كما سيتبيّن ذلك فى موضعه .

حيـاته العلميّـة وشـيوخه :

توجّه الى العراق وكانت يومئذ مَهْدَ العـلم ومُنْتَدَى الأدب، فدخل بغداد سنة ٣٠٣ هـ فأكبّ على الدرس، وجدّ فى التحصيل على علماء الحديث وجَهابِذة اللغـة والرواية؛ فسَمِع بها الحديثَ من أبى القاسم عبد الله بن محمد البَغَوِىّ[3]، وأبى سعيد الحسن بن علىّ بن زكريّا بن يحيى بن صالح بن عاصم ابن زُفَر العَدَوِىّ[4]، وأبى بكر عبـد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتَانىّ[5]، وأبى محمـد يحيى

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٣) وهو ما رواه ابن خلكان فى تاريخه (ج ١ ص ١٠٩ طبع باريس سنة ١٨٣٩ م) والضبىّ فى بغية الملتمس (ص ٢١٨) والمقّرىّ فى نفح الطيب و ياقوت فى معجم الأدباء (ج ٢ ص ٣٥١) ولكنّ ياقوتا ذكر سببا آخر فى معجمه أوّل ترجمة القالى (ج ٢ ص ٣٥١) قال : « قال القالى عن نفسه : لما دخلت بغـداد انتسبت الى قالى قلا، رجاء أن انتفع بذلك، لأنها ثغر من ثغور المسلمين لايزال بها المرابطون » اهـ .

(٢) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٢) .

(٣) هذه النسبة الى بلدة من بلاد خراسان بين مرو وهراة يقال لها "بغ" و "بغشور" كان بها جماعة من الأئمة والعلماء منهم : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوىّ ابن بنت أحمد بن منيع ... كان محدّث العراق فى عصره، عمّر العمر الطويل حتى رحل الناس إليه وكتب عنه الأجداد والأحفاد والآباء والاولاد، وكان ثقة مكثرا ... صنف المعجم الكبير للصحابة . روى عنه كثيرون ومات ليلة عيد الفطر سنة ٣١٧ هـ . (الأنساب للسمعانى ص ٨٦) .

(٤) هو الحسن بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر أبو سعيد العدوى البصرى . ولد سنة ٢١٠ هـ وسكن بغداد وحدّث عن مسدّد وهدبة وطالوت وكامل بن طلحة وغيرهم . روى عنه الدارقطنى ... ... وكان واضعا للحديث . توفى سنة ٣١٩ هـ . راجع (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم للإمام أبى الفرج بن عبـد الرحمن الجوزى (ج ٦ ص ١٨٣) من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٩٦ تاريخ) .

(٥) هو أبو بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى، كان محدّث العراق وابن إمامها فى عصره من أهـل الفقه والعلم والإتقان . مات سنة ٣١٦ هـ (الأنساب للسمعانى ص ٢٩١) .

وقال عنه الإمام ابن الجوزى فى كتابه المنتظم (ج ٦ ص ١٦٧) :

« وكان عالما فهما من كبار الحفّاظ، نصب له السلطان منبرا فحدّث عليه وكان فى وقته مشايخ علماء لكنهم لم يبلغوا فى الإتقان مابلغ ... ... توفى أبو بكر يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة سنة ٣١٦ هـ . وهو ابن ست وثمانين سنة وستة أشهر وأيام؛ وصلّى عليه زهاء ثلثمائة ألف ثم صار الواصلون يصلون عليه ثمانين مرة ... الخ » .

ابن محمد بن صاعد[1]، ويوسف بن يعقوب القاضي[2]، والحسين بن إسماعيل المحاملي[3]، وأخيه أبي عبيد[4]، وأبي بكر بن مجاهد المقرئ[5] وسواهم . وقرأ النحو والعربيّة والأدب على ابن درستويه[6]، والزجّاج[7]،

(١) هو يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور. ولد سنة ٢٢٨ هـ ورحل في طلب الحديث الى البلاد وكتب وحفظ وسمع أحمد بن منيع وبندار ومحمد بن المثنى والبخارى وخلقا كثيرا ... ... وروى عنه من الأكابر أبو عبدالله بن محمد البغوىّ والجعفانى وابن المظفر والدارقطنى ... وكان ثقة مأمونا من كبار حفّاظ الحديث ، وله تصانيف في السنن تدلّ على فقهه وفهمه... توفى فى ذى القعدة سنة ٣١٧ هـ وله تسعون سنة ودفن فى باب الكوفة اهـ. راجع (المنتظم للإمام ابن الجوزى ج ٦ ص ١٨١).

(٢) هو يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو محمد البصرى . ولد سنة ٢٠٨ هـ وسمع سليمان بن حرب وعمرو ابن مرزوق ... ... روى عنه أبو عمرو بن السماك وأبو سهيل بن زياد وأبو بكر الشافعىّ وغيرهم . وكان ثقة قد ولى القضاء بالبصرة فى سنة ٢٧٦ وضمّ إليه قضاء واسط ثم أضيف الى ذلك قضاء الجانب الشرقى من بغداد . وكان جميل الأمر حسن الطريقة ثقة عفيفا مهيبا عالما بصناعة القضاء لا يراقب فيها أحدا ... ... توفى فى رمضان سنة ٢٩٧ هـ . وله تسع وثمانون سنة اهـ . راجع (المنتظم للإمام ابن الجوزىّ ج٦ ص ٧٣) وراجع ابن الأثير (ج ٨ ص ٤٥ طبعة أوروبا) .

(٣) هذه النسبة الى المحامل التى يحمل فيها الناس على الجمال الى مكّة . وهو بيت كبير ببغداد لجماعة من أهل العلم والحديث ؛ منهم : أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملى ؛ كان فاضلا صادقا ديّنا ثقة صدوقا ، وأوّل سماعه الحديث فى سنة ٢٤٤ هـ ... ولى قضاء الكوفة . سمع يوسف بن موسى القطان وأبا هاشم الرفاعى . . . . . . وكان يحضر مجلس إملائه عشرة آلاف رجل ، وكانت ولادته سنة ٢٣٦ هـ ومات فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٣ هـ . (الأنساب للسمعانى ص ٥١٠) .

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن إسماعيل أبان المحاملى ؛ كان ثقة صدوقا ، وكانت ولادته فى سنة ٢٣٨ هـ ومات فى سلخ رجب سنة ٣٢٣ هـ ببغداد ، وكان أصغر من أخيه بسنتين . (الأنساب للسمعانى ص ٥١٠) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد آخر من انتهت اليه الرياسة بمدينة السلام . وكان واحد عصره غير مدافع وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسن الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ثاقب الفطنة جوادا . ومولده سنة ٢٤٥ هـ . وتوفى فى يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان سنة ٣٢٤ هـ . ودفن فى تربة فى (حريم) داره بسوق العطش ثانى يوم موته . وله عدّة كتب فى القراءات. (راجع فهرست ابن النديم ص ٣١ طبعة أوروبا) .

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسىّ النحوىّ ، كان أحد النحاة المشهورين والأدباء المذكورين ؛ أخذ فنّ الأدب عن ابن قتيبة والمبرّد ، أقام ببغداد مدة حياته وكان شديد الانتصار للبصريين فى النحو واللغة ، وتصانيفه فى غاية الجودة والإتقان . ولد سنة ٢٥٨ هـ وتوفى فى صفر سنة ٣٤٧ هـ (نزهة الألباء لابن الأنبارىّ وابن خلكان وبغية الوعاة للسيوطى) .

(٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرىّ بن سهل الزجّاج أحد تلامذة المبرّد . كان من أكابر أهل العربيـة وصنف مؤلفات كثيرة ، حدّث عن نفسه قال : « كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت المبرّد لتعلّمه ، وكان لا يعلّم مجانا ولا يعلّم بأجرة إلا على قدرها ؛ فقال لى : أىّ شىء صناعتك ؟ فقلت : أخرط الزجاج وكسبى كل يوم درهم ونصف وأريد أن تبالغ فى تعليمى وأنا أشرط أن أعطيك كل يوم درهما الى أن يفرّق الموت بيننا ؛ قال : فلزمته وكنت أخدمه فى أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم ، فنصحنى فى العلم حتى استقللت ، فجاءه كتاب من بعض بنى مارقة يلتمسون معلّما نحويّا لأولادهم فقلت له : أسمنى لهم ، فأسمانى فخرجت ، فكنت أعلّمهم وأنفذ اليه فى كل شهر ثلاثين درهما وأتفقده بعد ذلك بما أقدر عليه... ...الخ» . توفى فى جمادى الآخرة سنة ٣١١ هـ (بغية الوعاة ونزهة الألباء ومعجم الأدباء) .

والأخفش الصغير(١)، ونفطويه(٢)، وابن دريد(٣)، وابن السراج(٤)، وابن الأنباري(٥)، وابن أبي الأزهر(٦)، وابن شقير(٧)، والمطرز(٨)، وجحظة(٩)، وابن قتيبة(١٠) وغيرهم؛ وهم الذين تكررت روايته عنهم فيما يمليه؛ ولذا نوهنا بذكرهم في الهامش.

(١) هو أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، كان من أفاضل علماء العربية. أخذ عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وغيره توفي في ذي القعدة سنة ٣١٥ هـ (نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري).

(٢) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي المعروف بنفطويه، كان عالما بالعربية واللغة والحديث حافظا للسير وأيام الناس والتواريخ والوفيات وصنف كتبا كثيرة. توفي في صفر سنة ٣٢٣ هـ (راجع ترجمته في معجم الأدباء لياقوت وبغية الوعاة للسيوطي).

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ. كان نابغة في اللغة والأدب والأنساب وبرع في الشعر حتى قيل فيه: «أشعر العلماء وأعلم الشعراء» وله عدة تصانيف منها: كتاب «الجمهرة» في اللغة، رتبه على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن. توفي سنة ٣٢١ هـ (راجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي).

(٤) هو أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، كان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين، قال المرزباني: كان أحدث أصحابه بالمبرد سنا مع ذكاء وفطنة؛ وإليه انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد. صنف كتبا كثيرة ومات شابا في ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ (بغية الوعاة).

(٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين وأكثرهم حفظا للغة وألف كتبا كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو. توفي سنة ٣٢٨ هـ (بغية الوعاة للسيوطي ونزهة الألباء).

(٦) هو محمد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد أبو بكر الخزاعي المعروف بابن أبي الأزهر النحوي، حدث عن المبرد وكان مستمليه والزبير بن بكار؛ وروى عنه أبو الفرج الأصبهاني وجماعة. توفي سنة ٣٢٥ هـ (بغية الوعاة للسيوطي).

(٧) هو أبو بكر أحمد بن الحسن بن الفرج بن شقير النحوي، كان عالما بالنحو وكان على مذهب الكوفيين. توفي سنة ٣١٧ هـ وله عدة تصانيف، وهو من طبقة أبي بكر بن السراج وأبي بكر بن الخياط (نزهة الألباء).

(٨) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد المطرز اللغوي. قال التنوخي: لم أر قط أحفظ منه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة. وقال ابن برهان: لم يتكلم في العربية أحد من الأولين والآخرين أعلم منه، له عدة تصانيف. وتوفي سنة ٣٤٥ هـ (بغية الوعاة).

(٩) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة، كان فاضلا صاحب فنون وأخبار ونوادر وكان من ظرفاء عصره. توفي سنة ٣٢٦ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٥٩).

(١٠) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة. ولد ببغداد وروى عن أبيه تصانيفه كلها. قدم مصر سنة ٣٢١ هـ وحدث بكتب أبيه كلها بها ولم يكن معه كتاب. وتولى بها القضاء وتوفي بها وهو على القضاء سنة ٣٢٢ هـ (معجم الأدباء لياقوت ج ٢ ص ١٦٠).

نبـــوغه فى اللغـــة وعلوم الأدب :

مال أبو علىّ القالى بطبعه إلى اللغة وعلوم الأدب، فبَرَعَ فيها وآستكثر منها ؛ ونَبَـغ نبوغا لم يكن لأحد ممن تقدّمه أو تأخرعنه . وعدّه المؤرّخون إماما ثَبْتا ، وحُجّة ثِقَة ، فوصفه الضبىّ فى كتابه "بغية الملتمس" بقوله: "كان إماما فى علم اللغة، متقدّما فيها، متقنا لها، فاستفاد الناس منه وعوّلوا" "عليه، وآتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه فى غاية التقييد والضبط والإتقان . وقد ألّف فى علمه" "الذى آختصّ به تآليف مشهورة تدلّ على سعة علمه وروايته" وسيأتى بيانها فى ذكر مؤلّفاته [1] .

اســـتدعاؤه من بغــــداد الى الأندلس :

أقام أبو علىّ القالى ببغداد خمسا وعشرين سنة ذاع فيها صِيتُه، وعَمّت شهرتُه؛ ولمّا كان الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى رَفَعَ مَنَار العــلوم والفنون فى الأندلس، وأدخل فيها مفاخرَ كلّ جهة ، وزِينَة كلّ بلد، يَحترم العلماء ويُجِلّهم، ويُقدّرهم أعظم تَقدير، لأنهم رُوح الأمّة وحياتُها، ويَعمل على إنهاض أمته بنشر العِلْم لتسموَ الى مراقى الفلاح، سمع بشهرة أبى علىّ القالى فى اللغة والأدب "فكتب اليه" "ورغّبه فى الوفود عليه، لنشر علمه" [2] والآستفادة من معارفه وعلومه، فلَبّى دعوتَه؛ وعند قدومه اليها آستُقْبِل آستقبالا عظيما، كان ولىّ العهد «الحَكَم» ووزراء والده ووجوه رعيته فى مقدّمة المُحتَفِين به .

وصف الآحتفاء بقدومه الأندلس :

وعنـد قدومه آحتفل به آحتفالا فخما وصــفه المَقّرِىّ [3] مؤلّف كتاب « نفح الطِّيب » بقوله :
"وفد على الأندلس أيّامَ الناصر أمير المؤمنين عبـد الرحمن ، فأمر آبنُـه « الحَكَمُ » وكان يتصرّف" "من أمر أبيه كالوزير، عامِلَهم آبن رَمَاحِس ، أن يجىء مع أبى علىّ الى قُرْطُبَة ، ويتلقّاه فى وفد" "من وجوه رعيّته ، يَنْتَخِبهم من بياض أهل الكُورة تكرِمةً لأبى علىّ ففعل؛ وسار معه نحو قرطبة"

(١) راجع « بغيــة الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس » للضبى ، طبع مدينة مجريط سنة ١٨٨٤ م (ص ٢١٧) ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٣) .

(٢) بغية الملتمس للضبىّ (ص ٢١٧) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٥٢) ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٣) .

(٣) نفح الطيب (ج ٢ ص ٤٨) طبع مدينة ليدن سنة ١٨٥٥ م .

"في مَوْكب نبيل، فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار" وكان دخوله اليها لثلاث بَقين من شعبان سنة ٣٣٠ هـ كما قال ابن خِلّكان[١]. قال صاحب نفح الطيب: "وبعض المؤرّخين يَزْعُم أن وِفَادة أبي عليّ القالي إنما كانت في خلافة الحَكَم المستنصر بالأندلس لا في خلافة أبيه الناصر، والصواب أن وفادته في أيام الناصر".

إكرام الخليفة الناصر له:

نزل أبو عليّ القالي ضيفا مكرّما معزّزا على الخليفة الناصر فأكرم مَثْواه، وأحسن منزلته، وأعلى قَدْره، وآختصّه بتعليم وليّ عهده «الحَكَم» وآستوطن قرطبة[٢] «فأورث أبو عليّ أهلَ الأندلس عِلْمَه»[٣] وأفاد الحَكَم بأحسنِ ماعنده.

فضل القالي على الحَكَم في حُبّه العلم:

قَوِيَ عند الحَكَم حُبُّ العلم حتى آشتدّت رَغْبَتُه في آقتناء الكُتُب، وبعدما آعتلى عَرْشَ الأندلس كان يبعث بالتجار الى الأقطار ومعهـم الأموالُ لشراء الكُتُب وآستجلاب المصنَّفات من الأقاليم والنواحي، باذلا فيها ما أمكن من الأموال مما لا يُنفِقه غيرُه، حتى جلب للأندلس ما لم يَعهده علماؤُها مما كان يُضاهِي ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة.

هذا كتاب الأغاني بَعَث فيه لأبي الفرج الأَصْبَهانيّ مُصَنِّفِه بألف دينار من الذهب العَيْن، فبعث إليه بنسخته قبل أن يُخرجه الى العراق؛ وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأَبْهَرِيّ المالكيّ في شرحه لمختصر ابن عبد الحَكَم[٤].

---

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ١٠٩) طبع باريس سنة ١٨٣٨.

(٢) قرطبة: مدينة عظيمة على نهر الوادي الكبير بالأندلس. وكانت قاعدة الدولة الأموية وآل جهور من ملوك الطوائف بعدهم.

(٣) راجع نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥٠).

(٤) راجع نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥٠ وج ٢ ص ٢٩).

إقبال العلماء والأدباء عليه للاستفادة منه :

لقد آمتاز أبو علىّ القالى بسعة الأطلاع فى العلم والرواية، وطول الباع فى اللغة وفنونها ، فأقبل عليه علمـاءُ الأندلس وأدباؤُها للاستفادة من مُحاضراته فى اللغـة والأدب التى كان يُمليها من حفظه فى أيام الأخْمِسة بقرطبة ، وفى المسجد[1] الجامع بالزهراء[2] المباركة، كما حدث بهذا القالى عن نفسه فى مقدّمة أماليه[3]، فردّدوا ذكره، وشَهِدُوا له بالتقدّم والإجادة .

قال آبن الفَرَضِى فى تاريخ علماء الأندلس[4] (ص ٦٥) : "فسَمِع الناسُ منه وقرءوا عليه كُتُب" "اللغة والأخبار والأمالى وعَظُمت آستفادتُهم منه ... الخ"

وناهيك بالأندلس فى ذلك العصر الذى كان زاهيا بالعلوم والفنون ، فقـد كانت غاصّةً بالعلماء والأدباء والفقهاء وكبار الرجال المفكّرين وهم كثـيرون فى كلّ علم وفنّ؛ وذَكَرَ جملةً من ذلك أبو محمد آبن حَزْم الحافظ فى رسالة طويلة ردّ فيها على الحسن بن محمـد القَيْراونى فيما كتبه فى تخليد علماء بلده وتقصير أهل الأندلس فى ذكر علمائهم . راجع (نفح الطيب ج٢ ص١٠٨ طبعة ليدن)؛ والمكتبة العربيّة[5] الأندلسـيّة المطبوعة فى مجريط حافلةٌ بذكر كثير منهم؛ وكذا طبقات[6] الأمم للقاضى أبى القاسم صاعِد الأندلسىّ؛ ولهم تآليفُ قيّمة تشهد برسوخ قدمهم فى العلوم والمعارف، وما وصلوا إليـه فى الحضارة والأطلاع .

---

(١) راجع الكلام على هذا المسجد العظيم فى نفح الطيب (ج ١ ص ٣٥٨ — ٣٦٩) طبع مدينة ليدن .

(٢) بَنَى الخليفة عبد الرحمن الناصر هذه المدينـة العظيمة وسمّاها باسم جاريته (الزهراء) وقد أتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها ففاقت بعلوّ درجتها ما تقدمها من الآثار وجمعت غرائب الأشياء فى فنّ العمارة وجعلها متنزّها لها ولحاشيته وأرباب دولته . راجع الكلام على هذه المدينة فى نفح الطيب (ج ١ ص ٣٤٦ طبع مدينـة ليدن) .

(٣) راجع مقدمة الأمالى (ص ٣ س ١٠ و ١١ من هذه الطبعة) .

(٤) طبع هذا الكتاب بمدينـة مجريط سنة ١٨٩٠ م .

(٥) المكتبة العربيـة الأندلسية وهى : الصلة لآبن بشكوال فى جزءين ، وبغيـة الملتمس للضبىّ ، والمعجم لآبن الأبّار ، والتكملة لكتاب الصلة لآبن الأبار، وتكملة التكملة لآبن الأبار (طبع مجريط) وتاريخ علماء الأندلس لآبن الفرضى ، وفهرس ماارواه عن شيوخه من الدواوين فى ضروب العلم وأنواع المعارف أبو بكر بن خليفة الأموىّ الأشبيلىّ ؛ نشرها المستشرقان الأسبانيان : « كوديرا » و « ريبرا » (طبع مجريط) .

(٦) طبع هذا الكتاب فى بيروت ومصر .

وكفى أنّ الإمام الزُّبَيدىّ صاحب كتاب مختصر العين — وكان إذ ذاك إماما فى الأدب — كان ممن آستفادوا منه وأقرّوا له؛ قال ياقوت فى مُعجَمه[(1)] :

"ومن رَوَى عن القالى أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدىّ النحوىّ صاحب كتاب مختصر العين" "وأخبار النحويين، وكان حينئذ إماما فى الأدب، ولكن عَرَف فضلَ أبى علىّ فمال اليه وآختصّ" "به وآستفاد منه وأقرّ له" .

إجماع المؤرّخين على أنه كان أحفظَ أهل زمانه :

ولقد أجمع المؤرّخون بذكاء أبى علىّ النادر، ونبوغه الفائق، وعدّوه أحفظَ أهل زمانه؛ قال الضبّىّ فى كتابه بغية الملتمس (ص ٢١٨): "كان أحفظَ أهلِ زمانه للغة، وأرواهم للشعر، وأعلَمَهم" "بعلل النحو على مذهب البصريين، وأكثرَهم تدقيقا فى ذلك" وقد حدّث بهذا آبن خِلّكان وياقوت وصاحب نفح الطيب .

ثناء الشعراء عليه :

وعند دخوله الأندلس مدحه الشاعر المشهور يوسف بن هارون الكِنْدىّ المعروف بالرّمادىّ بقصيدة[(2)] قال فيها :

رَوضٌ تَعاهَده السحابُ كأنه * مُتعاهدٌ مِنْ عهدِ "إسماعيل"
قِسْه إلى الأعْراب تَعْلَمَ أنه * أوْلَى من الأعْراب بالتفضيل
حازتْ قبائلُهم لُغاتٍ فُرِّقت * فيهم وحاز لغات كلِّ قبيلِ
فالشرق خالٍ بعده فكأنما * نزل الخرابُ بربعه المأهول
وكأنه شمس بدَتْ فى غَرْبنا * وتَغيَّبَتْ عن شرقهم بأُفولِ
يا سيِّدى هذا ثنائى لم أقُلْ * زُورا ولا عرَّضتُ بالتنويل
مَنْ كان يأمُل نائلا فأنا آمرؤٌ * لم أرْجُ غيرَ القُرْب فى تأميلى

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٢ و ٣٥٣) .

(٢) راجع آبن خلكان طبعة مصر (ج ٢ ص ٥٤٣) .

نظره فى أهل الأندلس :

وذكر ابن بَسّام فى الذخيرة[1]: "أن أبا علىّ البغدادىّ صاحب الأمالى الوافد على الأندلس فى زمان" "بنى مَرْوان قال : لمّا وصلتُ القَيْرَوان وأنا أعبر مَنْ أمرُّ به من أهل الأمصار، فأَجِدهم درجات" "فى العبارات وقِلّة الفهم بِحسب تفاوُتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد، كأنّ منازلهم من الطريق" "هى منازلهم من العلم مُحَاصَّةً ومقايسة (قال أبو على) فقلتُ : إنْ نَقَص أهلُ الأندلس عن مقادير" "مَنْ رأيتُ فى أَفْهامهم بقَدْر نقصان هؤلاء عمّن قبْلَهم، فسأَحْتاجُ الى تَرْجُمان فى هذه الأوطان" .

" قال ابن بَسّام : فبلغنى أنه كان يَصِلُ كلامَه هذا بالتعجُّب من أهل هذا الأُفُق الأندلسىّ" "فى ذكائهم ويتَغَطَّى عنهم عند المباحثة والمفاتشة ويقول لهم : إنّ عِلْمى عِلْمُ رواية وليس بعلم دِرَاية ،" "فخذوا عَنِّى ما نقلتُ ، فلم آلُ لكم أَن صُحِّحْتُ ؛ هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة" "الروايات والأخذ عن الثقات"[2] اهـ .

إكرام الخليفة الحَكَم له وتشجيعه على التأليف :

وكما كان أبو علىّ محلَّ إكرام الخليفة عبد الرحمن الناصر وموضعَ عنايته ، كذلك كان بعد ما تولّى الخليفةُ الحكم[3] عرشَ الأندلس فبالغ فى إكرامه وإجلاله ، إذ كان أستاذه الذى ثقّف عقلَه بالعلوم

(١) يوجد جزءان مخطوطان من الذخيرة فى شعراء الجزيرة بدار الكتب المصرية .

(٢) نفح الطيب (ج ٢ ص ١٠٧) .

(٣) هو الحكم المستنصر بالله ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر . اعتلى سرير الملك بعد وفاة أبيه وقام بأعبائه أتمّ قيام (٣٥٠ — ٣٦٦) كان محبا للعلوم مكرما لأهلها ، مغرما باقتناء الكتب القيّمة على اختلاف أنواعها فسبق من تقدّمه ، وجمع ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ، فأقام للعلم سوقا ، وجدّد للعلماء شوقا وظهر بهذا المظهر ؛ فجلبت اليه بضائع الفضل من كل قطر؛ وحسبك بخزانة جمعت من الأسفار ما اقتضى لاستيفاء فهرسها (أربعة وأربعون جزءا) وبلغت الكتب فيها مائتى ألف مجلد جمعها من إفريقية وفارس وجميع البلدان ؛ وكان ذا غرام بها ، وقد آثر ذلك على كل لذائذ الملك وأغراض الملوك ، فاستوسع علمه ودق نظره ؛ وكان عالما بالأخبار والأنساب ، شغوفا بالقراءة حتى قالوا — وقد اتفقت على روايته الرواة — إنه قلّما يوجد كتاب فى مكتبته إلا كان له فيه نظر وتعليق عليه ، يكتب عن المؤلف وعن مولده ووفاته ويأتى بغرائب لا توجد إلا عنده . قال صاحب نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥٠) نقلا عن ابن خلدون : «ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى أن بيع أكثرها فى حصار البربر وأمر بإخراجها وبيعها الحاجب «واضح» من موالى المنصور بن أبى عامر ونهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عنوة» اهـ . فأعظِمْ بأبى علىّ القالى الذى وكل اليه أمر تعليمه وتربيته وتهذيبه ، فقام بذلك خير قيام . راجع ما كتب عنه فى نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥٠ طبعة ليدن) .

والمعارف، وبثَّ فى نفسه حُبّ العلم، فكان الخليفة الحكم أحبّ ملوك الأندلس للعلم، وأكثرهم اشتغالا به وحِرْصا عليه، وكان يَحُثُّ أبا علىّ على التأليف، وينشّطه بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط فى الإكرام[1]، فانقطع إلى العلم والأدب، وعكف على التأليف، وأملى مُؤلّفاته القيّمة التى فاق بها مَن تقدّمه، وأعجز مَن بعده، كما حدّث بهذا صاحب نفح الطيب، وياقوت فى معجمه .

مؤلفاته :

قبل البدء فى ذكر مؤلّفات أبى علىّ نذكر كلمةً لابن بَسّام يعلَمُ القارئ منها أنها بحقٍّ لم يُجارِه فى تأليفها أحد، وأنها أعجزت مَن بعده، وفاق بها مَن تقدّمه .

قال ابنُ بَسّام فى الذّخيرة فى ترجمة صَاعِد: "وفَدَ على المنصور [بن أبى عامر] نجمًا من المشرق" "غرّب، ولسانا عن العرب أعرب؛ وأراد المنصور أن يُعَفِّى به آثارَ أبى علىّ القالى، فألْفَى سيفَه" "كَهَامًا[2]، وسَحابَه جَهَامًا[3]، من رَجُل يتكلّم بملْء فيه، ولا يُوثَق بكلّ ما يَذَرُه ولا ما يأتيه[4]" اهـ .

أما مؤلّفاته القيّمة وكتبه النفيسة، فقد ذكرها ياقوت فى معجمه[5] قال : « وانقطع بالأندلس بقيّة عُمره وهناك أملى كُتُبَه؛ أكثرُها عن ظَهْر قَلْب؛ منها :

(١) كتاب «الأمالى» معروف بيد الناس، كثير الفوائد، غاية فى معناه؛ قال أبو محمد بن حَزْم : كتاب نوادر أبى علىّ مُبَارٍ لكتاب الكامل الذى جمعه المبرّد، ولئن كان كتاب أبى العباس أكثرَ نحوا وخبَرا، فإنّ كتاب أبى علىّ أكثرُ لغةً وشِعْرا . (٢) كتاب « المدود والمقصور » رتّبه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، مُسْتَقْصًى فى بابه، لا يَشِذّ منه شىء فى معناه، لم يُوضَع مثلُه . (٣) كتاب «الإبل» ونتَاجها وما تصرّف معها . (٤) كتاب حُلَى الإنسان والخيل وشِيَاتها . (٥) كتاب فَعَلْت وأَفْعَلْت (٦) كتاب مَقَاتِل الفُرْسان . (٧) تفسير السَّبْع الطوال . (٨) كتاب «البارع» فى اللغة

(١) بغية الملتمس للضبىّ (ص ٢١٧) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٥١) .
(٢) كهام : لم يقطع .
(٣) جهام : لا ماء فيه .
(٤) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٢ و ٦٦) .
(٥) راجع (ج ٢ ص ٣٥٢) .

على حروف المعجم، جمع فيه كُتُبَ اللغة، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة. قال الزُّبَيدىّ: ولا نعلم أحدا من المتقدّمين ألّف مثله؛ قرأت بخط أبى بكر محمد بن طَرْخان بن الحَكَم: قال الشيخ الإمام أبو محمد العربىّ: كتاب البارع لأبى علىّ القالى يحتوى على مائة مجلّد، لم يُصنَّف مثله فى الإحاطة والاستيعاب، الى كُتُب كثيرة ارتجلها وأملاها عن ظهر قلب كلّها » اه.

تقديره للعلماء:

ولم يكن القالى مُحْتَرَمَ الجانب من الخليفة "الحكم" ووالده "عبد الرحمن الناصر" فَحَسْبُ، بل كان محترما أيضا من علماء عصره الزاهى بالعلوم والمعارف، لأنهم عرفوا فيه غَزَارة العلم، وسعة الاطلاع، والأدب السامى؛ فرفعوا منزلته، وأحلّوه المحلّ اللائق لنبوغه العظيم، ووصفوه بأحسنِ ما يُوصَف به من آيات الإكبار والإجلال؛ وكان القالى مع هذا يُقدِّر مَنْ يَستحقّ التقدير من علماء عصره؛ قال ابن خلكان فى ترجمة ابن القُوطيّة: «إن أبا علىّ القالى لمّا دخل الأندلس اجتمع به وكان يُبالغ فى تعظيمه حتّى قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر: مَنْ أَنْبَلُ مَنْ رأيتَه ببلدنا هذا فى اللغة؟ فقال: محمد بن القوطية!»[1]

مُداعبته الأدبيّة:

وكان القالى مع واسع علمه، وأدبه الجمّ، وكبير احترامه، وسموّ منزلته، لطيفَ المِزَاح، جميلَ المداعبة، فَكِهًا، أنيسَ العِشْرة، يتجلّى كلّ هذا مما دار بينه وبين أحد قضاة الأندلس فى عصره، وقد طلب أن يُعيره كتابا، قال الحُمَيْدى فى كتابه تاريخ الأندلس[2]: «أخبرنا القاضى أبو الحكم منذر ابن سعيد البلّوطىّ قال: كتبتُ الى أبى علىّ البغدادىّ القالى أستعير منه كتابا من الغَرِيب وقلتُ:

بحقِّ رِئْمٍ مُهَفْهَفْ * وصُدْغِه المتعطِّفْ
إبعثْ إلىّ بجزء * من "الغَرِيب المُصنَّفْ"[3]

(١) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٠).

(٢) راجع معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٣٥٤) ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٧٣).

(٣) الغريب المصنّف: كتاب فى غريب الحديث لأبى عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى النحوىّ اللغوىّ الكوفىّ نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٦ هـ. ذكره صاحب كشف الظنون (ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨).

قال : فقضى حاجتى وأجابنى بقوله :

وحَقِّ دُرٍّ تَألَّفْ * بفيكَ أَىَّ تَألُّفْ
لَأَبعثَنَّ بما قد * حَوَى "الغَرِيب المُصَنَّفْ"
ولو بَعثتُ بنَفْسى * إليكَ ما كُنتُ أُسْرِفْ»

حادثتان له جديرتان بالذكر :

ولما كان أوّلُ واجب على المؤرّخ الأمين أن يُدوِّن حياة المترجَم له بما فيها من محاسنَ ومساوئ، فقد اطلعنا أثناء كتابة هذه الترجمة على حادثتين جديرتين بالذكر وقعتا لأبى علىّ، فنسردهما مع اعتقادنا أنهما لا تَنْقُصان شيئا من قيمته السامية ومكانته العاليـة ، ولا تُقلِّلان من شُهرته العلمية ، ونبوغه الفائق فى علم اللغة والآداب العربية .

أما الحادثة الأولى، فهى عدمُ إقامته وزن بيت من الشعر عند الاحتفال العظيم بقدومه، وكانوا يتناشدون الأشعار فى مَسير رَكْبه الى قُرْطُبَة ، وقد جَمع عددا من شعراء الأندلس وأدبائها ؛ فقد ذكر صاحب نفح الطيب[(1)] أنهـم "كانوا يتذاكرون الأدب فى طريقهم ويتناشـدون الأشعار الى أن" "تجاوزوا يوما وهم سائرون أدب عبد الملك بن مَرْوان ومساءلته جلساءه عن أفضل المناديل" "وإنشاده بيت عَبْدَة بن الطبيب :

ثُمّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مسوّمَةٍ * أعرافُهـنّ لأيدينا مناديلُ

"وكان الذاكر للحكاية الشيخَ أبا علىّ، فأنشد الكلمة فى البيت :

* أعرافها لأيدينا مناديل *

"فأنكرها ابن رِفَاعة الألبيرى، وكان من أهل الأدب والمعرفة وفى خُلُقه حَرَج وزعارة[(2)]، فاستعاد" "أبا علىّ البيت مستثبتا مرّتين فى كلتيهما أنشده: «أعرافها» فلوَى ابن رفاعة عِنانَهُ منصرفا وقال:" "مع هذا يُوفَد على أمير المؤمنين وتُتجشّم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وَزْنَ بيتٍ مشهورٍ بين الناس" "لا يَغْلَط الصبيان فيه ! والله لا تبعتُه خطوةً، وانصرف عن الجماعة ... ... الخ »" .

(١) نفح الطيب (ج ٢ ص ٤٩) .
(٢) الزعارة : شراسة الخلق .

أما الحادثة الثانيـة ، فقد وَقعَت له عند ما كانوا يحتفلون لدخول رسـول ملك الروم صاحب القُسْطَنْطِينِيّة بقصر قُرْطبة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكانوا يحتفون فى لُقْياه بالعسكر والقوّاد وأصحاب الشُّرْطة وطبقات أهل الخدمة كالموالى والحَشَم بما يناسب هول المقام وأبّهة الخلافة ، و إقامة الاحتفالات الشائقة ، وتلاوة الخطب الرائقة ، بما يدلّ على فخامة جاه الدولة ، وبيان مايخطبه الغير من مودّتها ؛ فقد دُعِى أبو علىّ وهو أمير الكلام وبحر اللغة فى وقته فى هذا الاحتفال الرسمى العظيم فأُرْتِجَ عليه ؛ قال صاحب نفح الطيب(١) : "لمّـا احْتُفِل لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية" "بقصر قرطبة الاحتفالَ الذى اشتهر ذكرُه أحبّ أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالةَ" "مَقْعَده ، وتصف ما تهيّأ له من توطيد الخلافة ، ورَمْى ملوك الأمم بسهام بأسه ونَجْدته وتقدّم الى" "الأمير الحَكَم ابنه وولىّ عهده بإعداد مَن يقوم لذلك مِن الخطباء ويقدّمه أمام إنشاد الشـعراء ،" "فتقدّم الحَكَم الى أبى علىّ البغدادىّ ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة أن يقوم ، فقام فحَمِدَ" "الله وأثْنَى عليه وصلّى على نبيّه صلّى الله عليه وسلم ثم انقطع وبُهِت ، فما وَصَل إلا قَطَع ووقف ساكتا" "مفكّرا ، فلمّا رأى ذلك منذر(٢) بن سعيد قام قائما بدرجة من مَرْقاة أبى علىّ ووصل افتتاحه بكلام" "عجيب بَهَرَ العقولَ جَزالةً وملأ الأسماع جلاله ....." اهـ

ولم يكن إرتاج أبى علىّ فى هذا الموقف العظيم الأوّلَ من نوعه ، فقد أُرتج على كثير قبله من خلفاء الإسلام وملوك البيان ؛ فأوّل خطبة خطبها سـيدُنا عثمانُ بن عَفّان الخليفة الراشد أُرتج عليـه فقال : «أيها الناس ، إن أوّل كلّ مَرْكب صعب ، وإن أَعِش تأتِكم الخُطَبُ على وجهها ، وسيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسرا ، إن شاء الله » .

ولمّـا قَدِم يزيد بن أبى سُفْيان الشام واليـا عليها لسيدنا أبى بكر الصدّيق الخليفة الراشد خطب الناس فأُرتج عليه ، فعاد الى الحمد ثم أُرتج عليه ، فعاد الى الحمد ثم أُرتج عليه ، فقال : « يا أهل الشام ، عسى الله أن يَجْعَلَ بعد عُسْرٍ يُسرا ، وبعد عِىٍّ بيانا ؛ وأنتم الى إمام فاعل ، أحوجُ منكم الى إمام قائل» . ثم نزل ؛ فبلغ ذلك عَمْرو بنَ العاص فاستحسنه .

(١) نفح الطيب (ج ١ ص ٢٤٠) .

(٢) هو منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة ، خطيب مصقع ، وله كتب مؤلفـة فى القرآن والسنّة والورع ، والردّ على أهل الأهواء والبدع ؛ شاعر بليغ ، ولد سنة ٢٧٣ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ . (نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤٣) .

وصَعِد ثابت بن قُطْنَة منبرَ سجِسْتان فقال : الحمد لله ، ثم أُرتِجَ عليه ، فنزل وهو يقول :

فإن لا أكُن فيهم خطيبا فإنّني * بسيْفِى إذا جَدَّ الوَغَى لخَطِيبُ

فقيل له : لو قلتَها فوق المِنْبر لكنتَ أخطبَ الناس .

وخَطَب معاويةُ بن أبي سفيان الخليفة الأُمَوِىّ عند توليته لحُصِر، فقال : « أيها الناس، إنى كنتُ أعددتُ مقالا أقوم به فيكم فحُجِبت عنه ، فإنّ الله يَحُول بين المرء وقلبه ، كما قال فى كتابه؛ وأنتم الى إمام عَدْل أحوجُ منكم الى إمام خطيب ، وإنى آمُرُكم بما أمر الله به ورسولُه ، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه ورسولُه؛ وأستغفر اللهَ لى ولكم» . وأُرتِج أيضا على خالد بن عبد الله القَسْرِىّ والى العراق؛ وكان صَعِد يوما المنبر بالبصرة فقال : « أيها الناس، إنّ الكلام ليجئ أحيانا فيتسبّب سَبَبُه ، ويَعْزُب أحيانا فيَعِزّ مَطْلَبُه؛ فربّما طُولِب فأبَى، وكُوبِر فعَصَى؛ فالتّأتّى لِمجِيِّه ، أصوب من التعاطى لأبِيِّه» ثم نزلَ . فما رُئِى حَصِرٌ أبلغ منه . كما أُرتِج على عبد الله بن عامر؛ وعبد الملك بن مَرْوان الخليفة الأُمَوِىّ وغيرهما . وقد عَقَدَ ابنُ عبد ربه فى كتابه العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٩ طبعة بولاق) فصلا خاصّا بمن أُرتِج عليهم .

وفاتــــه :

تُوُفِّىَ القالى بقرطبة فى شهر ربيع الآخر، وقيل جمادى الأولى سنة ستّ وخمسين وثلثمائة ، ليلة السبت لِستّ خَلَوْن من الشهر المذكور، وصلّى عليه أبو عبد الله الجُبَيْرِىّ[1] ودُفِن بمقبرة متعة ، ظاهر قرطبة رحمه الله . قال صاحب نفح الطيب[2] : « وحكى ابن الطَّيْلَسان عن أبى جابر أنه قرأ هذين البيتين فى لوح رخام كان سقط من القُبّة المبنية على قبر أبى علىّ البغدادىّ عند تهدّمها؛ وهما :

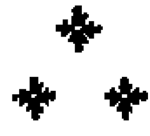
صِلُوا لَحْدَ قبرى بالطريق ووَدِّعوا * فليس لِمَنْ وارَى التراب حبيبُ

ولا تَدْفِنونى بالعَـرَاء فرُبّما * بَكَى إن رأى قبرَ الغريبِ غريبُ»

(١) كذا فى ابن خلكان (ج ١ ص ١٠٩ طبعة باريس) وفى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (ص ٦٦) مانصه : «وصلى عليه أبو عبيد القاسم بن خلف الحسنى الفقيه» .

(٢) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٠) .

وألّف أبو محمد الفهْرِىّ كتابا فى نسب أبى علىّ البغدادىّ ورواياته ودخوله الأندلس كما حدّث بهذا صاحب نفح الطيب[1]، ولم نَدْر؟ هل يوجد هذا الكتاب الآن؟ أو عبثت به صُروفُ الزمان !



وإذا كان هـذا الإمام الجليل قد رَحَلَ عن تلك الأصقاع بجسمه، فذِكْرُه لن يَزال باقيا حيًّا بها ما دامت مؤلفاتُه القيّمة باقية ناطقة بفضله ، شاهدة بسعة علمه وغزارة مادّته ؛ يَرْتشِف من مناهلها العَذْبة كلُّ عالم وأديب ، ويقْتَطِف من ثِمَارها الدانية كلّ طالب أريب .

فهنيئا لذاك الثَّرَى الذى ضَمّ رُفات هـذا العالم الجليل والإمام الكبير، ونسأله تعالى أن يَسْكُب على قبره شآبيبَ الرحمة والغُفْران ، ويُحسِن إليه بقَدْر ما أحسنَ إلى العلم والأدب إنه سميع مجيب.

محمد عبد الجواد الأصمعى
بدار الكتب المصرية

(١) راجع نفح الطيب (ج ٢ ص ٥٠)

كتاب الأمالى

إنّ كتاب "الأمالى" هو من أمّهات كُتُب الأدب العربىّ المعدودة ، طالما نجد من أئمة اللغة والأدب يَنْظِمون فى كتبهم من دُرَره ، ويَغْتَرِفون من بحره ؛ وهو تأليف جزيل الفائدة ، جمّ النفع ، لمن يريد التعمّق فى علم اللغة ، وتَزْيِينَ عقله بالآداب العربية ، والأخبار المنتخَبَة ، والأشعار المختارة ، والأمثال المستجادة ، والحِكَم البالغة .

قال أبو علىّ فى مقدّمة هـذا الكتاب : « لما رأيت العِلْمَ أَنْفَسَ بضاعة ، أيقنتُ أنّ طلبه أفضلُ تجارة ؛ فاغتربْتُ للرواية ، ولَزِمتُ العلماء للدراية ؛ ثم أعملتُ نفسى فى جمعه ، وشَغَلْتُ ذهنى بحفظه ؛ حتّى حَوَيتُ خَطِيره ، وأحرزتُ رَفِيعَه ، ورَوَيت جليلَه ، وعرفتُ دقيقَه ؛ وعَقَلْتُ شارده ، ورَوَيت نادره ، وعَلِمتُ غامضَه ، ووَعَيْتُ واضحه ...... فأمْلَيْتُ هذا الكتاب من حفظى فى الأَخْمِسة بقُرْطُبَة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة ؛ وأودعتُه فنونا من الأخبار ، وضُرُوبا من الأشعار ، وأنواعا من الأمثال ، وغرائبَ من اللغات ؛ على أنّى لم أذْكُر فيه بابا من اللغة إلا أشبعتُه ، ولا ضَرْبا من الشعر إلا آخترته ، ولا فنًّا من الخبر إلّا آنتخلتُه ، ولا نوْعا من المعانى والمَثَل إلا آستجدتُه ...... الخ»
وفى هذا النَّزْر من وصف الكتاب كفاية ، لِتَعْلَم كم يجمُل بالمتأدّبين مطالعته ، ويجدُر بالمتعلمين مدارسته .

وقد طُبِع هـذا المؤلف الجليل لأوّل مرّة بمصر سـنة ١٣٢٢ هـ بمطبعة بولاق الأميرية بحرف يفوق حُسْنا ما طُبِـع سابقا فى هذه المطبعة الشهيرة ، وكان ذلك بهمة حضرة المحترم السرىّ الأمثل :

"السيد إسماعيل يوسف بن صالح بن دياب" التونسىّ

ولما نَفِدت هـذه الطبعة بإقبال العلمـاء والأدباء على آقتنائها لا سيّما تعضيد وزارة المعـارف العمومية التى قرّرت تدريس هذا الكتاب الكبير النفع ، العظيم الفائدة بمدارسها العالية : دار العلوم . المعلمين العليـا . القضاء الشرعى ، وغيرها من المعاهـد العلميّة الأخرى ، رأى حضرته إعادة طبعه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ أبو علىّ إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى رحمه الله :

الحمد لله الذى جَلَّ عن شَبَه الخليقة، وتعالى عن الأفعال القبيحة؛ وتَنزَّه عن الجَور، وتكبّر عن الظلم؛ وعدل فى أحكامه، وأحسن الى عباده؛ وتفرّد بالبقاء، وتوحّد بالكبرياء؛ ودبّر بلا وزير، وقهر بلا مُعين؛ الأوّلِ بلا غاية، والآخرِ بلا نهاية؛ الذى عَزَب عن الأفهام تحديدُه، وتعذّر على الأوهام تكييفه؛ وعَميت عن إدراكه الأبصار، وتحيّرت فى عظمته الأفكار؛ الشاهدِ لكل نجوى، السامع لكل شكوى، والكاشف لكل بلوى؛ الذى لا يحويه مكان، ولا يشتمل عليه زمان، ولا ينتقل من حال الى حال؛ القادرِ الذى لايدركه العجز، والعالم الذى لايلحقه الجهل؛ والجواد الذى لا يَنْزَح، والعزيز الذى لا يخضع؛ والجبّار الذى قامت السموات بأمره، ورَجَفت الجبالُ من خَشْيته .

والحمد لله الذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالدلائل الواضحة، والحجج القاطعة، والبراهين الساطعة؛ بشيرا ونذيرا، وداعيا اليه بإذنه وسراجا منيرا؛ فَبَلَّغ الرِّسالة، وأدّى الأمانة، ونَهَض بالحُجّة؛ ودعا إلى الحق، وحضّ على الصدق؛ صلى الله عليه وسلم .

ثم أما بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على خير البشر صلى الله عليه وسلم؛ فإنى لمّا رأيت العلمَ أَنْفَسَ بضاعة، أيقنت أن طلبه أفضل تجارة؛ فاغتربْتُ للرواية، ولزِمتُ العلماءَ للدراية . ثم أعملتُ نفسى فى جمعه، وشَغَلْت ذهنى بحفظه؛ حتى حَوَيْت خَطِيره، وأحرزت رَفيعَه، ورَوَيت جليلَه، وعرفت دقيقَه؛ وعَقَلْتُ شارده، ورويت نادره، وعلِمت غامضه، ووَعَيْت واضحه . ثم صُنْتُه بالكتمان عمن لا يعرف مقدارَه، ونزّهته عن الإذاعة عند من يجهَل مكانَه؛ وجعلت غرضى أن أُودِعَهُ من يستحقه، وأُبْدِيَه لمن يعلم فضله؛ وأُجْلِبَه الى من يعرف محلّه؛ وأنشره عند من يشرّفه، وأقصدَ به من يُعَظّمه؛ إذ بائعُ الجوهر، وهو حَجَر يَصُونه بأجود صُوَان[(1)]، ويُودِعه أفضلَ مكان؛ ويقصد به من يُجْزِل ثمنَه، ويحمله

(1) صوان مثلث الصاد : وعاؤه الذى يصان فيه .

الى من يعرف قدرَه، على أنه لا يستحق بسببه أن يُوصَف بالفضل بائعُه ولا مشتريه، ولا يستوجب أن يُحمَد من أجل المبالغة فى ثمنــه مُقتنيه، والعلم يُذْكَر بالرَّجاحة طالبُــه، ويُنْعَت بالنباهة صاحبُه، ويستحقّ الحمدَ عند كلِ العقلاء حاويه، ويستوجب الثناءَ من جميع الفضلاء واعيــه، ويُفيد[1] أسنى الشرف مُشَرِّفَه، ويكتسب أبقى الفخر مُعَظِّمُه، فغَبَرْتُ بُرْهةً ألتمس لنشره مَوْضعا، ومكثت دهرا أطلب لإذاعتــه مكانا، وبَقِيتُ مُدّةً أَبْتَغِى له مشرِّفا، وأقمت زمنــا أَرْتاد له مُشْتَرِيا، حتى تواتَرَت الأنباءُ المتَّفقة، وتتابَعَت الصفاتُ الملتئمة، التى لا تُخالِجُها الشُّكوك، ولا تُمازِجُها الظنون، بأن مشرِّفَه فى عصره أفضلُ مَنْ ملك الورى، وأكرمُ من جاد باللُّهَى، وأجودُ من تعمَّم وآرْتَدَى، وأمجدُ من رَكِبَ ومَشَى، وأَسْوَدُ من أَمَر ونهى، سِمامُ العِدَى، فيَّاض الندى، ماضى العزيمة، مهذَّب الخليقة، مُحْكَمُ الرَّأْى، صادق الوَأْى[2]، بَذَّال الأموال، مُحَقِّق الآمال، مُفْشِى المواهب، معطى الرغائب، أمير المؤمنين، وحافظ المسلمين، وقامع المشركين، ودامغ المــارقين، وآبن عمّ خاتم النبيين، محمد صلى الله عليه وسلم، "عبد الرحمن بن محمد" مُحْيِي المكارم، ومبتنى المفاخر، الذى إذا رَضِىَ أغنى، وإذا غَضِب أَرْدَى، وإذا دُعِى أجاب، وإذا آستُصْرِخ أغاث. وأنَّ مُعَظِّمه ومشتريَه، وجامعَــه ومقتنيَه، ربيعُ العُفاة، وسُمُّ العُداة، ذو الفضل والتمام، والعقل والكمال، المعطى قبل السؤال، والمُنيل قبل أن يُستنال "الحَكَمُ" ولىّ عهد المسلمين، وآبن سيد العالمين، أمير المؤمنين "عبدالرحمن بن محمد" الإمام العادل، والخليفة الفاضل، الذى لم يُرَ فيما مضَى من الأمراء شِبْهُه، ولا نشأ فى الأزمنة من الكُرَماء مثلُه، ولا وَلَدَ النساءُ من الأجواد نظيرَه، ولا مَلَكَ العبادَ من الفُضلاء عديلَه، فخرجتُ جائدا بنفسى، باذلا حُشاشَتِى، أَجُوب مُتونَ القِفار، وأخُوض لُجَجَ البحار، وأركب الفَلَوات، وأتقحَّم الغَمَرات، مؤمِّلا أن أُوصِل العِلْق النفيس الى من يعرفه، وأنشرَ المتاع الخَطِير ببلد مَنْ يعظِّمه، وأُشرِّفَ الشريفَ باسم من يشرِّفه، وأَعْرِضَ الرفيعَ على من يشتريه، وأَبذُلَ الجليل لمن يجمعه ويقتنيه، فمنّ الله جلّ وعزّ بالسلامة، وحَبَا تعالى ذكره بالعافية، حتى حَلَلْتُ بعُصْرة[3] الخُوَّاف، وعِصْمة المُضاف، والمحلّ المُمْرِع، والربيع المُخْصِب، فِنــاءِ أمير المؤمنين "عبد الرحمن بن محمد" المبارك الطلعة، الميمون الغرّة، الجَمّ الفواضل، الكثير النوافل، الغَيْثِ فى المَحْل، الثِّمــال[4] فى الأَزْل، البدر الطالع، الصبح الساطع، الضوء اللامع، السراج الزاهر،

(١) يفيــد: يستفيد، قال الكسائى: أفدت المــال، أى أعطيته غيرى، وأفدته: آســتفدته اهـ. كذا فى اللسان.
(٢) الوأى: الوعد. (٣) العصرة: الملجأ. (٤) الثمــال بالكسر: الملجأ والغياث والمطعم فى الشدّة اهـ كذا فى اللسان.

السحاب الماطر، الذى نَصَرَ الدين، وأعزَّ المسلمين، وأذلّ المشركين، وقَمَعَ الطُّغَاة، وأبادَ العُصاة، وأطفأ نارَ النِّفاق، وأهْمَدَ جَمْر الشقاق، وذلّل مِن الخَلْق من تجبَّر، وسهَّل من الأمر ما توعَّر، ولَمَّ الشَّعَث، وأمَّنَ السُّبُل، وحقَن الدماء. أبقاه الله سالما فى جسمه، مُعافًى فى بدنه، مسرورا بأيامه، مبتهجا بزمانه، وخصَّه بطول المُدّة، وتتابُع النعمة، وأبقى خلافته، وأدام عافيته، وتولّى حفظَه، ولا أزالَ عنا ظلَّه. وصحبتُ الحَيَا المُحْسِب(١)، والجَوَاد المُفْضِل، الذى اذا وَعَد وفَى، واذا أوْعَد عفا، واذا وَهَب أسْنَع(٢)، واذا أعطى أقْنَع(٣)، "الحَكَم" فرأيته — أيّده الله — أجلَّ الناس بعد أبيه خَطَرا، وأرفعهم قدرا، وأوسعهم كَنَفا، وأفضلهم سَلَفا، وأغزرهم عِلْما، وأعظمهم حلْما، يملك غضبه فلا يعجل، ويعطى على العِلَّات فلا يَمَلّ، مع فَهْم ثاقب، ولُبّ راجح، ولسان عَضْب، وقلب نَدْب، فتابعا لدىَّ النِّعمة، ووَاتِرًا علىّ الإحسان، حتى أبديت ما كنت له كاتما، ونشرت ما كنت له طاويا، وبذَلت ما كنت به ضَنينا، ومَذَلْت(٤) بما كنت عليه شحيحا، فأمللت هذا الكتاب من حفظى فى الأخْمِسة بقُرْطُبة، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة، وأودعته فنونا من الأخبار، وضروبا من الأشعار، وأنواعا من الأمثال، وغرائب من اللغات، على أنى لم أذكر فيه بابا من اللغة إلّا أشبعته، ولا ضَرْبا من الشعر إلا آخترته، ولا فَنًّا من الخبر إلا آنتخلته، ولا نوعا من المعانى والمَثَل إلا آستجدتُه. ثم لم أُخْلِه من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، على أننى أوردت فيه من الإبْدال ما لم يورده أحد، وفَسَّرت فيه من الإتْباع ما لم يُفسره بشر، ليكون الكتاب الذى آستَنْبَطَه إحسانُ الخليفة جامعا، والديوان الذى ذُكِر فيه آسم الإمام كاملا.

وأسأل الله عِصمةً من الزيغ والأشَر، وأعوذ به من العُجْب والبَطَر، وأستهديه السبيل الأرشد، والطريق الأقصد.

---

(١) الحيا المحسب: الغيث المجزل.

(٢) أسنع: كثّر.

(٣) فى النسخة المطبوعة: «أقنع» بالفاء وهو تحريف.

(٤) مذلت: سمحت.

[مطلب الكلام على مادة نسأ وقوله تعالى (ما ننسخ) الآية (وإنما النسىء زيادة) الآية (*)]

قال أبو إسماعيل بن القاسم البغداديّ: قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا﴾ على معنى أو نؤخّرها. والعرب تقول: نَسَأَ اللهُ فى أجلِكَ، وأَنْسَأَ اللهُ أجلَكَ، أى أخّر الله أجلك. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَرَّهُ النَّسَاء فى الأجَل والسَّعَةُ فى الرزق فَلْيَصِلْ رَحِمَه" والنَّسَاءُ: التأخير، يقال: بِعْتُه بِنَسَاء وبِنَسِيئة، أى بتأخير، وأنسأتُه البَيْعَ. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، والمعنى فيه على ما حدّثنى أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله: أنهم كانوا إذا صَدَروا عن مِنًى قام رجل من بنى كِنَانة يقال له: نُعَيم بن ثَعْلبة، فقال: أنا الذى لا أُعَابُ، ولا يُرَدُّ لى قَضاءٌ، فيقولون له: أَنْسِئْنا شَهْرًا، أى أخِّرْ عنَّا حُرمة المُحَرَّم فاجعلْها فى صَفَرٍ؛ وذلك أنهم كانوا يكرهون أن نتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تُمْكنهم الإغارةُ فيها، لأن معاشهم كان من الإغارة، فيُحِلُّ لهم المُحَرَّم ويُحَرِّم عليهم صفرا، فإذا كان فى السنة المقبلة حَرَّم عليهم المحرّم وأحَلَّ لهم صفرا؛ فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، وقال الشاعر

أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ على مَعَدٍّ * شُهورَ الحِلِّ نَجْعَلُها حَرَاما

وقال الآخر

وكُنَّا الناسِئِينَ على مَعَدٍّ * شُهُورَهُمُ الحَرَامَ الى الحَلِيل

وقال الآخر

نَسَئُوا الشهورَ بها (1) وكانوا أهلَها * مِنْ قَبْلِكم والعِزُّ لم يَتَحَوَّل

[مطلب الكلام على مادة لحن وقوله تعالى (ولتعرفنهم فى لحن القول)]

قال أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله: معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أى فى معنى القول، وفى مذهب القول، وأنشد للقتّال الكِلابى

ولقد لَحَنْتُ لكم لِكَيْمَا تَفْهَمُوا * ووَحَيْتُ وَحْيًا ليس بالمُرْتاب

(*) هذا العنوان وما يليه من العناوين المحصورة بين قوسين مربعين هكذا [ ] ليست من صلب الكتاب، و إنما هى من وضع مصححى الكتاب فى الطبعة الأولى أو فى هذه الطبعة للدلالة على رءوس المسائل، وقد آثرنا وضعها على هذا النحو إشارة الى ذلك.

(1) مرجع الضمير فيه «مكة» كذا بهامش الأصل.

معناه : ولقد بيّنتُ لكم . واللَّحَنُ بفتح الحاء : الفِطْنة ، وربما أسكنوا الحاء فى الفطنة ، ورجل لَحِنٌ ، أى فَطِنٌ ، قال لبيد يصف كاتبا

مُتعوِّدٌ لَحِنٌ يُعيد بكفّه * قَلَمًا على عُسُبٍ[1] ذَبَلْنَ وبَانِ

ومن اللَّحَن الحديثُ الذى يُروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن رجلين اختصما اليه فى مواريث وأشياء قد دَرَسَتْ ، فقال عليه السلام : "لعل أحدكم أن يكون أَلْحَنَ بِحُجّته من الآخر فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه فإنما أقطع له قطعةً من النار" فقال كل واحد من الرجلين : يا رسول الله ، حَقِّ هذا لصاحبي ؛ فقال : "لا ولكن اذهبا فتوخّيا ثم اسْتَهِمَا ثُمَّ لِيُحَلِّل كلُّ واحد منكما صاحبَه". ومنه قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : عجبت لمن لَاحَنَ الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم ! أى فَاطَنَهُمْ .

وحدّثنى أبو بكر عن أبى العباس عن ابن الأعرابى قال : يقال قد لَحَنَ الرجلُ يَلْحَنُ لَحْنًا فهو لاحِنٌ إذا أخطأ ، ولَحِنَ يَلْحَنُ لَحَنًا فهو لَحِنٌ إذا أصاب وفَطِن ، وأنشد

وحَديثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا * تشتهيه النفوسُ يُوزَن وَزْنا
مَنْطِقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحْيا * نًا وخَيْرُ الحَديث ما كان لَحْنا

معناه : وتُصيبُ أحيانا .

وحدّثنى أيضا قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال أخبرنا نصر بن عليّ قال أخبرنا الأصمعيّ عن عيسى بن عمر قال : قال معاوية للناس : كيف ابن زياد فيكم؟ قالوا : ظريفٌ على أنه يَلْحَنُ ، قال : فذاك أظْرَف له ؛ ذَهَبَ معاوية الى اللَّحَنِ الذى هو الفِطْنة ، وذهبوا هم الى اللَّحْن الذى هو الخَطَأ .
واللَّحْنُ أيضا : اللُّغة ، ذكره الأصمعىّ وأبو زيد ؛ ومنه قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : تَعَلَّمُوا الفرائضَ والسُّنن واللَّحْن كما تَعلَّمون القرآن . فاللَّحْن : اللغة .

وروى شَريك عن أبى إسحاق عن مَيْسَرة أنه قال فى قوله عزّ وجلّ : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ : العَرِم : المُسَنَّاة[2] بِلَحْن اليَمَن ، أى بلغة اليمن ، وقال الشاعر

وما هاجَ هذا الشَّوْقَ إلّا حمامةٌ * تَغنَّتْ على خَضْراءَ سُمْرٌ قُيودُها
صَدُوحُ الضُّحَى مَعْروفةُ اللَّحْنِ لم تَزَلْ * تَقُودُ الهَوَى مِنْ مُسْعِدٍ ويَقُودُها

(١) العُسُب جمع عسيب ، وهى جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها .
(٢) المسناة : حاجز يبنى للسيل ليمسك الماء ، وقد سمى كذلك لأنه فيه مفاتح تسهّل خروج الماء منها بالقدر المحتاج اليه .

وقال الآخر(١)

لَقَدْ تَرَكَتْ فُؤَادَكَ مُسْتَجَنًّا * مُطَوَّقَةٌ على فَنَنٍ تَغَنَّى
يَمِيلُ بها وتَرْكَبُهُ بلَحْنٍ * إذا ما عَنَّ للمَحْزون أَنَّا
فلا يَحْزُنْكَ أيّامٌ تَوَلَّى * تَذَكُّرُها ولا طَيْرٌ أَرَنَّا

وقال الآخر

وهاتِفَيْنِ بِشَجْوٍ بَعْدَ ما سَجَعَتْ * وُرْقُ الحَمامِ بِتَرْجِيعٍ وإرْنانِ
باتا على غُصْنِ بانٍ فى ذُرَى فَنَنٍ * يُرَدِّدانِ لُحُونًا ذاتَ أَلْوانِ

معناه : يرَدّدان لُغَاتٍ ؛ وصَرَّف أبو زيد منه فِعْلا فقال : لَحَنَ الرجلُ يَلْحَنُ لَحْنًا اذا تكلم بلغتـه ؛ قال : ويقال : لَحَنْت له لَحْنًا اذا قلتَ له قولا يفهمه عنك ويَخْفَى على غيره ؛ ولَحِنَه عَنِّى لَحْنًا ، أى فَهِمه ، وأَلْحَنْته أنا إيّاه إلْحَانا ، وهذا مذهب أبى بكر بن دريد فى تفسير قول الشاعر

مَنْطِق صائب وتَلْحَنُ أحيا * نًا

قال : يريد : تُعَوِّصُ فى حديثها فتُزِيله عن جهته لئلا يَفْهَمَه الحاضرون ، ثم قال

* ... وخَيْرُ الحديث ما كان لَحْنا *

أى خير الحديث ما فهمه صاحبك الذى تُحِبُّ إفهامَه وحْده وخَفِىَ على غيره .

قال : وأصل اللَّحْن أن تريد الشيء فتُوَرِّى عنه بقول آخر، كقول رجل من بنى العنبر كان أسيرا فى بكر بن وائل ، فسألهم رسولا الى قومه ، فقالوا له : لا تُرْسِلْ إلّا بحضرتنا ، لأنهم كانوا أزْمَعُوا غَزْوَ قومه فخافوا أن يُنْذِرَ عليهم ، فجِىء بعبد أسود فقال له : أتَعْقِل؟ قال : نعم إنّى لَعَاقِل ، قال : ما أُراك عاقلا ، ثم قال : ما هذا؟ — وأشار بيده الى الليل — فقال : هذا الليل ، فقال : أُراك عاقلا ، ثم مَلَأَ كَفَّيْه من الرمل فقال : كم هذا؟ فقال : لا أدرى وإنّه لكثير ، فقال : أيُّما أكثر ، النجوم أو النيران؟ فقال : كُلٌّ كثير ، فقال : أَبْلِغْ قومى التَّحية وقل لهم : لِيُكْرِموا فلانا — يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر بن وائل — فإن قومه لى مُكْرِمون ، وقل لهم : إن العَرْفَجَ قد أَدْبَى ، وقد شَكَّت النِّساء ، وأْمُرْهُم أن يُعْرُوا ناقتى الحمراء فقـد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جَمَلِى الأَصْهَب بآية ما أكلتُ معكم حَيْسًا ، واسألوا الحارث عن خَبَرى . فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا : لقد جُنَّ الأعور ، والله ما نعرف له

(١) هو يزيد بن النعمان كما فى اللسان فى مادة «لحن» .

ناقة حمراء، ولا جملا أصهب، ثم سرّحوا العبد ودَعَوُا الحارث فقصوا عليه القصة، فقال: قد أنذركم . أما قوله : قد أدْبَى العَرْفَجُ، فإنه يريد أن الرجال قد ٱستَلأَموا ، أى لَبِسوا الدروع ؛ وقوله : شَكَّت النساء، أى ٱتخذن الشِّكَاء للسفر، وقوله : ناقتى الحمراء، أى ٱرْتَحِلوا عن الدَّهْناء وٱركبوا الصَّمَّانَ وهو الجَمَل الأصهَب، وقوله : بآية ما أكلت معكم حَيْسًا ، يريد أخلاطا من الناس قد غَزَوْكُمْ، لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط . فامتثلوا ما قال وعرفوا فَحْوَى كلامه .

وأخذ هذا المعنى أيضا رجل من بنى تميم كان أسيرا فكتب الى قومه

حُلُّوا عن الناقة الحمراء أرْحُلَكُمْ * والبازِلَ الأصْهَبَ المعقولَ فٱصْطَنِعُوا

إن الذِّئابَ قد ٱخْضَرَّتْ بَرَاثِنُها * والناسُ كُلُّهُمُ بَكْرٌ اذا شَبِعوا

يريد أن الناس كلهم اذا أخْصَبُوا عَدُوٌّ لكم كبكر بن وائل .

قال أبو على : ومعنى صائب، على مذهب أبى العباس فى معنى البيت : قاصد، كما قال جميل

وما صائبٌ مِنْ نابِلٍ قَذَفَتْ به * يَدٌ ومُمَرُّ العُقْدتَيْنِ وَثِيق (١)

فيكون معنى قوله : منطق صائب ، أى قاصد للصواب وإن لم يُصِبْ ، وتَلْحَنُ أحيانا ، أى تُصيب وتَفْطَن، ثم قال : وخير الحديث ما كان لَحْنًا ، أى إصابة وفِطْنة .

[مطلب الكلام على مادة حرد ومعنى قوله تعالى (وغدوا على حرد قادرين)]

قال أبو على : ومعنى قوله جلّ وعزّ : ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ أى على قَصْد، قال الجُمَيح

أمَّا إذا حَرَدَتْ حَرْدِى فمُجْرِيَةٌ * ضَبْطَاءُ تَسْكُنُ غِيلًا غيرَ مَقْرُوب

أى قَصَدتْ قصْدى . وقال الآخر

أقْبَلَ سَيْلٌ جاء مِنْ أمْرِ اللهْ * يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

أى يقصد قصدها . وقال أبو عبيدة : معنى قوله : (عَلَى حَرْدٍ) أى على غضب وحقد . وأجاز ماذكرناه . قال: ويجوز أن يكون (عَلَى حَرْدٍ) معناه: على منع ، وٱحتج بقول العباس بن مِرْداس السُّلَمىّ

وحارِبْ فإنْ مَوْلاكَ حارَدَ نَصْرُه * فَفِى السَّيفِ مَوْلًى نَصْرُه لايُحارِدُ

(١) وبعده وليس فى رواية أبى عمرو الشيبانى

بأوشك قتلا منك يوم رميتنى * نوافذ لم تعلم لهن خروق

اهـ من هامش الاصل .

وحارَدَ عندى فى هذا البيت بمعنى قَلّ، يقال: حارَدَت الإبلُ اذا قَلَّتْ ألبانُها، قال الكُمَيت

وحارَدَتِ النُّكْدُ الجِلاَدُ ولم يكن * لِعُقْبَـةِ قِدْرِ المُسْتَعِيرِينَ مُعْقِب

ويقال: حَرِدَ الرجلُ حَرَدًا بفتح الراء، ومن العرب من يقول: حَرِدَ الرجلُ حَرْدًا بتسكين الراء اذا غَضِب، وأنشدَ أبو عبيدة للأشهب بن رُمَيلة

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ * تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأَساوِد

[مطلب تفسير الغريب من حديث السحابة]

وحدّثنـا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدّثنا إسماعيل بن أحمد بن حفص سمعان النحوى قال حدّثنا أبو عمر الضرير قال حدّثنا عباد بن حبيب بن المُهَلَّب عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبيه عن جده قال: بَيْنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم جالسٌ مع أصحابه إذ نَشَأَتْ سحابة، فقالوا: يارسول الله، هذه سحابة، فقال: "كيف تَرَوْنَ قواعدَها" قالوا: ما أَحْسَنَها وأشَدَّ تَمَكُّنَها! قال: "وكيف تروْن رَحَاها" قالوا: ما أحسنَها وأشدّ آستدارتَها! قال: "وكيف ترون بَوَاسِقَها" قالوا: ما أحسنها وأشدّ آستقامتها! قال: "وكيف ترون بَرْقَها أَوَمِيضًا أم خَفْيًا أم يَشُقُّ شَقًّا" قالوا: بل يَشُقُّ شَقًّا، قال: "فكيف تَرَوْنَ جَوْنَهـا" قالوا: ما أحسنَه وأشدَّ سوادَه! فقال عليه السلام: "الحَيَـا" فقالوا: يا رسول الله، ما رأينـا الذى هو منك أفصح، قال: "وما يمنعنى من ذلك فإنما أُنْزِل القرآن بلسانى لسانٍ عَرَبِىٍّ مُبِين".

قال أبو على: قَوَاعِدُها، أسافلُها: واحدتها قاعدة، فأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد، وهى التى قَعَدَتْ عن الولد وذَهَب حُرْمُ الصلاة عنها. ورَحَاها: وَسَطُها ومُعْظَمُها، وكذلك رَحَى الحَرْب: وَسَطُها ومعظمها حيث آستدار القوم، قال الشاعر(1)

فـدارَتْ رَحَانا بفُرْسانِهـم * فَعَادُوا كأَنْ لم يكُونوا رَمِيما

وبَوَاسِقُها: ما علا منها وآرتفع، واحدتها باسِـقَة، وكل شىء آرتفع وطال فقد بَسَق، يقال: قد بَسَقَت النَّخْلَةُ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ وكذلك بَسَق النَّبْتُ، فكثر فى كلامهم

(1) الشاعر هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبّى: شاعر جاهلىّ إسلامىّ، وقبل البيت

وساقت لنا مذحج بالكلاب * مواليهـا كلها والصـميما

اهـ من هامش الاصل.

حتى قالوا : بَسَقَ فلان على قومه ، أى علاهم فى الشرف والكَرَم . والوَمِيض : اللَّمْعُ الخفىُّ ، قال آمرؤ القيس

أعِنِّى على بَرْقٍ أراه وَمِيض * يُضِىءُ حَبِيًّا فى شَمَارِخَ بِيضِ

ويقال : أوْمَضَ البرق يُومِضُ إيمـاضًا اذا لَمَع لَمْعا خَفيًّا، وأوْمَضَ بعَيْنِه اذا غَمَز بعينه . والخَفْىُ : البَرْقُ الضعيف ، قال أبو عمرو : خَفَى البَرْقُ يَخْفِى خَفْيًا اذا بَرَق بَرْقا ضعيفا ، وقال الكسائىّ : خَفَا يَخْفُو خَفْوًا . وجَوْنُها : أسْوَدُها ، والجَوْنُ : من الأضداد، يكون الأسْوَدَ ويكون الأبيضَ، قال الأصمعىّ : وأُتِىَ الحَجَّاجُ بدِرْع وكانت صافية بيضاء، فجعل لا يرى صفاءها، فقال له رجل وكان فصيحا — قال أبو عمرو وهو أُنَيْس الجَرْمِىُّ — : إن الشمس جَوْنَةٌ، يعنى شديدة البريق والصفاء، فقد غلب صفاؤُها بياضَ الدرع، وأنشد

يُبَادِرُ الآثارَ أن تـؤوبا * وحاجِبَ الجَوْنَةِ أن يَغيبا

وأنشد أبو عبيدة

غَـيَّرَ يا بِنْتَ الحُلَيْسِ لَوْنِى * طُولُ اللَّيالِى وآخْتِلافُ الجَوْنِ

* وسَفَرٌ كان قَليلَ الأَوْنِ *

أى الفُتور، وقال الفَرَزْدَق يصف قصرا أبيض

وجَوْنٍ عليه الجِصُّ فيه مريضـةٌ * تَطَلَّعُ منها النفسُ والموتُ حاضِرُهْ

والحَيَا مقصور : الغيث والخِصْب، وجمعه أحْياء، قال الأخطل

رَبِيـع حَيًـا ما يَسْـتَقِلُّ بحَمْـلِه * سَـؤُومٌ ولا مُسْتَنْكِشُ البَحْرِ ناضِبُه

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله

إنَّا مُلوكٌ حَيًـا للتابعين لنـا * مِثْلُ الربيع اذا ما نَبْتُهُ نَضَرا

[مبحث الكلام على غريب حديث "أحرّم ما بين لابتى المدينة"]

وقرئ على أبى بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البُهْلُول الأزرق فى مسجد الرُّصَافة وأنا أسمع قال حدّثنا حميد قال حدّثنـا عبد الله بن نمير قال حدّثنا عثمان بن حكيم قال أخبرنا عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : "أُحَرِّم ما بَيْنَ لابَتَىِ المدينة أن يُقْطَع عِضَاهُها أو يقتل صيدُها" وقال : "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يَخْرُجُ منها أحدٌ رَغْبَةً عنها إلّا أبْدَل اللهُ

فيها من هو خيرٌ منه ولا يَصْبِرُ أحدٌ على لَأْوائِها وجَهْدِها إلا كنت شَهِيدا أو شـفيعا يوم القيامة ".
هكذا سمعت بلا "لَهُ". قال أبو علي: اللَّابَةُ واللُّوبَةُ: الحَرَّة، فمن قال: لابة، قال في جمعها: لابٌ، ومن قال: لُوبة، قال في الجمع: لُوبٌ، قال سَلَامة بن جَنْدَل

حتى تركنا وما تُثْنَى ظَعَائِنُنا * يَأْخُذْنَ بين سَوَادِ الخَطِّ فاللُّوبِ

والعِضَاهُ: كلُّ شجرٍ له شوك يَعْظُم، ومن أعْرَفِ ذلك: الطَّلْح والسَّـلَم والسَّيَال والعُرْفُط والسَّمُرُ والشَّبَهَانُ والكَنَهْبَلُ، والواحدة عِضَة، قال الراعي

وخَادَعَ المَجْــدَ أقوامٌ لهم وَرَقٌ * رَاحَ العِضَاهُ به والعِرْقُ مَدْخُولُ

واللَّأْوَاءُ: الشِّدَّة، قال رؤبة

* لَأْوَاءَها والأَزْلَ والمِظَاظَا *

الأزْلُ: الضِّيقُ. والمِظَاظُ: المُشَارَّة، يقال: ما ظَظْت فلانا مُمَاظَّةً ومِظَاظا.

[مبحث الكلام على غريب "ألم أخبَر أنك تقوم الليل الخ"]

قال أبو علي: وقرئ على الأزرق وأنا أسمع قال حدّثنا بشر بن مطر قال حدّثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألَمْ أُخْبَرْ أنك تقوم الليــل وتصوم النهار" فقلت: إني أفعل ذلك فقــال: "إنك إن فَعَلْتَ ذلك هَجَمَتْ عيناك ونَفِهَتْ نفسُك إنَّ لِعَيْنَيْك حَقًّا ولأهْلِك حقا ولنفسك حقا فقُمْ ونَمْ وصُمْ وأَفْطِر". قال أبو عليّ: قال أبو عمرو الشيباني: هَجَمَتْ عينُه وخَوِصَتْ وقَدَحَتْ ونَقْنَقَتْ عينُه نَقْنَقَةً: كل ذلك اذا غارت. وقال الأصمعيّ: حَجَلَتْ عينُه وهَجَمَتْ: كلاهما غارت. وجاء حاجلةً عينُه، وأنشد

وأَهْلَكَ مُهْرَ أبِيــكِ الدَّوا * ءُ لَيْسَ له من طعامٍ نَصِيبُ
فَتُصْبِحُ حاجِـلةً عينُــه * لِحِنْوِ آسْتِهِ وصَـلَاهُ غُيُوبُ[1]

(١) في هامش الأصل قال أبو عبيد البكري: صوابه: لحنو آسته في صلاه غيوب، والحنو: ما انعطف من الشيء أي لحنو آسته في صلاه غيوب لضعفه وهزاله، وصلاه: ما عن يمين الذنب ويساره وقوله: مهر أبيك، بكسر الكاف، لأنه يخاطب آمرأة، وقبله

أأسماء لم تسألي عن أبيـــ * ـــك والقوم قد كان فيهم خطوب اهـ

وحاجِلةٌ : مِنْ حَجِلَتْ بالتخفيف، والأكثر حَجَّلَتْ بالتشديد فهي مُحَجِّلة . ونَفِهَتْ : أعْيَتْ، ويقال للمُعْيِي : نافِهٌ ومُنَفَّه، وجمع النافِه نُفَّهٌ، قال رؤبة [يعني قفرا] (١)

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مِيلَهِ * بِنَا حَرَاجِيجُ المَهَارِى النُّفَّهِ (٢)

والمِيلَهُ : الذى يُوَلِّهُ سالكَه، أى يُحَيِّره .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه عبدالملك آبن قُرَيْب قال : سمعت أعرابيا يدعو الله وهو يقول : هَرَبْتُ اليك بنفسي يا مَلْجَأَ الهاربين بأثقال الذُّنوب أحْمِلُها على ظهري؛ لا أجِدُ شافعا اليك إلا معرفتي بأنك أكرمُ مَنْ قَصَد اليه المُضْطَرُّون، وأمَّلَ فيما لَدَيْه الراغبون؛ يا من فَتَقَ العقولَ بمعرفته، وأطْلَقَ الألْسُنَ بحمده ؛ وجَعَلَ ما آمْتَنَّ به من ذلك على خَلْقه كِفَاءً لتأدية حَقِّه ؛ لا تَجْعَلْ للهَوَى على عقلي سبيلا، ولا للباطل على عَمَلِي دليلا .

[مطلب الكلام على خطبة عبد الملك لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير]

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا السَّكَن بن سعيد عن محمد بن عَبَّاد عن آبن الكلبيّ عن أبيه قال : لما قَتَلَ عبدُ الملك مُصْعَبَ بن الزبير دخل الكوفة، فَصَعِد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناسُ، إن الحَرْب صَعْبَةٌ مُرَّة، وإن السِّلْمَ أَمْنٌ ومَسَرَّة، وقد زَبَنَتْنا الحربُ وزَبَنَّاها، فعرَفْنَاها وألِفْناها ؛ فنحن بَنُوها وهي أُمُّنا . أيها الناس، فاستقيموا على سُبُل الهدى، ودَعُوا الأهْواء المُرْدِيَة، وتجنَّبوا فِراقَ جماعات المسلمين، ولا تُكَلِّفُونا أعمالَ المهاجرين الأوّلين، وأنتم لا تعملون أعمالَهم ؛ ولا أظُنُّكم تزدادون بعد الموعظة إلَّا شَرًّا، ولن نزدادَ بعد الإعذار اليكم والحجة عليكم إلَّا عقوبة ؛ فمن شاء منكم أن يعود بعدُ لمثلها فَلْيَعُدْ، فإنَّما مَثَلِي ومَثَلكم كما قال قيس بن رِفَاعة

مَنْ يَصْلَ ناري بلا ذَنْبٍ ولا تِرَةٍ * يَصْلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غَدَّار
أنا النذير لكم مِنى مجاهرةً * كَيْ لا أُلامَ على نَهْيٍ وإنذار
فإن عصيتم مقالي اليوم فآعترفوا * أن سوف تَلْقَوْن خِزْيا ظاهرَ العار
لَتَرْجِعُنَّ أحاديثا مُلَعَّنَةً * لَهْوَ المُقيم ولهو المُدْلِجِ السارى

(١) الزيادة عن بعض النسخ . (٢) حراجيج جمع حُرجوج وهي الناقة الشديدة .

من كان فى نفســه حَوْجاءُ يطلبها * عنـــدى فإنّى له رَهْنٌ بإصْحـار (١)

أُقيم عَوْجَتَه إن كان ذا عِوَجٍ * كما يُقَوِّمُ قِدْحَ النَّبْعـةِ البـارِى

وصاحبُ الوِتْر ليسَ الدَّهْرَ مُدْرِكَه * عنـدى وإنّى لَدَرَّاكٌ بأوتار

قال أبو علىّ : قوله : زَبَنَتْنا الحربُ وزَبَنَّاها ، أى دَفَعَتْنا ودفعناها ، والزَّبْنُ : الدفع ، ومنه آشتقاق الزَّبانية ، لأنهم يَدْفَعون أهلَ النار إلى النار ، ومنه قيل : حَرْبٌ زَبُون ، قال الشاعر

عَدَتْنِى عن زيارتها العَوادِى * وحالتْ دُونَهـا حَرْبٌ زَبُونُ

عَدَتْنى : صَرَفَتْنى ، والعوادى : الصوارف . والزَّبُون من النُّوق : التى تَرْمَحُ عند الحَلْب . والخِزْىُ : الهَوَان ، يقال : خَزِىَ يَخْزَى خِزْيًا ، والخَزَايةُ : الاستحياء ، يقال : خَزِىَ يَخْزَى خَزَايةً . والمُدْلِج : الذى يَسِـير من أوّل الليل ، يقال : أَدْلَجْتُ ، أى سِرْتُ من أوّل الليل ، فأنا مُدْلِج ، وادَّلَجْتُ ، أى سرت فى آخره ، فأنا مُدَّلِجٌ ، والدَّلْجة والدَّلَج بفتح الدال : سَيْرُ آخر الليل ، والإِدْلاج : من أوّل الليل ، ويقال : الدلَجَ والدَّلْجة : سَيْرُ الليل كلِّه ، قال الراجز

كأنّها وقد بَرَاها الإِخْماسْ * ودَلَجُ الليـلِ وهَادٍ قَيَّاسْ

* شَرَائِجُ النَّبعِ بَرَاها القَوّاسْ *

والدُّلْجة بضم الدال : من آخره ، ومن الناس من يُجِيز الدُّلْجة والدَّلْجة فى كل واحد منهما ، كما قالوا : بُرْهة من الدهر وبَرْهة ، قال زيد الخيل

يا بنى الصَّيْداءِ رُدُّوا فَرَسِى * إنّمـا يُفْعَل هـذا بالذليل

عَوِّدُوه مِثْـلَ ما عَوَّدْتُهُ * دَلَجَ الليـلِ وإيطاءَ القتيل

ويروى : دُلَجَ : جمع دُلْجة . والسارى : الذى يَسِير بالليل ، يقال : سَرَيْتُ فأنا سارٍ ، أى سِرْتُ ليلا ، وأسْرَيْتُ أيضا ، ويروى بيت النابغة على وجهين

سَرَتْ عليه من الجَوْزاء ساريةٌ * تُزْجى الشَّمالُ عليـه جامِدَ البَرَد

وأسْرَتْ .

---

(١) قوله : بإصحار ، أى بروز إلى الصحراء ، فلا أستتر عنـه ولا أمتنع فى الأماكن الحصينة ، يقال : أصحر القوم : برزوا إلى الصحراء ، مثل أسهلوا وأوعروا اهـ من هامش الأصل .

والسُّرى : سَيْرُ الليل . والحَوْجاء : الحاجة . والعَوَجُ : فى كل ما كان مُنْتَصِبا مثل الإنسان والعصا وما أشبههما ، والعِوَجُ : فى الدين والأمر وما أشبههما . والوِتْر: الذَّحْل بكسر الواو لا غير، والوَتْر بفتح الواو وكسرها : الفَرْد، ويقرأ والشَّفْع والوَتْر والوِتْر، الفتحُ لغة أهل الحجاز ، والكسرُ لغة تميم وأسد وقيس ؛ ويقولون فى الوِتْر الذى هو الفَرْد : أَوْتَرْت فأنا أُوتِر إيتارا ، وفى الذَّحْل : وَتَرْتُه فأنا أَتِرُه وَتْرًا وتِرَةً .

[مطلب خروج عبد الملك بنفسه لقتال مصعب بن الزبير]

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرنى العُتْبِىّ عن أبيه : أن عبد الملك بن مروان — رحمه الله — كان يُوَجِّه إلى مُصْعَب جيشا بعد جيش فَيُهْزَمون ، فلما طال ذلك عليه وآشتدّ غَمُّه أمَرَ الناسَ فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه ، فلما أراد الركوب قامت إليه أمّ يزيدَ آبنه — وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية — فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو أَقَمْت و بعثتَ إليه لكان الرأىَ ، فقال : ما إلى ذلك من سبيل ، فلم تزل تمشى معه وتكلمه حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حَشَمُها معها ، فلما علا الصوتُ رجع إليها عبد الملك فقال : وأنتِ أيضا ممن يَبْكِى ! قاتَلَ اللهُ كُثَيِّرا ، كأنه كان يرى يومنا هذا حيث يقول

إذا ما أرادَ الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّه * حَصَانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يَزِينُها
نَهَتْهُ فلمّا لم تَرَ النَّهْىَ عاقه * بَكَتْ فبَكَى مما شجاها قَطِينُها (١)

ثم عَزَم عليها بالسكوت وخرج .

قال أبو علىّ : وبعد هذين البيتين يقول

ولم يَثْنِه يومَ الصَّبابة بَثُّها * غَداةَ آستهلّتْ بالدموع شُئُونُها
ولكنْ مَضَى ذو مِرَّةٍ مُتَثَبِّتٌ * بِسُنَّةِ حَقٍّ واضحٍ مُسْتَبِينُها

وفى عبد الملك يقول كُثَيِّر

أحاطتْ يداه بالخلافةِ بَعْدَ ما * أراد رجالٌ آخرون آغْتِيالَها

وفى هذه القصيدة يقول فيه أيضا

فما أسلَمُوها عَنْوةً عن مَوَدّةٍ * ولكنْ بِحَدِّ المَشْرَفِىِّ آستقالَها

(١) القطين : الخدم .

وكنتَ اذا نابَتْــكَ يوْمًا مُلِمَّةٌ * نَبَلْتَ(١) لهــا أبا الوليــد نبالَهــا
سَمَوْتَ فأدركْتَ العَلاءَ وإنَّمــا * يُلَقَّى عَلِيّاتِ العُلَا مَنْ سَمَا لَهــا
وصُلْتَ فنالت كفُّكَ المَجْدَ كلَّه * ولم تَبْلُغِ الأيْدِى السَّوامِى مَصَالَهَا

وحدّثنى أبو بكر بن دريد رحمــه الله قال حدّثنــا السَّكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن هشام قال : قال العباس بن الوليد بن عبد الملك لِمَسْلَمَة بن عبد الملك

ألَا تَقْنَى الحيــاءَ أبا سَــعِيد * وتُقْصِرُ عن مُلَاحاتِى وعَذْلى
فَــلَوْلا أنَّ أصْلَكَ حِينَ تُنْمَى * وفرعَكَ مُنْتَمَى فَرْعِى وأصْــلى
وأنّى إن رَمَيْتُكَ هِضْتُ عَظْمِى * ونالَتْنِى إذا نَالَتْــك نَبْــلى
لقــد أنكَرْتَنِى إنكارَ خوف * يَضُمُّ حَشاكَ عن شَتْمِى وأكلى
كقول المــرءِ عَمْرٍو فى القَوافى * لِقَيْسٍ حين خالف كلَّ عَدْل
«عَذِيرِى مِنْ خَليلِى مِنْ مُرَادٍ * أُرِيدُ حَيَــاتَه ويُرِيد قَتْــلِى»

يريد : عمرو بن معديكرب، وقيس بن مكشوح .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدّثنى من سمع أعرابيا يقول لصديق له : دَعْ ما يَسْبِق إلى القلوب إنكارُه، وإن كان عندك اعتذارُه، فليسَ مَنْ حَكَى عنك نُكرا، تُوسِعُه فيك عُذْرا . قال وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قال أعرابىّ كبير السن : أصْبَحْتُ والله تُقَيِّدنى الشَّعَره، وأعْثُر بالبَعَره، وقد أقام الدهرُ صَعَرِى بعد أن أقَمْتُ صَعَره .

قال أبو علىّ : الصَّعَرُ : المَيْل .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه قال : أنشــدنا بعض أهل المدينة لخارجة بن فليح المَلَلى(٢) .

ألَا طَرَقَتْنــا والرِّفاق هُجُــودُ * فباتَتْ بِعِــلَّاتِ النَّــوال تَجُــود
ألَا طَرَقَتْ لَيْــلَى لَقًى بينَ أرحُل * شَجاه الهَوَى والنَّأْى فهْوَ عَمِيــد

(١) نبلت لها الخ ، أى أعددت . ونبالها بكسر النون جمع نبــل ، ويروى : نبالها بفتحها على المصدر، قال يعقوب : نبلت لذلك الأمر نُبْله ونَبْله ونباله إذا أخذت له أهبته ، كذا بهامش الأصل .

(٢) هكذا فى الأصل الملى بلامين بعد الميم ولم نجده فى كتب الأنساب .

فَلَيْتَ النَّوَى لم تُسْحِقِ الخَرْقَ بَيْنَنَا * ولَيْتَ الخَيَالَ المُسْتَرَاتَ يعود
اذًا لأَقَاد النفس من فَجْعَة الهوى * بِلَيْلَى ورَوْعَاتِ الفؤاد مُقِيد
كأنّ الدموعَ الواكفات بذكرها * اذا أَسْلَمَتْهُنَّ الجُفونُ فَرِيد
اذا أدبرتْ بالشَّوْق أعقابُ ليلة * أتاكَ بها يَوْمٌ أَغَرُّ جَدِيد

حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج : أنت عندى كسالم، فلم يَدْرِ ما هو، فكتب الى قتيبة يسأله، فكتب اليه : إن الشاعر يقول

يُدِيرونَنِي عن سالم وأُدِيرُهُمْ * وجِلْدَةُ بَيْنَ الأنفِ والعَيْنِ سالِمُ

ثم كتب اليه مرّة أخرى : أنتَ عِنْدِى قِدْحُ ٱبنِ مقبل، فلم يدر ما هو، فكتب الى قتيبة يسأله — وكان قتيبة قد روى الشعر — فكتب اليه : إن ٱبن مقبل نَعَتَ قِدْحًا له فقال

غَدَا وهو مَجْدولٌ وَرَاحَ كأنّه * مِنَ المَشّ والتَّقليبِ بالكَفِّ أَفْطَحُ[1]
خُرُوجٌ من الغُمّى اذا صُكَّ صَكّةً * بَدَا والعُيُونُ المُسْتَكِفَّةُ تَلْمَحُ

قال أبو علىّ : المَشّ : المَسْح، والمَشُوش : المِنْدِيل، قال ٱمرؤ القيس

نَمُشُّ بأعْرافِ الجِيادِ أَكُفَّنَا * اذا نَحْنُ قُمْنَا عن شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

والغُمّى : الشِّدَّة التى تَغُمُّ، أى تُغَطِّى . والمُسْتَكِفّة من قولهم : ٱسْتَكْفَفْتُ الشىء اذا وضعتَ يَدَكَ على حاجبك تنظر هل تراه كالذى يستظلّ من الشمس .

وقال الأصمعىّ : من أمثال العرب : "العَيْرُ أَوْقَى لِدَمِه"[2] ويقال ذلك للرجل، أى إنه أشدُّ إبْقاءً على نفسه ؛ ويقال : "الرَّبَاحُ مَعَ السَّمَاحِ" يريد أن المسامِحَ أَحْرَى أن يَرْبَح ؛ ويقال : "عَبْدٌ صَرِيخُهُ أَمَةٌ" يضرب مثلا للضعيف يَسْتَصْرِخُ بمثله . وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر

ولقد مَرَرْتُ على قَطِيعٍ هالكٍ * مِنْ مالِ أَشْعَثَ ذِى عِيَالٍ مُصْرِمِ
من بَعْدِ ما ٱعْتَلَّتْ عَلَىَّ مَطِيَّتِى * فأَزَحْتُ عِلَّتَها فَظَلَّتْ تَرْتَمِى

القَطِيع : السَّوْط . والهالك : الضائع . والمُصْرِم : المُقِلُّ المُخِفُّ، يقول : كانت ناقتى قد ٱعتلّت علىّ، فلما أصبت السوط فضربتها به ظَلَّتْ تَرْتَمِى، أى تَتَرَامَى فى سَيْرِها .

(١) أفطح : عريض . (٢) أى الحذر كما فى أمثال الميدانى، ولعلها سقطت من الناسخ .

وحدّثنــا أبو عبد الله قال أخبرنى أحمد بن يحيى عن آبن الأعرابىّ عن أبى معاوية عن هشام آبن عروة عن أبيه قال: مكتوب فى الحكمة: يا بُنَىَّ، لتكُنْ كلمتُك طَيِّبة، ووَجْهُك بِسْطًا[1]، تكن أحَبَّ الى الناس ممن يعطيهم العطاء؛ وأنشدنا أبو عبد الله

وكَمْ من مُلِيمٍ لم يُصَبْ بمَلَامةٍ * ومُتَّبَعٍ بالذَّنبِ ليس له ذَنْبُ
وكَمْ من مُحِبٍّ صَدَّ من غَيْرِ بِغْضةٍ * وإنْ لم يَكُنْ فى وُدِّ خُلَّتِه عَتْبُ

[مطلب تفسير ما جاء من الغريب فى حديث البنات الثلاث اللاتى وصفن ما يحببن من الأزواج]

وحدّثنــا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنى عمى عن أبيــه عن آبن الكلبىّ قال: قالت عجوز من العرب لثلاثِ بناتٍ لها: صِفْنَ ما تُحْبِبْنَ من الأزواج؛ فقـالت الكُبْرَى: أُرِيد أَرْوَعَ بَسَّاما، أحَذَّ مِجْذاما، سَيِّدَ نادِيه، وثِمَالَ عافِيه، ومُحْسِبَ راجيه؛ فِنَاؤه رَحْب، وقِيَادُه صَعْب. وقالت الوُسْطَى: أريده عالِىَ السَّنَاء، مُصَمِّمَ المَضَاء، عَظِيمَ نار، مُتَمِّمَ أَيْسار، يُفِيد ويُبِيد، ويُبْدِئُ ويُعِيـد؛ هو فى الأهْلِ صَبِىّ، وفى الجَيْش كَمِىّ؛ تَسْتَعْبِدُه الحَلِيله، وتَسُودُه الفَضِـيله. وقالت الصغرى: أُريده بازِلَ عام، كالمُهَنَّد الصِّمْصام؛ قِرَانُه حُبُور، ولِقـاؤه سُرُور؛ إن ضَمَّ قَضْقَض، وإن دَسَرَ أَغْمَض، وإن أَخَلَّ أَحْمَض. قالت أُمُّها: فُضَّ فُوكِ! لقد فَرَرْتِ لى شِرَّةَ الشَّبَاب جَذَعةً.

قال أبو على: قال أبو زيد: الأَرْوَعُ والنَّجِيب واحد، وهمـا الكريم؛ وقال غيره: الأَرْوَع: الذى يَرُوعُك جَمالُه. والأَحَذُّ ها هنا: الخفيف السريع، والأحذ أيضا: الخفيف الذَّنَب، ومنه قيل: قَطَاةٌ حذَّاء. وقال أبو بكر بن دريد: الحَذَذُ: الخفة والسرعة، والقَطَاة الحَذَّاء: السريعة الطَّيَران؛ ويقال: القليلةُ رِيشِ الذَّنَب، وحَذَّ الشىءَ يَحُذُّه حَذًّا اذا قطعه قطعا سريعا، والحُذَّةُ: القِطْعة من اللحم، وأنشد الأعشى

تَكْفِيــه حُذَّةُ فِلْذٍ إن أَلَمَّ بهــا * من الشِّوَاء ويُرْوِى شُرْبَهُ الغُمَرُ[2]

قال: ويروى حُزَّةُ فِلْذٍ. وقال أبو عبيدة فى قول عُتْبة بن غَزْوان حين خَطَبَ الناسَ فقال: إنّ الدنيا قد آذَنَتْ بصَرْمٍ ووَلَّتْ حَذَّاء، فلم يَبْقَ منها إلّا صُبَابَةٌ كصُبَابةِ الإناء. قال أبو عمرو وغيره:

(١) بسطا، أى منبسطا منطلقا. (٢) الغمر كصرد: القدح الصغير.

الحَذَّاء : السريعة الخفيفة التى قد ٱنقطع آخرها ، ومنه قيل للقطاة : حَذَّاء لقِصَرِ ذَنَبها مع خِفّتها ، وقال النابغة الذبيانى

حَذَّاء مُدْبِرَةً سَكَّاء مُقْبِلَةً * للماء فى النَّحْرِ منها نَوْطَةٌ(١) عَجَبُ

قال : ومن هذا قيل للحمار القصير الذَّنَب أَحَذُّ .

قال أبو على : أصل هذه الكلمة عندى الخِفَّة ولم أسمع فى بيت أعشى باهلة حُذَّةٌ فلذ بالذال إلا من أبى بكر ، فإن صحت هذه الرواية فلا تكون الحُذَّة إلا القِطْعة الخفيفة . والمِجْذَام : مِفْعال من الجَذْم ، والجَذْم : القطع ، يريد أنه قَطَّاع للأمور . والنَّادِى والنَّدِىُّ : المجلس . والثِّمَال : الغِيَاث ، وثِمَالُ القوم غِيَاثُهم ومَن يقوم بأمرهم ، يقال : فلان ثِمَالٌ لبنى فلان اذا كان يقوم بأمرهم ويكون أَصْلا لهم وغياثا ، ويقال : هو يَثْمُلُهم ، والمرأة تَثْمُلُ الصبيان ، أى تكون أصلا لهم ، قال الحُطَيْئة

فِدًى لابْن حِصْنٍ ما أُرِيح فإنه * ثِمَالُ اليتامى عِصْمةٌ فى المَهَالك

والثَّمْل ساكنة الميم : المُقَام والخَفْضُ ، يقال : ليست دارُنا بدارِ ثَمْلٍ ، قال أسامة بن الحارث الهذلىّ

كَفِيتُ النَّسا نَسَّال حَرّ وَدِيقةٍ(٢) * اذا سَكَّنَ الثَّمْلَ الظِّباءُ الكَوَانِسُ

كَفِيتُ النَّسا ، أى سريع العَدْوِ ، وتلخيص معناه أن تقول : الكَفِيت : السريع . والنَّسَا : عِرْق فى الفخذ يجرى الى الساق ، فكأنه قال : سريع الرِّجْل واذا كان سريع الرجل كان سريع العَدْو . والكَوَانِسُ : التى تَكْنِسُ بأذنابها من الذُّباب ، ويقال : ٱختار فلان دارَ الثَّمْل ، أى دار الخَفْض والمُقام ، وثَمَلَ فلان فما يَبْرَح . والثَّمِيلة : البَقِيَّة تبقَى من العَلَف والماء فى بطن البعير وغيره ، والجميع : الثَّمائل ، قال ذو الرمّة

وأَدْرَكَ المُتَبَقَّى من ثَمِيلته * ومن ثَمَائِلها وٱسْتُنْشِئَ الغَرَبُ(٣)

والثَّمِيلة : البَقِيَّة تبقى من الماء فى الصخرة أو الوادى ، وقد قالوا : الثَّمِيل : الماء الذى يبقى فى الوادى بعد مُضِىّ السَّيل عنه ، قال الأعشى

بناجيةٍ كأتَان الثَّمِيل * تُقَضِّى السُّرَى بعد أَيْنٍ عَسِيرا

(١) النوطة : الحوصلة . (٢) الوديقة : شدة الحر فى الهاجرة . (٣) أدرك : فنى ، وٱستنشئ : شُمّ ومنه النشوة : الرائحة . والغرب : الماء يتخلف ما بين البئر والحوض .

والأثان : الصَّخْرة تكون فى المـاء، واذا كانت فى المـاء القليل فأصابتها الشمس صَلُبَت . والثُّمالة : رَغْوة اللبن، يقال : حَقَنْتُ الصَّرِيح وثَمَلْت الرغوة يريد بَقَّيت، قال مُزَرِّد :

اذا مَسَّ خِرْشاءَ[1] الثُّمـالة أنفُهُ * ثَنَى مِشْفَرَيْه للصَّرِيح فأقْنَعَا

وقال الأصمعىّ : الثُّمالة : مابقى فى العُلْبة من الرغوة خاصة، والثُّمالة : ما بَقِىَ فى الحوض من المـاء، وهو أيضا : ما بقى فى البطن من المـاء والطعام، ويقال : سَقَاه المُثَمَّلَ، يريد سقاه السَّمَّ . قال أبو نصر: وتُرَى أنه أُنْقِـع فبقى وثَبَت ، وسَيْفٌ ثامِلٌ ، أى باق فى أيدى أصحابه زمانا ، كذا قال الأصمعىّ ؛ وقال أبو عمرو : قديمٌ لا عَهْدَ له بالصِّقال؛ وقال خالد بن كُلْثوم : هو الذى فيه بَقِيَّةٌ، قال ٱبن مقبل :

لِمَنِ الدِّيارُ عَرَفْتُها بالساحل * وكأنَّهـا أَلْواحُ سَيْفٍ ثامِـل

والثَّمَلة : الصُّوفة تُجعل فى الهِنَاء ثم يُطْلَى بها البعير، أنشد الأصمعىّ :

مَمْغُوثَةٌ أعْراضُهُـمْ مُمَرْطَلَه * كما تُلَاثُ فى الهِنَـاء الثَّمَـلَه[2]

والثَّمْلة ساكنة الميم : الحَبُّ والتمر والسَّوِيق يكون فى الوعاء الى نصفه فمـا دُونَه ، والجِمَاع : الثَّمْل . والثُّملة : ما أخرجْتَ من أسفل الرَّكِيَّة من التراب والطين ، وهذان الحرفان رويناهما عن أبى عبيد بضم الثاء وعن أبى نصر بفتح الثـاء ، ويقال : ثَمِلَ يَثْمَلُ ثَمَلًا اذا أخَذَ الشرابُ فيه . وعافيه الذين يَعْفُونه ، أى يأتونه ، يقال : عَفَـاه يَعْفوه وٱعْتَفَاه يَعْتَفِيـه ، وعَرَاه يَعْرُوه وٱعْتَرَاه يَعْتَرِيه ، وٱعْتَرَّه يَعْـتَرُّه ، وعَرَّهُ يعرُّه . ومُحْسِبٌ : كافٍ ، أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى لٱمرئ القيس :

فتملأ بَيْتَنَـا أقِطًـا وسَمْنًـا * وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِيٌّ

أى يكفيك الشِّبَع والرِّىُّ . وفِنَاؤه رَحْبٌ ، أى واسع ، ويقال : فِنَاءُ الدار وثِنَاؤُها . والسَّنَاء من الشَّرَف ممدود ومن الضَّوء مقصور . والمُصَمِّم من الرجال : الذى يَمْضِى فى الأمور لا يَرُدُّ عزمَه شىءٌ ، والمُصَمِّم من السيوف : الذى يَمْضِى فى الضَّرائب لا يحبسه شىء . وأيْسار جمع يَسَر، وهو الذى يدخل مع القوم فى القِدَاح، وهو مَدْح، وقال الشاعر :

وراحلةٍ نَحَرْتُ لشَرْبِ صِدْقٍ * وما ناديْتُ أيْسَـارَ الجَـزُور

(١) الخرشاء : الجلدة الرقيقة تركب اللبن . (٢) ممغوثة : مهتوكة . ومرطلة : ملطخة .

والبَرَمُ : الذى لا يدخل مع القوم فى المَيْسر، وهو ذَمٌّ وجمعه أَبْرام، قال مُتَمِّم :

ولا بَرَمٌ تُهْدِى النِّساءُ لِعِرْسِه * اذا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتاء تَقَعْقَعا

ويقال : كان رجلٌ بَرَمًا فجاء الى آمرأته وهى تأكل لحمًا فجعل يأكل بَضْعَتَيْن بَضْعَتَين، فقالت له آمرأته : "أَبَرَمًا قَرُونًا" فأرسلتْها مَثَلا . وقال أبو زيد : الكَمِىُّ : الجَرِىء المُقْدِم كان عليه سلاحٌ أو لم يكن . وقال غيره : الذى يَكْمِى شجاعتَه فى نفسه، أى يَسْترها . وقال آبن الأعرابىّ : الكَمِىُّ : الشجاع، وسُمى كَمِيًّا لأنه يَتَكَمَّى الأقران لا يَكِعُّ ولا يَجْبُن عن قِرْنه، أى يَقْصِد، وكلُّ ما آعتمدتَه فقد تَكَمَّيْته، وأنشد :

بل لَوْ شَهِدْتِ الناسَ إذ تُكُمُّوا * بِقَدَرٍ حُمَّ لَهُمْ وحُمُّوا
وغُمَّةٍ لو لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا

[مطلب أسماء الزوجة]

وحَلِيلةُ الرجل : آمرأته، وحَلِيلته أيضا : جارته التى تُحَالُّه وتَنْزِل معه، قال الشاعر :

ولَسْتُ بأطْلَسِ الثَّوْبَيْنِ يُصْبِى * حَلِيلَتَهُ اذا هَجَعَ النِّيَامُ

وعِرْسُ الرجل : آمرأته أيضا، قال آمرؤ القيس :

كَذَبْتِ لقد أُصْبِى على المَرْءِ عِرْسَهُ * وأَمْنَع عِرْسِى أنْ يُزَنَّ بها الخَالى

وهو أيضا عِرْسُها وهى حَنَّتُه، قال كُثَيِّر :

فقلتُ لها بل أنْتِ حَنَّةُ حَوْقَلٍ * جَرَى بالفِرَى بَيْنِى وبَيْنَكِ طابِنُ

والفِرَى جمع فِرْية، وقال الشاعر :

ما أنْتِ بالحَنَّةِ الوَدُودِ ولا * عِنْدَكِ خَيْرٌ يُرْجَى لمُلْتَمِس

وهى طَلَّتُه أيضا، قال الشاعر :

وإنَّ آمْرَأً فى الناس كُنْتُ آبْنَ أُمِّهِ * تَبَدَّلَ مِنِّى طَلَّةً لَغَبِينُ
دَعَتْكَ الى هَجْرِى فطاوَعْتَ أمْرَها * فَنَفْسَكَ لا نَفْسِى بذاكَ تُهِينُ

وقال الآخر :

أَلَا بَكَرَتْ طَلَّتِى تَعْذُلُ * وأسْماءُ فى قَوْلها أَعْذَلُ
تُرِيدُ سُلَيْماكَ جَمْعَ التِّلا * دِ والضَّيْفُ يَطْلُبُ ما يأكُل

ورَبَضُه ورُبْضُه أيضا، والرَّبَضُ : كلُّ ما أوَيْتَ اليه، قال الشاعر

جاءَ الشِّتاءُ ولمَّا أتَّخِذْ رَبَضًا * ياوَيْحَ كَفِّى مِنْ حَفْرِ القَرَامِيصِ

والقُرْمُوص : حُفْرة يَحْتَفِرها الصائد الى صدره فيدخل فيها اذا اشتدّ عليه البَرْد، والقُرْمُوص أيضا : مَبِيضُ القَطاة . وقَعِيدةُ الرجل أيضا : امرأتُه، قال الأسعر الجُعْفىّ

لكنْ قَعِيدَةُ بَيْتِنا مَجْفُوَّةٌ * بادٍ جَنَاجِنُ(١) صَدْرِها ولَهَا غِنَى

وزَوْجُه أيضا، قال الأصمعىّ : ولا تكاد العرب تقول زَوْجَتُه، وقال يعقوب : يقال : زَوْجَتُه، وهى قليلة، قال الفرزدق

وإنَّ الذى يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِى * كَسَاعٍ الى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُها

وهى بَعْلُه أيضا وبَعْلَتُه، وأنشد الفراء

شَرُّ قَرِينٍ للكَبِيرِ بَعْلَتُهْ * تُولِغُ كَلْبًا سُؤْرَهُ أو تَكْفِتُهْ

يعنى : أن امرأته قد تَقَذَّرتْه حين كَبِر، فإذا شَرِب لَبَنا وبَقِى سُؤْرُه — والسؤر بقية الشراب فى الإناء — تُولِغُه كلبا أو تَكْفِته، أى تَقْلِبه على الأرض . وبَيْتُه أيضا، قال الراجز

أقُولُ إذ حَوْقَلْتُ أو دَنَوْتُ * وبَعْضُ حِيقَالِ الرِّجالِ المَوْتُ

مالِى اذا أنْزِعُها صَأَيْتُ(٢) * أكِبَرٌ غَيَّرَنِى أم بَيْتُ

وشَهْلَتُه أيضا، أنشدنى أبو بكر بن الأنبارى

له شَهْلَةٌ شابَتْ وما مَسَّ جَيْبَها * ولا راحَتَيْها الشَّثْنَتَيْنِ عَبِيرُ

والشَّهْلة أيضا : العَجُوز، قال الراجز

باتَتْ تُنَزِّى دَلْوَها تَنْزِيًّا * كما تُنَزِّى شَهْلَةٌ صَبِيًّا

وجَثْلَتُه ومُعَزِّبَتُه : امرأته . وقال غيره : وحَوْبَتُــه أيضا . وقال أبو زيد : والحَوْبة : القَرَابة من قِبَل الأمّ، وكذلك كل ذى رَحِم مَحْرَم . قال يعقوب(٣) : الحَوْبَةُ : الأمّ . والفَصِيلة : رَهْطُ الرجل

(١) الجناجن : العظام . (٢) صأيت : صحت . (٣) فى الأصل «أبو يعقوب» وفى اللسان مادة حوب : قال ابن السكيت اهـ . وابن السكيت هو يعقوب وكنيته أبو يوسف كما فى تاريخ ابن خلكان .

الأَدْنَوْنَ . وقال ٱبن الكلبيّ : الشَّعْبُ أكثر من القَبِيلة ثُمَّ القَبِيلة ثم العَمَارة ثم البَطْن ثم الفَخِذ . وأُسْرة الرجل : رَهْطُه الأَدْنَوْن ، وكذلك فَصِيلَتُه . وقولها : أُرِيده بازلَ عام ، أى تامّ الشباب كامل القوّة ، لأن البعير أتمّ ما يكون شبابا وأكمله قوّة اذا كان بازل عام .

[مطلب ترتيب أسنان الإبل وأسمائها]

قال الأصمعيّ : اذا وَضَعَت الناقةُ فولدُها سَلِيلٌ قبل أن يُعْلَم أذكر هو أم أنثى ، فإذا عُلِم ، فإن كان ذكرا فهو سَقْبٌ وأمّه مُسْقِب ، وإن كانت أنثى فهى حائلٌ وأمها أم حائل ، قال الهذلىّ

فَتِلْكَ التى لا يَبْرَحُ القَلْبَ حُبُّها * ولا ذِكْرُها ما أَرْزَمَتْ أُمُّ حائل (١)

وهى مُؤْنِثٌ ، وقد آنَثَتْ ، أى جاءت بأنثى ، وقد أَذْكَرَتْ فهى مُذْكِرٌ اذا جاءت بذَكَر ، فإن كان من عادتها أن تَضَعَ الإناثَ فهى مِئْناثٌ ، وكذلك مِذْكار اذا كان من عادتها أن تضع الذّكور ، فإذا قَوِى ومَشَى مع أمه فهو راشِحٌ والأم مُرْشِحٌ ، فإذا حَمَل فى سَنامه شَحْما فهو مُجْذٍ ومُكْعِر ثم هو رُبَعٌ .

قال الأصمعىّ حدّثنى عيسى بن عمر قال : سألت جبر بن حبيب أخا ٱمرأة العجّاج عن الهُبَع والرُّبَع ، فقال : الرُّبَعُ ما نُتِج فى أوّل النِّتاج ، والهُبَعُ ما نُتِج فى آخر النِّتاج ، فإذا مَشَى الهُبَعُ مع الرُّبَع أبْطَره ذَرْعًا فهَبَع بعُنُقه ، أى ٱستعان به ، ثم هو حُوَار ، فإذا فُصِل عن أُمّه — والفِصَال : الفِطَام — فهو فَصِيل والجمع فُصْلان وفِصْلان ، ومنه الحديث : "لا رَضَاعَ بعد فِصَال" فإذا أتَى عليه حَوْلٌ فهو ٱبن مَخَاض وإنما سُمِّى ٱبن مَخَاض لأن أُمَّه لَحِقَتْ بالمَخَاض ، وهى الحَوَامل وإن لم تكن حاملا ؛ فإذا ٱستكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة فهو ٱبْنُ لَبُونٍ والأنثى بنت لَبُون ، وإنما سُمِّى ٱبن لَبُون لأن أمه كانت من المخاض فى السنة الثانية ثم وضعت فى الثالثة فصار لها لَبَنٌ فهى لَبُون وهو ٱبن لَبُون فلا يزال كذلك حتى يستكمل الثالثة ؛ فإذا دخل فى الرابعة فهو حينئذ حِقٌّ والأنثى حِقّة ، وإنما قيل لها حِقّة لأنها قد ٱستَحَقّت أن يُحْمَل عليها وتُركَب ؛ فإذا ٱستكمل الرابعة ودخل فى الخامسة فهو جَذَعٌ والأنثى جَذَعة ؛ فإذا دخل فى السادسة فهو ثَنِيٌّ والأنثى ثَنِيَّة ؛ فإذا دخل فى السابعة فهو رَبَاعٍ والأنثى رَبَاعِيَةٌ ؛ فإذا دخل فى الثامنة فهو سَدِيسٌ وسَدَسٌ والأنثى سَدِيسة ؛ فإذا دخل فى التاسعة وبَزَل نابُه فهو بازل ، يقال : بَزَل نابُه يَبْزُل بُزُولا ، وشقَا نابُه يَشْقَا شُقُوءًا وشَقْئًا وشَقَى أيضا ، وشَقَّ يَشُقّ شُقُوقا ، وفَطَر

(١) يقال : «لا أفعله ما أرزمت أمّ حائل» أى لا أفعله أبدا .

يَفْطِر فُطُورا ، و بَزَغ وصَبا وعَرَد يَعْرُد عُرُودا ، فإذا دخل فى العاشرة فهو مُخْلِف ، ثم ليس له ٱسم بعد الإخْلاف . ولكن يقال : بازلُ عامٍ و بازلُ عامَيْن ومُخْلِف عامٍ ومُخْلِف عامَيْن . وقَضْقَضَ ، أى حَطَم كما يُقَضْقِضُ الأسد الفَرِيسة وهو أن يَحْطِمها و يَنْفُضها فَتَسْمَع لِعظَامِها صوتا . والأسَــدُ القَضْقَاض : الحَطَّام ، قال رؤبة :

كَمْ جَاوَزَتْ من حَيَّةٍ نَضْنَاضِ * وأَسَــدٍ فى غِيــلِهِ قَضْقَاضِ
لَيْثٍ عَــلى أقْرانِه رَبَّاضِ * يُلْقِى ذِرَاعَىْ كَلْكَلٍ عِرْباضِ

والعِرْباضُ : الثَّقِيل العظيم . ودَسَرَ : دَفَعَ ، ومنه قول ٱبن عباس رضى الله عنهما فى العَنْبر : إنمــا هو شَىءٌ دَسَرَهُ البَحْرُ ، أى لا زكاة فيه . قال : وقرأنا على أبى بكر بن دريد رحمه الله قول الشاعر :

فأَصْبَحْتُ مِنْ سَلْمَى كذِى الداءِ لم يَجِدْ * طَبِيبًــا يُدَاوِى مابه فتَطَبَّبــا
فَلَمَّــا ٱشْــتَفَى مِمَّــا بِهِ عَلَّ طِبَّــهُ * على نَفْسِــهِ مِنْ طُولِ ما كان جَرَّبا

يقول : لَمَّــا لم يجد اليها سبيلا داوى نفسه بالهِجران ، فلمــا رأى ذلك قد نَفَعه عَلَّ الهِجْرانَ ، أى فَعَلَه ثانيةً .

وحدّثنا الأخفش قال أنبأنى أبو الفَيَّاض بن أبى شُرَاعة عن أبى شُرَاعة قال : حدّثنى عبد الله ابن محمد بن بشير البصرى قال : عَلِق أبى جارية لبعض الهاشميين فبَعَثَتْ اليه أُمّى تعاتبه ، فكتب اليها :

لا تَتْبَعِنْ لَوْعَــةً إثْرِى ولا هَلَعــا * ولا تُقَاسِنَّ بَعْــدِى الهَمَّ والجَــزَعا
بلِ ٱئْتَسِى تَجِدِى إنِ ٱئْتَسَيْتِ أُسًى * بمِثْــلِ ما قــد فُجِعْتِ اليومَ قد فُجِعا
ما تَصْنَعِيــن بِعَيْنٍ عنــك طامحةٍ * الى سِوَاكِ وقَلْبٍ عنــكِ قــد نَزَعا
إن قُلْتِ قد كُنْتُ فى وُدٍّ وتَكْرِمةٍ * فقد صَــدَقْتِ ولكنْ ذاك قد مُنِعا
وأىُّ شىءٍ مــن الدُّنْيا سَمِعْتِ به * إلّا اذا صــار فى غاياته ٱنْقَطَعــا
لم تُبْقِ عَيْنَا حُسَيْنٍ عِنْــدَ لَحْظِهما * لِغَــيرِها فى فُؤَادِى بَعْــدَها طَمَعا
ومَن يُطِيــق مُذَكًّى[(١)] عنــد صَبْوَتِهِ * ومَــنْ يَقُومُ لمسْــتُورٍ إذا خَلَعا

(١) ذكّى : أسنّ وكبر .

وأنشدنا الأخفش قال : قرأت على أبي العباس الأحول الأعرابيّ :

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أقِدْنِي مِنَ الّتي * بِها نَهِلَتْ(١) نَفْسِي سَقاماً وعَلّتِ
لَقَدْ بَخِلَتْ حَتّى لَوَ انّي سألْتُها * قَذَى العَيْنِ من ضاحي التُّرابِ لَضَنَّتِ
فما أُمُّ بَوٍّ هالكٍ بِتَنُوفَةٍ(٢) * اذا ذَكَرَتْه آخرَ اللَّيْلِ حَنَّتِ
بأكْثَرَ مِنّي لَوْعةً غيرَ أنّني * أُطامِنُ أحْشائي على ما أجَنَّتِ

وقرأت على أبي بكر بن دريد رحمه الله :

أَبَتِ الرَّوادِفُ والثُّدِيُّ لِقُمْصِها * مَسَّ البُطون وأن تَمَسَّ ظُهُورا
و إذا الرِّياحُ مَعَ العَشِيِّ تَناوَحَتْ * نَبَّهْنَ حاسدةً وهِجْنَ غَيُورا

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى المعروف بنِفْطَوَيْه . وأنشدنا الأخفش أيضا قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوى :

فَلَمْ أرَ هالِكاً كَبَنِي صُرَيمٍ * تَلُفُّهُمُ التَّهائمُ والنُّجودُ
أجَلَّ جَلالةً وأعَزَّ فَقْدًا * وأقْضَى لِلأُمُورِ وهُمْ قُعُود
وأكْثَرَ ناشِئًا مِخْراقَ حَرْبٍ * يُعِينُ على السِّيادةِ أو يَسُود

وأنشدنا إبراهيم أيضا ، قال أنشدنا أحمد بن يحيى :

وكُنْتُ مُجاوِرًا لبني سَعِيدٍ * فأفْقَدَنِيهِمُ رَيْبُ الزَّمان
فَلَمّا أنْ فَقَدْتُ بني سعيد * فَقَدْتُ الوُدَّ إلا باللِّسان

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : وَفَدَ عُلْبةُ بن مُسْهِر الحارثيّ والمُنْتَشِر أحد فوارس الأرباع الذين يقول لهم الأجدع الهَمْدانيّ :

وسَألْتِني بِركائبي ورِحالِها * ونَسِيتِ قَتْلَ فَوارسِ الأرباعِ

الى ذى فائش المَلِكِ الحِمْيَرِيّ ، وكان ذو فائش يُحِبُّ اصطناعَ سادات العرب ويُقَرِّبُ مجالسَهم ويقضى حوائجهم ، وكان عُلبة شاعرا حَدِثًا ظريفا ، فقال له الملك : يا علبة ، ألا تُحَدِّثني عن أبيك

(١) فى الطبعة الأولى «نهكت» وهو تحريف .

(٢) التنوفة : هى الأرض الواسعة القاحلة .

وأعمامك وتصف لى أحوالَهم؟ فقال : بلى أيها الملك، وهم أربعة : زيادٌ ومالكٌ وعمرو ومُسْهِرٌ . فأما زياد، فما آستلَّ سيفَه مُذْ ملكت يدُه قائمه إلّا أغمده فى جُثمانِ بَطَل، أو شَوَامِتِ جَمَل؛ وكان اذا حَمْلَقَ النَّجيد، وصَلْصَلَ الحَديد، وبَلَغَت النفسُ الوَريد، آعتَصَمَتْ بِحَقْوَيْه الأبطال، آعتصامَ الوُعُول بذُرَى القِلَال، فَذَاد عَنْهم الأبطال، ذِيَادَ القُرُوم عن الأشْوَال . وأما مالك، فكان عِصْمةَ الهَوَالِك، اذا شُبِّهَتِ الأعْجازُ بالحَوَارِك؛ يَفْرِى الرَّعِيل، فَرْىَ الأَدِيم بالإِزْمِيل؛ ويَخْبِطُ البُهَم، خَبْطَ الذِّئبِ نِقَادَ الغَنَم . وأما عمرٌو، فكان اذا عَصَبَتِ الأفواه، وذَبَلَتِ الشِّفَاه، وتَقَادَت الكُمَاه، خاضَ ظَلَامَ العَجَاج، وأطْفَأ نارَ الهِيَاج، وألْوَى بالأَعْرَاج، وأرْدَفَ كُلَّ طَفْلَة مِغْنَاج، ذاتِ بَدَنٍ رَجْرَاج؛ ثم قال لأصحابه : عليكم النِّهاب، والأموالَ الرِّغاب؛ عَطَاءً لا ضَنِينٍ شَكِس، ولا حَقَلَّدٍ عَكِس . وأما مُسْهِر، فكان الذُّعَافَ المُمْقِر، واللَّيْثَ المُخْدِر، يُحْيِى الحَرْبَ ويُسْعِر، ويُبِيح النَّهبَ فيُكْثِر، ولا يَحْتَجِن ولا يَسْتَأْثِر؛ فقال له المَلِك : لله أبوك! مِثْلُك فَلْيَصِفْ أُسْرَته .

[مطلب أسماء الرجل يحب محادثة النساء]

قال أبو على : الحُدُثُ : الحَسَنُ الحديثِ، والحِدِّيث : الكثير الحديث، والحَدَثُ : الشاب؛ فإذا ذكروا السِّنَّ قالوا : حَدِيث السِّن ولم يقولوا : حَدَث السن، والحِدْثُ : الذى يتحدّث الى النساء، يقال : هو حِدْثُ نِساءٍ وزِيرُ نِساء اذا كان يُكْثِر زيارتَهن، قال مُهَلْهِل

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيْبٍ * فيُخْبَرَ بالذَّنائب أىُّ زِير

أراد فيُخْبَر بالذنائب أىُّ زِيرٍ أنا . وذلك أن كليبا كان يُعَيِّره فيقول : إنما أنت زِيرُ نساء . وهو تِبْعُ نِساءٍ اذا كان يَتَبَّعُهن، وخِلْبُ نِساء، أى يَلْصَق بقلوبهن ويَحُلُّ منهن مَحَلَّ الخِلْب، قال أبو زيد : الخِلْب : حجاب القلب، ومنه قيل : إنه لَخِلْب نِساء، أى يُحْبِبْنه، وأنشد غيره

يا بِكْرَ بِكْرَيْنِ ويا خِلْبَ الكَبِد * أصْبَحْتَ مِنِّى كذِرَاعٍ مِنْ عَضُد

ويقول أهل اليمن : هو خِلْمُ نساء، والخِلْمُ : الصَّديق وجمعه أخلام، وزادنى أبو عمرو عن أبي العباس عن آبن الأعرابىّ : وعُجْبُ نساء، أى يُعْجِب النساء ،

[مطلب أسماء الشخص]

وقوله : فى جُثْمَان بطلٍ، قال الأصمعىّ : الجُثْمان : الشخص، والجُثْمَان : جماعة الجسم وهو التَّجَالِيدُ أيضا، أنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم عن الأصمعىّ

يُنْبِي تَجَالِيدِى وأَقْتَادَها * نَاوٍ كَرَأْسِ الفَــدَنِ(١) المُؤْيَدِ

والأَجْلاد : التَّجَالِيد، قال الأسودُ بن يَعْفُر

أما تَرَيْنِى قد بَلِيتُ وشَــفَّنِى * ماغِيضَ مِن بَصَرِى ومن أجْلَادِى

يريد : مانقص من بصرى ومن جسمى، ويقال لشخص الإنسان : الطَّلَل والآل والسَّمامة، ويقال لأعلى شخصه : السَّمَاوة . والشَّبْح والشَّبَح جميعا : الشخص، قال الشاعر يصف ظَلِيما

هَجُومٌ عليها نَفْسَــه غيرَ أنَّه * متى يُرْمَ فى عَيْنَيْه بالشَّبْح يَنْهَضِ

والشَّدَف : الشَّخْص وجمعه شُدُوف، قال ساعدة بن جُؤَيَّة

مُوَكَّلٌ بشُــدُوفِ الصَّومِ يَنْظُرُها * من المَغَارِبِ مَخْطُوفُ الحَشَا زَرِمُ(٢)

يصف ثورا . قال الأصمعىّ : الصَّوْم : شَجَرٌ يشــبه الناس، فهو يَرْقُبــه يَخْشَى أنــ يكون ناسا، ويقال : قامةُ الإنسان وقُومِيَّة الإنسان، قال العجّاج

* صُلْب القَنَاةِ سَلْهَب القُومِيَّه *

وقَوْمَتُــه وقَوَامُه، ويقال : هو قِوَامُ هــذا الأمر بكسر القاف اذا كان يقوم به . ويقال للقامة وجمعها أُمَمٌ . قال الأصمعىّ : وصف أعرابىّ رجلا فقال : إنّه لَحَسَنُ الوجه، حَلِيف اللسان، طويل الأُمَّة . والحَلِيف : الحديد من كل شىء، يقــال : لِسَانٌ حَلِيف وسِنَان حَلِيف الغَرْب، قال الأعشى

وإنّ مُعاوِيَةَ الأَكْرَمين * حِسَانُ الوجوهِ طِوَالُ الأُمَم

وقال أبو عبيدة : الطُّنُّ : القامة . وقوله : أو شَوَامِت جَمَل، فالشَّوَامِتُ : القَوَائم، يريد : أنه يَعْقِر الإبل للضيفان . وحَمْلَق : انقلب حِمْلَاقُه، والحِمْلَاقُ : باطن الجَفن . والنَّجِيد : الشجاع، يقال : نَجُدَ الرجلُ يَنْجُدُ نَجْدةً فهو نَجِيدٌ، والنَّجْد : الشجاع، وكذلك النَّجُد، والنَّجْدة : الشجاعة، هذا قول

(١) الفدن : القصر المشيد . وقائل البيت المثقّب العبدىّ . (٢) الزرم : الذليل القليل الرهط .

أبى نصر صاحب الأصمعىّ وتابعه على ذلك يعقوب فى بعض المواضع ؛ ثم قال فى موضع آخر : النَّجْد : السريع الإجابة الى الداعى اذا دعاه الى خير أو شر وهو النَّجِد ، ويقال : ما كان نَجْدًا ولقد نَجُد يَنْجُد نَجادة وأنْجَدْته إنْجادا ، فأما النَّجدة فالفَزَعُ فى أىّ وجه كان ، وهذا قول أبى زيد ، ويقال : آستَنْجَد فلان فلانا فأنْجدَه ، أى أعانه . وقال أبو عبيدة : نَجدْتُ الرجلَ أنْجُده غَلَبْتُه وأنْجَدْتُه : أعَنْتُه ، والنَّجْد : ما آرتفع من الأرض وبه سميت نَجْد لأنها آرتفعت عن تِهامة ، وسميت تِهامة لأنها آنخفضت عن نَجْد ، فتَهِم ريحُها ، أى تغيّر يقال : تَهِمَ الدُّهْن وتَمِهَ اذا تغير . والنَّجْد : الطريق فى الجبل ، والتنجيد : التزيين ، يقال : نَجَّدْت البيتَ تَنْجِيدا ، قال ذو الرمة :

حتى كأنَّ رياضَ القُفِّ ألْبَسَها * مِنْ وَشْيِ عَبْقَرَ تَجْليلٌ وتَنْجِيدُ

والنُّجُود : ما يُنَجَّد به البيت ، واحدها نَجْدٌ ، والنَّجُود من الحُمُر : الحائلُ ، ويقال : الطَّويلة . والنِّجاد : حمائل السيف ، والإنْجاد : الأخْذُ فى بلاد نَجْد ، والنَّجَد : العَرَقُ ، يقال : نَجِد الرجلُ يَنْجَد نَجَدًا اذا عَرِق ، قال النابغة :

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ المَلَّاحُ مُعْتَصِمًا * بالخَيْزُرانَةِ بَعْدَ الأيْنِ والنَّجَد

والمَنْجُود : المَكْرُوب ، قال أبو زُبَيْد :

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ * ولَقَدْ كان عُصْرَةَ المَنْجُود

وصَلْصَلَ : صَوّت . والوريدانِ : حَبْلا العُنُق . والأشوال جمع شَوْل وهى التى جَفَّت ألبانها ، وواحد الشَّوْل شائلةٌ ، فأما الشائل فالتى شالَت بذَنَبِها للّقاح وجمعها شُوَّل . والرَّعِيل : جماعةُ الخَيْل . والإزْميلُ : الشَّفْرة ، قال عَبْدة بن الطَّبِيب :

عَيْهَمَةٌ يَنْتَحِى فى الأرضِ مَنْسِمُها * كما آنْتَحَى فى أدِيمِ الصِّرْفِ إزْميلُ

العَيْهَمَة : التامَّة الخَلْق ، ويقال : السريعة . ويَنْتَحِى : يَعْتَمِد . والصِّرْف : صِبْغٌ أحمرُ وقال الأصمعىّ : الصِّرْف : صِبْغٌ يُغلّ به الأديم فيَحْمَرّ . والبُهَم واحدها بُهْمة : وهو الشجاع الذى لا يُدْرَى من أين يُؤْتَى له ، ويقال : حائط مُبْهَم اذا لم يكن فيه باب ، والأبْهَمُ من كل شىء : المُصْمَت الذى لا صَدْعَ فيه ولا خِلْط ، والبَهِيم من الخيل الذى ليس به وَضَحٌ .

[مطلب الكلام على معنى الحافرة]

والنِّقَاد جمع نَقَدٍ وهى صِغَار الغنم ، ويقال : نَقِدَ الضِّرْس اذا ٱئْتَكَل ، ونَقِدَ الحافر اذا تقشّر ، وحافِرٌ نَقِدٌ ، ويقال : «النَّقْدُ عند الحافِرة» أى عند أوّل كلمة . وقال بعض اللغويين : كانت الخيلُ أفضل ما يُباع ، فإذا ٱشترى الرجلُ الفرسَ قال له صاحبه : النَّقْد عند الحافر ، أى عند حافر الفرس فى موضعه قبل أن يزول ، وقال الله تعالى : ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ أى الى خَلْقنا الأوّل ، وأنشدنا ٱبن الأنبارى :

أَحَافِرَةً على صَلَعٍ وشَيْبٍ * مَعَاذَ الله من سَفَهٍ وعارِ

أى أأرْجِع الى الصِّبا بعد ما شِبْتُ وصَلِعْتُ .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدّثنى عمى عن أبيه عن ٱبن الكلبىّ قال : قال لى أعرابىّ : مامعنى قول الله تعالى : ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ فقلت : الخلْق الأوّل ، قال : فما معنى قوله تعالى : ﴿عِظَامًا نَخِرَةً﴾ قلت : التى تَنْخر فيها الرِّيح ، فقال : أما سمعت قول صاحبنا يوم القادسيّة :

أَقْدِمْ أخا نِهْمٍ(1) على الأساوره * ولا تَهُولَنَّكَ رِجْلٌ نادره

فإنّما قَصْرُكَ تُرْبُ السّاهره * حتّى تعُودَ بعدَها فى الحافره

* مِنْ بَعْدِ ما صِرْتَ عِظَامًا ناخِره *

وعَصَبَ الريقُ اذا غَلُظ ولَصِق بالفم ويَبِس ، وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله :

يَعْصِبُ فاهُ الرِّيقُ أىَّ عَصْبِ * عَصْبَ الجُبَابِ بشِفَاه الوَطْبِ

ويقال : تَفَادَى القومُ اذا ٱستتر بعضهم ببعض ، قال الحطيئة :

تَفَادَى كُمَاةُ الخَيْلِ من وَقْعِ رُمْحِهِ * تَفَادِى خَشَاشِ الطَّيْرِ من وَقْعِ أَجْدَلِ

وأَلْوَى : أذهَب . والأعراج جمع عَرْج وهى نحو خَمْسمائة من الإبل . والطَّفْلة : الناعمة الرَّخْصَة ، يقال : بَنَانٌ طَفْل ، والطِّفْلة : الحَدِيثة السّن . والحَقَلَّد : السَّيِّئُ الخُلُق ، كذا قال يعقوب . والعَكِسُ والعَكِصُ بالسين والصاد : العَسِرُ الأخلاق . والذُّعَافُ : السّمُّ السريع القتل . والمُمْقِرُ عند بعضهم :

(1) نِهْم بالكسر : بطن من همدان .

الشّديدُ المرارة، وعند بعضهم : الشديد الحُمُوضة، والمَقِرُ : الصَّبِر . ويَخْتَجِن : يَحْتَكِر ويُخْفِى، وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله لأبى زُبَيد

لهـا صَوَاهِلُ فى صُمِّ السِّــلَامِ كما * صَاحَ القَسِيَّاتُ فى أيْدِى الصَّيَارِيفِ
كأنَّهنَّ بأيدى القَــوْمِ فى كَبَدٍ * طَيْرٌ تَكَشَّف عن جُونٍ مَزَاحِيف

وَصَفَ مَسَاحِىَ . والسِّلَام : الحِجَارة . والصَّيَارِيفُ : الصَّيَارِفة، ثم شَبَّه المساحى فى أيدى الحَفَّارين الذين يَحْفِرُون قبرعثمان — رضى الله عنه — بطير تطير عن إبلٍ جُونٍ مَزَاحِيف . والجُون : السُّود. والمَزَاحِيفُ : المُعْيِية، و إنما جعلها جُونًا لأنهم حَفَرُوا له فى حَرَّةٍ، فشَبَّه الحَرَّة بالإبل السُّود .

وحدّثنـا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : سألت عبد الرحمن يوما فقلت له : إن رأيت أن تُنشدنى من أرقّ ما سمعته من عمك من أشعار العرب! فضحك وقال : والله لقد سألت عمى عن ذلك فقال : يا بُنَىَّ، وما تصنع برقيق أشعارهم؟ فوالله إنّه ليَقْرَح القلوبَ، ويَحُثُّ على الصَّبابة، ثم أنشدنى للعلاء بن حُذَيفة الغَنَوِىّ

يَقُولُون مَنْ هـذا الغَرِيبُ بأرْضِـنا * أمَا والهَــدَايا إنَّنِى لغَــرِيبُ
غريبٌ دعاه الشَّوْق وٱقْتاده الهَوَى * كما قِيـدَ عَوْدٌ بالزِّمام أدِيبُ
وماذا عليكم إنْ أطَافَ بأرْضِكُمْ * مُطالِبُ دَيْنٍ أو نَفَتْـهُ حُرُوب
أُمَشِّى بأعْطَانِ المِيـاهِ وأبْتَغِى * قَلائِصَ منهـا صَعْبَةٌ ورَكُـوب

فقلت : أريد أحسن من هذا، فأنشدنى

لَعَمْرِى لَئِنْ كُنْتُمْ على النَّأْىِ والغِنَى * بِكُمْ مِثْلُ ما بى إنَّكُـمْ لَصَـدِيق
فمـا ذُقْتُ طَعْمَ النَّوْمِ مُنْـذُ هَجَرْتُكُمْ * ولا ساغ لى بيْنَ الجَوانِحِ رِيق
إذا زَفَرَاتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ فى الحَشَا * كَرَرْنَ فلم يُعْـلَمْ لهنَّ طَرِيق

قال أبو علىّ : يَقْرَح : يَجْرح، قال [المتنخِّل] الهُذَلىّ

لا يُسْلِمُونَ قَرِيحًا حَلَّ وَسْطَهُمُ * يَوْمَ اللِّقَـاء ولا يُشْوُونَ مَنْ قَرَحُوا

أى جَرَحُوا، وقرأ أبو عمرو: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ وقال: القَرْحُ: الجراح، والقُرْح كأنه أَلَم الجراح. وأَطَافَ: أَلَمَّ. وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه قال: أنشدتنى عِشْرِقَةُ المُحارِبيَّة — وهى عجوزٌ حَيْزَبُونٌ زَوْلَةٌ —

جَرَيْتُ مع العُشَّاقِ فى حَلْبةِ الهَوَى * فَفُقْتُهُم سَبْقًا وجئتُ على رِسْلِى
فما لَبِسَ العُشَّاقُ من حُلَلِ الهَوَى * ولا خَلَعُوا إلَّا الثِّيابَ الَّتِى أُبْلِى
ولا شَرِبُوا كأْسًا من الحُبِّ مُرَّةً * ولا حُلْوةً إلا شَرابُهُمُ فَضْلِى

قال أبو علىّ: قال أبو بكر: الحَيْزَبُون: التى فيها بَقِيَّةٌ من الشَّباب. والزَّوْلَةُ: الظَّرِيفة، والزَّوْل: الظَّرِيف، وقومٌ أَزْوَال، والزَّوْل أيضا: الداهية، والزَّوْلُ: العَجَب. وقال لى غير أبى بكر: الحَيْزَبُون: العجوز ولم يَحُدّ لها وقتا، وأنشدنى أبو المَيَّاس للقُطامىّ

الى حَيْزَبُونٍ تُوقِد النَّارَ بَعْدَ ما * تَلَفَّعَتِ الظَّلْماءُ مِنْ كُلِّ جانب

وأنشدنى أبو عمرو عن أبى العباس عن ابن الأعرابى

لقد عَلِمَتْ سَمْراءُ أنَّ حَدِيثَها * نَجِيعٌ كما ماءُ السَّماءِ نَجِيعُ
اذا أَمَرَتْنِى العاذلاتُ بِصَرْمِها * هَفَتْ كَبِدٌ عَمَّا يَقُلْنَ صَدِيع
وكَيْفَ أُطِيعُ العاذلاتِ وحُبُّها * يُؤَرِّقُنى والعاذلاتُ هُجُوع

قال أبو على: أنشدنى ابن الأعرابى البيتين الأوّلين وأنشدنا أبو بكر بالإسناد الذى تقدّم عن الأصمعىّ عن عِشْرِقَةَ البيتَ الثانىَ والثالثَ، وأنشدنا الأخفش على بن سليمان قال: أنشدنى إبراهيم ابن المدبِّر لنفسه

ما دُمْيَةٌ من مَرْمَرٍ صُوِّرَتْ * أو ظَبْيَةٌ فى خَمَرٍ عاطِفُ
أَحْسَنَ منها يَوْمَ قالت لنا * والدَّمْعُ من مُقْلَتِها ذارِف
لَأَنْتَ أَحْلَى من لَذِيذِ الكَرَى * ومن أَمانٍ نالَهُ خائف

فأنشدتُه قول الآخر

اللهُ يَعْلَمُ والدُّنْيا مُوَلِّيَةٌ * والعَيْشُ مُنْتَقِلٌ والدَّهْرُ ذُو دُوَل
لأَنْت عندى وإن ساءت ظُنُونُك بى * أَحْلَى من الأَمْنِ عند الخائِفِ الوَجِل

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنِفْطَوَيْهِ[(١)]، قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ :

أَعُلَيَّ ما ماءُ الفُـراتِ وبَرْدُه * مِنِّي على ظَمَإٍ وفَقْـدِ شَرابِ

بأَلَذَّ منكِ وإن نأَيْتِ وقَلَّما * يَرْعَى النِّساءُ أمانةَ الغُيَّـابِ

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله، قال أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعيّ لأبي نُخَيْلة :

أَمَسْلَمَ إنّى يا ابْنَ كُلِّ خَليفةٍ * ويا فارسَ الهَيْجا ويا قَمَرَ الأرْض

شَكَرْتُكَ إن الشُّكْرَ حَبْـلٌ من التُّقَى * وما كُلُّ من أَوْلَيْتَـهُ نعمةً يَقْضِى

وأَلْقَيْتَ لَمّا أن أَتَيْتُكَ زائرا * عَلَيَّ لِحَافا سابغَ الطُّولِ والعَـرْض

ونَوَّهْتَ من ذِكْرِى وما كان خاملا * ولكنَّ بعضَ الذِّكرِ أَنْبَهُ من بعض

وحدّثنا علي بن سليمان الأخفش، قال أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثُّمَالى، قال أنشدنى عبد الصمد بن المُعَذَّل لمُرّة[(٢)] :

تَمَارَضْتِ كَىْ أَشْجَى وما بِكِ عِلَّةٌ * تُرِيدِينَ قَتْلِي قد رَضِيتُ بِذٰلِكِ

لَئِنْ ساءَنى أنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءةٍ * لَقَـدْ سَرّنى أنّى خَطَرْتُ ببـالِكِ

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قيل لكُثَيِّر : مالك لا تقول الشعر، أَجْبَلْتَ؟ فقال : والله ما كان ذلك، ولكن فَقَدْتُ الشَّبَابَ فما أَطْرَبُ، ورُزِئْتُ عَزَّةَ فما أَنْسُبُ، ومات ابْنُ لَيْلَى فما أَرْغَبُ، يعنى عبدَ العزيز بنَ مَرْوان .

قال أبو علي : قوله : أَجْبَلْت أى انقطعت عن قول الشعر، أخذه من قولهم : أَجْبَلَ الحافرُ إذا انتهى الى جَبَلٍ فلم يُمكِنْه الحَفْر . وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنِفْطَوَيْهِ النحوىّ يوم الأحد فى سُوق الثَّلاثاء على باب الكَلْوَاذَانِىّ صاحب ديوان السواد لكُثَيِّر :

(١) نفطويه بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة قال أبو منصور الثعالبى فى أوائل كتاب لطائف المعارف أنه لقب كذلك لدمامة وأدمة تشبيها له بالنفط وضُبِطه بعد ذلك كسيبويه أنظر ابن خلكان طبع بولاق ج ١ ص ١٥

(٢) نسب البيت فى شواهد التلخيص لأبن الدمينة عبد الله ولفظ البيت هناك

تعالَلت كى أشجى وما بك علة * تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

ألَا تِلْكَ عَزَّةُ قد أصْبَحَتْ * تُقَلِّب للهَجْر طَرْفًا غَضِيضا
تَقُولُ مَرِضْنَا فما عُدْتَنَا * وكيف يَعُود مَرِيضٌ مريضا

وأنشدنا أبو بكر بن دريد — رحمه الله — عن عبد الرحمن عن عمه لأعرابيّ :

اذا وَجَدْتُ أُوَار الحُبِّ فى كَبِدِى * أقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ القَوم أبْتَرِدُ
هٰذَا بَرَدْت بِبَرْدِ المَاءِ ظاهِرَهُ * فَمَنْ لِحَرٍّ على الأحشاءِ يَتَّقِد

وحدّثنا أبو الحسن جَحْظة البَرْمَكيّ عن حماد بن إسحاق الموصليّ وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : دخلت يوما على الرشيد فقال لى : يا إسحاق أنشدنى شيئا من شعرك، فأنشدته :

وآمِرةٍ بالبُخْلِ قُلْتُ لها اقْصُرِى * فَذَلِكَ شَىْءٌ ما اليه سَبِيلُ
أرَى النَّاسَ خُلَّانَ الجَوَاد ولا أرى * بَخِيلًا له فى العالمين خَلِيل
ومِنْ خَيْرِ حالاتِ الفَتَى لو عَلِمْتِه * اذا نال شيئا أن يكونَ يُنِيل
فإنِّى رأيتُ البُخْل يُزْرِى بأهله * فأكْرَمْتُ نَفْسِى أن يُقَالَ بَخِيل
عطائى عطاءُ المُكْثِرِين تَجَمُّلًا * ومالى كما قد تَعْلَمِين قليل
وكيف أخافُ الفَقْرَ أو أُحْرَمُ الغِنَى * ورَأْىُ أميرِ المؤمنين جميل

فقال : لا كيف إن شاء الله، يا فضل، أعطه مائة ألف درهم، ثم قال : لله درّ أبيات تأتينا بها يا إسحاق، ما أتْقَنَ أصولَها، وأحْسَنَ فُصولَها! — وزاد جَحْظة — وأقَلَّ فُضولَها، فقلت : كلامُك يا أمير المؤمنين أحْسَنُ من شعرى، فقال : يافضل، أعطه مائة ألف أخرى، فكان أوّل مال اعْتَقَدْتُه.

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : نَظَر أعرابيّ الى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : والله لئن آثَرْتُمُوه لَتُمْسِكُنَّ منه بِذُنَابَى عيشٍ أغبر.

وأنشدنا أبو بكر بن أبى الأزهر مستملى أبى العباس المبرّد وحدّثنا الأخفش وابن السَّرّاج وغير واحد من أصحاب المبرّد قالوا كلهم : أنشدنا أبو العباس قال : أنشدنا الزِّياديّ لأعرابيّ هذه الأبيات وكان يستحسنها :

ما لِعَيْنِى كُحِلَتْ بالسُّهادِ * ولِجَنْبِى نابِيًا عَنْ وِسادِى

لا أذُوقُ النَّـــوْمَ إلّا غِرارًا * مِثْـلَ حَسْوِ الطَّيْرِ ماءَ الثِّمادِ
أبْتَغِى إصلاحَ سُعْدَى بِجُهْدِى * وهى تَسْعَى جُهْدَها فى فسادى
فَتَتَارَكْنا علـى غَــيْرِ شيْءٍ * رُبَّمــا أفْســدَ طولُ التمــادى

وقرأت على أبى بكر بن دريد رحمه الله تعالى

أقول لصاحِبِي والعِيسُ تَخْدِى * بنــا بَيْنَ المُنِيفَــةِ فالضِّمار
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرارِ نَجْدٍ * فمــا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرار
ألا يا حَبَّــذا نَفَحاتُ نَجْــدٍ * ورَيَّا رَوْضِــهِ بعــد القِطَــار
وأهْلُكَ إذ يَحُــلُّ الحَىُّ نَجْــدًا * وأنْتَ على زمانك غَــيْرُ زارى
شُهورٌ يَنْقَضِينَ وما شَعَرْنا * بأنْصافٍ لَهُنَّ ولا سِرَار

وأنشدنا الأخفش للعَطَوىّ يَرْثِى أخاه

لقــد باكَرَتْهُ بالمَلامِ العواذلُ * فمــا رَقَأتْ منه الدُّمُوعِ الهَوَاطِلُ
أيَفْنَى جَمِيلَ الصَّبْرِ مَنْ هُدَّ رُكْنُه * وَهِيضَ جَنَــاحاهُ وَجُدَّ الأنامِــلُ
أمِنْ بَعْد ما ذاقَ المَنِيَّةَ أحْمَدٌ * تَطِيب لنــا الدُّنْيا وتَصْفُو المَنَاهِل
كأنْ لَمْ يكن لى خَيْرَ خِلٍّ وصاحبٍ * وخَيْرَ خطيب نَتَّقِيــه المَقَــاوِل
كأنَّ أبا العَبَّــاسِ لم يَلْقَ ضَــيْفَه * بِبِشْرٍ ولم يَرْحَلْ بِجَــدْواهُ راحِل

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة النَّحْوى، قال أنشدَنا أحمــدُ بن يحيى ثعلبٌ لابن ابى مُرَّةَ المكىّ

إنْ وَصَفُونِى فَنَــاحِلُ الجَسَدِ * أو فَتَّشُــونى فأبْيَضُ الكَــبِدِ
أضْعَفَ وَجْدِى وزاد فى سَقَمِى * أنْ لَسْتُ أشْكُو الهوى الى أحد
آهِ من الحُبِّ آهِ مِنْ كَمَدِى * إنْ لم أمُتْ فى غَدٍ فَبَعْدَ غَد
جَعَلْتُ كَفِّى على فؤادِىَ مِنْ * حَرِّ الهــوى وانْطَوَيْتُ فَوْقَ يدى
كأنّ قَلْــبِى اذا ذَكَرْتُكُمُ * فَرِيسةٌ بَيْنَ ساعِدَىْ أَســد
يَدِى بِحَبْــلِ الهــوى مُعَلَّقَـــةٌ * فإنْ قَطَعْتُ الهــوى قَطَعْتُ يَدِى

وأنشدنى جماعة من أصحاب أبى العباس المُبَرِّد منهم ابن السرّاج وابن دَرَسْتَوَيْهِ[1] والأخفش قالوا: أنشدنا أبو العباس قال أنشدنا بعض البصريين، وأنشدنا أيضا أبو بكر بن الأنبارى عن المُظَفَّر:

هَلْ مِنْ جَوَى الفُرْقةِ مِنْ واقِى * أمْ هَلْ لداءِ الحُبِّ مِنْ راقى

أم مَنْ يُداوِى زَفَراتِ الهَوَى * إذْ جُلْنَ فى مُهْجة مشتاق

يا كَبِدًا أفْنَى الهوى جُلَّها * مِنْ بَعْدِ تَلْذيعٍ وإحْراق

حَتَّى إذا نَفَّسَها ساعةً * كَرَّتْ يَدُ البَيْنِ على الباقى

قال أبو على: البيتان الأوّلان رواهما أبو بكر بن الأنبارى خاصّةً، وشاركَ أصحابَ أبى العباس فى رواية البيتين الآخرين. وأنشدنى أبو بكر بن دريد لأعرابىّ:

وإنّى لأَهْوَاها وأهوى لِقاءَها * كما يَشْتَهِى الصادى الشرابَ المُبَرَّدا

عَلاقَةُ حُبٍّ لَجَّ فى زَمَنِ الصِّبا * فأَبْلَى وما يَزْداد إلَّا تجدُّدا

وأنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه:

بِنَا لا بِكَ الوَصَبُ المُؤْلِمُ * ونَفْسُكَ مِنْ صَرْفِهِ تَسْلَمُ

لئن نالَ جِسْمَكَ نَهْكُ الضَّنَى * لَقَدْ ضَنِيَ السُّودَدُ الأعْظَمُ

فَحاشاكَ من سَقَمٍ عارِضٍ * ولٰكِنَّ أكبادَنا تَسْقَمُ

فأنتَ السماءُ التى ظِلُّها * إذا زال أعْقَبَهُ الصَّيْلَمُ

وأنتَ الصَّباحُ الذى نُورُه * به يَنْجَلِى الحادثُ المُظْلِمُ

وأنتَ الغَمامُ الذى سَيْبُه * يَنالُ الثَّراءَ به المُعْدِمُ

يُخاطِب عنك لِسانُ العُلا * إذا ذُكِرَ المُفْضِلُ المُنْعِمُ

فَمَنْ نالَ مِنْ كَرَمٍ رتبةً * فيومُكَ مِنْ دَهْرِهِ أكْرَمُ

إذا ما تَخَطَّاكَ صَرْفُ الرَّدَى * فرُكْنُ المَكارمِ لا يُهْدَمُ

فباللهِ أُقْسِمُ رَبِّ الوَرَى * ولِلّهِ غايةُ ما يُقْسَمُ

لوَ انَّ السماءَ حَمَتْ قَطْرَها * لكُنْتَ حَيًا سَيْبُه مُثْجِمُ

(١) كذا ضبطه ابن ماكولا وضبطه السمعانى «دُرُسْتُوَيْه» بضم الدال والراء وسكون السين وضم التاء وفتح الياء وبعدها هاء ساكنة. أنظر ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٦

قال أبو على : يقـال : أنجمتِ السماءُ وأغبَطتْ وألَثَّتْ وألَظَّتْ إذا دام مطرُها ولم ينقطع ؛ وفى الحديث : "أَلِظُّوا بيا ذا الجَلَال والإكرام" أى الزَموا هذه الدعوةَ ، وأغْضَنَتْ وأدْجَنَتْ . فإذا أقلَعَتْ قيل : أنجمَتْ وأفصتْ وأفْصَمَتْ ، ومنه أفْصَى الشاعرُ إذا انقطع عن قول الشعر ، وأفْصَتِ الدَّجاجة اذا انقطع بَيْضُها . ويقال : أصْفَتِ الدجاجةُ وأصْفَى فى الشعر ، وهو من المقلوب .

[مطلب تفسير ما جاء من الغريب فى وصف الغلام للعنز التى كان ينشدها]

وحدّثنـا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن أبى عمرو بن العَلَاء قال : رأيت باليمن غلاما من جَرْمٍ يَنْشُد عَنْزًا ، فقلت : صِفْها يا غلام ، قال : حَسْرَاء مُقْبِلة ، شَعْرَاء مُدْبِرة ، ما بين غُثْرة الدُّهْسة ، وقُنُوء الدُّبْسة ، سَجْحاء الخَدَّين ، خَطْلاء الأُذُنين ، فَشْقاء الصُّورَين ، كأنَّ زَنَمَتَيها ثَتْوا قُلَنْسِيَة ، يا لها أمَّ عِيَال ، وثِمَال مال .

قوله يَنْشُـد : يَطْلُب ، والناشـد : الطالب ، يقـال : نَشَدْتُ الضالَّة ، فأنا أنْشُدُها اذا طلبتها . وأنْشَدْتُها : عَرَّفتها ، فأنا مُنْشِد ، وأنشدَنى أبو بكر بن دريد :

يُصِيخُ للنَّبْأة أسْمـاعَهُ * إصاخَةَ النَّاشِد للمُنْشِد (1)

وقوله : حَسْرَاء مُقْبِلة ، يعنى أنها قليلة شـعر المُقَدَّم ، قد انحسر شعرُها . وشَعْراء مُدْبِرة ، يعنى أنها كثيرة شعر المؤخَّر . والغُثْرة : غُبْرة كَدِرة . والدُّهْسة : لونٌ كلون الدَّهَاس ، قال الأصمعى : والدَّهَاس من الرَّمْل : كل لَيِّن لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين ، قال ذو الرمة يذكر فراخ النَّعام

جاءتْ مِنَ البيضِ زُعْرًا لا لِباسَ لها * إلا الدَّهـاسُ وأُمٌّ بَـرَّةٌ وأبُ

[مطلب أسماء الألوان وأوصافها]

وقال أبو زيد : الصَّدْآءُ من المَعزِ : السوداءُ المُشْرَبةُ حمرةً . والدَّهْساء أقلُّ منهـا حمرةً . والقُنُوء : شِدَّة الحمرة ، والعرب تقول : أحْمَرُ قانئٌ ، وقد قَنَأ يَقْنَأ قُنُوأً ، وأحْمَر ذَرِيحِيٌّ وأحمر باحرِيٌّ وبَحْرَانِيٌّ وقاتِمٌ ، أى شـديد الحمرة . وناصِعٌ ، والناصِـعُ : الخالص من كل لون . ويانِـعٌ وناكِعٌ بيِّنُ النَّكَعة . وقال ابن الأعرابى : ويقال : أحمر كالنَّكَعة ، وهو ثَمَر النُّقَاوَى وهو كالنَّبِقة ، وأنشد :

إلَيْـكُم لا تكونُ لكم خَلَاةٌ * ولا نَكَعُ النُّقَاوَى إذْ أحالا

---

(1) هذا البيت للمثقب العبدى كما فى الكامل للمبرّد ص ٦٣ طبع أوربا .

وقال أبو عبيدة : قال أعرابىّ يقال له أبو مُرْهِب لآخر: قَبَحَ الله نَكَمة أنفك كأنها نَكَعة الطُّرْثُوث، يريد حُمرةَ أنفه . ونَكَعةُ الطُّرْثوث : رأسُه، وهو نَبْت يشبه القِثَّاء . وقال أبو عمرو الشيبانى : وأحمر نَكِعٌ، وهو الذى يخالِط حُمْرَته سواد . وقال غيره : وأحمر سِلَّغْدٌ، أى أشْقر، وأحمر أَسْلَغ وأحمر أقْشَر، وهو الشديد الحمرة الذى يتقشر وجهُه وأنفُه فى الحر، وأحمر عاتِكٌ وأحمر غَضْبٌ، أى شديد الحُمرة .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال حدّثنى أبو عثمان قال أخبرنى أبو محمد عبد الله بن هارون التَّوَّزِى قال أخبرنى أبو عبيدة قال : تزوّج رجل من بنى عامر بن صَعْصَعة آمرأةً من قومه، فخرج فى بعض أسفاره ثم قدم وقد ولدت آمرأتُه وكان خَلَّفها حاملا، فنظر الى آبنه فإذا هو أحمر غَضْب، أَزَبُّ الحاجِبَيْن، فدعاها وآنتضَى السيفَ وأنشأ يقول :

لا تَمْشُطى رَأْسِى ولا تَفْلِينِى * وحاذِرِى ذا الرِّيقِ[1] فى يَمِينى
وآقْتَرِبِى دُونَكِ أَخْبِرِينى * ما شَأْنُه أحمرَ كالهَجِينِ
* خالَفَ ألوانَ بَنِىَّ الجُونِ *

فقالت تجيبه :

إنّ له مِنْ قِبَلِى أجْدادا * بِيضَ الوُجوه كَرَمًا أنْجادا
ما ضَرَّهم إن حَضَرُوا جِيادا * أو كافَحُوا يومَ الوَغَى الأنْدادا
* ألّا يكونَ لَوْنُهم سوادا *

وأحمرُ أكْلَف، وهو الكَدِرُ الحمرة، وأحمرُ قُقّاعِىٌّ، وهو الذى يَخْلِط حمرتَه بياضٌ، وأحمر قَرِفٌ وكالقَرْف، وهو الأَدِيم الأحمر، وأنشدَنا اللِّحْيانىّ :

* أحْمَر كالقَرْفِ وأحْوَى أدْعَج *

قال : ويقال: إنه لأحمر كالصِّرْبة، والصِّرْبة : الصَّمْغة الحمراء وجمعها صِرْبٌ، وأحمر كالمُصَعة، وهو ثَمَر العَوْسَج . وأبيضُ يَقَقٌ ولَهَقٌ وصَرَحٌ ولِيَاحٌ ولَيَاح ووَابِصٌ وحُضِّىٌّ وقَهْبٌ، وهو الذى يخالط بياضَه حُمرةٌ وقَهْدٌ أيضا . وأسْوَدُ حانِكٌ وحالِكٌ وحُلْكُوكٌ وحَلَكُوكٌ ومُحْلَنْكِكٌ ومُحْلَوْلِكٌ وسُحْكُوكٌ ومُسْحَنْكِكٌ، قال الراجز :

تَضْحَكُ مِنِّى شَيْخةٌ ضَحُوكُ * وآستَنْوَكَتْ وللشَّباب نُوكُ
* وقد يَشِيبُ الشَّعَرُ السُّحْكُوكُ *

(١) ذو الريق : السيف، يقال له ذلك لكثرة مائه .

وحُلْبُوب أيضا، قال الشاعر :

أَمَا تَرَيْنِي اليومَ نِضْوًا خالصا * أسْوَدَ حُلْبُوبا وكنتُ وابِصا

والوابِصُ : الذى يَبِصُ من شدّة بياضه . وأسودُ فاحمٌ : للشديد السواد ، وهو مشتق من الفَحْم ، ويَحْموم وحِنْدِسٌ ودَجوجِىّ وخُدَارِىٌّ وغُدَافِىٌّ وغِرْبِيبٌ ومُدْلَهِمٌّ وغَيْهَم وغَيْهَب . وأخْضَر ناضرٌ وباقِلٌ ومُدْهامٌّ . وأصْفَرُ فاقعٌ وفُقَّاعِىٌّ، كما قالوا فى الأحمر : فُقَّاعِىٌّ ووارِسٌ وأرْمَكُ رادِنِىٌّ وأوْرَقُ خُطْبانِىٌّ اذا كان خالصا . والأوْرَق : الرَّماد، والوُرْقة : لون الرماد، والأرْمَكُ: دون ذلك . والدُّبْسة: حمرة يَعْلوها سواد ، وقال أبو عبيـدة : الدُّبْسة : شُقْرة يعلوها سواد . وقوله : سَجْحاءُ الخَدَّيْن، أى سَهْلة الخَدَّين حَسَنَتُهما، ومن هذا قالوا : أسْجِحْ، أى أحْسِنْ، قال الشاعر :

مُعَاوِىَ إنَّنـا بَشَرٌ فأسْجِحْ * فَلَسْنا بالجبـالِ ولا الحَدِيد(١)

أى أحْسِنْ وسَهِّل . وخَطْلاءُ : طويلة الأُذُنَيْن مُضْطَرِبتُهما ، ومنه قيل لكلاب الصَّيْد : خُطْلٌ . وقوله : فَشْقاء، أى مُنْتَشِرة متباعدة . وقرأت على أبى بكر بن دريد لرؤبة :

فَباتَ والنَّفْسُ من الحِرْص الفَشَقْ * فى الزَّرْب لو يَمْضُـغُ شَرْيًا ما بَصَق

يقول : بات هـذا الصائد فى القُتْرة ، وهى النَّامُوس والزَّرْب أيضا، وقـد أبْصَر وَحْشا فانتشرت نفسُـه، فلو مَضَغ شَرْيًا ما بَصَق لئـلا ينفِر الوحش . والشَّرْىُ : الحَنْظَل . والصُّورانِ : القَرْنانِ ، واحدُهما صُورٌ . وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارىّ :

نَحْنُ نَطَحْناهمْ غَداةَ الغَوْرَيْنْ * بالضَّابِحاتِ فى غُبارِ النَّقْعَيْنْ
* نَطْحًا شديدًا لا كَنَطْحِ الصُّورَيْنْ *

والزَّنَمَتانِ : الهُنَيَّتانِ المتعلِّقتان ما بَيْنَ لَحْيَىِ العَـنْز . والتَّتْوانِ : ذُؤابَتا القَلَنْسُوَة، واحدهما تَتْوٌ. وفى القَلَنْسُوَة لغات، يقال : قَلَنْسُوَة وقُلَنْسِيَةٌ وقَلَنْساةٌ وقَلْساةٌ؛ وقال أحمد بن عبيد : وقُلَيْسِيَة تصغير قَلْساة، قال : وجمع قَلْساة قَلاسِىٌّ؛ وحكى عن الزبيدىّ : ما أعْجَبَ هـذه القَلاسِىَّ التى أراها على

(١) رواه النحويون «ولا الحديدا» بالنصب عطفا على محل الجبال وقد رواه المبرّد «ولا الحديد» وقال : إن هذه القصيدة مشهورة وهى مخفوضة كلها وهذا البيت أولها وبعده :

فهبْها أمة ذهبت ضَـياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد
أكلتم أرضنا فجردتموها * فهل من قائم أو من حصيد

(أنظر خزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ٣٤٣) .

رءوسكم؛ وروى أبو عبيدة عن الأصمعى وأبى زيد : قُلَيْسِيَة وجمعها قَلَاسٍ؛ وقرأت على أبى بكر بن الأنبارى فى "الغريب المصنّف" قال أنشدنا أبو زيد :

إذا ما القَلَاسِى والعَمَائِمُ أُخْنِسَتْ * فَفِيهِنَّ عن صُلْعِ الرِّجال حُسُــور

وقوله : ثِمَــال مال، أى أصْل مال، والثَّمِيلة : ما يبقى فى بطن البعير من العَلَف . وقيل لأعرابى : أتشرب؛ فقال : إنى لا أشرب إلا على ثَمِيلة .

[تفسير ما جاء من الغريب فى حديث الشاب الجميل العاشق]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : مررت بِحَمَى الرَّبَذة فإذا صِبْيانٌ يَتَقَامَسُون فى المــاء وشابٌّ جميل الوجه مُلَوَّحُ الجسم قاعد، فسلّمت عليه، فردّ علىّ السلام وقال : مِنْ أَيْنَ وَضَحَ الراكبُ؟ قلت : من الحِمَى، قال : ومَتَى عَهْدُكَ به؟ قلت : رائحا، قال : وأَيْنَ كان مَبِيتُك؟ قلت : أَدْنَى هــذه المَشَاقِر، فألقى نَفْسَه على ظَهْره وتَنَفَّس الصُّعَداء، فقلت : تَفَسَّأ حِجَابُ قلبه، وأنشأ يقول :

سَقَى بَلَدًا أَمْسَتْ سُلَيْمَى تَحُلُّه * مِنَ المُزْنِ ما تُرْوِى به وتُسِــيمُ

وإن لم أَكُنْ من قاطِنِيــه فإنّه * يَحُــلُّ به شَخْصٌ علىّ كريم

أَلَا حَبَّذا مَنْ ليس يَعْدِلُ قُرْبَه * لَدَىَّ وإنْ شَطَّ المَزَارُ نَعِيم

ومَنْ لامَنِى فيه حَمِيمٌ وصاحبٌ * فَــرُدَّ بِغَيْظٍ صــاحبٌ وحَمِــيم

ثم سَكَتَ سكْتة كالمُغْمَى عليه، فَصِحْت بالأُصَيْبِيَة، فأَتَوْا بماء فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول :

اذا الصَّبُّ الغَرِيبُ رأى خُشُوعِى * وأَنْفَاسِى تَزَيَّنَّ بالخُشُــوع

وَلِى عَيْنٌ أَضَرَّ بهــا الْتِفاتِى * الى الأَجْرَاع مُطْلَقَــة الدُّموع

الى الخَــلَوَاتِ تأْنَسُ فيك نَفْسِى * كما أَنِسَ الوحيــدُ الى الجميــع

قوله : يَتَقَامَسُون : يَتَغاطُّون، يقال : قَمَسْتُه فى المــاء ومَقَلْتُه وغَمَسْــتُه وغَطَطْتُه . وقال لى أبو بكر ابن دريد رحمه الله تعالى : المَشَاقِرُ : مَنابت العَرْفَج، وقال غيره : المَشَاقِرُ : الرِّمال، واحدها مَشْقَر، وأنشدنى لذى الرمّة :

كأَنَّ عُرَى المَرْجانِ منها تَعَلَّقَتْ * على أُمِّ خِشْفٍ من ظِباءِ المَشَاقِر

[مطلب أوصاف الشيء البالى]

وقوله : تَفَسَّأَ حجابُ قلبه، يقال : تفسَّأ الثّوب وتَهَمَّأ اذا تَشَقّق، وتَهَتَّأ اذا انْشَقّ من البِلَى، ويقال : تَسَلْسَلَ الثوبُ وأسْمَل وجَرِدَ وانْجَرد وأسْحَق وانْسَحَق وأنْهَج ومَحّ وأمَحّ وهَمَد : كُلُّه اذا أخْلَق . والسَّمَل والجَرْد والسَّحْق والنَّهْج : الخَلَق، قال ذو الرمة :

قِفِ العَنْسَ فى أطْلال مَيَّة فاسْأَلِ * رُسومًا كأخْلاقِ الرِّداء المُسَلْسَلِ

وقال كُثَيِّر : فأسْحَق بُرْدَاهُ ومَحّ قَميصُه * فأثوابُه لَيْسَتْ لَهُنّ مَضارِج

وقال العجّاج : ما هاجَ أحزانًا وشَجْوًا قد شَجا * من طَلَلٍ كالأتْحَمِىِّ أنْهَجا

وقال الأعشى : قالتْ قُتَيْلةُ مالِجِسْمِك شاحِبًا * وأرَى ثِيابَكَ بالياتٍ هُمَّدا

والحَشِيف : الخَلَقُ أيضا، قال الهذلى :

أُتِيحَ لها أُقَيْدِرُ ذو حَشِيفٍ * اذا سامَتْ على المَلَقاتِ ساما

وكذلك الدِّرْس والدَّرِيس، قال المُتَنَخِّل :

قد حال دُونَ دَرِيسَيْه مُؤَوِّبةٌ * نِسْعٌ لها بِعِضاهِ الأرْض تَهْزِيزُ

مُؤَوِّبةٌ : ريحٌ جاءت مع الليل . ونِسْعٌ ومِسْعٌ : اسم من أسماء الشَّمال . والهِدْمِل : الثوب الخَلَق، قال تأبّط شرًّا :

نَهَضْتُ اليها مِنْ جُثُومٍ كأنّها * عَجوزٌ عليها هِدْمِلٌ ذاتُ خَيْعَل

والهِدْمُ : الخَلَق، قال الكميت :

فأصْبَحَ باقى عَيْشِنا وكأنَّهُ * لواصِفه هِدْمُ الخِباء المُرَعْبَلُ

اذا حِيصَ منه جانبٌ راعَ جانبٌ(١) * يَفْتَقِينَ يَضْحَى فيهما المُتَظَلِّل

والمُرَعْبَل : المُمَزَّق . وحِيصَ : خِيطَ . والطِّمْر : الخَلَق .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله عن أبيه عن أحمد بن عبيد لشاعر(٢) قديم :

وعاذلةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومنى * ولم يَغْتَمِرْنى قَبْلَ ذاكَ عَذُول

---

(١) فى لسان العرب (ريع جانب) بصورة المبنى للفعول وقال : أى انخرق .

(٢) فى نسخة أخرى من هذا الكتاب محفوظة بدار الكتب الأهلية فى باريز تحت رقم ٤٢٣٦ مانصه : «قال أبو الحجاج : هو هذيل بن ميسر الفزارى» ا ه من تعليقات المستشرق كرنكو بالفهرس الذى وضعه لشعراء الأمالى وطبع بليدن سنة ١٩١٣ م.

تقول اتّئدْ لا يَدْعُك النـاسُ مُمْلِقًا * وتُزْرِى بِمَنْ يابْنَ الكِرام تَعُول
فقلت أبَتْ نفسٌ علىّ كَرِيمةٌ * وطارقُ ليـلٍ غَـيْرَ ذاكِ يَقُول
أَلَمْ تَعْلَمِى يا عَمْـرَكِ اللهَ أنّنِى * كَرِيمٌ عـلى حِينَ الْكِرَامُ قَلِيـل
وَإِنّىَ لا أَخْزَى اذا قِيـلَ مُمْلِقٌ * سَخِىٌّ وأَخْزَى أن يقال بخيـل
فلا تَتْبَعِى العَيْنَ الغَوِيّةَ وانْظُرى * الى عُنْصُرِ الأحسـاب أيْنَ يؤُول
ولا تَذْهَبَنْ عَيْنـاكِ فى كل شَرْمَحٍ * له قَصَبٌ جُوفُ العِظامِ أسِيل
عَسَى أن تَمَنَّى عِرْسُـه أنّنِى لهـا * به حِينَ يَشْـتَدُّ الزمان بَدِيل
اذا كُنْتُ فى القَوْم الطِّوَال فَضَلْتُهُمْ * بعـارِفةٍ حَـتَّى يقـال طَوِيـل
ولا خَيْرَ فى حُسْن الجُسوم وطُولِها * اذا لم يَزِنْ حُسْنَ الجُسـوم عُقُول
وكائنْ رأيْنـا من فُرُوعٍ طَويلة * تَمُوت اذا لم يُحْيِهِنَّ أُصُـول
فإنْ لا يَكُنْ جِسْمِى طويلًا فإنّنِى * له بالفِعـالِ الصالحـاتِ وَصُـول
ولم أرَ كالمعـروف أمّا مَذَاقُـه * فَحُلْوٌ وأما وَجْهُـهُ فجميـل

قال أبو على : الشَّرْمَح : الطويل، وكذلك الشَّوْقَب . وقال أبو بكر بن الأنبارىّ رحمه الله تعالى: العارفة : النَّفْس الصابرة . وأنشدنا بعض أصحابنا لعلىّ بن العباس الرومى :

وذَخَرْتُه للدَّهْـر أعْـلَمُ أنّه * كالحِصْنِ فيـه لمن يؤُول مآل
ورأيته كالشَّمْسِ إنْ هِىَ لم تُنَلْ * فَضِـياؤها والرِّفق منـه يُنَـال

وأنشدنى أيضا مثل هذا المعنى لسعيد بن حُمَيْد الكاتب :

أهابُ وأسْتَحْيِى وأرْقُب وَعْدَه * فلا هُوَ يَبْـدانِى ولا أنا أسأل
هو الشمس مَجْرَاها بعيدٌ وضَوْءُها * قَرِيبٌ وقلبى بالبعيد مُوَكّل

وحدّثنا أبو بكر بن دريد الأزدى قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : رأيت بالبادية امرأة على راحلة لها تطوف حول قبر وهى تقول :

يا من بمُقْلته زها الدهرُ * قد كان فيـك تَضَاءَلَ الأمْر
زَعَمُـوا قُتِلْتَ وما لهم خُـبْرٌ * كَذَبُوا وقَبْرِك ما لَهُمْ عُـذْر

يا قبرَ سيّدنا المجنَّ سماحةً * صلّى الإله عليك يا قبرُ
ما ضرّ قبرًا فيه شِلْوُكَ(١) ساكن * ألّا يمرّ بأرضه القَطْر
فليَنْبَعِنَّ سماحُ جودِك في الثّرى * وليُورِقَنَّ بقربك الصّخر
وإذا غضبتَ تصدّعت فَرَقًا * منك الجبالُ وخافك الذُّعْر
وإذا رقدتَ فأنت منتبهٌ * وإذا انتبهتَ فوجهك البدر
واللهِ لو بِكَ لم أدَعْ أحدًا * إلا قتلتُ لفاتني الوِتْر

قال : فدنوت منها لأسألها عن أمرها فاذا هي ميتة .

وأنشدنا الأخفش قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن :

لله درُّ ثقيفٍ أيُّ منزلةٍ * حلّوا بها بين سَهْل الأرض والجبل
قوم تخيّر طيبَ العيش رائدُهم * فأصبحوا يُلحفون الأرضَ بالحُلَل
ليسوا كمن كانت التّرحالَ همّتُه * أخبِثْ بعيشٍ على حَلٍّ ومُرْتَحَل

وقرأت على أبي بكر بن دريد لبعض الأعراب :

سأشكُرُ عمرًا إن تراخت منيّتي * أياديَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلّتِ
فتى غيرَ محجوب الغنى عن صديقه * ولا مُظهِر الشّكوى إذا النّعلُ زلّتِ
رأى خَلّتي من حيثُ يخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينيه حتّى تجلّتِ

وأنشدنا الأخفش أيضا قال أنشدنا بعض أصحابنا :

فما تزوّدَ ممّا كان يجمعُهُ * إلّا حَنوطًا غداةَ البَيْنِ مع خِرَق
وغيرَ نفحة أعوادٍ شُبِبْنَ له * وقلَّ ذلك من زادٍ لمُنطلِق
لا تأسَيَنَّ على شيء فكلُّ فتًى * الى منيّته يَسْتَنُّ في عَنَق
بأيّما بلدةٍ تُقْدَرْ منيّتُهُ * إلّا يُسارِعْ اليها طائعًا يُسَق

وأنشدني أبو بكر التاريخي للبُحتُريّ :

دنوتَ تواضعًا وبعُدتَ قدرًا * فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ
كذاك الشّمسُ يبعُدُ أن تُسامَى * ويدنو الضّوءُ منها والشّعاعُ

(١) الشلو : الجسد .

وأنشدنى أبو بكر بن دريد — رحمه الله — لبعض الأعراب :

إنّى حَمِدْتُ بَنِي شَيْبانَ إذ خَمَدَتْ * نِيرانُ قَوْمِى وشَبَّت فيهم النّار
ومِنْ تَكَرُّمِهِمْ فى المَحْلِ أَنَّهُمُ * لا يَعْرِفُ الجارُ فيهم أنه جار
حتى يكون عزيزًا من نُفُوسِهِمُ * أو أنْ يَبِينَ جميعا وهو مُختار
كأنه صَدَعٌ فى رأس شاهقةٍ * مِنْ دونه لِعِتاق الطَّيرِ أَوْكار

وأنشدنى أيضا :

نَزَلْتُ على آلِ المُهَلَّبِ شاتِيًا * غَرِيبًا عن الأَوْطانِ فى زَمَنِ المَحْل
فما زال بى إكرامُهم وٱفْتِقادُهُم * وإلْطافُهُمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أَهْلى

قال أبو على : ويروى : وٱقتفاؤهم، وهو الإيثار .

[تفسير ما جاء من الغريب فى وصف الشاب الفرس الذى ٱشتراه]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنى عمى عن أبيه عن ٱبن الكلبى قال : ٱبتاع شابٌّ من العرب فرسا ، فجاء الى أُمّه وقد كُفّ بصرُها ، فقال : يا أُمى ، إنى قد ٱشتريت فرسا ، فقالت : صِفْهُ لى ، قال : إذا ٱسْتَقْبَل فَظَبْىٌ ناصِب ، وإذا ٱسْتَدْبَر فهِقْلٌ خاضِب ، وإذا ٱسْتَعْرَضَ فَسِيدٌ قارِب ، مُؤَلَّلُ المِسْمَعَيْن ، طامِحُ الناظرين ، مُذَعْلَقُ الصَّبِيَّيْن ؛ قالت : أَجْوَدْتَ إن كنتَ أعْرَبْتَ ؛ قال : إنه مُشْرِفُ التَّلِيل ، سَبْطُ الخَصِيل ، وَهْواهُ الصَّهِيل ؛ قالت : أَكْرَمْتَ فَٱرْتَبِطْ .

قال أبو على : الناصِبُ الذى نَصَب عُنُقَه وهو أحسن ما يكون . والهِقْلُ : الذكر من النَّعام ، والأنثى هِقْلة . والخاضِب : الذى أَكَلَ الرَّبِيعَ فاحْمَرَّتْ ظُنْبُوباه وأطرافُ رِيشه . والسِّيدُ : الذِّئب . ومُؤَلَّل : مُحَدَّد ، والأَلَّةُ : الحَرْبة ، وجمعُها إِلَالٌ . والإِلُّ : العَهْد ، والإِلُّ : القَرابة ، قال حَسّان بن ثابت رضى الله عنه :

لَعَمْرُكَ إنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ * كَإِلِّ السَّقْبِ(١) مِنْ رَأْلِ(٢) النَّعام

والإِلُّ : الله تبارك وتعالى ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه : " هذا كلامٌ لم يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ " ومنه قولهم : جَبْرَئِل ، والأُلُّ : الأول ، وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله :

(١) السقب : ولد الناقة . (٢) الرأل : ولد النعام .

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلّ * بها العَيْنانِ تَنْهَلّ[1]
يُنادِى الآخِرَ الأُلّ * أَلا حُلُّوا أَلا حُلُّوا

الزُّحْلوقةُ: آثارُ تَزَلُّجِ الصِّبْيان مِنْ فَوْقُ الى أسفل؛ وأهلُ العاليـة يقولون زُحْلُوفة بالفاء؛ وتميم يقولون زُحْلُوقة بالقاف. والأُلّ: السُّرعة، أنشدنا يعقوب:

مُهْرَ أَبِى الحَبْحابِ لا تَشَلِّى * بارَكَ فِيكَ اللهُ مِنْ ذى أَلِّ[2]

وطامِحٌ: مُشْرِف. وقال قُطْرُب بن المستنير: الذُّعْلُوق: نَبْت يشبه الكُرّاث يلتوى، وهو طَيِّب للأكل. والصَّبِيّانِ: مُجْتَمَع لَحْيَيه من مُقَدَّمِهما؛ وقال أبو عبيدة: الصَّبِيّان: العَظْمان المنحنيان من حَرْفَىْ وسط اللَّحْيين من ظاهرهما عليهما لَحْمٌ. والتَّلِيلُ: العُنُق. والخَصِيل: كل لَحْمة مستطيلة وجمعها خَصائل؛ وقال أبو عبيدة: الخَصِيلة: كل ما انْمازَ من لحم الفَخِذ بعضُه من بعض. والوَهْوَهَة: صوتٌ يُقَطِّعه.

[تفسير الغريب فى حديث الأعرابى الذى وصف بعض النساء]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال: وصف أعرابى نساء فقال: يَلْتَثِمْنَ على السَّبائك، ويَتَّشِحْنَ على النَّيازِك، ويَأْتَزِرْنَ على العَـوانِك، ويَرْتَفِقْنَ على الأَرائك، ويَتَهادَيْنَ على الدَّرانِك؛ ابْتِسامُهُنَّ وَمِيض، عن وَلِيع كالإِغْرِيض؛ وهُنَّ الى الصَّباصُور، وعن الخَنا نُور.

قال أبو زيد: اللِّثام على الفَمِ. واللِّفَامُ على طَرَف الأنف، يقال: تَلَثَّمَت المرأة وتَلَفَّمَت المرأة. والسَّبائِك ها هنا: الأسنان، شبهها لبياضها بالسَّبائك. والنَّيازِك، واحدها نَيْزَكٌ، وهو الرُّمْح القَصِير. والعَوانِكُ، واحدها عانِكٌ، وهو رَمْل منعقد يَشُقّ فيه البعيرُ لا يقدر على السير، فيقال حينئذ: قد اعْتَنَكَ. والأَرائِكُ: السُّرُر، واحدها أَرِيكة، وقال قوم: الفُرُش. ويَتَهادَيْنَ: يمشين مشيا ضعيفا، قال الأعشى:

* تَهادَى كما قد رأيْتَ البَهِيرا[3] *

(١) هذان البيتان لأمرئ القيس كما فى اللسان ج ١٣ ص ٢٧ (٢) قائله أبو الخضرىّ اليربوعى يمدح عبد الملك ابن مروان وكان قد أجرى مهرا فسبق (أنظر اللسان مادة ألل). وفى هامش اللسان مادة شلل: قال فى التكملة «والرواية مهر أبى الحارث». وقد حرّك: لا تشلى للقافية، والياء من صلة الكسر، وهو كما قال امرؤ القيس

* ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى *

(٣) البهير: مُنقطِع النفس من الإعياء؛ وصدر البيت كما فى اللسان:

* اذا ما تأتّى يريد القيام *

والدَّرانِك : الطَّنافِس، واحدها دُرْنُوك . والوميض : اللمعان الخفىّ . والإغْرِيض والوَلِيعُ : الطَّلْع . وصُورٌ : مَوائِل، ومنه قيل للمائل العُنُق : أصْوَر . ونُورٌ : نُفَّرٌ من الرِّيبة، واحدها نَوَارٌ .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد فيما أملاه علينا من معانى الشعر :

اذا ما آجْتَلَى الرَّانِى اليها بطَرْفِهِ * غُرُوبَ ثَنَاياها أنَارَ وأظلَما

الغُرُوب : حَدُّ الأسنان، واحدها غَرْبٌ . والرانى : المُدِيم النظر . وقوله : أنَارَ وأظْلَمَ، أى أصاب ضَوْءًا وظَلْمًا . والظَّلْم : ماءُ الأسنان .

وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأعرابىّ :

أيا عمرو كَمْ من مُهْرةٍ عَرَبِيَّةٍ * مِنَ النَّاسِ قد بُلِيَتْ بوَغْدٍ يقودها
يَسُوسُ وما يدرى لها من سياسةٍ * يُرِيدُ بها أشياءَ ليست تريدها
مُبَتَّلَةِ الأعْجازِ زَانَتْ عُقُودَها * بأحْسَنَ مما زَيَّنَتْها عُقودُها
خَليلَيَّ شُدَّا بالعِمامةِ وآحْزِما * على كَبِدٍ قد بان صَدْعًا عَمودُها
خَليلَيَّ هَلْ لَيْلَى مُؤَدِّيَةٌ دَمِى * اذا قَتَلَتْنى أو أميرٌ يُقِيدُها
وكيفَ تُقادُ النفسُ بالنفسِ لم تَقُلْ * قَتَلْتُ ولم يشهد عليها شهودُها
ولَنْ يَلْبَثَ الواشُونَ أنْ يَصْدَعُوا العَصا * اذا لم يكن صُلْبًا على البَرْىِ عُودُها
نظرت اليها نظرة ما يَسُرُّنى * بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها
ولى نَظْرةٌ بعد الصدودِ من الهَوَى * كَنَظْرَةِ ثَكْلَى قد أُصِيب وَحِيدُها
فَحَتَّى مَتَى هذا الصدود الَى مَتَى * لقد شَفَّ نفسى هَجْرُها وصُدودُها
فلَوْ أنَّ ما أبْقَيْتِ مِنِّى مُعَلَّقٌ * بعُودِ ثُمامٍ ما تأوّد عُودُها

ومما آخترته ودفعته الى أبى بكر فقرأه علىّ :

يَلْقَى السُّيوفَ بوجهه وبنحره * ويُقِيمُ هامَتَه مقام المِغْفَر
ويقولُ للطَّرْف آصْطَبِرْ لشَبَا القَنَا * فعَقَرْتُ رُكْنَ المَجْدِ إنْ لم تُعْقَر
واذا تأمَّلَ شخصَ ضيفٍ مُقْبِلٍ * مُتَسَرْبِلٍ أثوابَ عَيْشٍ أغْبَر
أوْما الى الكَوْماء هذا طارِقٌ * نَحَرَتْنِيَ الأعداءُ إنْ لم تُنْحَرِى

وأنشدنا أبو عبد الله قال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى :

لقـد هَزِئَتْ مِنّى بِنَجْـرانَ أن رَأتْ * مَقَـامِىَ فى الكَبْلَيْنِ أُمُّ أبانِ

كأنْ لم تَرَى قبـلى أسـيرا مُقَيَّـدا * ولا رَجُـلًا يُرْمَى به الرَّجَوَانِ (١)

خَلِيلَىَّ ليس الرأىُ فى صَـدْرِ واحدٍ * أَشِـيرَا علىَّ اليـومَ ما تَرَيانِ

أ أَرْكَبُ صَـعْبَ الأمرِ إنّ ذَلُولَه * بِنَجْرانَ لا يُقْضَى لِحِينِ أوانِ

وحدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنى عمى عن أبيـه عن ابن الكلبىّ قال : مَرَّ مَنْسِرٌ من العرب بغلام يَرْعَى غُنَيْمة له وبينه وبين أهله شِعْبٌ أو نَقْبٌ ، فترك غَنَمَه وأسْنَدَ فى الجبل فأتى قومه فأنذرهم ؛ فقالوا له : ما رأيت ؟ قال : رأيت سبعة كالرماح ، على سبعة كالقِدَاح ؛ غائرة العيون ، لَوَاحِقِ البُطون ، مُلْس المُتون ؛ جَرْيُها ٱنْبِتار ، وتَقْرِيبُها ٱنْكِدار ، وإرْخاؤها ٱسْتِعَار ؛ وعَهْدِى بهم قد لاذوا بالضِّلَع ، وكأنّكم بغُبارهم قد سَـطَع ؛ فلم يَفْرُغ من كلامه حتى رأوا الغَـبَرَة فاستعدّوا ، وصادفهم القوم حاذرين فأدْبَروا عنهم .

قال أبو على : المَنْسِر : جماعة الخيل ، والمِنْسَر بكسر الميم : منقار الطائر ، لأنه يَنْسُر به ، أى يَنْتِف به ، وأحسب النَّسْر من هذا ، لأنه يَنْسُر اللحم ، أى ينتفه . قال الأصمعى : مِنْسَر فى الخيـل والمنقار بكسر الميم ، وتابعه على ذلك يعقوب ؛ وقال الأصمعى : إنمـا سمى مِنْسَرا لأنه يَنْسُر به كل ما مَرَّ به ، أى ينتفه ويأخذه . والشِّعْب أكبر من اللِّصْب ، وهو الشَّقُّ فى الجبـل . والنَّقْب : الطريق فى الجبل ، قال عمرو بن الأيْهَم التغلبىّ :

وتَراهنّ شُزَّبًا (٢) كالسَّـعَالِى (٣) * يَتَطَلَّعْن من ثُغورِ النِّقَاب

قال أبو على : الانْبِتَار : الشدّة فى العدو ، لأنه ٱنقطع عن التقريب والإرخاء . وٱنْكِدَار : ٱنْفِعال من قولهم : ٱنْكَدَر اذا أسرع بعض الإسراع . والتقريب تقريبان ، فالتقريب الأدنى أن يجمـع يديه ورجليه عند الحُضْر ، والتقريب الأعلى أن يجمع يديه مع رجليه ويَخْزَئِلّ مَتْنُه ، وهذا هو الإرخاء الأدنى ؛ فأما الارخاء الأعلى ، فهو أن يَدَعه وسَوْمَه من الحُضْر . والضِّلَع : الجُبَيل الصغير .

(١) يرمى به الرجوان : يستهان به ويطرح فى المهالك . (٢) خيل شزّب : ضوامر .

(٣) السعالى جمع سعلاة : الغول ، وكان العرب فى الجاهلية يعتقدون وجوده ، وقد أبطله الإسلام فى الحديث الشريف : «لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول» .

وأنشدنا ابو بكر بن الأنبارى رحمه الله :

ولستُ بصادرٍ عن بيت جارى * صُدورِ العَيْرِ غَمَّره الوُرود
ولستُ بسائلٍ جارات بيتى * أغُيَّابٌ رجالُكِ أم شهود
ولا أُلْقِى لذى الوَدَعاتِ سَوْطى * لأُلْهِيَه ورِيبَتَه أُريد

أى لا أصدر عن بيت جارى مثل العَيْر الذى قد تَغَمَّر، أى لم يَرْوَ وفيه حاجة الى العودة، يقول : فأنا لا آتى بيت جارى هكذا أريد الريبة . وذُو الوَدَعات : الصبىُّ، يقول : لا أُلْهِى الصبى بالسوط وأخلو أنا بأمّه . ومثله قول مسكين الدارمىّ :

لا آخُذُ الصبيانَ أَلْثِمُهُمْ * والأمْرُ قد يُعْزَى به الأمر

قال أبو على : وحدّثنى محمد بن السرى وآبن دَرَسْتَوَيْهِ والأخفش قالوا حدّثنا أبو العباس محمد آبن يزيد قال أخبرنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال : وقع بين أعمامى وأخوالى لِحَاء(١) فى أرض، فتراضَوْا عند حاكم لهم بشيخ منهم ورَضُوا بيمينه مع الشهادة، فكان اذا آستُحلِف بالمشى الى مكة حلف بالمشى الى جُدَّة ، واذا آستحلف بطلاق آمرأة حلف بطلاق أربع ، واذا آستحلف بعَتَاق عبد حلف بعَتَاق مائة، وكنت أحبّ أن يظهر أعمامى على أخوالى فظهروا عليهم، فقلت :

لا شىءَ يدفع حَقَّ خَصْمٍ شاغبٍ * إلا كَحَلْف عُبَيْدة بن سَمَيْذَع
يُمْضِى اليمينَ على اليمين لحاجة * عَضَّ الجَمُوح على اللجام المُقْدِع(٢)
واذا يُذَكَّر حِلْفَةً أصْغَى لها * واذا يُذَكَّر بالتُّقَى لم يسمع
سَهْل اليمين اذا أردت يمينه * بخدائع السُّفراء غير مُخَدَّع
يَهْتَزُّ حين تَمُرّ حُجَّة خصمه * خوفَ الهَضِيمة كاهتزاز الأشْجَع
يَغْشَى مضرَّتَه لنفع صديقه * ما خَيْرُ ذى حَسَبٍ اذا لم ينفع

وقرئ على أبى بكر بن دريد — وأنا أسمع — لرجل ذكر دارا ووصف ما فيها فقال :

إلّا رَوَاكِدَ بينهنّ خَصَاصةٌ * سُفْعَ المَناكِبِ كُلُّهنّ قد آصْطَلى
ومُجَوَّفات قد علا أجوازَها * أسْآرُ جُرْدٍ مُتْرَصات كالنَّوَى

(١) لحاء : نزاع . (٢) المقدع اسم فاعل من أقدع فرسه باللجام : كبحه .

رواكد : ثوابت، يعنى أثافىّ . والخَصاصة : الفُرْجة . والسُّفعة : سواد تعلوه حمرة . ومُجَوَّفات يعنى نعاما، والتجويف : أن يبلغ البياض البطن . وقوله : علا أجوازها، أى علا التجويفُ أوساطها. وأسآر : بقايا، الواحد سُؤْر . وجُرْد : خَيْل قِصَار شعر الأبدان، واحدتها جَرْداء، وذلك من عِتْقها، يقول : قد طَردت الخيلُ هـذه النعامَ فقتلت بعضها وبقى بعض، فهذه البقايا بقايا هذه الخيــل . ومُتْرَصات : مُحْكَمات . كالنَّوَى، أى صِلاب، ويجوز أن يكون فى ضُمْرِهنَّ .

وحدّثنا أبو عبد الله نِفْطَوَيْه قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال أخبرنا الزبير قال أخبرنا عبد الملك قال : قال لى أبو السائب : يابن أخى، أنشدنى للأحوص، فأنشدته قوله :

قالت ــ وقُلْتُ تَحَرَّجى وصِلى * حَبْلَ امرئ بوصالكم صَبِّ ــ
صاحِبْ اذًا بَعْلِى فقلت لهـا * الغَــدْرُ شىء ليس من ضَرْبى
ثِنْتَـانِ لا أدنو لوصـــلهما * عِرْسُ الخليــل وَجارَةُ الجَنْب
أمّا الخَليــلُ فلست فاجعَــه * والجـارُ أوصـــانى به ربّى
عُوجَا كذا نَذْكُرْ لغانيـــةٍ * بعضَ الحديث مَطِيَّكم صَحْبِى
ونَقُــلْ لهـا فِيمَ الصُّــدودُ ولم * نُذْنِبْ بَلَ انْتِ بَدَأْتِ بالذَّنْب
إنْ تُقْبِلى نُقْبِــل ونُنْزِلكم * منـا بدار الــوُدِّ والرُّحْب
أو تُدْبِرى تَكْــدُرْ معيشتُنا * وتُصَــدِّعى مُتَلائمَ الشَّــعْب

فقال لى : يابن أخى، هذا المحبّ عينا لا الذى يقول :

وكنتُ اذا حبيبٌ رام صَرْمِى * وَجَدْتُ وَرَاىَ مُنْفَسحا عَرِيضا

اذهبْ، فلا صَحِبَك الله ولا وَسَّع عليك .

[مطلب دخول كثير عزة على عبد الملك بن مروان وحديثه معه و إنشاده الشعر بين يديه]

قال أبو على إسمعيل بن القاسم البغدادى : وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا السكن بن سعيد قال أخبرنا على بن نصر الجهضمى قال : دخل كُثَيِّر على عبــد الملك بن مروان رحمه الله، فقال عبــد الملك بن مروان : أأنت كثير عَزَّة؟ قال : نعم؛ قال : أنْ تَسْمَعَ بالمُعَيْدِىّ خير من أن تراه؛ فقــال : يا أمير المؤمنين، كلٌّ عند محلّه رَحْب الفِناء، شامخُ البناء، عالى السَّناء؛ ثم أنشأ يقول(١) :

(١) فى ديوان الحماسة : أن هذه الأبيات للعباس بن مرداس .

تَرَى الرجلَ النَّحِيف فتَزْدَرِيه * وفى أثوابه أسَدٌ هَصُور
ويُعْجِبُك الطَّرِيرُ اذا تراه * فَيُخلِف ظَنَّك الرجلُ الطرير
بُغَاثُ الطَّيْرِ أطْوَلها رقابا * ولم تَطُلِ البُزَاة ولا الصُّقور
خَشَاشُ الطير أكثرها فِراخا * وأُمُّ الصَّقْر مِقْلاتٌ(١) نَزُور
ضِعاف الأُسْد أكثرها زئيرا * وأصْرَمُها اللَّواتى لا تَزِير
وقد عَظُم البعير بغير لُبٍّ * فلم يَسْتَغْن بالعِظَم البعير
يُنَوَّخ ثم يُضْرَب بالهَرَاوَى * فلا عُرْفٌ لديه ولا نكير
يُقَوِّده الصبىُّ بكل أرض * ويَنْحَرُه على التُّرب الصغير
فما عِظَمُ الرجال لهم بِزَيْنٍ * ولكن زَيْنُهم كَرَمٌ وخير

فقال عبد الملك : لله درُّه ، ما أفصحَ لسانه ، وأضبط جَنانه ، وأطول عِنانه ! والله إنى لأظنه كما وصف نفسَه .

[مطلب قصيدة عبد الله بن سبرة وكانت يده قطعت فى غزوة الروم]

وأنشدنا أبو عبد الله نِفطويه وأبو الحسن الأخفش وأبو بكر بن دريد — والألفاظ مختلطة — لعبد الله بن سَبْرة الحرشى(٢)، وكانت قُطعت يدُه فى بعض غزواته الروم، فقال يَرْثيها :

وَيْلُ آمِّ جارٍ غداةَ الرَّوعِ فارَقَنى * أهْوِنْ علىّ به إذ بان فانقطعا
يُمْنَى يدىَّ غدت منى مفارِقة * لم أستطع يوم فلطاس لها تَبَعا
وما ضَنِنْتُ عليها أن أصاحبها * لقد حَرَصْتُ على أن نستريح معا
وقائلٍ غاب عن شأنى وقائلةٍ * هلا ٱجتنبت عدوّ الله إذ صُرِعا
وكيف أركبه يسعى بمُنْصُله * نحوى وأعجز عنه بعد ما وَقَعا
ما كان ذلك يومَ الرَّوْع من خُلُقى * ولو تقارَبَ منى الموتُ فاكْتَنَعا(٣)
وَيْلُ آمِّه فارسا أجْلَتْ عشيرته * حامى وقد ضَيَّعوا الأحساب فٱرْتَجعا
يَمْشِى الى مُسْتَميت مثلِه بَطَلٍ * حتى اذا أمكنا سَيْفَيْهما ٱمْتَصَعا(٤)

(١) مقلات : لا يكثر فرخها . (٢) الحرشى بالحاء المهملة منسوب الى حرش موضع باليمن كما فى شرح الحماسة وكتاب المعارف لابن قتيبة وفى الطبعة الأولى : الجرشى بالجيم المعجمة وهو تحريف . (٣) اكتنعا : دنا . (٤) امتصعا : بعدا .

كلّ يَنُوء بمـاضى الحدّ ذى شُطَبٍ(١) * جلّى الصياقِلُ عن ذَرِّيّهِ(٢) الطَّبعا(٣)
حاسيتُه(٤) الموتَ حتى اشْتفّ آخرَه * فما استكان لمـا لاقى ولا جَزِعا
كأنّ لِمَّتَه هُـدّابُ(٥) مُخْمَـلة(٦) * أَحَمُّ أزرق لم يُشْمِط وقد صَـلِعا
فإن يكن أَطْرَبُونُ(٧) الرُّوم قطّعها * فقد تركتُ بهـا أوصاله قِطَعا
وإن يكن أطربون الروم قطّعها * فإنّ فيهـا بحمـد الله مُنْتفَعا
بَنَانتَين وجُـذْمورا أُقيمُ بهـا * صـدْرَ القَناة اذا ما آنَسُوا فزعا

قال أبو علىّ : الجُذْمُور : الأصل، ويقال : أخذت الشيء بجَذاميره . وأنشدنا إبراهيم قال أنشدنا أحمد بن يحيي قال : أنشدنا الزبير لجرير الدّيلىّ :

كأنّمـا خُلِقتْ كفّاه من حَجَرٍ * فليس بين يديه والنّدَى عَمَلُ
يَرَى التّيمّم فى برٍّ وفى بَحْـر * مخافةً أن يُرَى فى كفّـه بلل

[مطلب ماوقع فى مجلس أبي عمرو بن العلاء بين شبيل بن عروة و يونس والفرق بين ألفاظ خمسة من الروبة]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن يونس قال : كنت عند أبى عمرو بن العلاء فجاءه شُبَيْل بن عروة الضبعيّ، فقام اليه أبو عمرو فألقى اليه لُبْدَة بغلته، فجلس عليها ثم أقبل عليه يحدّثه فقال شبيل : يا أبا عمرو، سألت رُؤْبتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه، قال يونس : فلما ذكر رُؤْبَة لم أملك نفسى، فزحفت اليه فقلت : لعلك تظنّ أن مَعَدَّ بن عدنان أفصح من رؤبة وأبيه، فأنا غلام رؤبة، فما الرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة والرُّؤْبة؟ فلم يُحِرْ جوابًا وقام مُغْضَبا، فأقبل علىّ أبو عمرو بن العلاء وقال : هذا رجل شريف يقصد مجالسنا و يقضى حقوقنا وقد أسأتَ فيما واجهته به، فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة، ثم فسّر لنا يونس فقال : الرُّوبة :

(١) الشطب طرائق السيف فى متنه . (٢) ذرّيّ السيف : تلألؤه وإشراقه . (٣) الطبعا : الوسخ الشديد من الصدأ . (٤) حاسيته : ساقيته . (٥) الهداب : الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب من عرضيه . (٦) المخملة : نسيج له خمل، أى وبر . (٧) كذا فى الطبعة الأولى وعيون الأخبار المطبوع بدار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٩٣ المجلد الأوّل، وورد فى الكامل لابن الأثير وفى تاريخ الطبرى فى الكلام على فتح بيت المقدس « أرطبون » وجاء فى شرح القاموس نقلا عن شرح الأمالى : أطرابون : البطريق، وقال ابن سيده : هو الرئيس من الروم .

خَمِيرة اللَّبن . والرُّوبة : قطْعة من الليل. وفلان لا يقوم بِرُوبة أهله ، أى بما أسندوا اليه من أموالهم ومن حوائجهم . والرُّوبة : جِمَام ماء الفحل . والرُّؤبة مهموزة : القِطْعة تُدْخِلها فى الإناء تَشْعَب بها الإناء .

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله تعالى عن أبى حاتم عن الأصمعىّ وأبى عبيدة للأُحَيْمر أحد لصوص بنى سعد :

وقالت أَرَى رَبْعَ القَوَام وشَاقها * طويلُ القَنَاةِ بالضَّحَاءِ نَؤُوم
فإن أكُ قَصْدًا(١) فى الرجال فإننى * إذا حَلَّ أمرٌ ساحَتِى لَجَسِيم

وزادنى أبو عبيدة بعد هذين البيتين :

تُعَيِّرنى الإعدامَ والبَدْوُ مُعْرِضٌ * وسَيْفِى بأموال التِّجار زَعِيم

قال : ثم تاب فقال :

أشْكُو الى الله صَبْرِى عن زَوَامِلِهم(٢) * وما أُلاقِى إذا مَرُّوا من الحَزَن
قل لِلُّصُوص بَنِى اللَّخْناء يَحْتَسِبُوا * بَزَّ(٣) العِراق ويَنْسَوْا طُرْفَةَ اليَمَن
فَرُبَّ ثَوْبٍ كريمٍ كُنْتُ آخذه * من القِطَار بلا نَقْد ولا ثَمَن

وأنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم عن الأصمعىّ وأنشدنى أيضا الأخفش قال : أنشدنا بعض أصحابنا هذه الأبيات :

حَلَلْنا آمِنِين بِخَيْرِ عيشٍ * ولم يَشْعُرْ بنا واشٍ يَكِيدُ
ولم نَشْعُرْ بِجِدِّ البيْنِ حتى * أجَدَّ البَيْنَ سَيَّار عَنُود
وحَتَّى قيل قَوَّض آل بِشْرٍ * وجاءهُمُ بِبَيْنِهِمُ البَرِيد
وأَبْرَزَت الهوادجُ ناعماتٍ * عَلَيهِنَّ المَجَاسِد(٤) والعُقُود
فَلَمَّا وَدَّعونا وٱسْتَقَلَّت * بهم قُلُصٌ هَوَادِيهِنَّ قُودُ
كَتَمْتُ عواذلى ما فى فؤادى * وقلت لَهُنَّ لَيْتَهم بعيد

(١) رجل قصد : أى ليس بالجسيم ولا بالنحيف . (٢) قال فى اللسان : يجوز أن يكون جمع زاملة ، وفسرها بقوله : وهى البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع . (٣) البز : الثياب ، وورد فى اللسان فى مادة طرف بلفظ : « بُرّ » . (٤) المجاسد : جمع المجسد بضم الميم ، وهو القميص المصبوغ المشبع بالجَسَد أو الجِسَاد وهو الزعفران .

فجالت عَبْرةٌ أشفقْتُ منها * تسيل كأنَّ وابِلَها فَريد
فقالوا قد جَزِعْتَ فقلتُ كلّا * وهل يَبْكِي من الطَّرَب الجَليد
ولكنّي أصابَ سوادَ عيْني * عُوَيْدُ قذًى له طَرَف حَديد
فقالوا ما لدَمْعِهما سَواءً * أكِلْتَا مُقْلَتَيْك أصاب عُود
لَقبْلَ دموعِ عَيْنِك خَبَّرتْنا * بما جَمْجَمْتَ(١) زَفْرَتُك الصَّعود
فقم وٱنظُرْ يَزِدْك مِطالَ شَوْقٍ * هنالك مَنْظَرٌ منهم بعيد

[مطلب حديث الجاحظ وهو مفلوج وقصيدة عوف بن محلم الخزاعى التى منها (إن الثمانين) البيت]

وحدّثنا أبو معاذ عبدان الخولى المُتَطَبِّب قال : دَخَلْنا يوما بِسُرَّ مَنْ رَأى على عمرو بن بَحْر الجاحظ نعوده وقد فُلِج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فيه فقال : وما يصنع أمير المؤمنين بِشِقٍّ مائل، ولُعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقال : ما تقولون فى رجل له شقّان : أحدهما لو غُرِز بالمَسالّ ما أحسّ، والشق الآخر يَمُرُّ به الذباب فيَغُوث، وأكثرُ ما أشكوه الثمانون ؟ ثم أنشدنا أبياتا من قصيدة عوف بن مُحَلِّم الخُزاعى . قال أبو معاذ : وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر، فسَلَّم عليه عبد الله فلم يسمع، فأعلم بذلك، فزعموا أنه ٱرتجل هذه القصيدة ٱرتجالا، فأنشده :

يا بْنَ الذى دان له المشرقان * طُرًّا وقد دان له المَغْرِبان
إنّ الثمانين وبُلِّغْتَها * قد أحْوَجَتْ سَمْعِي الى تَرْجُمان
وبدّلَتْنِي بالشِّطاط(٢) ٱنْحِنا * وكنتُ كالصَّعْدَة(٣) تحتَ السِّنان
وبدّلَتْني من زَماع(٤) الفتَى * وهِمَّتِي هَمَّ الجَبان الهِدان(٥)
وقارَبَتْ مِنِّي خُطًا لم تكن * مُقارَباتٍ وثَنَتْ مِنْ عِنان
وأنشأت بيني وبين الورى * عَنانةً من غيرِ نَسْج العَنان(٦)

(١) جمجم الكلام : لم يبيّنه . (٢) الشطاط : حسن القوام والاعتدال . (٣) الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف . (٤) الزماع : المضاء فى الأمر والعزم عليه . (٥) الهدان : الأحمق الجافى الوخم الثقيل فى الحرب . (٦) العنان بفتح العين : السحاب، وإخدته عنانة، يشير بهذا الى ضعف بصره وأنه لا يرى الورى إلا من وراء سحابة .

ولم تَـدَعْ فِىَّ لِمُسْتَمتِـع * إلّا لِسَـانِى وبحَسْبِى لِسان
أدعـو به اللهَ وأُثْـنِى به * على الأمير المُصْـعَبِىِّ الهِجَان (١)
فَقَـرِّبانى بِأبِى أنْتُمـا * مِنْ وَطَنِى قبلَ ٱصْفرارِ البَنان
وقَبْـلَ مَنْعَاىَ الى نِسْـوة * أوطانُهـا حَرَّانُ والرَّقّتان

وقرأنا على أبى بكر بن دريد رحمه الله لذى الرمة :

رَمَى الْإدْلاجُ أيْسَرَ مَرْفِقَيْهـا * بِأشْعَثَ مثـل أشْـلاء اللِّجَام

يقول : أَدْلَجَ فأعْيا ، فاذا نام توسَّد يُسْرَى ذراعىْ ناقتِه ، فيعنى أن الإدلاج هو الذى فَعَلَ بها ذلك . وأشلاء اللِّجام : بقاياه من حديده وسيوره ، ويعنى بالأشعث : نَفْسه .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبـد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يَصف خيلا فقال : سِبَاط الخَصائل ، ظِمَاء المَفَاصل ، شِدَاد الأبَاجِل ، قُبُّ الأياطل ، كِرَام النَّوَاجل .

قال أبو على : الخَصائل ، واحدتها خَصِيلة ، وهى كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتمعة ، وقال أبو عبيدة : الخَصَائل : ما ٱنْمَاز من لحم الفَخِذ بَعْضُه من بعض . وظِماء : ضُمَّر . والأبَاجِل جمع أبْجَل ، وهو من الفَرَس بمنزلة الأكْحَل من الإنسان ، يريد أنها شِدَاد القوائم . قُبٌّ : ضُمَّر . والأيَاطل جمع أيْطَل ، والأيْطَل والإطْل والصُّقْل والقُرْب والكَشْح واحد . والنَّوَاجِل جمع ناجلة . وهى التى نَجَلَتْه ، أى وَلَدَتْه .

وحدّثنا أبو بكر رحمـه الله قال حدّثنا عبـد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يَصف إبلا فقال : إنها لَعِظَام الحَنَاجِر ، سِـبَاط المَشَافِر ، كُومٌ بَهَازِر ، نُكْدٌ خَنَاجِر ، أجوافُها رِغَاب ، وأعْطانها رِحَاب ، تُمْنَع من البُهَم ، وتُبْذَل للجُمَم .

قال أبو على : الحَنَاجر ، واحدها حُنْجُور وهو الحُلْقوم . والكُوم جمع أكْوَم وكَوْماء ، وهى العِظَام الأسْنِمة . والبَهَازِر : العِظَام ، واحدها بُهْزُرة . والنُّكْد : الغزِيرة اللَّبَن فى هذا الموضع ، والنُّكْد أيضا : التى لا يبقى لها ولد . وقال الأصْمَعى : الصَّفِىُّ والخُنْجُور واللُّهْمُوم والزُّهْشُوش ، كل هذه : الغزيرة اللبن .

(١) الهجان : الكريم .

والرِّغَاب : الواسعة . وأعطانُها : مَبَارِكُها عند المـاء . والبُهَم جمع بُهْمة ، وهو الشُّجَاع الذى لا يُدْرَى من أين يؤتَى : من شدّة بأسه . والجُمَم ، واحدها جُمَّة ، وهم القوم يَسْألون فى الدِّيات ، وأنشدنا أبو بكر:

وجُمَّـةٍ تَسْألُنى أعْطَيْتُ * وسائلٍ عن خَبَرٍ لَوَيْتُ

* وقُلْتُ لا أدْرِى وقد دَرَيْتُ *

وأنشدنى أبو بكر قال : أنشدنى الرياشى :

لَوْ قد تَرَكْتُك لم تُنِخْ بك جُمَّةٌ * تَرْجُو العَطَاءَ ولم يَزُرْكَ خَليلُ

[مطلب شرح ما جاء من الغريب فى وصف الأعرابى لبنيه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قلت لأعرابىّ بِحِمَى الرَّبَذة : أَلَكَ بَنُون ؟ قال : نعم ، وخالِقِهم لم تَقُمْ عن مثلهم مُنْجِبة ، فقلت : صِفْهم لى ، فقال : جَهْمٌ وما جَهْم ! يُنْضِى الوَهْم ، ويَصُدُّ الدَّهْم ، ويَفْرِى الصُّفُوف ، ويَعُلُّ السُّيُوف ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : غَشَمْشَم وما غَشَمْشَم ! مالُه مُقسَّم ، وقِرْنُه مُجَرْجَم ، جِذْلُ حِكَاك ، ومِدْرَهُ لِكَاك ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : عَشَرَّب وما عَشَرَّب ! لَيْثٌ مُحرَّب ، وسِمَـامٌ مُقَشَّب ، ذِكْرُه باهر ، وخَصْمُه عاثر ، وفِنَاؤُه رُحَاب ، ودَاعيه مُجَاب ، قلت : فَصِفْ لى نفسك ، فقال : لَيْثٌ أبو رَيَابِل ، رَكَّاب مَعَاضِل ، عَسَّاف مَجَاهل ، حَمَّال أعْباء ، نَهَّاض ببَزْلاء .

قوله : يُنْضِى : يُهْزِل ، والنِّضْو : المَهْزُول . والوَهْم : الضَّخْم العظيم من الإبل ، قال ذو الرمة :

كأنّها جَمَـلٌ وَهْمٌ وما بَقِيَتْ * إلا النَّحِيزَةُ(١) والألْواحُ(٢) والعَصَبُ

ويَصُـدُّ : يَكُفُّ . والدَّهْم : العـدد الكثير . ويَفْرِى : يَشُقُّ ، يقال : فَرَيْتُ الشىءَ اذا شَقَقْته للإصلاح ، وأفْرَيْته اذا قطعته للإفساد . ويَعُلُّ : يُورِدها الدماء ثانية ، مأخوذ من العَلَل فى الشرب . والمُجَرْجَم : المصروع . والجِذْل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجُرْبَ تَحْتَكُّ به فتجد له لذة ، وإنمـا قال : جِذْلُ حِكَاك ، أى إنه ممن يُسْتَشْفَى به فى الأمور بمنزلة ذاك الجِذْل الذى يستشفى به الإبل . والمِدْرَه : لسانُ القوم والمتكلمُ عنهم والدافع عنهم ، يقال : دَرَهْتُه عنِّى ودَرَأْته عنى : دَفَعْته

(١) النحيزة : الطبيعة ، يقـال : هو كريم النحيزة .

(٢) الألواح : العظام ، وكل عظم عريض فهو لوح .

والتُّدْرَأُ مثـل المِدْرَه . واللِّكَاك : الزِّحام ؛ يقال : ٱلْتَكَّ القوم على المـاء اذا ٱزْدَحَمُوا . والمُحَرَّب : المُغْضَب الذى قد ٱشتدَّ غَضَبه وٱحْتَدَّ، وحَرَّبْت السِّكِّين اذا أحْددته . ومُقَشَّب : مخلوط . وباهِرٌ : غالب . ورَيَابِل جمع رِيبال، وهو الأسد .

قال أبو على : روينا : الرَّيَابل فى هذا الخبر غير مهموز، وروينـا فى الغريب المصنَّف : الرَّيابل واحدها رِيبال يهمز ولا يُهْمز . والمَعَاضِل : الدَّواهى . والعَسَّاف : الذى يركب الطريق على غير هداية . والأعباء : الأثقال، واحدها عِبْءٌ . والبَزْلاء : الرَّأْى الجَيِّد الذى يَبْزُل عن الصواب، أى الذى يَشُقّ عنه، قال الراعى :

مِنْ رَأْيِ ذى بَدَواتٍ(١) لاتَزَالُ له * بَزْلاءُ يَعْيا بهـا الجَثَّامةُ(٢) اللُّبَـدُ(٣)

وحدّثنا أبو عبدالله نفطويه قال حدّثنا أبو العباس أحمـد بن يحيى النحوى قال : قَـدِم علينا أعرابىّ فسمع غناء حمائم بستان إبراهيم بن المهدى، فٱشتاق الى وطنه فقال :

أَشَاقَتْـك البَـوارقُ والجَنُوب * ومِنْ عَلْوَى الرِّياح لها هُبوب
أَتَتْـك بنَفْحة من شيح نَجْـد * تَضَـوَّعُ والعَرَارُ بهـا مَشُوب
وشِمتَ البارقات فقلت جِيدَت * حبال البِشْر(٤) أو مُطِـرَ القَليب
ومن بســتانِ إبراهـيم غَنَّتْ * حَمـائمُ بينها فَنَنٌ رَطِيب
فقلتُ لهـا وُقِيتِ سهامَ رامٍ * ورُقْطَ(٥) الريش مَطْعَمُها الجَنُوب
كما هَيَّجْت ذا حَزَنٍ غريبـًا * على أشجـانه فَبَـكَى الغريب

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنى عمى عن أبيه عن ٱبن الكلبى لجُحَيَّة بن المُضَرَّب يمدح يَعْفُر ٱبن زُرْعة أحد الأُمْلُوك(٦)، أُمْلوك رَدْمان(٧) :

اذا كنتَ سأّآلًا عن المَجْدِ والعُلَا * وأيْنَ العَطَاءُ الجَزْل والنائل الغَمْر
فَنَقِّبْ عن الأُمْلُوك وٱهْتِفْ بيعْفُرٍ(٨) * وعِشْ جارَ ظِلٍ لا يغالبه الدهر

(١) يقال للرجل الحازم : ذو بدوات ، أى ذو آراء تظهر له فيختار بعضها و يسقط بعضها . كذا فى اللسان .
(٢) الجثامة : البليد . (٣) اللبد من الرجال : الذى لا يسافر ولا يبرح منزله ولا يطلب معاشا ، كذا فى اللسان ، وقال : ويروى : اللبد بالكسر وهى أجود عنـد أبى عبيد . (٤) البشر : اسم جبل فى أطراف نجد وفى الأصل بالنون وهو تحريف . (٥) رقط الريش : يشير بها الى الأقواس . (٦) الأملوك : اسم جمع بمعنى الملوك، وهم مقاول حمير، أى ملوكها . (٧) ردمان : اسم قبيلة من العرب باليمن . (٨) يعفر : اسم ملك من ملوك اليمن .

أولئك قوم شَـيَّدَ اللهُ فَخْرَهم * فما فوقه فَخْرٌ وإنْ عَظُم الفخر
أناسٌ اذا ما الدهر أظْلَمَ وَجْهُه * فأيديهـُم بيضٌ وأوجُهُهم زُهْر
يَصُونون أحسابا ومَجْـدا مُؤَثَّلا * ببذل أكُفٍّ دونها المُزْن والبَحْر
سَمَوْا فى المعالى رُتْبَـةً فوق رُتْبـةٍ * أحَلَّتْهُـم حيثُ النعائم والنَّسْر
أضاءت لهم أحسابهم فتَضَاءَلَتْ * لنورهم الشمسُ المنيرة والبـدر
فلو لامَسَ الصَّخْرُ الأصَمُّ أكُفَّهم * لفاضتْ[1] يَنَابيع النَّدَى ذلك الصَّخْر
ولو كان فى الأرض البسيطة منهمُ * لمُخْتبِط عاف لما عُرِف الفَقْـر
شـكرت لكم آلاءكم وبلاءكم * وما ضاع معروف يكافئه شـكر

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى أو قرأ — الشك من أبى على — على باب داره، ثم أنشدناه فى المسجد الجامع يقرؤه على عبد الله بن المُعْتَزّ قال : أنشدنى بعض أصحابنا عن النضر بن جرير عن الأصمعىّ :

سَقَى دِمْنَتَيْن ليس لى بهما عَهْـدُ * بحيث الْتَقَى الداراتُ والجَرَعُ الكُبْدُ[2]
فيَارَبْوَةَ الرَّبْعَيْنِ حُيِّيت رَبْوَةً * على النَّأْى منَّا واسْتَهَلَّ بك الرعد
قَضَيْتُ الغَوَانِى غير أنّ مَوَدَّةً * لذَلْفاء ما قَضَّيْت آخرها بَعْـدُ
اذا وَرَدَ المِسْواكُ ظَمْآنَ بالضُّحَى * عَوَارِضَ منها ظَلَّ يَخْصره الـبَرْد
وألْيَن من مَسِّ الرِّخامات يَلْتَقِى * بمارنه الجـادِىُّ[3] والعَنْـبَرُ الوَرْد
فرَى نائبـاتُ الدهر بَيْنِى وبينهـا * وصَرْفُ الليالى مثلَ ما فُرِىَ البُرْد
فإن تَدْعى نَجْـدًا نَدَعْهُ ومَنْ به * وإن تَسْكُنى نَجْـدًا فياحَبَّـذا نَجْـد
وإن كان يومُ الوَعْد أدنى لقائنـا * فلا تَعْـذُلينى أن أقول مَتَى الوعد

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال : أنشدنا أحمد بن يحيى لأبى الهندى وهو من بنى رِيَاح :

قُلْ للسَّرِىّ أبى قيس أتَهْـجُرنا * ودارُنا أصبحتْ من داركم صَـدَدا

---

(١) ورد فى الطبعة الاولى : لفاضت، ونبه مصححها بقوله : هكذا فى الأصـل بتاء التأنيث وحرر، وقد وجدنا فى بعض النسخ المخطوطة : لفاض، ولعله : أفاض ليستقيم المعنى . (٢) الدارات والجرع : أسماء مواضع . والكبد جمع كبداء وهى الرملة العظيمة الوسط . (٣) الجاديّ بالتشديد : الزعفران نسبة الى جاديَة وهي قرية بالشام ينبت بها الزعفران .

أبا الوَليـد أمَا والله لو عَملَتْ * فيك الشَّمُولُ لما فارقتها أبدا
ولا نَسيتَ حُمَيَّاها ولَذَّتَها * ولا عَدَلْتَ بها مالا ولا وَلَدا

وحدّثنى جَحْظة قال حدّثنى حماد بن إسحاق الموصلى قال حدّثنى أبى قال : كتبتْ الىَّ زَهْراء الأعرابية — وقد غابت عنى — كتابا فيه :

وَجْدى بجُمْلٍ(١) على أنّى أُجَمْجِمُه * وَجْدُ السقيم بُرْءِ بعد إدْناف(٢)
أو وَجْدُ ثَكْلَى أصاب الموتُ واحدَها * أو وَجْدُ مُنْشَعِبٍ(٣) من بين أُلّاف

فكتبتُ اليها :

أمَا أوَيْت لمن قد بات مُكْتَئِبا * يُذْرِى مَدامِعَه سَحًّا وتَوكافا(٤)
إقْرَ السلامَ على الزَّهْراء اذ شَحَطَتْ * وقُلْ لها قد أذَقْت القلبَ ما خافا
فما وَجَدْتُ على إلْفٍ أفارِقُه * وَجْدى عَلَيْكِ(٥) وقد فارَقْتُ أُلّافا

وأنشدنا الأخفش :

أقول لِصاحِبَىَّ بأرض نَجْد * وجَدَّ مَسيرُنا ودنا الطُّرُوق
أرَى قَلْبِى سينقطع آشتياقا * وأحْزانا وما آنْقَطَعَ الطريق

وأنشدنا جحظة عن حَمَّاد عن أبيه :

طَرِبْتَ الى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغار * وهاجَكَ منهم قُرْبُ المَزار
وأبْرَحُ ما يكون الشوقُ يوما * اذا دَنَت الديارُ من الديار

وقرأت على أبى بكر لطفيل الغَنَوىّ :

أُناس اذا ما أنْكَرَ الكَلْبُ أهْلَه * حَمَوْا جارَهم من كلِّ شَنْعاء مُضْلِع

قال : ويُرْوَى : مُفْظِع . قوله : أنكر الكلب أهله ، أى اذا لبسوا السلاح وتَقَنَّعوا لم يَعرف الكلبُ أهله . وحدّثنى بعض شيوخنا أن آبن حبيب قال : اذا ما غُزُوا فصار معهم أعداؤهم فى ديارهم فَتَواثَبوا

(١) جمل : اسم آمرأة . (٢) الإدناف : ثقل المرض . (٣) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا : مشتعب بالمثناة بعد الشين ، ولم نجد فيما بيدنا من كتب اللغة صيغة آفتعل من هذه المادة بل الموجود صيغة آنفعل ؛ وفى الأغانى ج ٥ ص ٨١ «مغترب» . (٤) توكافا ، من وكف الدمع : قطر وسال قليلا قليلا . (٥) فى الأصل : فقد ؛ وما أثبتناه هو رواية الأغانى .

أنكرهم الكلب اذ ذاك لتغيرهم عن حالهم . والشَّنْعاء : الداهية المشهورة . ومُضْلع : شديدة، يقال : أَضْلَعَنى الأمر اذا اشتدّ علىّ وغَلَبَنى . وقرأت على أبى عبد الله لذى الرمة :

اذا نُتِجَتْ منها المَهارَى(١) تَشَابَهَتْ * على العُوذ إلّا بالأُنُوف سَلَائلُه

العُوذُ : الحَديثات النتاج، واحدها عائذ، وإنما قيل لها عائذ لأن ولدها عاذَ بها، وكان القياس أن يكون هو عائذا بها ولكنه لما كانت مُتَعَطِّفة عليه قيل لها : عائذٌ، يقول: تَشَابَهَ عليها أولادُها إلا أن تَشُمَّها بأنوفها، وذلك أنها من نِجَارٍ واحد وفَحْلٍ واحد وقد تقاربت فى الوَضْع فهى تُشْبِه بعضها بعضا . والسلَائل : الأولاد، واحدها سَليل .

وحدّثنا أبو المَيَّاس الراوية قال حدّثنى أحمد بن عبيد عن بعض شيوخه قال : كانت وِيةٌ فى قريش تَوَلَّى أمرَها مَقَّاسٌ الفَقْعَسِىّ، فأجلس عُمارةَ الكلبىّ فوق هشام بن عبد الملك، فأحْفَظَه ذلك وآلَى على نفســه أنه متى أَفْضَت الخلافةُ اليه عاقبه ، فلما جلس فى الخلافة أَمَر أن يُؤْتَى به وتُقْلَع أضراســه وأظفار يديه فَفُعِل ذلك به، فأنشأ يقول :

عَـذَّبُونى بعــذابٍ * قَلَعُوا جَوْهَرَ راسى
ثُمَّ زادونى عــذابا * نَزَعُوا عَـنِّى طِساسى
بالمُـدَى حُزَّزَ لَحْمِى * وبأطـراف المَوَاسِى

قال أبو على : قال أبو العباس قال لى أبو المياس : الطِّساس : الأظفار، ولم أر أحدا من أصحابنا يعرفه، ثم أخبرنى رجل من أهل اليمن قال : يقال عندنا : طَسَّهُ اذا تناوله بأطراف أصابعه .

وأنشدنا أبو المياس وكان من أروى الناس للرجز وهو من أهل سُرَّ مَنْ رَأى لِدُكَيْن بن رجاء الراجز:

لم أرَ بُؤْسا مثلَ هذا العام * أَرْهنت فيــه للشَّقا خَيْتَـامى
وحَقِّ نَخْرِى وبَنِى أعمامِى * ما فى القُروفِ حَفْنَتَا خُتَـامِ

قال أبو على : أَرْهَنْت ورَهَنْت جميعا يقالان . قال : ويقال خاتَمٌ وخاتامٌ وخَيْتام وخاتِمٌ . وقال أبو المياس : القُرُوف : الجِراب وأحسبه غَلَطًا، إنما هو القُروف جمع قَرْف، وهو الجراب . والخُتَامُ البَقِيّةُ من كل شىء .

(١) المهارى، روى فى ديوانه المطبوع فى أوربا : المتالى، وفسرها باللواتى تتبعها أولادها .

[مطلب تفسير ما جاء من الغريب فى وصف الغلام لبيت أبيه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ٱبن الكلبى قال : خرج رجل من العرب فى الشهر الحرام طالبا حاجة ، فدخل فى الحِل فطلب رجلا يستجير به ، فدَفَع الى أُغَيْلمة يلعبون ، فقال لهم : مَنْ سَيِّد هذا الحِواء؟ فقال غلام منهم : أَبِيَهْ ، قال : ومن أبوك؟ قال : باعث بن عُوَيْص العاملى ، قال : صِفْ لى بيت أبيك من الحِوَاء ، قال : بيت كأنه حَرَّة سوداء ، أو غمامة حَمَّاء ، بفنائه ثلاثة أفراس ، أمّا أحَدُها : فَمُفْرِع الأكْتاف ، مُتَماحِل الأكفاف ، مائِلٌ كالطِّرَاف . وأما الآخر : فَذَيَّال جَوّال صَهَّال ، أمِينُ الأوصال ، أشَمُّ القَذَال . وأما الثالث : فَمُغار مُدْمَج ، مَحبوكٌ مُحَمْلَج ، كالقَهْقَر الأدْعَج . فمضى الرجل حتى ٱنتهى الى الخباء ففقد زمام ناقته ببعض أطنابه وقال : يا باعث ، جار عَلِقَتْ عَلاَئقُه ، وٱستحكمتْ وثائقُه ، فخرج اليه باعث فأجاره .

قال أبو على : المُفْرِع : المُشْرِف ، والفَرَعة والفَرْعة بفتح الراء وتسكينها : أعلى الجبل وجمعها فِرَاع ، يقال : ائْتِ فَرَعةً من فِرَاع الجبل فٱنزلها ، ومنه قيل : جَبَل فارع ، ونَقًى فارع اذا كان أطول مما يليه ، وبه سميت المرأة فارعة ؛ ويقال : ٱنزل بفارعة الوادى وٱحذر أسفله . وتِلاَعٌ فَوارِعُ ، أى مُشْرِفات المَسَايِل . وقال أبو نصر : يقال : فَرَع فلان قومَه اذا علاهم بشرف أو جمال أو غيره ؛ ولَقِيَه فَفَرَع رأسَه بالعصا يريد : علاه . وقال أبو زيد : يقال : تَفَرَّع فلان القومَ اذا رَكِبَهم وشتمهم . وقال غيره : تفَرّعت الشيءَ : علَوْته . وقال أبو نصر : فَرَعَ إذا علا ، وفَـرَّع وأَفْرَع إذا ٱنحـدر ، قال الشمّاخ :

فإن كَرِهْتَ هِجائى فاجْتَنِبْ سَخَطِى * لا يُدْرِكَنَّك إفْـرَاعى وتَصْـعِيدى

وأصابته دَبَرَةٌ على فُرُوع كتفيه يريد : على أعاليهما ؛ ويقـال : فَرَعْتُ بين القوم ، أى حَجَزْت ، وٱفْرَعْ بينهما ، أى ٱحْجُزْ ، وفَرَعْتُ فرسى أفْرَعُه ، أى قَدَعْته[(1)] ، قال الشاعر :

* نَفْرَعُه فَرْعاً ولسْنَا نَعتِلُه[(2)] *

وأفْرَعَت المرأةُ اذا حاضت ، ومنه قول الأعشى :

صَدَدْت عن الأعداء يَوْمَ عُبَاعِبٍ[(3)] * صُدُودَ المَذَاكِى[(4)] أفْرَعَتْها المَسَاحِل

(١) قدعته : كبحته . (٢) صدر هذا البيت * بمفرع الكتفين حُرّ عيطله * وقائله أبو النجم كما فى اللسان ج ١٠ ص ١٢١ (٣) عباعب : اسم موضع . (٤) المذاكى : الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، الواحد مُذَكٍّ مثل المخلف من الإبل كذا فى اللسان .

والمَسَاحِل : اللُّجُمُ، واحدها مِسْحَل، يعنى أن المَسَاحل أدْمَتْها كما أفْرَع الحيضُ المرأةَ بالدّم، وٱفْتَرَعْت المرأةَ: ٱقْتَضَضْتُها، والفَرَعُ: ذِبْحٌ كان فى الجاهلية، وهو أوّل النِّتاج، كان اذا نُتِجَت الناقةُ فى أوّل نتاجها ذُبِح، يتبرّكون به . قال أوس بن حجر :

وشُبِّهَ الهَيْدَبُ(١) العَبَامُ(٢) من الأقْوامِ سَـقْبًا مُجَلَّلًا(٣) فَرَعا *

قال أبو عمرو: الفَرَعُ : القِسْم أيضا . وقد أفْرَعَ القومُ أيضا اذا نُتِجَت إبلُهُم . وقال أبو نصر : يقال : بِئْس ما أفْرَعْتَ به ، أى بئس ما ٱبتدأت به ، والفَرْع من القِسِىّ : ما كان من طَرَف القَضِيب . والفَرَعة : القَمْلة العظيمة، ومنه قيل : حَسَّان ٱبن الفُرَيْعة . وقوله : مُتَمَاحِل الأكْتاف، المُتَمَاحِل: الطويل . والأكتاف : النَّواحى، يريد أنه طويل العُنُق والقوائم، وذلك مدح . والمـاثل: القائم المنتصب ، والمـاثل : اللاطئ بالأرض وهو من الأضـداد، ويقال : رأيت شخصا ثُمّ مَثَلَ، أى ذهب فلم أره، قال الهذلىّ(٤) :

يُقَرِّبه النَّهْضُ النَّجِيحُ(٥) لِمـا يَرى * فمنـهُ بُدُوٌّ مَرّةً ومُثُـولُ

بُدُوٌّ : ظهـور، ومُثُول : ذهاب . والطِّرَاف : بيت من أَدَم . والذَّيَّال : الطويل الذَّنَب ، قال النابغة الذبيانى :

وكُلّ مُدَجَّجٍ كاللَّيْثِ يَسْمُو * على أوْصـالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

والأوصال واحدها وُصْل(٦)، قال ذو الرمة :

اذا ٱبْنَ أبى مُوسَى بِلَالًا بَلَغْتِه * فَقَام بفأسٍ بَيْنَ وُصْلَيْك جازر

وأشَمّ : مرتفع، والشَّمَم : الارتفاع . والقَذَال : مَعْقِد العِذَار . والمُغَار : الشديد الفَتْل، يريد أنه شديد البدن، والعرب تقول : أغَرْتُ الحَبْل اذا شَدَدْت فَتْله، قال ٱمرؤ القيس :

فيَالَكَ مِنْ لَيْـلٍ كأنّ نُجومَه * بكُلّ مُغَارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ(٧)

(١) الهيدب من الرجال : الجافى الثقيل الكثير الشعر . (٢) العبام : العيّ الثقيل . (٣) مجللا : أراد مجللا جلد فرع فاختصر الكلام كقوله تعالى : واسأل القرية، أى أهـل القرية كذا فى اللسان . (٤) هو أبو خراش الهذلىّ كما فى اللسان ج ١٤ ص ١٣٦ . (٥) النجيح : السريع المجدّ . (٦) الوصل : كل عظم لا يكسر ولا يختلط بغيره . (٧) يذبل : اسم جبل بنجد فى طريقها .

[مطلب الكلام على مادة غ و ر]

وغارَ الرجلُ يَغُور غَوْرًا اذا أتى الغَوْر، وزاد اللحيانى : وأغار أيضا، وأنشد بيت الأعشى :

نَبِيٌّ يَرَى ما لا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ * أغارَ لعَمْرِى فى البلاد وأنجدا

فهذا على ما قال اللحيانى . وكان الكسائى يقول : هو من الإغارة، وهى السرعة، وكان الأصمعى يقول: أغار، ليس هو من الغَوْر إنمـا هو بمعنى عَدَا ، وقال اللحيانى : يقال للفرس : إنه لَمِغْوار، أى شديد العدو والجمع مَغَاوِيرُ، والتفسير الأوّل الوجه لأنه قال : وأنجدا، فإنما أراد أتى الغور وأتى نجدًا ، والغَوْرُ : تِهامَة . وغار المـاءُ يَغُور غَوْرًا، قال الله عزّ وجلّ : ﴿إنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أى غائرا، وزاد أبو نصر : غُئُورا، وغارَتْ عَيْنه تَغُور غُئُورا ، وغارَت الشمس تَغُور غُئُورا أيضا، والغَوْرُ : الآسم، يقول: سَقَطَتْ فى الغَوْر، يعنى : الشمس . وغارَ فلان على أهله يَغَار غَيْرة، ورجل غَيُور من قوم غُيُرٍ، وآمرأة غَيْرَى من نسوة غَيَارَى، وقال الأصمعى : فلان شديدُ الغارِ على أهله، أى شديد الغَيْرة، وزاد اللحيانى: والغَيْر . وقال أبو نصر : أغارَ فلان على بنى فلان يُغير إغارةً ، وقال اللحيانى : يقـال للرجل إنه لَمِغْوار، أى شـديد الإغارة والجمـع مَغَاوِير . وقال أبو نصر : يقـال : غارَهُمْ يَغِيرُهم اذا مارَهُم، والغِيارُ المصدر، قال الهذلىّ :

ما ذا يَغِيرُ ٱبْنَتَىْ رِبْعٍ عَوِيلُهما[1] * لا تَرْقُدانِ ولا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدا

وقال اللحيانى : غارَهم اللهُ بمطر يَغيرهم ويَغُورُهم والآسم الغِيَرَة، ويقال : هذه أرض مغِيرةٌ ومَغْيُورة . قال : والغَيْر : التَّغيير، يقال : مع الغَيْرِ الغِيَار، ولا يقال منـه فَعَلْتُ بالتخفيف، إنمـا يقال : غَيَّرْت عليه بالتثقيل، قال : وأنشدنا أبو شبل :

أقولُ بالسَّبْت فُوَيْقَ الدَّيْر * إذْ أنا مَغْلُوبٌ قليـلُ الغَيْر

أراد : التَّغيير . والغَارَان : الجَيْشان، يقال : لَقِيَ غارٌ غارًا . وقال أبو عبيدة : الغارُ : الجمع الكثير من النـاس ، قال : ويروى عن الأحْنَف أنه قال فى آنصراف الزبير[2] : وما أَصْنَعُ به إن كان جمع بين غارَيْن من الناس ثم تَرَكهم وذَهَب ! .

(١) قائله عبد مناف بن ربعى الهذلىّ ، يريد أنه لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئا (أنظر اللسان مادة غير) .

(٢) أى فى وقعة الجمل كما فى اللسان اهـ .

قال أبو على : فقول الأحنف : من الناس، يدل على أن الغار يكون الجَمْعَ من غير الناس . وقال أبو النصر : الغارَان : البَطْن والفَرْج ، يقال : المرء يَسْعَى لِغَارَيْه ، أى لبطنه وفرجه ، وقال أبو عبيدة : يقال لِفَم الإنسان وفَرْجه : الغاران . وقال أبو نصر : الغارُ كالكَهْف فى الجَبَل ، ويقال : «عَسَى الغُوَيْرُ أبْؤُسا»(١) وهو تصغير غار ، يريد : عَسَى أن يكون جاء البَأْسُ من الغار، وقال اللحيانى : يقال : غُرْتُ فى الغَار والغَوْر أغُور غَوْرًا وغُئُورا ، وأغَرْت أيضا فيهما جميعا .

قال أبو على : قوله ، غُئُورًا : نادر شاذ . والغَارُ : شجرة طيبة الريح ، قال عدىّ بن زيد :

رُبَّ نارٍ بِتُّ أرْمُقُها * تَقْضِمُ الهِنْدِىَّ والغارا

وقال الأصمعى : يقال : غار النهار اذا اشتد حَرُّه ، وغَوَّر القومُ تَغْويرا اذا قالُوا ، من القائلة ، والغائرة : القائلة ، وقال اللحيانى : غَوَّرَ الماءُ تَغْوِيرًا اذا ذَهَب فى العيون ، ويقال : غِرْت فلانا من أخيه أغِيرُه غَيْرًا ، وقال أبو عبيدة : غارَنى الرجلُ يَغِيرُنى ويَغُورنى اذا وَدَاك ، من الدِّيَة ، والاسم الغِيَرَة وجمعها غِيَرٌ ، أى أعطيته الدِّيَة(٢) . وقال أبو نصر : أغَارَ الرجلُ إغارةَ الثعلب اذا أسرع ودَفَع فى عَدْوِه ، وأنشد لبشر :

فَعَدِّ(٣) طِلَابَها وتَعَدَّ عنها * بحَرْفٍ قد تُغِيرُ اذا تَبُوع(٤)

وقال خالد بن كلثوم : غارَيْت وعادَيْت بين آثنين ، أى والَيْت ، ومنه قول كثير :

اذا قلت أسلو غارت العين بالبكا * غِرَاءً ومَدَّتْها مَدامِعُ حُفَّل

قال : معنى غارَتْ فاعَلَتْ من الوِلاء ، وقال أبو عبيدة : هى فاعَلَتْ من غَرِيتُ بالشىء أغْرَى به . ومَحْبُوك : مُوثَّق مشدود ، يقال : حَبَكْت الشىءَ اذا شَدَدته ، فهو مَحْبوك وحَبِيك ، ويقال : جاد ما حُبِك هذا الثوبُ ، أى نُسِج ، قال الهذلى(٥) :

فرَمَيْتُ فَوْقَ مُلاءةٍ مَحْبُوكةٍ * وأبَنْتُ للأشْهادِ حَزَّةَ أدَّعِى

(١) قال الأصمعى : أصله انه كان غار فيه ناس فأنهار عليهم أو أتاهم فيه عدوّ فقتلوهم فيه ، فصار مثلا لكل ما يخاف منه الشر ، وقيل إن الغوير اسم ماء بناحية السماوة . قالته الزباء لما رأت قصيرا الذى جاء يأخذ بثأر جذيمة الأبرش عن طريق الغوير .

(٢) لعل هذا التفسير مؤخر من الناسخ وحقه التقديم قبل قوله وقال أبو عبيدة .

(٣) ويروى : * فدع هندا وسل النفس عنها * (أنظر اللسان مادة بوع) . (٤) تبوع من باع الفرس فى جريه ، أى أبعد الخطو . (٥) قائله ساعدة بن العجلان الهذلى يرثى أخاه مسعودا وهو من قصيدة مطلعها

لما سمعت دعاء ضمرة فيهم * وذكرت مسعودا تبادر أدمعى

وقبله : يارمية ما قد رميت مُرِشَّة * أرطاة ثم عبأت لابن الأجدع

(أنظر ص ٧٦ من أشعار الهذليين طبع لندن سنة ١٨٥٤ م) .

يقول : أبنت لهم قولى خُذْها وأنا ٱبن فلان! وحَزَّة، يعنى ساعة أدَّعى . ومنه قولهم : ٱحْتَبَكَ بإزاره أى ٱحْتَزَم به . ومُحَمْلَج : مفتول . والقَهْقَر : الحَجَر الصُّلْب . والأدْعَج : الأسْود، قال الأصمعى : يقال : رجُل أدْعَج، أى أسْود، وليل أدْعج، والدَّعَج : شدّة سواد الحَدَقة .

[مطالب حديث البنين السبعة الذين هوت عليهم الصخرة وما قاله فيهم أبوهم من الشعر وشرح غريبه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال أخبرنى يونس قال : كان لرجل من بنى ضَبَّة فى الجاهلية بَنُون سبعة، فخرجوا بأكْلُب لهم يقتنصون، فأوَوْا الى غار فهَوَتْ عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم، فلما ٱستَرَاثَ أبوهم أخبارَهم ٱقْتَفَر آثارَهم حتى ٱنتهى الى الغار فانقطع عنه الأثر، فأيقَنَ بالشر، فرجع وأنشأ يقول :

أسَبْعَة أطوادٍ أسَبْعَة أبْحُر * أسَبْعَة آسادٍ أسَبْعَة أنْجُم
رُزِئْتُهُم فى ساعةٍ جَرَّعَتْهُم * كُئُوس المَنَايا تحت صَخْرٍ مُرَضَّم
فَمَنْ تكُ أيامُ الزمانِ حَمِيدةً * لَدَيْه فإنِّى قد تَعَرَّقْنَ أعْظُمى
بَلَغْن نَسِيسِى وٱرْتَشَفْنَ بُلالَتِى * وصَلَّيْنَنِى جَمْرَ الأسَى المُتَضَرِّم
أحينَ رَمانى بالثمانين مَنْكِبٌ * من الدَّهْرِ مُنْحٍ فى فؤادى بأسْهُم
رُزِئْتُ بأعضادى الذين بأيْدِهم * أنُوءُ وأحْمِى حَوْزَتِى وأحْتَمِى
فإن لم تَذُبْ نفسى عليهم صَبابةً * فَسَوْفَ أشُوبُ دَمْعَها بعدُ بالدَّم

ثم لم يَلْبَثْ بعدهم إلا يسيرا حتى مات كَمَدًا .

قال أبو على : ٱقْتَفَرَ : ٱتَّبع، يقال : قَفَرْت الأثر وٱقْتَفَرْته اذا ٱتَّبَعْته . ومُرَضَّم : مُنَضَّد بعضه على بعض، قال الأصمعى : يقال : بَنَى فلان دارا فَرَضَم فيها الحجارةَ رَضْمًا وذلك إذا نَضَدَ الحجارة بعضَها على بعض، ومنه قيل : رَضَمَ البعيرُ بنفسه اذا رمى بها فلم يتحرّك . وتَعَرَّقْن : أخذن ما عليه من اللحم، يقال : عَرَقْت العَظْم وتَعَرَّقْته اذا أخذت ما عليه من اللحم . والنَّسِيس : بَقِيَّة النفْس، قال الشاعر[1] : * فقد أوْدَى اذا بلَغ النَّسِيسُ *

وٱرْتَشَفْن : ٱمْتَصَصْن . والبُلالة : الرُّطُوبة .

(١) هو أبو زُبَيد الطائى يصف أسدا كما فى اللسان ج ص ١١٦ .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال حدّثنى أبو عثمان الأشناندانى قال حدّثنى التوزى عن أبى عبيدة قال : لمـا مات حُصَين بن الحُمَام سمعوا صارخا يصيح من جبل و يقول :

أَلَا ذَهَبَ الحُلْو الحَلَال الحُلَاحِلُ[1] * ومَنْ عَقْدُه حَزْمٌ وعَزْمٌ ونائل

ومَنْ قوله فَصْلٌ اذا القومُ أُفْحِموا * تُصِيبُ مَرَادِى[2] قَوْلِهِ ما يُحاوِل

فلما سَمِعه مُعَيَّة أخوه قال : هَلَكَ والله حُصَيْن وأنشأ يقول :

نَعَيْت حَيَا الأضْيافِ فى كُلِّ شَتْوةٍ * ومِدْرَهَ حَرْبٍ إذ تُخاف الزَّلازل

ومَنْ لا يُنَادى بالهَضِيمة جاره * اذا أَسْلَمَ الجـارَ الأَلَفُّ[3] المُوَاكِل

فَمَنْ وبِمَنْ نَسْتَدْفِع الضَّيْمَ بعــدَه * وقد صَمَّمَتْ فينا الخُطُوبُ النوازل

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن وأبو حاتم والأشناندانى والرياشى قالوا كلهم : سمعنا الأصمعى يقول : كنت بالبادية فرأيت آمرأة عند قبر وهى تبكى وتقول :

فَمَنْ للسُّــؤالِ وَمَنْ للنَّوال * ومَنْ للمَقــال ومن للخُطَبْ

ومن للحُمَاة ومن للكُمَاة * اذا ما الكُماةُ جَثَوْا للرُّكَب

اذا قيــل مات أبو مالك * فَتَى المَكْرُمات قَرِيعُ العَرَب

فقد مات عِزٌّ بنى آدم * وقد ظَهَر النُّكْدُ بعد الطَّرَب

قال : فَمِلْت اليها فقلت لهـا : من هذا الذى مات هؤلاء الخلقُ كلهم بموته؟ فقالت : أَوَ ما تعرفه؟ قلت : اللهم لا، فأقبلت ودمعتها تَنْحَدِر واذا هى مَقَّاء بَرْشاء[4] تَرْماء، فقالت : فَدَيْتُك! هذا أبو مالك الحَجَّام خَتَنُ أبى منصور الحائك ! فقلت : عليك لعنةُ الله ! والله ما ظننت إلّا أنه سيد من سادات العــرب .

قال أبو على : قَرِيعُ الشول : فَحْلُها، والقَرِيعُ : الفحلُ من الرجال الشجاعُ . والمَقَّاء : الطويلة، والأَمَقّ : الطويل، والمَقَق : الطُّول . والتَّرْماء : التى قد سَقَطتْ ثَنِيَّتاها .

---

(١) الحلاحل بالضم : السيد فى عشيرته، الشجاع الرزين فى مجلسه ؛ ولا يقال للنساء وليس له فعل . (٢) مرادى قوله : مراميها وغايتها . (٣) الألف : الثقيل البطىء . (٤) سقط تفسير البرشاء، وهى : مؤنث الأبرش من البرش، وهو لون مختلط بياضا وحمرة أو غيرهما من الألوان، كذا فى اللسان .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأعرابى

يَقَرُّ بِعَيْنِي أنْ أرَى مَنْ مكانُهُ * ذُرَى عَقِـدَاتِ الأبْرَقِ المُتَقاوِدِ (١)

وأن أرِدَ المَـاءَ الذى شَرِبَتْ به * سُلَيْمَى وقد مَلَّ السُّرَى كلُّ واخِدِ (٢)

وأُلْصِـقَ أحشائى بِـبَرْدِ تُرَابِهِ * وإن كان مخلوطـا بِسُمِّ الأساوِدِ (٣)

قال : وأنشدنى عبد الرحمن عن عمه :

أُمِسُّ العَـيْنَ ما مَسَّتْ يَدَاها * لَعَـلَّ العَيْنَ تَبْرأُ مِن قَذَاها

يقول النـاسُ ذُو رَمَدٍ مُعَنًّى (٤) * وما بالعَيْنِ من رَمَدٍ سِـواها

قال : وأنشدنا أبو بكر ولم يسمِّ قائلَه ولا عَزَاه الى أحد :

آلَ لَيْـلَى إنَّ ضَيْفَكُمُ * ضائعٌ فى الحَيِّ مُذْ نَزَلا

أمْكِنُوه مِن ثَنِيَّتِها * لم يُرِدْ خَمْرًا ولا عَسَـلا

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا أبو حاتم عن أبى زيد :

إن كان غَرَّكَ إطراقى أبا حَسَنٍ * فالسَّيْفُ يُطْرِقُ حِينًا قبل هِزَّتِهِ

والحَيَّةُ الصِّلُّ (٥) لا تَغْرُرْكَ هَدْأتُه * فكم سَـلِيمٍ ومَوْقُـوذٍ (٦) لنَـكْزَتِه (٧)

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى وأنشدنا أبو بكر ابن الأنبارى عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابى (٨) :

يا مُرُّ يا خَـيْرَ أخٍ * نازَعْتُ دَرَّ الحَلَمَـهْ

يا خَـيْرَ مَنْ أوْقَدَ لِلْأَضْـيافِ نارًا * جَحِـمَه (٩)

يا جالبَ الخَيْلِ الى الـ * ـخَيْلِ تَعَادَى أضِمَـه

(١) يقرّ بعينى ، قال الأصمعى : قرّت عينه من القرّ وهو البرد ، أى جمدت فلم تدمع . وقائل هذه الابيات نبهان ابن عكىّ العبشمى كما فى الكامل للبرد ص ٣١ طبع أوربا ، وقد نقلنا عنه تفسير الكلمات التى شرحها فى هذه الأبيات . الذرى جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه . والعقدات : هى ما انعقد وصلب من الرمل ، الواحدة عقدة . والأبرق : حجارة يخالطها رمل وطين . والمتقاود : المنقاد المستقيم . (٢) واخد من الوخد والوخدان وهو السير الشـديد . وروى : كل واحد ، وهو المنفرد فى السير المتوحد به . وروى : كل واجد ، أى عاشق . (٣) الأساود : الحيات . (٤) معنى : أسير .

(٥) الصل : الحية التى تقتل اذا نهشت من ساعتها . (٦) الموقوذ : الشديد المرض المشرف على الموت .

(٧) النكز : من نكزته الحية ، أى لسعته بأنفها ، فاذا عضته بأنيابها قيل : نشطته . كذا فى اللسان .

(٨) هذه الأبيات لامرأة ترثى أخاها كما فى لسان العرب . (٩) جحمة : متقدة .

يا قائد الخَيْـلِ ومُجْـــ * ـتابَ الدِّلاصِ الدَّرِمه (١)
سَيْفُكَ لا يَشْـقَى به * إلّا العسـيرُ السَنِمه
جاد على قـبرِك غَيْـــ * ـثٌ من سَمَـاءٍ رَزِمه
يُنْبِتُ نَــوْرًا أرِجًا * جَرْجارُهُ (٢) واليَنَمـــهْ (٣)

قال أبو على : الحَلَمة : طَرَف الثَّدى . والدَّرِمة : اللَّيِّنَــة التى لا حَجْم لهـا . وأَضِمة : غَضَابَى يقال : أَضِم عليه أَضَمًا ، أى غَضِب عليه ، قال الأخطل :

أَضِمًا وهنَّ لَهُنَّ رُغْى رأسه * أنْ قد أُتيح لَهُنَّ مَوْتٌ أحْمَـر

وضَمِدَ عليه يَضْمَد ضَمَدًا اذا هاج وغضب ، قال النابغة :

ومن عَصَاكَ فَعَاقِبْــهُ مُعاقَبَـةً * تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَد

وحَرِب حَرَبا اذا هاج وغضب ، وحَرَّبْته أنا فهو مُحَرَّب ، قال الهذلى :

كأنَّ مُحَرَّبا من أُسْدِ تَرْجٍ (٤) * يُنَازِلُهُمْ لنابَيْــه قَبِيبُ (٥)

وأَضِمَ وأَتْضَم ، قال الشاعر :

ومُؤْتَضِمٍ عَلَيَّ لأنَّ جَدِّى * يَبُـذُّ جدودَه المُتَقَدِّمينا

ويقال : أَغَدَّ عليه إغْدادا ، وأصله من غُدَّةِ البعير فهو مُغِدٌّ ، وٱسْمَغَدَّ فهو مُسْمَغِدٌّ اذا ٱنْتَفَخ من الغَضَب وَوَرِم ، وضَرِم عليه ضَرَمًا وأصله من ٱضْطِرام النار ، وٱحْتَدَم عليه اذا تحرَّق عليه وأصله من ٱحْتِدام الحَرِّ ، وأَسِفَ عليه يَأْسَف قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا ٱنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ . وعَبِد عليه يَعْبَدُ وحَشِم عليــه يَحْشَم حَشَما ، وهؤلاء حَشَمُ فلان للذين يَغْضَب لهم ، وأَحْشَمْته أنا وحَشَمْته . وحكى الأصمعى : إنَّ ذلك لَمِمَّا يُحْشِم بنى فلان ، أى يغضبهم . وكَتَّ يَكِتُّ وأصله من كَتِيتِ القِدْر ، قال رؤبة :

وطامِحِ النَّخْوةِ مُسْتَكِتِّ * طَأْطأَ مِنْ شَيْطانه التَّعَتِّى (٦)
* صَكِّى (٧) عَرانِينَ (٨) العِدَى وصَتِّى *

(١) مجتاب الدلاص الدرمة : لابس الدروع الملساء . (٢) الجرجار : نبت طيب الرائحة . (٣) الينمة : عشبة طيبة . (٤) الترج : موضع تنسب اليه الأسود . (٥) القبيب ، من قب الأسد : اذا سمعت قعقعة أنيابه . (٦) التعتى : العتو . (٧) الصك والصت : الضرب ، يقال : صته صتا اذا ضربه بيده . (٨) العرانين : الأنوف .

ومَعِضَ يَمْعَض مَعْضًا، قال رؤبة

وقد تَرَى ذا حاجةٍ مُؤْتَضًّا[١] * ذا مَعَضٍ لولا يَرُدُّ المَعْضا

قال أبو عمرو : وٱزْمَهَرَّ ٱزْمِهْرارا اذا غضب، وأنشد :

أبصَرْتَ ثَمَّ جامعًا قد هَرَّا * ونَـثَرَ الجَعْبَـةَ وٱزْمَهَرَّا

* وكان مِثْـلَ النـار أو أَحَرَّا *

ويقال : قد قَرْطَب اذا غَضِب فهو مُقَرْطِب، وأنشد :

اذا رآنى قد أَتَيْتُ قَرْطَبا * وجَالَ فى جِحاشِه وطَرْطَبا[٢]

ويقال : ٱصْطَخَمَ، قال ذو الرمة :

ظَلَّتْ ثِقالًا[٣] وظَلَّ الجَوبُ مُصْطَخِما * كأَنَّه بتناهى الرَّوْض مَحْجُـوم

ورَزِمة : مُصَوِّتة .

قال أبو على : ومما ٱخترته وقرأته على أبى بكر بن دريد :

قَـوْمٌ اذا ٱشْـتَجَرَ القَنـا * جَعَلُوا القلوبَ لها مَسالِك

اللابِسِـيـن قلوبَهـم * فَوْقَ الدُّرُوع لدَفْعِ ذلك

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا الرياشى عن ٱبن سلام عن غُرَيْر بن طلحة بن عبـد الله عن عمه هند بن عبد الله قال : بينا أنا مع أبى بسوق المدينة اذ أقبل كُثَيِّر، فلما رأى أبى عَدَل اليه وتحدّث معه ساعة، فقال له أبى : هل قلتَ بعدى شيئا يا أبا صَخْر؟ قال هنـد : فأقبل علىّ وقال : إحفظ هذه الأبيات، وأنشدنى :

وكُنَّا سَلَكْنا فى صَعُود من الهوى * فلمـا تَوافَيْنـا ثَبَتُّ وزَلَّتِ

وكنا عَقَدْنا عُقْـدة الوصل بيننا * فلمـا تَواثَقْنا شَدَدْتُ وحَلَّت

فواعَجَبـا للقَلْب كيف ٱعْتِرافُه * وللنفس لمّـا وُطِّنَتْ كيف ذَلَّت

(١) أى مضطرا مُلجأً من أضتنى اليك الحاجة تؤضنى أضًّا : ألجأتنى اليك . (٢) الطرطبة : دعاء الحمر. (٣) كذا فى الأصل، وفى ديوان ذى الرمة :

ظلت تفالى فظـل الجأب مكتئبا * كأنه من سرار الروض محجوم

وفى اللسان : ظلت تفالى وظل الجون مصطخما * كأنه عن سرار الأرض محجوم

وتفالت الحمر: احتكت كأن بعضها يفلى بعضا، الجأب : الغليظ من حمر الوحش . سرار الروض : أوسطه وأكرمه . محجوم : ممنوع .

وللعَيْنِ أسرابٌ اذا ما ذكَرْتُها * وللقلبِ وَسواسٌ اذا العَيْنُ مَلَّتِ
وإنّي وتَهْيَامِي بعَــزّةَ بعــدما * تَخَلَّيْتُ مما بيننا وتَخَلَّتِ
لَكَالْمُــرْتَجِي ظِلَّ الغَمامة كُلَّما * تَبَــوَّأَ منها لِلْمَقِيــل ٱضْمَحَلَّتِ
فإن سَأل الواشون : فِيمَ هجَــرْتَها * فَقُلْ : نفس حُرٍّ سُلِّيَتْ فتَسَلَّتِ

[مطلب حديث الغلام الذى سمّاه أهله حريقيصا وما وقع له مع الأصمعىّ وشرح غريب ذلك]

وحدّثنــا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمّه قال : بَيْنَا أنا بِحِمَى ضَرِيَّة اذ وقف علىّ غلام من بنى أسَــدٍ فى أطمارٍ ما ظننته يجمع بين كَلِمَتَيْن ، فقلت : ما ٱسمك ؟ فقــال : حُرَيْقيص ، فقلت : أمَا كَفَى أهْلَك أن يُسَمُّوكَ حُرْقُوصا(١) حتى حَقَّروا ٱسْمَك ! فقال : إنَّ السِّقْط لَيُحْرِق الحَرَجة ، فعجبت من جوابه ، فقلت : أتُنْشِد شيئا من أشعار قومك ؟ قال : نعم أُنْشدك لمَرَّارنا ، قلت : ٱفعل ، فقال

سَكَنُوا شُبَيْثاً والأحَصَّ(٢) وأصبحوا * نَزَلَتْ مَنازِلَهُــم بَنُــوذُبْيــانِ
واذا يقــال أُتِيــتُمُ لم يَبْرَحُوا * حتّى تُقيمَ الخيــلُ سُوقَ طِعــانِ
واذا فلانٌ مات عن أُكْرُومةٍ * رَقَعُــوا مَعَاوِزَ فَقْــدِه بفــلانِ

قال : فكادت الأرض تَسُــوخ بى لحُسن إنشاده وجَوْدة الشعر ، فأنشدت الرشيد هذه الأبيات ، فقال : وَدِدْتُ يا أصمعىّ أن لو رأيتُ هذا الغلام فكنت أُبَلِّغه أعلى المراتب .

قال أبو على : السِّــقْط : ما يَسْقُط من الزَّنْد اذا قُدِح . وقال أبو عبيدة : فى سقْط النار وسقْط الوَلَد وسِقْط الرَّمْل ثلاث لغات : الضمّ والفتح والكسر ، وزِنَادُ العرب من خشب ، وأكثر ما يكون من المَرْخ والعَفَار ، ولذلك قال الأعشى

زِنَادُكَ خَــيْرُ زنادِ المُــلو * كِ صادَفَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفَارا

وإنمــا يؤخذ عُودٌ قدر شبر فيُثْقَب فى وَسَطه ثَقْبٌ لا ينفذ ويؤخذ عود آخر قدر ذراع فيُحَدَّد طَرَفه فيُجعل ذلك المُحَدَّد فى ذلك الثَّقْب وقد وضعه رجل بين رجليه فيُــديره ويفتله فيُورى نارا ، فالأعْلَى زَنْد ، والأسْفَل زَنْدة . والحَرَجة : الشجر الكثير المُلْتَفّ وجمعه حِرَاج وأحْرَاج ، قال العجّاج

عايَنَ حَيًّا كالحِراج نَعَمُهْ * يكون أقْصَى شَلِّه مُحْرَنْجِمُهْ

(١) الحرقوص : اسم دويبّة كالبُرغوث ، أو كالقُراد . (٢) شبيث والأحصّ : اسما موضعين بنجد .

يقول : عايَنَ هذا الجيشُ الذى أتانا حَيًّا ، ويعنى بالحىِّ : قومَه بنى سَعْد . والنَّعَمُ : الإبل . وأَقْصَى : أبعد . وشَلَّه : طردُه . ومُحْرَنْجَمُه : مَبْرَكُه حيث يجتمع بعضه الى بعض . والمعنى أن الناس اذا فُوجِئوا بالغارة طَرَدوا إبلَهم وقاموا هم يقاتلون ، فإن ٱنهزموا كانوا قد نَجَوْا بها ؛ يقول : فهؤلاء من عِزِّهم ومَنَعَتِهم لا يَطْرُدونها ، ولكن يكون أقصى طردهم أن يُنِيخوها فى مَبْرَكها ثم يقاتلوا عنها . والمَعَاوِز : الثياب الخُلْقان .

[مطلب حديث حضرمىّ بن عامر مع ٱبن عمّه وشرح غريب شعره]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عَبّاد عن العباس بن هشام عن أبيه قال : كان حَضْرَمِىُّ بن عامر عاشِرَ عشرةٍ من إخوته فماتوا فوَرِثَهم ، فقال ٱبن عمٍّ له يقال له جَزْءٌ : مَنْ مِثْلُك ، مات إخوتُك فوَرِثْتَهم فأصبحتَ ناعمًا جَذِلا ! فقال حضرمىّ

يَزْعُمُ جَزْءٌ ولم يَقُلْ سَدَدًا * أَنِّى تَرَوَّحْتُ ناعمًا جَذِلا
إن كُنْتَ أَزْنَنْتَنِى بها كَذِبًا * جَزْءُ فلاقَيْتَ مِثْلَها عَجِلا
أَفْرَحُ أنْ أُرْزَأَ الكرامَ وأن * أُورَثَ ذَوْدًا شَصائِصًا نَبَلا
كم كان فى إخْوَتِى اذا ٱحْتَضَنَ الأَقْوامُ تَحْتَ العَجَاجَةِ(١) الأَسَلا(٢)
مِنْ واجِدٍ ماجِدٍ أَخِى ثِقَةٍ * يُعْطِى جَزِيلًا ويَضْرِبُ البَطَلا
إن جِئْتَه خائفا أَمِنْتَ وإن * قال سَأَحْبُوك نائِلًا فَعَلا

فجلس جَزْءٌ على شَفِير بئر وكان له تسعة إخْوةٍ فٱنْخَسَفَتْ بإخوته ونَجَا هو ، فبلغ ذلك حَضْرَمِيًّا فقال : إنّا لله وإنا اليه راجعون ، كلمةٌ وافقَتْ قَدَرًا وأبقَتْ حِقْدا .

قال أبو على : الشَّصَائص : التى لا ألبان لها ، واحدتها شَصُوص ، قال الأصمعى : يقال : أَشَصَّتْ فهى شَصُوص وهو على غير القياس ، وقال الكسائى : شَصَّت . والنَّبَل : الصِّغار هاهنا ، والنَّبَل : الكبار ، وهو من الأضداد . والواجد : الغَنِىُّ الذى يَجِد .

(١) العجاجة : الغبار . (٢) الأسل : الرماح .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعى ليزيد بن الحكم الثقفىّ :

تُكاشِرُنى كُرْهًا كأنّك ناصحٌ * وعَيْنُكَ تُبْدِى أنّ صَدْرَكَ لى دَوِى
لِسانُكَ ماذِىٌّ وغَيْبُكَ عَلْقَمٌ * وشَرُّكَ مَبْسوطٌ وخَيْرُكَ مُنْطَوِى
فَلَيْتَ كَفافًا كانَ خَيْرُكَ كُلُّه * وشَرُّكَ عَنِّى ما ٱرْتَوَى الماءَ مُرْتَوِى
عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِى إنْ لَقِيتُه[1] * وأنت عَدُوِّى ليس ذاكَ بِمُسْتَوِى
تُصَافِحُ من لاقَيْتَ لى ذا عداوةٍ * صِفَاحًا وعَنِّى بين عَيْنَيْكَ مُنْزَوِى
أرَاكَ اذا لم أهْوَ أمْرًا هَوِيتَه * ولَسْتَ لما أهْوَى من الأمْرِ بالهَوِى
أرَاكَ ٱجْتَوَيْتَ الخَيْرَ مِنِّى وأجْتَوِى * أذاكَ فكُلٌّ يَجْتَوِى قُرْبَ مُجْتَوِى
وكم مَوْطِنٍ لَوْلاىَ طِحْتَ كما هَوَى * بأجْرامِه مِنْ قُلَّةِ[2] النِّيقِ[3] مُنْهَوِى
اذا ما ٱبْتَنَى المَجْدَ ٱبْنُ عَمِّكَ لم تُعِنْ * وقُلْتَ ألا يا لَيْتَ بُنْيانَه خَوِى
فإنّك إنْ قيلَ ٱبْنُ عَمِّك غانمٌ * شَجٍ أو عَمِيدٌ أو أخو مَغْلَةٍ لَوِى
تَمَلَّأْتَ من غَيْظٍ عَلَىَّ فلم يَزَلْ * بك الغيظُ حتى كِدْتَ بالغيظ تَنْشَوِى
وما بَرِحَتْ نفسٌ حَسُودٌ حسبتها * تُذِيبُكَ حَتَّى قيل هل أنْتَ مُكْتَوِى
وقال النِّطَاسِيُّون إنَّكَ مُشْعَرٌ * سُلالًا ألَا بل أنْتَ مِنْ حَسَدٍ ذَوِى
جَمَعْتَ وفُحْشًا غِيبَةً ونَمِيمَةً * خِصالًا ثلاثا لَسْتَ عنها بِمُرْعَوِى
أفُحْشًا وجُبْنًا وٱخْتِتاءً عن النَّدَى * كأنّك أفْعَى كُدْيَةٍ[4] فَرَّ مُحْجَوِى
فيَدْحُو[5] بكَ الدّاحِى الى كُلِّ سَوْءَةٍ * فيَاشَرَّ من يَدْحُو بأطْيَشِ مُدْحَوِى
بَدَا مِنْكَ غِشٌّ طالَما قد كَتَمْتَه * كما كَتَمَتْ داءَ ٱبْنِها أُمُّ مُدَّوِى

قال أبو على : الاخْتِتاء : التقبُّض . قال : وقال أبو بكر : مُحْجَوِى : مُنْطَوِى . والمُدَّوِى : الذى يأخُذ الدُّوَايةَ وهى جلدة رقيقة تركَبُ اللّبَنَ ، يقال : دَوَّى اللّبَنُ يُدَوِّى فهو مُدَوٍّ ، وأقْبَلَ الصبيانُ على اللَّبَنِ

(١) روى هذا البيت فى حماسة البحترى هكذا

تسود عدوّى ثم تزعم أننى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

(٢) القلة : أعلى الجبل . (٣) النيق : أرفع موضع فى الجبل . (٤) الكدية : الأرض الغليظة الصلبة .

(٥) دحا الحجر بيده ، أى رمى به ودفعه .

يَدُّونه ، أى يأخذون ما عليه من الجلدة . وجاء غلام من العرب الى أمه وعندها أُمُّ خِطْبِه فقال : يا أُمّاه، أَدّوى؟ فقالت : اللِّجام مُعلّق بعَمُود البيت، تُوَرّى بذلك وتُرِى القوم أنه إنما سألها عن اللجام وأنه صاحب خيل وركوب . والمُجتَوِى : الكاره . والماذِىُّ : العَسَل الأبيض، ومنه قيل: دِرْعٌ ماذِيّة .

وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمّه :

أَذْكُرْ مجالِسَ من بَنِى أَسَدٍ * بَعُدُوا فَحَنّ اليهمُ القَلْبُ
الشَّرْقُ مَنْزِلُهُمْ ومَنْزِلُنا * غَرْبٌ وأنّى الشَّرْقُ والغَرْبُ
مِنْ كلِّ أبيضَ جُلُّ زِينَتِه * مِسْكٌ أحَمُّ وصارِمٌ عَضْب
ومُدَجَّجٍ يَسْعَى بِشِكّتِه * وعَقِيرةٍ بِفِنَائه تَحْبُو

قال أبو على : عَقِيرة : مَعْقورة .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا الرياشي عن ابن سلام قال : بلغنى أن الأحْوَص دخل على يزيد بن عبد الملك فقال له يزيد : لو لم تَمُتّ الينا بحُرْمة ، ولا تَوَسَّلْت بِدَالّة، ولا جَدَّدْت لنا مَدْحا، غير أنك مقتصر على بَيْتَيْك لاسْتَوْجَبْتَ عندنا جَزِيل الصِّلَة، ثم أنشد يزيد :

وإنّى لَأَسْتَحْيِيكُمُ أن يَقُودَنى * الى غَيْرِكم من سائر الناس مَطْمَعُ
وأن أجْتَدِى للنَّفْع غَيْرَك منهمُ * وأنتَ إمامٌ للبَرِيّة مَقْنَع

وقال الرياشي : وإنما قال هذين البيتين فى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . وقرأنا على أبى بكر ابن دريد قول الشاعر :

إنّى رأيْتُك كالوَرْقاءِ يُوحِشُها * قُرْبُ الأليفِ وتَغْشاه اذا نُحِرا

الوَرْقاء : دُوَيبّة تَنْفِر من الذئب وهو حَىٌّ وتَغْشاه اذا رأت به الدم .

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى وأبو العباس محمد بن يزيد لأبى حَيّة النُّمَيْرى يزيد بعضُهم على بعض، وأنشدنا أيضا أبو بكر بن دريد ، واللفظ والترتيب على ما أنشدناه أبو عبد الله

بَدَا يَوْمَ رُحْنا عامِدِين لأرْضِها * سَنِيحٌ(١) فقـال القوم مَرَّ سَنِيحُ
فهابَ رجالٌ منهـمُ وتقاعَسُـوا * فقلتُ لَهُـمْ جارِى الىَّ رَبِيحُ
عُقَابٌ بأعقابٍ مِنَ الدارِ بعْدَما * جَرَتْ نيةٌ تُسْلِي المُحِبَّ طَرُوحُ
وقالوا حَمَاماتٌ فحُـمَّ لِقَـاؤُها * وطَلْحٌ فَزِيرَتْ والمَطِىُّ طَلِيحُ
وقال صِحابى هُـدْهُدٌ فوقَ بانةٍ * هُدًى وبيَانٌ بالنَّجَاحِ يَلُوحُ
وقالوا دَمٌ دامتْ مَوَاثِيقُ بيننـا * ودامَ لنـا حُلْوُ الصَّـفاء صَرِيحُ
لَعَيْناكَ يَوْمَ البَيْنِ أسرعُ واكفا * من الفَنَنِ(٢) المَمْطُور وهو مَرُوحُ(٣)
ونِسْوَةِ شَحْشاحٍ(٤) غَيُـورٍ يَحُفْنَـهُ * أخى ثِقَـةٍ يَلْهُون وهو مُشِيحُ
يَقُلْن وما يَدْرِين عَنِّى(٥) سَمِعتُـه * وهُنَّ بأبواب الخِيام جُنُوحُ
أهٰـذا الذى غَنَّى بسَمْراءَ مَوْهِنًا * أتاح له حُسْنَ الغِناء مُتِيحُ
اذا ما تَغَنَّى أنَّ من بَعْـد زَفْرة * كما أنَّ من حَرِّ السـلاحِ جَرِيحُ
وقائلةٍ يا دَهْـمُ وَيْحَـك إنَّهُ * على غُنَّـةٍ فى صَـوْته لَمَلِيحُ
وقائلةٍ أَوْلِينَـه البُخْـلَ إنَّه * بما شاءَ من زُورِ الكلام فَصِيحُ
فلو أن قَوْلًا يَكْلِمِ الجِـلْدَ قد بَدَا * بجِلْدِىَ مِنْ قول الوُشاة جُرُوحُ

وحدّثنا الأخفش قال حدّثنى بعض أصحابنا قال حدّثنى أبو عبـد الله محمد بن القاسم بن خَلَّاد البصرى المعروف بأبى العَيْناء، قال: أنشدنا ابن أبى فَنَنٍ فى مجلس على بن الجَهْم فكُتِبَتْ لى وله

ولَمَّـا أبَتْ عَيْناى أن تَكْتُما البُكا * وأن تَحْبِسا سَحَّ الدُّموعِ السَّوَاكِبِ
تثَـاءَبْتُ كى لا يُنْكِرَ الدمعَ مُنْكِرٌ * ولكن قليـلًا ما بَقَـاءُ التَّثَاؤُبِ
أَعَرَّضْتُمـانى للهـوى ونَمَمْتُما * عَلَىَّ لَبِئْسَ الصاحبانِ لصـاحبِ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى قال: أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى

يقولون لَيْـلَى بالمَغِيب أمِينـةٌ * بَلَى وهو راعٍ عَهْـدَها وأمِينُها

---

(١) السنيح كالسانح: ما يتبرك به. (٢) الفنن: الغصن. (٣) مروح: أصابته الريح.
(٤) شحشاح: يقال رجل شحشاح وشحشح: سيئ الخلق. (٥) عنى بمعنى أنى بابدال الهمزة عينا، ويسمى هذا الإبدال عنعنة تميم وقيس.

فإن تكُ لَيْلَى ٱسْتَوْدَعَتْنِي أمانةً * فلا وأَبِي أعدائها لا أخونُها
أأَرْضِى بلَيْلَى الكاشِحِين وأَبْتَغِى * كرامةَ أعدائى لها وأُهِينُها
مَعاذَةَ وَجْهِ الله أن أُشْمِتَ العِدَا * بِلَيْلَى وإنْ لم تَجْزِنِى ما أَدِينُها
سأَجْعَلُ عِرْضِى جُنَّةً دون عِرْضِها * ودِينِى، فيَبْقَى عِرْضُ ليلى ودِينُها

وأنشدنا أبو الحسن جحظة البرمكى قال أنشدنا حمّاد بن إسحاق قال : أنشدنى أبى لنفسه

لاح بالمَفْرِق منكَ القَتِيرُ(١) * وذَوَى غُصْنُ الشَّباب النَّضِيرُ
هَزِئت أسماء مِنِّى وقالت * أنتَ يابْنَ المَوْصِلِيِّ كبيرُ
ورأَتْ شَيْبًا عَلانى فأَنَّتْ * وٱبنُ سِتِّين بشَيْبٍ جَدِيرِ
إنْ تَرَىْ شَيْبًا علانى فإنِّى * مَعَ ذاكَ الشَّيْب حُلْوٌ مَزِير
قد يُفَلُّ السَّيْفُ وهو جُرَازٌ * ويَصُول اللَّيْث وهْوَ عَقِير(٢)

قال أبو على : المَزِيرُ: المُعَظَّم المُكَرَّم، يقال : مَزَرْتُ الرجلَ اذا عَظَّمتَه وكَرَّمته، كذا قال على بن سليمان الأخفش ، وقال النَّضر بن شُمَيل : المَزِير : الظَّريف ، وقال لى أبو بكر بن دريد : المَزَارة : الزيادة فى جسم أو عقل، يقال: مَزُرَ يمزُر مَزَارةً فهو مَزِير. والجُرَاز: الماضى فى الضَّرِيبة، قال الجَعْدى

يُصَمِّمُ وهْوَ مَأْثُورٌ جُرَازٌ * اذا ٱجْتَمَعَتْ بقائِمِه اليَدَان

وقرأت على أبى بكر بن الأنبارى للأسود بن يَعْفُر

وكُنْتُ اذا ما قُرِّب الزادُ مُولَعًا * بكُلِّ كُمَيْتٍ جَلْدةٍ لم تُوَسَّفِ
مُدَاخلة الأَقْراب غيرِ ضَئِيلة * كُمَيْت كأنَّها(٣) مَزَادة مُخْلِف

كُمَيْت، يعنى تَمْرة . وجَلْدة : غليظة اللِّحاء . لم تُوَسَّف : لم تُقَشَّر . وأقرابها : نَوَاحيها ؛ وإنما هو مَثَل، والقُرُبانِ : الخاصرتان . والضَّئِيلة : الدقيقة . والمُخْلِف : المُسْتَقِى ، يريد كأنها من ٱمتلائها مزادة .

وقرأت على أبى بكر بن الأنبارى قال : قرأت على أبى هُدْبة بن خَشْرَم

طَرِبْتَ وأنتَ أحيانًا طَرُوب * وكَيْفَ وقد تَعَلَّاكَ المَشِيب
يُجِدُّ النَّأْىُ ذِكْرَكِ فى فؤادى * اذا ذَهِلَتْ عن النَّأْى القلوب

(١) القتير : المشيب . (٢) العقير المعقور : الجريح .
(٣) دخل على هذه الكلمة "القبض" وهو حذف الخامس الساكن من "مفاعيلن" .

يُؤرِّقني اكْتِئابُ أبي نُمَيرٍ * فَقَلْبي من كآبتــه كئيب
فقلت له هَداك الله مَهْـلًا * وخَيْرُ القول ذو اللُّبِّ المُصيب
عَسَى الكَرْب الذي أمْسَيْت فيه * يكون وراءَه فَرَجٌ قريب
فَيَأْمَنَ خائفٌ ويُفَكَّ عانٍ * ويَأْتِيَ أهلَه النائى الغريب
ألا لَيْتَ الرِّياح مُسَخَّراتٌ * بحاجتنا تُباكِر أو تَؤُوب
فَتُخْبِرَنا الشَّمالُ اذا أتتنا * وتُخْبِرَ أهْلَنا عنا الجَنُوب
فإنَّا قد حَلَلْنا دار بَلْوَى * فَتُخْطِئُنا المَنايا أو تُصيب
فإن يَكُ صَدْرُ هذا اليوم وَلّى * فإنَّ غَدًا لناظِرِه قريب
وقد عَلِمَتْ سُلَيْمَى أنَّ عُودِى * على الحَدَثان ذو أيْدٍ صَليب
وأن خَليقَتى كَرَمٌ وأنى * اذا أبْدَتْ نَواجِذَها الحروب،
أُعِين على مَكارِمِها وأغْشَى * مَكارِهَها اذا كَعَّ(١) الهَيُوب(٢)
وقد أبْقَى الحوادثُ منك رُكْنًا * صَليبا ما تُؤَيِّسُه الخُطوب
على أن المَنِيَّةَ قد تُوافِى * لِوَقْتٍ والنَّوائبَ قد تَنُوب

قال أبو على : قوله : تُؤَيِّسه : تؤثّر فيه ، قال المُتَلَمِّس :

ألم تَرَ أنَّ الجَوْنَ أصبح راسيا * تُطِيف به الأيَّام ما يتَأيَّس

وقال الطِّريف العَنْبَرى :

إنَّ قَناتى لَنَبْعٌ ما يُؤَيِّسها * عَضُّ الثِّقاف ولا دُهْنٌ ولا نار

[مطلب ما وقع من المفاخرة بين طريف بن العاصى والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال : اجتمع طَرِيفُ بن العاصى الدَّوْسِى — وهو جَدُّ طُفَيل ذى النُّورَين بن عمرو بن طريف — والحارثُ ابن ذُبْيان بن لَحَا بن مُنْهِب — وهو أحد المُعَمَّرِين — عند بعض مَقاوِل حِمْيَر، فتفاخرا، فقال الملك للحارث : يا حارث، ألا تخبرنى بالسبب الذى أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنَّمِر بن عثمان؟ فقال:

(١) كع : جبن وضعف . (٢) الهيوب : الذى يخاف الناس .

أخبرك أيها الملك ، خرج هجينان منّا يرعيان غنما لها فتشاولا بسيفيهما فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا ، فعاث فيه السيف فنُزف فمات ، فسألونا أخذ دية صاحبنا دية الهجين وهى نصف دية الصّريح ، فأبى قومى وكان لنا رباءٌ عليهم ، فأبينا إلّا دية الصّريح وأبوا إلّا دية الهجين ، فكان اسم هجيننا ذُهَيْن ابن زَبْراء ، واسم صاحبهم عنقش بن مُهَيْرة وهى سوداء أيضا(١) ، فتفاقم الأمر بين الحيّين ، فقال رجل منا :

حُلومكمُ يا قوم لا تعزبنّها(٢) * ولا تقطعوا أرحامكم بالتّدابُر
وأدّوا الى الأقوام عقل ابن عمّهم * ولا ترهقوهم سُبّةً فى العشائر
فإنّ ابن زبراء الذى فاد لم يكن * بدون خُلَيف أو أُسَيد بن جابر
فإن لم تعاطوا الحقّ فالسّيف بيننا * وبينكمُ والسّيف أجوَرُ جائر

فتظافروا علينا حسدا ، فأجمع ذوو الحجا منّا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد ، فلحقنا بالنّمر بن عثمان فوالله مافتّ فى أعضادنا ، فأُبنا عنهم ولقد اثّأرنا صاحبنا وهم راغمون . فوثب طريف بن العاصى من مجلسه فجلس بإزاء الحارث ثم قال : تالله ما سمعتُ كاليوم قولا أبعد من صواب ، ولا أقرب من خطل ، ولا أجلب لقذع من قول هذا ، والله أيها الملك ! ما قتلوا بهجينهم بذجا ، ولا رقوا به درجا ، ولا أنطوا به عقلا ، ولا اجتفشوا به خشلا ، ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأجلاهم عن محلّهم ، حتى استلانوا خشونة الإزعاج ، ولجئوا الى أضيق الولاج ، قُلّا وذُلّا . فقال الحارث : أتسمع يا طريف؟ إنّى والله ما إخالك كافّا غرب لسانك ، ولا مُنهنها شِرّة نزوانك ، حتى أسطو بك سطوةً تكفّ طماحك ، وتردّ جماحك ، وتكبت تترّعك ، وتقمع تسرّعك ؛ فقال طريف : مهلا يا حارث ، لا تعرض لطحمة استنانى ، وذرب سنانى ، وغرب شبابى ، وميسم سبابى ، فتكون كالأظلّ الموطوء ، والعجب الموجوء ؛ فقال الحارث : إيّاى تخاطب بمثل هذا القول ! فوالله لو وطئتك لأسخْتُك ، ولو وهصتك لأوهطتك ، ولو نفحتك لأفذتك ؛ فقال طريف متمثلا :

وإنّ كلام المرء فى غير كُنهه * لكالنّبل تهوى ليس فيها نصالها

أمَا والأصنام المحجوبة ، والأنصاب المنصوبة ؛ لئن لم تربع على ظلعك ، وتقف عند قدرك ، لأدعنّ حزنك سهلا ، وغمرك ضحلا ، وصفاك وحلا ؛ فقال الحارث : أمَا والله لو رُمتَ ذلك لمرّغت

(١) قوله : وهى سوداء أيضا كذا فى الأصل ، ولم يتقدم الحكم على شىء بالسواد ، فلعله سقط من قلم الناسخ عند قوله زبراء وهى سوداء . (٢) أعزب حلمه : أذهبه .

بالحَضِيض، وأُغْصِصْت بالجَرِيض، وضاقت عليك الرِّحاب، وتَقَطَّعَتْ بك الأسـباب، ولأُلْفِيتَ لَقًى تهاداه الرَّوامِس، بالسَّبْهب الطامس، فقال طريف : دُونَ ما ناجَتْكَ به نَفْسُك مُقَارَعةُ أبطال، وحِيَاض أهْوال، وحَفْزة إعْجال، يُمْنَع معه تَطَامُن الإمهال، فقال الملك : إيهًا عَنْكُمَا ! فما رأيت كاليوم مَقال رَجُلَيْن لم يَقْصِبا، ولم يَثْلِبا، ولم يَلْصُوا، ولم يَقْفُوا .

قال أبو على : المَقَاوِل والأَقْيَال : هم الذين دُونَ المَلِك الأعظم . تَشَاوَلا : تضَارَبا . وعاثَ : أفْسد والعَيْث : الفساد . ونُزِف الرجلُ اذا سال دَمُه حتى يَضْعُف . والهجين : الذى أبوه عَرَبِىٌّ وأمه ليست بعربية . والمُقْرِف : الذى أُمُّه عربية وأبوه ليس بعربى . والصَّرِيح : الخالص . والرِّباء : الزيادة، يقال : أرْبَى فلان على فلان فى السِّبَاب يُرْبِى إرباء اذا زاد عليه، وأرْبَى يُرْبِى من الرِّبا وهو مقصور، والرِّباء ممدود : الرِّبا أيضا . وتَفَاقَم الأمرُ : آشتدّ . والعَقْل : الدِّيَة، يقال : عَقَلْت فلانا اذا غَرِمْت دِيَتَه، وعَقَلْت عن فلان اذا غَرِمْت عنه دِيَة جنايته، والمرأةُ تُعاقِل الرجلَ الى ثُلُث ديتها، يريد أن مُوضِحَتَها ومُوضِحَته سواء، فإذا بَلَغ العَقْل ثلث الدية صارت دية المرأة على النصف من دية الرجل .

وقال الأصمعى : سألت أبا يوسف القاضى بحضرة الرشيد عن الفرق بين عَقَلْته وعَقَلْت عنه فلم يفهم حتى فَهَّمته . ويقال للقوم الذين يَغْرَمون دية الرجل : العاقلة، ويقال : بنو فلان على مَعَاقِلهم الأولى، يريد على حال الديات التى كانوا عليها فى الجاهلية، واحدُها مَعْقُلة، ويقال : صار دَمُ فلان مَعْقُلةً على قومه، أى غُرْمًا يؤدّونه من أموالهم . وعَقَلَ الظِّلُّ اذا قام قائم الظهيرة . وعَقَل الرجلُ يَعْقِل عَقْلا، فى العقل . وعَقَلَ الظَّبى يَعْقِل عُقُولا اذا صَعَّد فى الجبل فآمتنع فيه، والمكان الممتنع فيه يسمى المَعْقِل، وبه سمِّى الرجل مَعْقِلا، ويقال : وَعِلٌ عاقل اذا عَقَل فى الجبل فآمتنع فيه . وعَقَل البعيرَ يَعْقِله عَقْلا اذا ثَنَى وَظِيفَه مع ذراعه فشدّهما جميعا فى وسط الذراع ونحوه . وعَقَلَ الطعامُ بطنَه يَعْقِـله عَقْلا اذا شدّه، ويقال : أعطِنى عَقُولًا أشربه فيعطيه دواء يُمْسِك بطنه، وبالدَّهْناء خَبْراء يقال لها : مَعْقُلة، سمِّيت بذلك لأنها تمسـك المـاء كما يَعْقِل الدواءُ البطنَ . ويقال : جاء فلان وقد آعْتَقَل رمحَه اذا وضعه بين رِكَابه وساقه، وآعْتَقَل شاتَه اذا وَضَع رجلَها بين ساقه وفخذه اذا حَلَبها . ويقال : صارَع فلان فلانا فآعْتَقَله الشَّغْزَبِيَّةَ، وهو ضرب من الصِّراع، ولفلان عُقْلة يَعْقِل بها الناس، وذلك اذا صارعهم عَقَل أرجلهم . ويقال : على بنى فلان عِقَالان، يريد بذلك صَدَقة عامَيْن، ويقال : جارَ عليهم العاملُ فأخذ

منهم النَّقْد ولم يُأْخَذ العِقَال ، أى الفريضةَ بعينها ، ويقال : يكره أن تُشْتَرَى الفريضةُ حتى يَعْقِلها الساعى وهو المُصَدِّق . والعِقَال أيضا : الحبل الذى يُعْقَل به البعير . والعُقَّال : هو أنّ بعض الخيل اذا مَشَى يَظْلَع ساعةً ثم ينبسط . والعَقَل : التِواء فى الرجل ، يقال : بعير أعْقَل وناقة عَقْلاء . والعَقِيلة : كريمة الحى وكريمة الإبل . والعَقْل : ضرب من الوَشْى ، يقال : جَلَّلُوا هوادجهم بالعَقْل والرَّقْم . ويقال : ماله جُولٌ ولا مَعْقُول ، أى عَقْل يُمسكه . وقال الأصمعى : أرْهَقْتُ الرجلَ : أدركتُه ، وقال أبو زيد : أرْهَقْته عُسْرًا ، أى كلَّفته ذلك ، وأرْهَقْته إثْمًا حتى رَهِقَه . وقال الأصمعى : رَهِقْته ، أى غَشِيته ، وفى فلان رَهَقٌ ، أى غِشْيان للمحارم ، والمُرَهَّق الذى يغشاه السُّؤَّال والأضياف . ويقال : فَادَ يَفُود اذا مات ، قال لبيد

رَعَى خَرَزاتِ المُلْك عشرين حِجَّةً * وعشرين حَتَّى فادَ والشَّيْبُ شامل

وفادَ يفِيد اذا تَبَختر ، وكذلك راسَ يَرِيس وماس يَمِيس وماحَ يَمِيح . وفَتَّ : أوْهَن وأضْعَف . وآتَّأَرْنا : آفتعلنا من الثَّأْر . والخَطَل : الخَطَأ . والقَذَع : الكلام القبيح ، يقال : أقْذَع له اذا أسمعه كلاما قبيحا . والبَذَج : الخَرُوف ، وهو فارسى معرّب ، وكذلك البَرَقُ فارسى معرّب ، وهو الحَمَل . وأنْطُوا لغة فى أعْطُوا ، وقرأت على أبى بكر بن دريد فى شعر الأعشى

جِيَادُك فى الصَّيْف فى نَعْمةٍ * تُصَانُ الجِلاَل وتُنْطَى الشَّعِيرا

وآجْتَفَئُوا : صَرَعوا ، قال أبو زيد : جَفَأه : صَرَعَه وخَفَأه أيضا . والخَشَل والخَشْل محرّك ومسكّن ، واحدتهما خَشَلة وخَشْلة : شجر المُقْل . وهذه أمثال كلها ، يريد أنهم لم يَنَالوا ثَأْره . والقُلّ : القِلَّة . والذُّل : الذِّلّة . والنَّزَوان : الوُثُوب . والتَّتَرُّع : التسرّع الى الشرّ ، يقال : تَرِع تَرَعًا فهو تَرِعٌ اذا كان سريعا الى الشر ، ويقال : تَرِع تَرَعا اذا آقتحم الأمور مَرَحا ونشاطا ، قال الشاعر

الباغِىَ الحَرْب يَسْعَى نَحْوَها تَرِعًا * حَتَّى اذا ذاق منها جاحِمًا(١) بَرَدا

أى ثبت فلم يتقدّم ، كذا فسره بعضهم وهو صحيح ، أى خَمَدَت حِدَّته فسَكَن ، وهذا مثل . وطُحْمة السَّيْل وطَحْمته بالضم والفتح : دُفْعته . والذَّرَب : الحِدّة . والأظَلّ : أسفل خُفّ البعير . والعَجْب : أصْل الذَّنَب . ووَهَصْتُك : كَسَرْتُك ، يقال : وَهَصَه ووَطَسَه ووَقَصه اذا كسره .

(١) جاحم الحرب : شدّة القتل فى معتركها كذا فى اللسان .

وأَوْهَطْتُك : صَرَعْتُك، قال أبو زيد : يقال ضَرَبه فَقَحْزَنه وجَحْدَلَه وأَوْهَطه اذا صَرَعَه، قال الأموى : هو أن يَصْرَعه صَرْعة لا يقوم منها، وقال غيره : أَوْهَطه : أهلكه، وأنشد :

أَوْهَطْتُه لمَّا علا إيهــاطا * بكُلِّ ماضٍ يَبْتِك النِّيَاطا(١)

وتَرْبَع : تَكُفُّ وتَرْفُق، يقــال : رَبَع يَرْبَع رَبْعا اذا كَفَّ ورَفَق . والظَّلْع : الغَمْز . والضَّحْل : المــاء القليل وكذلك الضَّحْضاح ، والقَرَاش أقل منه . والضَّهْل : القليل من المــاء ، ومنه يقال : ما ضَهَل اليه منه شىءٌ . والشَّوْل : القليل من المــاء يكون فى أسفل القِرْبة والسِّقاء، قال الأعشى :

حَتَّى اذا لَمَــعَ الرَّبِىءُ بثوبه * سُقِيَتْ وصَبَّ سُقاتُها أشْوالَها

والنُّزْفة : القليل من المــاء والشراب أيضا وجمعها نُزَف، قال ذو الرُّمّة :

يُقَطِّع موضوعَ الحَديثِ ٱبتسامُها * تَقَطُّعَ ماءِ المُــزْن فى نُزَف الخَمْــر

والذِفاف : البَلَل، قال أبو ذؤيب :

يقولون لَمَّا جُشَّتِ البِئْر أَوْرِدُوا * وليس بهــا أدْنَى ذِفافٍ لوارد

والصَّفَا جمع صَفَاة : الصخرة ، وهى أيضا الصَّفْواء والصَّفْوان . والحَضِيض : القَرار اذا ٱتصــل بالجبل، وفى الحديث : ”إنَّ العَدُوّ بعُرْعُرة الجبل ونحن بحَضِيضه“ فالعُرْعُرة : أعلاه، والحَضِيض : أسفله . ولَقًى : مُلْقًى . والرَّوَامِس : الرياح التى تَرْمُس، أى تَدْفِن . والسَّهْب : المُسْتَوى من الأرض . والطَّامِس والطاسِم جميعا : الدارس، يقال : طَمَس وطَسَم . والحَفْز : الدَّفْع، يقال : حَفَزَه يَحْفِزه حَفْزا، ومنــه سمى الحارث بن شَرِيك الحَوْفَزَان ، وذلك أن قيس بن عاصم حَفَزَه بالرُّمْح حين خاف أن يفوته، وقد فَخَرَ بذلك سَوَّار بن حَيَّان(٢) المِنْقَرى فقال :

ونحن حَفَزْنا الحَوْفَزَانَ بطَعْنــةٍ * سَقَتْه نَجِيعًا من دم الجَوْف أشْكَلا

وقال أبو زيد : إيهًا : نَهْىٌ، وإيهِ : أمْرٌ . وقال غيره : ويْهًا : إغراء، وأنشد للكميت :

وجاءت حوادِثُ فى مِثْلِها * يُقــال لِمِثْلِىَ ويْهــا فُلُ

(١) يبتك : يقطع، النياط : عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه .

(٢) ورد فى الطبعة الأولى «حبان» بالباء الموحدة وهو تحريف .

وقال أبو بكر بن الأنبارى : واهًا : تعجُّبٌ، قال الراجز :

واهًا لِرَيَّا ثُمَّ واهًا واها * يا لَيْتَ عَيْناها لنا وَفَاها

* بِثَمَنٍ نُرْضِى به أباها *

لم يَقْصِبا : لم يَشْتُما، يقال : قَصَبه يَقْصِبه اذا وقع فيه ، وأصل القَصْب القطع، ومنه قيل للجَزّار : قَصَّاب . ولم يَلْصُوَا ، قال أبو على : كذا رواه لم يَلْصُوَا ، وقال الأصمعى : لَصَاه يَلْصِيه لَصْياً اذا قَذَفه، وأنشد الأصمعى للعجّاج :

* عَفٌّ فلا لاصٍ ولا مَلْصِىُّ *

ويقال : قَفَاه يَقْفُوه إذا قذفه بأمر عظيم، كذلك قال يعقوب بن السكيت ، ويمكن أن يكون يَلْصُوَا لغة .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمّه لرجل من بنى كلاب :

سَقَى الله دَهْرًا قد تَوَلَّتْ غَياطِلُهْ * وفارَقَنا إلا الحُشاشَةَ باطِلُه

لَيالِىَ خِدْنِى كلُّ أبيضَ ماجد * يُطيع هَوَى الصابى وتُعْصَى عَواذِلُه

وفى دَهْرِنا والعيش إذ ذاك غِرَّةٌ * ألَا ليتَ ذاك الدهر تُثْنَى أوائلُه

بما قد غَنِينا والصِّبا جُلُّ هَمِّنا * يُمايِلُنا رَيْعانُهُ ونُمايِلُه

وجَرَّ لنا أذيالَه الدَّهْرُ حِقْبةً * يُطاوِلُنا فى غَيِّه ونُطاوِلُه

فَسَقْيًا له من صاحبٍ خَذَلَتْ بنا * مَطِيَّتُنا عنه ووَلَّتْ رَواحِلُه

أصُدُّ عن البَيْتِ الذى فيه قاتِلِى * وأهْجُرُه حَتَّى كأنِّىَ قاتلُه

قال أبو على : الغَياطِل جمع غَيْطَلَة وهى الظُّلْمة، والغَيْطَلة : اختلاط الأصوات، والغَيْطَلة : الشجر الملتفّ، والغَيْطَلة : البقرة، قال زهير :

كما استغاث بسَىْءٍ فَزُّ غَيْطَلةٍ * خافَ العيونَ فلم يُنْظَرْ به الحَشَكُ (١)

(١) فى الطبعة الأولى «بسِىٍّ» وهو محرف عن «بسَىْءٍ» كما فى اللسان ج ١ ص ٩٣ والأضداد ص ١٨٢ طبع ليدن سنة ١٨٨١ م والعقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين طبع مدينة «غريفزولد» سنة ١٨٦٩ م . والسىء ويكسر : اللبن ينزل قبل الدِّرة يكون فى أطراف الاخلاف . والفز : ولد البقرة والجمع أفزاز . والحَشْك : تركك الناقة لاتحلبها حتى يجتمع لبنها والاسم منه الحَشَك بالتحريك ، وخاف العيون أى خاف أن تنظر اليه العيون فلا تدعه يشرب من أمه فلم تنتظر به امتلاء درتها فسقته قبل ذلك .

[مطلب الأبيات التي كان يقال إن من لم يروها فلا مروءة له وشرح غريبها]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال حدّثنا عبدالله بن خلف قال حدّثنا محمد بن أبى السرى قال حدّثنا الهيثم بن عدى قال : كنّا نقول بالكوفة : إنه من لم يَرْوِ هذه الأبياتَ فلا مُروءة له ، وهى لأيْمن بن خُرَيم بن فاتك الأسدى ، قال وأنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى عن ٱبن الأعرابى ، — والألفاظ فى الروايتين مختلطة —

وصَهْباءَ جُرْجانيّـةٍ لم يَطُف بها * حَنيفٌ ولم تَنْغَرْ بها ساعةً قِدْرُ (١)
ولم يَحْضُر القَسُّ المُهَيْنِمُ نارَها * طُرُوقا ولم يَشْهَدْ على طَبْخِها حَبْرُ (٢)
أتانى بها يَحْيَى وقد نِمْتُ نَوْمةً * وقد غابت الشِّعْرَى وقد جَنَح النَّسْرُ
فقلت ٱغْتَبِقْها أو لغيرِىَ فٱسْقِها * فما أنا بعد الشَّيْب وَيْبَكَ والخَمْرُ (٣)
تَعَفَّفْتُ عنها فى العُصور التى خَلَتْ * فكيفَ التَّصابِى بعد ما كَلَأَ العُمْرُ
إذا المَرْءُ وَفَّى الأربعين ولم يكن * له دون ما يأتى حَياءٌ ولا سِتْرُ
فَدَعْه ولا تَنْفَسْ عليه الذى ٱرْتأى * وإن جَرَّ أسبابَ الحياة له الدَّهْرُ (٤)

قال أبو على : كَلَأَ : ٱنتهى الى آخره وأقصاه ، ويقال : بَلَغَ اللهُ بك أكْلَأَ العُمُرِ ، أى آخره . وٱرْتأى : ٱفتعل من الرأى .

وأنشدنا أبو عمرو بن المُطَرِّز غلام ثعلب قال أنشدنا أبو العباس قال : أنشدنا عبد الله بن شبيب لابن الدُّمَيْنة

ألَا حُبَّ بالبيت الذى أنت هاجِرُهْ * وأنتَ بتَلْماحٍ من الطَّرْف زائره (٥)
فإنّك مِنْ بَيْتٍ لعَيْنَىَّ مُعْجِبٍ * وأحْسَنُ فى عينى من البيت عامِرُه
أصُدُّ حياءً أن يَلِجَّ بِىَ الهوى * وفيك المُنَى لولا عَدُوٌّ أُحاذره
وكم لائمٍ لولا نَفَاسَةُ حُبِّها * عليك لما بالَيْت أنّك خابِره
أُحِبُّك يا لَيْلَى على غير رِيبةٍ * وما خَيْرُ حُبٍّ لا تَعِفُّ سرائره
وقد مات قبلى أوّلُ الحُبِّ فانقضى * فإنْ مُتُّ أضحى الحُبُّ قد مات آخره

(١) الحنيف : المسلم . ونغرت القدر : غلت . (٢) المهينم : الذى يقرأ بصوت خفىّ . والطروق : الحضور ليلا .
(٣) الاغتباق : شرب العشىّ . وويبك : ويلك . (٤) تنفس : تحسد . (٥) التلماح : ٱختلاس النظر .

فلما تَنَاهَى الحب فى القلب واردا * أقام وأُعْيَتْ بعد ذاك مصادرُه
وقد كان قلبى فى حجابٍ يَكُنُّه * وحُبُّك من دُونِ الحجاب يُساتِره
فماذا الذى يَشْفِى من الحب بعدما * تَشَرَّبَهُ بَطْنُ الفؤاد وظاهِرُه

وأنشدنا الأخفش قال: أنشدنا أبو الطَّرِيف شاعر كان مع المعتمد لنفسه

أتهجرون فتًى أُغْرِى بكم تِيها * حقًّا لدَعْوة صَبٍّ أن تُجِيبوها
أهدى إليكم على نَأْيٍ تَحِيَّتَه * حَيُّوا بأحسنَ منها أو فرُدّوها
شَيَّعْتُهم فاسْتَرابُونى فقلت لهم * إنى بُعِثْت مع الأجمال أَحْدُوها
قالوا فما نَفَسٌ يعلوك ذا صُعُد * وما لِعَيْنَيْك لا تَرْقَى مآقيها
قلت التَّنَفُّس من تَدْآب سَيْرِكُم * والعَيْن تَذْرِف دَمْعًا من قَذًى فيها
حتى اذا ٱرْتَحَلوا والليل مُعْتَكِرٌ * خَفَضْت فى جُنْحه صَوْتِى أناديها
يا من بها أنا هَيْمانٌ ومُخْتَبَلٌ * هَلْ لى الى الوصل مِن عُقْبَى أُرَجِّيها

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قصيدة له أولها

قَلْبٌ تَقَطَّع فاستحال نَجِيعا * فجرى فصار مع الدموع دموعا
رُدَّتْ الى أحشائه زَفَراتُه * فَفَضَضْنَ منه جوانحًا وضلوعا
عَجَبًا لنار ضُرِّمَتْ فى صدره * فاستَنْبَطَتْ من جفنه يَنْبُوعا
لَهَبٌ يكون اذا تَلَبَّس بالحَشا * قَيْظًا ويظهر فى الجفون ربيعا

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال أنشدنا أبو العباس احمد بن يحيى

أمَا والذى لا خُلْدَ إلا لوجهه * ولم يك فى العِزِّ المنيع له كُفُوُ
لئن كان طَعْمُ الصَّبْر مُرًّا فعقْبَه * لقد يُجْتَنَى من غِبِّه الثَّمَرُ الحُلْوُ

وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر

نَسِىَ الأمانةَ مِنْ مخافة لُقَّحٍ * شُمُسٍ تَرَكْنَ بَضِيعَهُ مَجْزُولا

أى نسى الأمانة من مخافة هذه اللُّقَّح — يعنى السِّياط — شبهها اذا ٱرتفعت بأيدى الرجال بأذناب الإبل اذا لَقِحَتْ فرفعت أذنابها . وشُمُس : فيها شِمَاس لا تستقر . وبَضِيعه : لحمه . ومجزول : مقطوع .

[مطلب حديث النسوة اللاتى أشرن على بنت الملك بالتزوج ووصفن لها محاسن الزوج وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عبّاد عن ابن الكلبى عن أبيه قال : كان قَيْلٌ من أقيال حِمْير مُنِـع الولدَ دهرا ثم وُلِدَتْ له بنتٌ فبَنَى لها قصرا مُنيفا بعيدا من الناس، ووكّل بها نساء من بنات الأقيال يَخْدُمْنها ويؤدّبْنها حتى بلغت مبلغ النساء، فنشأت أحسن منشأ وأتمّه فى عقلها وكمالها، فلما مات أبوها مَلَّكها أهلُ مِخْلافها، فاصْطَنَعَت النِّسوةَ اللواتى رَبَّيْنها وأحسنت إليهنّ وكانت تشاورهنّ ولا تقطع أمرا دونهنّ، فقلن لها يوما : يابنت الكرام، لو تزوّجتِ لَتَمَّ لك المُلْك، فقالت : وما الزَّوْج؟ فقالت إحداهنّ : الزوج عِزٌّ فى الشدائد، وفى الخُطوب مُساعِد، إن غَضِبْتِ عَطَف، وإن مَرِضْتِ لَطَف، قالت : نعم الشىء هـذا ! فقالت الثانيـة : الزوج شِعَارِى حين أصْرَد، ومُتَّكَئِى حين أرْقُد، وأُنْسِى حين أَفْرُد، فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش. فقالت الثالثة : الزَّوْجُ لِمَـا عَنَانى كاف، ولمَـا شَفَّنِى شاف، يكْفينى فَقْدَ الأُلَّاف، رِيقُه كالشَّهْد، وعِنَاقُه كالخُلْد، لا يُمَلُّ قِرانُه، ولا يخاف حِرَانُه، فقالت : أمهلْننى أنظر فيما قلتن، فاحتجبت عنهنّ سبعا ثم دَعَتْهُنّ فقالت : قد نظرت فيما قلتن فوَجَدْتُنى أُمَلِّكه رِقِّى، وأُبِثّه باطلى وحقِّى، فإن كان محمود الخَـلائق، مأمون البَوائِق، فقد أدْرَكْتُ بِغيتى، وإن كان غيرَ ذلك فقد طالت شِقْوَتى، على أنه لاينبغى إلّا أن يكون كُفْئـا كريما يَسُود عشيرتَه، ويَرُبُّ فَصيلتَه، لا أَتَقنَّع به عارا فى حياتى، ولا أرفع به شَنَارًا لقومى بعد وفاتى، فَعَلَيْكُنّه فابْغينه وتَفَرَّقْنَ فى الأحياء، فأيّتكُنّ أتتنى بمـا أُحِب فلها أجزل الحِباء، وعَلَىَّ لها الوفاء، فخرجْن فيما وجَّهتْهنّ له، وكنّ بناتِ مَقاوِل ذوات عقل ورأى، فجاءتها إحداهن وهى عَمَرَّطة بنت زرعة بن ذى خَنْفَر فقالت : قد أصَبْتُ البُغْية، فقالت : صِفيه ولا تُسَمِّيه. فقالت : غَيْثٌ فى المَحْل، ثِمَالٌ فى الأَزْل، مُفيد مبِيد، يُصْلِح النائر، ويَنْعَش العاثر، ويَغْمُر النَّدِىّ، ويَقْتاد الأَبِىّ، عِرْضُه وافر، وحَسَبُه باهر، غَضُّ الشباب، طاهر الأثواب. قالت : ومن هو؟ قالت : سَبْرة بن عَوّال بن شَدّاد بن الهَمَّال. ثم خلت بالثانية فقالت : أصبتِ من بُغْيتك شيئا؟ قالت : نعم، قالت : صِفيه ولا تسمّيه. قالت : مُصَامِص النَّسَب، كريم الحَسَب، كامل الأدب، غزير العطايا، مألوف السجايا، مُقْتَبل الشباب، خَصِيب الجناب، أَمْرُه ماض، وعَشِيره راض. قالت : ومن هو؟ قالت : يَعْلَى بن هَزّال بن ذى جَدَن. ثم خلت بالثالثة فقالت : ما عِنْـدَكِ؟

قالت : وجدته كثير الفوائد، عَظيم المَرافِد، يُعْطِى قبل السؤال، ويُنيل قبل أن يُسْتَنال، فى العشيرة معظَّم، وفى الندىّ مكرّم، جمّ الفواضل، كثير النوافل، بذَّال أموال، مُحقِّق آمال، كريم أعمام وأخوال؛ قالت : ومن هو؟ قالت : رَوَاحة بن حُمَير بن مضحى بن ذى هُلاهِلة؛ فٱختارت يَعْلَى بن هَزَّال فتزوّجته، فٱحتجبت عن نسائها شهرا ثم بَرَزَتْ لهن، فأجزلت لهن الحِبَاء، وأعْظَمَتْ لهن العطاء.

قال أبو على إسماعيل : المِخْلاف : الكُورة . وأصْرَد : أبْرَد . ويَرُبُّ : يجمع ويُصْلِح . وأنشدنا أبو بكر لرجل(١) يصف إبلا :

تَرَبَّعت فى حُرُضٍ وحَمْـــض * جاءت تَهُضُّ الأرضَ أىَّ هَضِّ
يَدْفع عنها بَعْضُها عن بعض * مثْل العَذَارى شِمْنَ عَيْنَ المُغْضِى

تَرَبَّعت : أقامت فى الربيع . والحُرُض : الأُشْنان . والحَمْض : ما مَلُح من النبات . وتَهُضّ : تَدُقّ . وقوله : يدفع عنها بعضها عن بعض، أى هى مستوية حسان كلها ليست فيهـا واحدة تَبِينها فتَسْبِق إليها العين، ولكن إذا قيل : هذه أحسن، قيل : لا، هذه؛ فيدفع بعضها عن بعض العين أن تَعِينَها . وشِمْنَ : فَتَحْن عين المُغْضِى فينظر اليهن وهن مثل العذارى فى الحسن .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعىّ لسُلْمِىّ(٢) بن ربيعة :

حَلَّتْ تُماضِــرُ غُرْبَةً فٱحْتَلَّتِ * فَلْجًا وأهْــلُك باللِّوَى فالحِـــلَّةِ
فكأنّ فى العينين حَبَّ قَرَنْفُــلٍ * أو سُنْبُــلا كُحِلَت به فٱنْهَلَّت
زَعَمتْ تُماضِــرُ أننى إمّا أَمُتْ * يَسْــدُدْ أُبَيْنُوها الأصاغرُ خَلَّتِى
تَرِبتْ يداكِ وهــل رأيتِ لقــومه * مِثْـلى على يُسْرِى وحينَ تَعِلَّتِى
رجلا إذا ما النائبــات غَشِــينَهُ * أَكفَى لمُضْلِعةٍ وإن هى جَلَّت
ومُنَــاخِ نازلةٍ كَفَيْت وفارسٍ * نَهِلَتْ قَنَــاتِىَ من مَطَاه وَعَلَّت
وإذا العَــذَارَى بالدُّخَان تَقَنَّعَتْ * وٱستعجلت هَزْمَ القُــدور فَمَلَّت
دارت بأرزاق العُــفاة مَغَــالِقٌ * بِيَــدَىَّ من قَمَــع العِشار الجِــلَّةِ

(١) هو رُكَّاض الدُّبَيْرى كما فى اللسان ج ٩ ص ١١٦

(٢) فى الأصمعيات (طبع مدينة ليبسج سنة ١٩٠٢ م) تنسب هذه الأبيات الى علباء بن أرقم بن عوف (صواب هذا الاسم : علباء بن أرقم كما فى النوادر لأبى زيد ص ١٠٤ واللسان ج ٢ ص ٤٠٧) .

ولقـــد رَأَبْتُ ثَأَى العَشيرة بَيْنَها * وكَفَيْتُ جانبَها[1] اللَّتيّا والَّتي

وصَفَحْتُ عن ذى جَهْلِها ورَفَدْتُها * نُصْحِى ولم تُصِبِ العشــيرة زَلَّتي

وكَفَيْتُ مولاى الأَجَمَّ جَريرتى * وحَبَسْتُ سائمتى على ذى الخَـلَّة

قال : وروى عن أبى زيد : مولاى الأَحَمَّ بالحاء .

قال أبو على : المُضْلِعَة : أمر شديد تُضْلِع صاحبها ، أى تُميـله للوقوع . والهَزْم : الصوت ، يريد صوت الغَلَيان . والمَغالق : يريد بها القِداح التى يَغْلَق بها الرهن[2] . والقَمَع : الأسنِمَة ، واحدتها قَمَعة . والعِشار جمع عُشَراء ، وهى التى أتت عليها عشرة أشهر من حملها ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع أياما . والثَّأَى : الفساد ، وأصل ذلك الثَّأَى فى الخَرْز ، وهو أن تنخرم الخُرْزتان فتصيرا واحدة ، يقال : أثأيت الخَرْز اذا خَرَمْته . ورَأَبْتُ : أصلحت . والأَجَمُّ : الذى لا رُمح معه . وأما الأحم بالحاء : فالأقرب ، والحَميم : القريب . والأعزَل : الذى لا سلاح معه . والأكْشَف : الذى لا تُرْس معه . والأَمْيَل : الذى لا سيف معه ، والأميل أيضا : الذى لا يثبت على الخيل ، قال الأعشى :

غَيْرِ مِيلٍ ولا عَوَاوِيرَ فى الهَيْــ * ــجا ولا عُزَّلٍ ولا أكْفال

قال أبو على : المِيل جمع أمْيَل ، والعَوَاوِير جمع عُوّار ، وهو الجبان ، والعُزَّل جمع أعْزَل . والأكفال جمع كِفْل ، وهو أيضا الذى لا يثبت على الخيل مثل الأمْيَل ، غير أن الأمْيَل الذى يميـل الى جانب والكِفْل الذى يزول عن مَتْن الفرس الى كَفَله . والخَلَّة بالفتح : الحاجة ، والخُلَّة بالضم : الصداقة .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه قال : أنشدنى رجل من بنى فَزارة :

لا يُبْعِـــد اللهُ قوما إن سألتَهُـمُ * أعْطَوا وإن قلتُ يا قوم انْصُرُوا نَصَروا

وإن أصابتهـــمُ نَعماءُ سابغــةٌ * لم يَبْطَروها وإن فاتتْهُمُ صَبَروا

الكاسرون عِظاما لا جُبُورَ لهـا * والجابرون فأعْلَى النـاس مَنْ جَبَروا

---

(١) فى الأصمعيات : « وكفيت جانبها ... » . (٢) المغالق : سهام الميسر ، سميت بها لأن بها يغلق الخطر وهو السبق الذى يراهن عليه من قولهم : غلِق الرهنُ اذا لم يقدر على افتكاكه .

فقلت : من يقول هذا؟ فقال الذى يقول :

إذا نُشِرَتْ نفسى تَذَكَّرتُ ما مَضَى * وقومِىَ إذ نَحْنُ الذُّرى والكَواهِـلُ
وإذْ لِىَ منهـم جُنَّـةٌ أتّقِى بهـا * وجُرْثومـةٌ فيهـا حِفَـاظٌ ونائل
وإذ لا تَرُود العَـيْنُ عنـا لِبُغْيَـةٍ * ولا يَتَخَطَّانا المَـرُوع المُوائـل
ولا يَجِـدُ الأضـياف عنـا مُحَوَّلا * إذا هَبَّ أرواحُ الشـتاء الشَّمائـلُ
إذا قيـل أيْنَ المُشْتَفَى بدمائهم (١) * وأين الرَّوابى والفُـرُوع المَعاقِل
أُشِـيرَ إلينـا أو رَأى الناسُ أنّنـا * لهم جُنَّـةٌ إن قال بالحق قائل
فأصبحتُ مثل النَّسْر تحت جَناحه * قَـوادِمُ صارَتْها اليـه الحَبَائل
فلو أنّ قومى أكْرَمُونى وأتْأقُوا (٢) * سِجالا بها أَسْـقِ الذين أُساجِل
كَفَفْتُ الأذى ماعِشْتُ عن حُلَمائهم * وناضلْتُ عن أعراضهم من يُناضِل
ولكنّ قومى عَزَّهم سُـفَهاؤهم * على الرأى حَتّى ليس للـرأى حامل
تُظُوهِرِ بالعُـدْوان وٱخْتِيل بالغِنى * وشُورِك فى الرأى الرِّجالُ الأماثِـل

ثم قام مُغْضَبا مُتصاعِرا كأنّ المَحاجمَ على أخْدَعيْه .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم ولم يُسنده :

تَوَدُّ عَـدُوِّى ثم تَزْعُم أننى * صَديقُك إنّ الرأىَ عَنْك لَعازِبُ
وليس أخى من وَدّنى رَأْىَ عَيْنِه * ولكن أخى من وَدّنى وهْوَ غائبُ

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى ثعلب :

أحَبُّ بلادِ الله ما بَيْنَ مَنْعِجٍ * إلىّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحابُها
بلادٌ بها حَلَّ الشباب تَمائمى (٣) * وأوّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدى ترابُها

(١) المشتفى بدمائهم : الملوك الأشراف ، فإن العرب يزعمون أن دماء الملوك تَشفى من الكَلَب والخبل ، قال الفرزدق :

من الدارِميِّين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المَجنّة والخبل

(٢) أتأقوا : ملأوا . (٣) روى فى اللسان فى مادة نوط :

* بلاد بها نِيطَت علىّ تمائمى *

ونيطت أى علقت . والتمائم ، واحدتها تميمة وهى خرزات كان الأعراب يعلّقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم فأبطله الإسلام . والبيتان لرقاع بن قيس الأسدىّ .

[مطلب ما قاله الشعراء فى وصف الحديث مدحا وذما]

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى :

مُنَعَّـمةٌ يَحَـارُ الطَّرْفُ فيهـا * كأنَّ حَديثَها سُكْرُ الشباب
من المُتَصَدِّيات لغَـير سُـوءٍ * تَسيل اذا مَشَتْ سَيْلَ الحَباب

وأنشدنى أبو بكر بن دريد رحمه الله فى خبر طويل :

وكنت اذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأرضها * أرى الأرضَ تُطْوَى لى ويَدْنُو بعيدُها
من الخَفِـراتِ البِيضِ وَدَّ جليسُهـا * مَتَى ما ٱنقَضَتْ أُحْدُوثةٌ لو تُعيدهـا

وأنشدنا بعض أصحابنا فى حسن الحديث :

فَبِتْنَـا على رَغْمِ الحَسُـود وبَيْنَنـا * حديثٌ كَمِثْلِ المِسْكِ شِيبَتْ به الخَمْرُ
حديثٌ لو آن المَيْتَ نُوجِى ببعضـه * لأصْبح حَيًّـا بعـدَ ما ضَمَّه القَـبْر

قال أبو على : وقرأت فى نوادر آبن الأعرابى عن أبى عمر المطرّز قال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى عن آبن الأعرابى لأعرابىّ :

وحديثُها كالقَطْـرِ يَسْـمَعُه * راعى سِنِينَ تَتَـابَعَتْ جَدْبا
فأصَاخ يَرْجُو أن يكون حَيًّا * ويقول مِنْ فَرَحٍ هَيَا رَبَّا

وأحسنَ فى هذا المعنى علىّ بن العبّاس الرومى أنشدنَاه الناجم قال : أنشدنا على بن العباس لنفسه :

وحديثُها السِّـحر الحَلَال لو آنّهُ * لم يَجْنِ قَتْـلَ المُسْـلم المُتَحَـرِّز
إن طالَ لم يُمْلَلْ وإنْ هى أوْجَزَتْ * وَدَّ المحـدَّثُ أنهـا لم تُوجِز
شَرَكُ العُقول ونُزْهَـةٌ ما مِثْلُهـا * لِلْمُطْمَئِنّ وعُقْـلةُ المُسْتَوْفِز

وأنشدنا بعضُ أصحابنا لبَشّار :

وكأنّ رَضْفَ حديثِها * قِطَع الرِّياض كُسِين زَهْرا
وكأنّ تحتَ لسانهـا * هاروتَ يَنْفُثُ فيه سِحْـرا
وتَخَـال ما جَمَعَتْ عليـــه * ثِيابَهـا ذَهَبـا وعِطْرا
وكأنّها بَرْدُ الشَّـرا * ب صَفَا ووافق منك فِطْرا

وقرأت على أبى بكر بن دريد من خط إسحاق بن إبراهيم لأعرابىّ :

أمُرُّ مُجَنَّبًا عن بيت لَيْلَى * ولم أُلْمِمْ به وبِىَ الغَليلُ
أمر مجنّبا وهواى فيه * فَطَرْفِى عنه منكسِرٌ كليل
وقلبى فيه مُقْتَتَل فهل لى * الى قلبى وساكِنِه سَبِيل
أُؤَمّل أن أُعِلّ بِشُرْب لَيْلَى * ولم أَنْهَل فكيف لى العَليل

وأنشدنا الأَخفش لأبى علىّ البصير :

غِناؤكِ عندى يُميت الطَّرَبْ * وضَرْبُكِ بالعُود يُحْيِي الكُرَبْ
ولم أر قَبْلَكِ من قَيْنةٍ * تُغَنِّى فأحْسَبُها تَنْتَحِب
ولا شاهَدَ الناسُ إنْسِيَّةً * سِواك لها بَدَنٌ من خَشَب
ووَجْهُهُ رقيبٌ على نفسه * يُنَفِّر عنه عُيونَ الرِّيَب
فكيف تَصُدِّين عن عاشق * يَوَدُّكِ لو كان كَلْبًا كَلِب
ولو مازَجَ النارَ فى حَرِّها * حديثُك أَخْمَدَ منها اللَّهَب .

وأنشدنا ٱبن الأنبارى قال : أنشدنا أبو الحسن بن البراء :

فَدَيْتُك ، لَيْلِى مُذْ مَرِضْتِ طويلُ * ودَمْعى لما لاقيتُ فيك هَمولُ
أ أشرب كأسا أم أُسَرُّ بلَذَّة * ويُعْجِبنى ظَبْىٌ أغَنُّ كَحيلُ
وتَضْحَكُ سِنِّى أو تَجِفُّ مدامعى * وأصبو الى لهوٍ وأنتِ عليلُ
ثَكِلْتُ اذًا نفسى وقامت قيامتى * وغالَتْ حياتى عند ذلك غُولُ

قال أبو على : ومن أحسن ما سمعت فى القَسَم قول الأشتر النَّخَعِىّ رحمه الله :

بَقَّيْتُ وَفْرِى وٱنحرفْتُ عن العُلَا * ولَقِيتُ أضيافى بوجْهِ عَبُوسِ
إن لم أشُنَّ على ٱبن هِنْدٍ غارةً * لم تَخْلُ يومًا من نِهاب نفوس
خَيْلًا كأمثال السَّعالِى شُزَّبًا * تَعْدُو بِبِيضٍ فى الكَرِيهة شُوسِ
حَمِيَ الحديدُ عليهمُ فكأنّه * لَمَعان بَرْقٍ أو شُعاعُ شُموسِ .

وأنشدني بعض أصحابنا :

ولكنّ عبدَ الله لما حَوَى الغِنَى * وصار له من بين إخوانه مالُ
رأى خَلّةً منهم تُسَدُّ بماله * فساهَمَهُمْ حتى آستوت فيهم الحال

[مطلب حديث ليلى الأخيلية مع الحجاج وشرح الغريب من ذلك]

وحدّثني أبو بكر بن الأنباري قال حدّثني أبي قال أخبرنا أحمد بن عبيد عن أبي الحسن المدائني عمن حدّثه عن مولًى لعَنْبَسَة بن سعيد بن العاصي قال : كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد بن العاصي اذا دخل على الحجّاج ، فدخل يوما فدخلت اليهما وليس عند الحجاج أحد إلا عنبسة ، فأقعدني فجيء الحجاج بطَبَق فيه رُطَب ، فأخذ الخادم منه شيئا فجاءني به ، ثم جيء بطبق آخر حتى كَثُرت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه بشيء ، حتى ظننت أن ما بين يديّ أكثر مما عندهما ، ثم جاء الحاجب فقال : آمرأة بالباب؟ فقال له الحجّاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقَنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتّى قعدت بين يدَيه ، فنظرتُ فإذا آمرأة قد أسَنّت حَسَنةُ الخَلْق ومعها جاريتان لها ، واذا هي ليلى الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ، فقال لها : ياليلى ، ما أتى بك؟ فقالت : إخلاف النجوم ، وقِلّة الغُيوم ، وكَلَب البَرْد ، وشدة الجَهْد ، وكنتَ لنا بعد الله الرِّفْد . فقال لها : صِفِي لنا الفِجَاج ، فقالت : الفِجَاج مُغْبَرَّة ، والأرض مُقْشَعِرّة ، والمَبْرَكُ مُعْتَلّ ، وذو العيال مُخْتَلّ ، والهالك لِلْقُلّ ، والناس مُسْنِتُون ، رحمةَ الله يَرْجُون ، وأصابَتْنا سِنُون مُجْحِفة مُبْلِطة ، لم تَدَعْ لنا هُبَعًا ، ولا رُبَعا ، ولا عافِطَةً ولا نافِطَة ، أذْهَبَت الأموال ، ومَزَّقت الرجال ، وأهْلَكَتْ العيَال ، ثم قالت : إني قلت في الأمير قولا ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحَجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحُك إنَّها الـ * ـمَنَايا بِكَفِّ الله حيثُ تراها
أحجّاجُ لا تُعْطِي العُصاةَ مُناهُمُ * ولا اللهُ يُعْطِي للعصاة مُناها
اذا هَبَطَ الحَجّاجُ أرضًا مَرِيضةً * تَتَبَّع أقْصَى دائها فَشَفَاها
شَفاها من الداء العُضَال الذي بها * غلامٌ اذا هَزَّ القَناةَ سَقاها
سَقاها فرَوّاها بِشُرْبِ سِجَالِه * دماءَ رجال حيث مال حشاها

اذا سمع الحجّاجُ رِزَّ كتيبةٍ (١) * أعدَّ لها قبل النزول قِراها
أعدَّ لها مَسْمومةً فارسيَّةً * بأيدى رجال يحْلُبون صَراها
فما وَلَدَ الأبكارُ والعُونُ مثلَه * ببحر ولا أرضٍ يجفُّ ثَراها

قال : فلما قالت هذا البيت قال الحجاج : قاتلها الله! والله ما أصاب صفتى شاعرٌ مذ دخلتُ العراقَ غيرها، ثم التفت الى عنبسة بن سعيد فقال : والله إنّى لَأُعِدُّ للأمر عسى ألّا يكون أبدا، ثم ٱلتفت اليها فقال : حَسْبُكِ، قالت : إنى قد قلت أكثر من هذا، قال : حَسْبُكِ! وَيْحَكِ حَسْبُكِ! ثم قال : ياغلام، ٱذهب الى فلان فقل له : ٱقطع لسانها، فذهب بها فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها، قال : فأمر بإحضار الحَجّام، فالتفتت اليه فقالت : ثكِلَتْك أُمُّك! أما سمعت ما قال، إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصِّلة، فبعث اليه يَسْتَثْبِتُه، فاستشاط الحجاج غضبا وهَمَّ بقطع لسانه وقال : ٱرددها، فلما دخلت عليه قالت : كاد وأمانة الله يَقْطَع مِقْوَلى، ثم أنشأت تقول :

حَجّاجُ أنت الذى ما فَوْقَهُ أحدٌ * إلا الخليفةُ والمستغفَرُ الصَّمَدُ
حجّاج أنتَ شهابُ الحَرْب إن لَقِحت * وأنت للناس نُورٌ فى الدُّجَى يَقِدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه؟ قالوا : لا والله أيها الأمير، إلّا أنّا لم نَرَ قطُّ أفصحَ لسانا، ولا أحسن محاورة، ولا أملح وجها، ولا أرصَنَ شِعْرا منها! فقال : هذه ليلى الأخيلية التى مات تَوْبة الخَفَاجىُّ من حبها! ثم ٱلتفت اليها فقال : أنشدينا ياليلى بعض ما قال فيك توبة ؛ قالت : نعم أيها الأمير، هو الذى يقول :

وهل تَبْكِيَنْ لَيْلَى اذا مُتُّ قبلها * وقام على قبرى النساء النوائحُ
كما لو أصاب الموتُ لَيْلَى بَكَيْتُها * وجاد لها دمع من العين سافحُ
وأُغْبَطُ من لَيْلَى بما لا أناله * بلى كل ما قرّت به العين طائحُ (٢)
ولو أنّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سلّمت * عَلَيَّ ودونى جَنْدَلٌ وصفائحُ
لَسَلَّمتُ تسليم البَشاشة أو زَقَا * اليها صَدًى من جانب القبر صائحُ

(١) الرز بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد. (٢) روى الشطر الأخير من هذا البيت فى ديوان الحماسة هكذا :
* ألا كل ما قرّت به العين صالح *

فقال : زيدينا من شعره ياليلى ؛ قالت : هو الذى يقول :

حَمَامةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنَّمِى * سقاكِ من الغُرِّ الغَوادِى مَطِيرُها
أَبِينِى لنا لا زال رِيشُك ناعمًا * ولا زلتِ فى خَضْراء غَضٍّ نَضِيرُها
وكنتُ اذا ما زُرْت ليلى تبرقعت * فقد رابنى منها الغَداةَ سُفُورُها
وقد رابنى منها صدودٌ رأيته * وإعراضُها عن حاجتى و بُسُورها
وأُشْرِف بالقُور[(١)] اليَفَاع لَعَلَّنى * أرى نار ليلى أو يرانى بَصِيرُها
يقول رجال لا يَضِيرك نَأْيُها * بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النفوسَ يَضِيرها
بلى قد يَضِير العينَ أن تُكْثِر البكا * ويُمْنَع منها نَوْمُها وسرورها
وقد زعمت لَيْلَى بأَنِّىَ فاجرٌ * لنفسى تُقَاها أو عليها فُجُورها

فقال الحجاج : ياليلى ، ما الذى رابه من سُفورك؟ فقالت : أيها الأمير ، كان يُلِمُّ بى كثيرا ، فأرسلَ إلىّ يوما أنى آتيك ؛ وفَطِن الحَىُّ فأرصدوا له ؛ فلما أتانى سَفَرْتُ عن وجهى ؛ فعلم أن ذلك لشرٍّ فلم يَزِدْ على التسليم والرجوع ؛ فقال : لله دَرُّكِ! فهل رأيت منه شيئا تكرهينه؟ فقالت : لا والله الذى أساله أن يُصلحك ، غيرَ أنه قال مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأتْ تقول :

وذى حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها * فليس اليها ما حَيِيتَ سَبِيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونه * وأنت لأخرى صاحبٌ وحليل[(٢)]

فلا والله الذى أساله أن يصلحك ، ما رأيت منه شيئا حتى فرّق الموت بينى و بينه ؛ قال : ثم مه! قالت : ثم لم يلبَث أن خرج فى غزاة له فأوصى ٱبن عمٍ له : اذا أتيتَ الحاضر من بنى عبادة فنادِ بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أَبِيتَنَّ ليلةً * من الدَّهْر لا يَسْرِى إلىَّ خيالُها

وأنا أقول :

وعنه عَفَا رَبِّى وأحسن حاله * فَعَزَّتْ علينا حاجةٌ لا ينالُها

قال : ثم مه! قالت : ثم لم يلبث أن مات فأتانا نَعِيُّه ؛ فقال : أنشدينا بعض مَرَاثيك فيه ؛ فأنشدتْ :

(١) القور : جمع قارة وهى الجبيل الصغير .

(٢) كذا فى الأغانى طبع بولاق و بعض نسخ الأصل الخطية ، وفى الطبعة الأولى «خليل» بالخاء المعجمة .

لِتَبْكِ عليه من خَفاجةَ نِسوةٌ * بماء شُؤون العَبْرة المتحدّر (١)

قال لها : فأنشدينا ، فأنشدتْه :

كأنَّ فتى الفتيان تَوْبَةَ لم يُنِخْ * قلائصَ يَفْحَصْنَ الحصى بالكَراكِر (٢)

فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفَقْعَسِىّ — وكان من جلساء الحجاج — : من الذى تقول هذه هذا فيه؟ فوالله إنى لأظنّها كاذبة ؛ فنظرت اليه ثم قالت : أيها الأمير، إن هذا القائل لو رأى توبة لسرّه ألا تكون فى داره عذراء إلّا هى حامل منه ؛ فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب وقد كنتَ عنه غنيّا ، ثم قال لها : سَلِى ياليلى تُعْطَىْ ؛ قالت : أعْطِ فمثلك أعطى فأحسن ؛ قال : لك عشرون ؛ قالت : زد فمثلك زاد فأجمل ؛ قال : لك أربعون ؛ قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ؛ قال : لك ثمانون ؛ قالت : زد فمثلك زاد فتمّم ؛ قال : لك مائة ، واعلمى أنها غَنَم ؛ قالت : معاذ الله أيها الأمير! أنت أجْوَدُ جُودا ، وأمجد مجدا ، وأوْرَى زَنْدا ، من أن تجعلها غنما ؛ قال : فما هى ويحك ياليلى؟ قالت : مائة من الإبل برُعاتها ؛ فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجة بعدها؟ قالت : تدفع إلىّ النابغة الجَعْدىّ ؛ قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ؛ فبلغ النابغة ذلك ، فخرج هاربا عائذا بعبد الملك ؛ فاتّبعتْه الى الشام ؛ فهرب الى قُتَيْبة بن مسلم بخراسان ، فاتّبعته على البريد بكتاب الحجاج الى قتيبة ، فماتت بقُومَس ويقال : بحُلْوان .

قال أبو على : قولها : إخلاف النجوم ، تريد : أخْلَفَت النجومُ التى يكون بها المطر فلم تأت بمطر . وكَلَبُ البَرْد : شدّته ، وهذا مثل لأن الكَلَب السُّعار الذى يصيب الكلاب والذئاب . والرِّفْد :

(١) فى الطبعة الأولى : « لتبك العذارى ... » وما أثبتناه هنا من الكامل للبرّد ص ٧٣٢ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤م . وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

أعينىّ ألا فابكى على ابن حُمَيِّر * بدمع كفيض الجدول المتفجِّر

ومما كتبه بعضهم على هامش بعض النسخ من قوله : لعله المتحادر ، بالألف قبل الدال لتستقيم القافية ، ونقله مصحح الطبعة الأولى لم يتحرّ فيه الصواب ، فإن البيت الذى استند اليه فى لزوم الألف وهو :

فتى لا تخطّاه الرِّفاق ولا يرى * لقِدْرٍ عيالا دون جار مجاور

من قصيدة أخرى لليلى أيضا مطلعها :

نَظَرتُ وركنٌ من بُوَانة دوننا * وأركان حُسْمَى أىّ نظرة ناظر

ومنها البيت : كأن فتى الفتيان الخ .

(٢) الكراكر جمع كِرْكِرة ، وهي زور البعير الذي اذا برك أصاب الأرض وهي ناتئة عن جسمه كالقرصة . كذا في اللسان .

المَعُونة، والرِّفْد : العَطِيَّة، ويقال : رَفَـدْته من الرَّفْد وأرْفَدْته اذا أعنته على ذلك؛ وقال الأصمعىّ : الرِّفْد بكسر الراء : القدَح . والرَّفْد بالفتح : مصـدر رَفَدْته، والرَّفُود من الإبل التى تملأ الرِّفْد؛ وقال أبو عبيدة : الرَّفْد بفتح الراء : القَدَح، وأنشد قول الأعشى :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُه ذلك اليو * مَ وأَسْرَى من مَعْشَرٍ أقتال[1]

قال : والرِّفْد بالكسر : المعونة؛ وروى الأصمعىّ : رُبَّ رِفْد بكسر الراء . والفِجَاج جمع فَجٍّ؛ والفج : كل سَعَة بين نَشَازَيْن، كذا قال أبو زيد . وقولها : والمَبْرَك مُعْتَلّ، أرادت الإبل فأقامت المبرك مكانها لعلم المخاطب إيجـازا واختصارا، كما قالوا : نهارُه صائم وليلُه قائم . وقولها : وذو العيال مُخْتَلّ، أى محتاج، والخَلَّة الحاجة . وقولهـا : والهالك للقُلّ، أى من أجل القِلَّة . وقولها : مُسْنِتُون، أى مُقْحطون، والسَّنَة : القَحْط، والسُّنُون : القُحُوط . ومُجْحِفة : قاشرة . وقولهـا : مُبْلِطة، أى مُلْزِقة بالبَلاط، والبَلاط : الأرض الملساء، وقال الأصمعىّ : أَبْلَط الرجلُ فهو مُبْلِط اذا لَزِق بالأرض؛ وحكى يعقوب عن غيره : أُبْلِط فهو مُبْلَط، وهو الهالك الذى لا يجد شيئا . وقولها : لم تَدَعْ لنا هُبَعًا ولا رُبَعا، فالهُبَع : ما نُتِـج فى الصيف . والرُّبَع : ما نتج فى الربيع . وقولها : ولا عافِطة ولا نافِطة، أى لم تدع لنا ضائنة ولا ماعزة، والعافِطة : الضائنة، والعَفْط : الضَّرْط، يقال : عَفَطَتْ تَعْفِط عَفْطا اذا ضَرَطَت، فهى عافطة . والنافطة : المـاعزة، والنَّفْط : العُطاس، يقال : نَفَطَت تَنْفِط اذا عَطَسَت، فهى نافطة .

[مطلب ما يقال فى وصف الرجل لا يملك شيئا وشرح الغريب من ذلك]

وممـا يقال فى هذا المعنى : ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ، أى ما له ذو سَبَدٍ وهو الشعر، ولا ذو لَبَدٍ وهو الصوف، فمعناه : ما له شاة ولا عَنْز . وما له سارحة ولا رائحة، أى ما له ماشية تَسْرَح أو تروح . وما له ثاغية ولا راغيـة، فالثاغية : الشاة، والراغيـة : الناقة، لأنه يقال لأصوات الشاء : الثُّغَاء، وقد ثَغَتْ تَثْغُو، ولأصوات الإبل : الرُّغَاء، وقد رَغَتْ تَرْغُو؛ والعرب تقول : ما أَثْغَانى ولا أَرْغانى، أى ما أعطانى ثاغية ولا راغية . وما أَجَلَّنِى ولا أَحْشَانى، أى ما أعطانى مِن جِلَّة إبله ولا من حَوَاشِـيها، والحَوَاشِى، واحدتها حاشِـية، وهى صغار الإبل . وما له دقيقة ولا جليلة، والدقيقة : الشاة . والجليلة : الناقة . وما له حانَّة ولا آنَّة، فالحانّة : الناقة تَحِنّ الى ولدها . والآنّة : الأَمَة تَئِنّ

(١) جمع قِتْل بالكسر، وهو العدوّ .

من شدّة التعب أو من علّة . وما له هاربٌ ولا قاربٌ، فالهارب : الصادر عن الماء، والقارب : الطالب للماء . وما له عاوٍ ولا نابحٌ، أى ما له غنم يَعْوِى بها الذئب أو يَنْبَح فيها الكلب، فإذا نفى عنه العاوى والنابح فقد نفى عنه الغنم . وما له هِلّعٌ ولا هِلّعة، أى ما له جَدْى ولا عَنَاق . وما له زَرْعٌ ولا ضَرْع . وما له قِدٌّ ولا قِحْفٌ، فالقِدّ : إناء من جلود ، والقِحْف : إناء من خشب . وما له أقَذٌّ ولا مَرِيش، فالأقذّ : السهم الذى لا قُذّة له ، وهى الريش، وجمعها قُذَذ ، والمَرِيش : الذى عليه الرِّيش . وما له سَعْنة ولا مَعْنَة، أى ما له قليل ولا كثير، قال النمر بن تولب :

ولا ضَيَّعتُه فأُلامَ فيه * فإنّ ضَياعَ مالك غيرُ مَعْنِ

أى غير يسير ولا هَيِّن، قال أبو العباس : فدل هذا على أن المَعْن : القليل، والسَّعْن : الكثير .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال أخبرنا محمد بن الحكم عن قُطْرُب قال : يقال : ما له سَعْن ولا مَعْن، فالسَّعْن : الوَدَك . والمَعْن : المعروف، وأنشد بيت النمر، وقد مضى فى الباب . وما له دارٌ ولا عَقَارٌ، فالعَقَار : النخل . وما له سِتْرٌ ولا حِجْر، فالسِّتْر : الحياء، قال زهير :

السِّتْرُ دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخَيْرِ من سِتْر

والحِجْر : العَقْل، وإنما سمى حِجْراً لأنه يَحْجُر صاحبَه عن القبيح . وما له أثَرٌ ولا عِثْيَر، فالعِثْيَر : الغبار، قال الشاعر :

* أثَرْنَ عليهم عِثْيَراً بالحوافر *

قال أبو العباس أحمد بن يحيى : ومعناه : أنه لا يغزو راجلا فيتبينَ أثرُه، ولا فارسا فيُثِيرَ الغبارَ فرسُه . وما له حِسٌّ ولا بِسٌّ، أى ما له حركة، فالحِسّ : ما يُحَسّ به، والبِسّ من قولهم : أبْسَسْت بالناقة اذا قلتَ لها : بِسْ بِسْ لتَدِرّ . وكسروا الباء ليكون على مثال حس . وقال أبو عبيدة : يقال : قَدِم فلان فما جاء بِهِلَّةٍ ولا بِلَّةٍ، فَهِلَّة : فَرَحٌ ، وبِلَّة : أدنى بَلَل من الخير . وأنشدنا أبو بكر بن دريد عن أبى عثمان عن التوزىّ عن أبى عبيدة لرجل من بنى تميم :

ولمّا رأينَ بنى عاصم * دَعَوْن الذى كُنّ أُنْسِينَه

فوارَيْنَ ما كُنّ حَسَّرْنَه * وأخْفَيْنَ ما كُنّ يُبْدِينه

يصف نساءً سُبِين فأُنْسِين الحياء، فأبدين وجوههن وحسرن رءوسهن، فلما رأين بنى عاصم أيقنَّ أنهن قد استُنْقِذْن، فراجَعْن حياءهن فسَتَرْن وجوههن وغَطَّين رءوسهن .

[مطلب ما وقع بين سُبَيع بن الحارث وميثم بن مثوب من المخاصمة بمجلس مرثد الخير وخطبته فى شأنهما وإصلاحه ذات بينهما وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا السكن بن سعيد الجُرْموزى عن محمد بن عباد عن آبن الكلبي عن أبيه قال : كان مَرْثَد الخَيْر بن يَنْكَف بن نوف بن مَعْديكَرِب بن مُضْحِى قَيْلا، وكان حَدِبًا على عشيرته مُحِبًّا لصلاحهم، وكان سُبَيع بن الحارث أخو عَلَس ــ وعَلَس هو ذو جَدَن ــ وميثم بن مثوب آبن ذى رُعَيْن تنازَعا الشّرف حتى تَشاحَنا وخيف أن يقع بين حَيَّيْهما شرٌّ فيتَفانى جِذْماهما، فبعث إليهما مَرْثَد فأحضرهما ليُصْلح بينهما، فقال لهما : إن التَّخَبُّط وآمْتِطاء الهَجاج، وآسْتِحْقاب اللَّجاج، سَيَقِفُكُما على شَفا هُوّةٍ فى تَوَرُّدِها بَوار الأصِيلَة، وآنقطاعُ الوَسِيلة؛ فتَلاَفَيا أمركما قَبْلَ آنْتِكاث العَهْد، وآنْحِلال العَقْد، وتَشَتُّت الأُلْفة، وتَبايُن السُّهْمة، وأنتما فى فُسْحة رافِهة، وقدم واطِدة، والمَوَدّةُ مُثْرِيَة، والبُقْيا مُعْرِضة؛ فقد عَرَفتم أنْباءَ من كان قَبْلَكم من العَرَب ممن عَصَى النَّصِيح، وخالف الرشيد، وأصْغَى الى التقاطع؛ ورأيتم ما آلت اليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم؛ فتَلافَوُا القَرْحة قبل تَفاقُم الثَّأى وآسْتِفحال الداء وإعْوازِ الدَّواء، فإنه اذا سُفِكَت الدماء آسْتَحْكَمَت الشَّحْناء، واذا آستحكمت الشحناء تقضَّبَتْ عُرَى الإبقاء وشَمِل البلاء؛ فقال سُبَيع : أيُّها الملك، إن عداوة بنى العَلّات لا تُبْرِئُها الأُساة، ولا تَشْفِيها الرُّقاة، ولا تَسْتَقِلُّ بها الكُفاة؛ والحَسَد الكامن، هو الداء الباطن؛ وقد علم بَنُو أبينا هؤلاء أنّا لهم رِدْءٌ اذا رَهِبوا، وغَيْثٌ اذا أجْدَبوا، وعَضُدٌ اذا حاربوا، ومَفْزَع اذا نُكِبوا؛ وإنا وإياهم كما قال الأوّل[1] :

إذا ما عَلَوْا قالوا أبُونا وأُمُّنا * وليس لهم عالِينَ أُمٌّ ولا أب

فقال ميثم : أيها الملك، إن من نَفِسَ على آبن أبيه الزَّعامة، وجَدَبَه فى المَقامة، وآستكثر له قليل الكَرامة، كان قَرِفًا بالملامة، ومُؤَنَّبًا على تَرْك الآستقامة؛ وإنا والله ما نَعْتَدُّ لهم بِيَدٍ إلا وقد نالهم منا كِفاؤها، ولا نَذْكُر لهم حَسَنة إلا وقد تَطَلَّعَ منا إليهم جزاؤها، ولا يَتَفَيَّأ لهم علينا ظِلُّ نعمة إلا وقد قُوبِلوا بشَرْواها؛ ونحن بَنُو فَحْلٍ مُقْرَم لم تَقْعُد بنا الأمّهات ولا بهم، ولم تَنْزِعْنا أعراق السُّوء ولا إياهم؛ فعَلامَ مطُّ الخُدود وخَزْر العُيون، والجَخِيف والتَّصَعُّر، والبَأْو والتكبر؟ ألِكَثْرة عَدَد، أم لفضل جَلَد، أم لطول مُعْتَقَد؟ وإنّا وإياهم لكما قال الأوّل :

(١) هو أوس بن حجر التميمي كما فى ديوانه المطبوع فى فينا سنة ١٨٩٢ م ص ٢

لاهِ ٱبنُ عمِّك لاأَفْضَلْتَ فى حَسَبٍ * عَنِّى ولا أنت دَيَّانِى فتَخْزُونى (١)

ومَقَاطِع الأمور ثلاثة : حَرْبٌ مُبِيرة ، أو سَلْمٌ قَرِيرة ، أو مُداجاةٌ وغَفِيرة ؛ فقال المَلِك : لا تُنْشِطُوا عُقُلَ الشَّوارِد ، ولا تُلْقِحوا العُونَ القَواعد ، ولا تُؤَرِّثوا نِيران الأحقاد ففيها المَتْلَفة المُسْتَأْصِلة ، والجائحة والأَلِيلة ، وعَفُّوا بالحِلْم أَبْلادَ الكَلْم ، وأَنِيبُوا الى السبيل الأرشد والمَنْهَج الأقصد ، فإن الحرب تُقْبِل بِزِبْرِج الغُرور ، وتُدْبِر بالويل والثُّبُور ؛ ثم قال الملك :

ألا هَلْ أتى الأقوامَ بَذْلِى نصيحةً * حَبَوْتُ بها مِنِّى سُبَيْعًا ومِيثَما
وقلت ٱعْلَما أن التَّدابُرَ غادَرَتْ * عواقِبُه لِلذُّل والقُلِّ جُرْهُما
فلا تَقْدَحا زَنْد العُقوق وأَبْقِيا * على العِزَّةِ القَعْساء أن تتهدَّما
ولا تَجْنِيا حَرْبًا تَجُرُّ عليكما * عواقِبُها يَوْمًا من الشَّرِّ أشأما
فإن جُنَاة الحرب للحَيْنِ عُرْضةٌ * تُفَوِّقُهم منها الذُّعافَ المُقَشَّما
حَذَارِ فلا تَسْتَنْبِثُوها فإنها * تُغادِر ذا الأنف الأَشَمِّ مُكَشَّما

فقالا : لا أيها الملك ، بل تَقْبَل نُصْحَك ، ونُطِيع أمرك ، ونُطْفِئ النائرة ، ونَحُلّ الضَّغائن ، ونَثُوب الى السِّلْم .

قال أبو على : قوله : تَشَاحنا ، من الشَّحْناء وهى العداوة . والجِذْم : الأصل ، قال أوسُ بن حَجَر :

غَنِىٌّ تَأَوَّى بأولادها * لِتُهْلِك جِذْمَ تَمِيم بن مُرّ (٢)

وكذلك الجَذْر ، وجُذُورُ الحساب منه ، وقال أبو عمرو الشيبانى : الجِذْر بكسر الجيم . وقال أبو بكر : التَّخَبُّط : ركوب الرجل رأسه فى الشرخاصّة ، قال أبو على : ولم أسمع هذه الكلمة من غيره . فأما التَّخَمُّط بالميم : فالتكَبُّر ، وأنشد يعقوب :

وخَطِيبِ قَوْمٍ قَدَّموه أمامَهم * ثِقَةٍ به مُتَخَمِّطٍ تَيَّاحِ (٣)

---

(١) لاه : أراد : لله ٱبن عمك فحذف لام الجر واللام التى بعدها (انظر اللسان مادة لوه) والبيت لذى الإصبع العدوانى .

(٢) تأوى : تجمع . (٣) يقال : تاح فى مشيته اذا تمايل .

وقال أبو بكر : يقال : رَكِبَ الرجلُ هَجَاجَه(١) إذا لَجَّ ومَحِك ، والاسْتِحْقَاب : استفعال من الحَقِيبة أو من الحِقَاب ، فأما الحَقِيبة فما يَجْعل فيه الرجلُ متاعَه من خُرْج أو غيره ؛ وحَقِيبة الجَمَل التي تكون وراء الرَّجل تُحْشَى تبنا أو حشيشا . وقول نُصَيْب فى سليمان بن عبد الملك رحمهما الله تعالى :

أقول لِرَكْبٍ قافلين لَقِيتُهم * قَفَا(٢) ذاتِ أوشال(٣) ومولاكَ قاربُ

قِفُوا خَبِّرونا(٤) عن سليمان إنّنى * لمعروفه من آل ودّان(٥) طالب

فعاجوا فأثْنَوْا بالذى أنت أهلُه * ولو سكتوا أثْنَتْ عليك الحَقَائب

من الحَقِيبة . والحِقَاب : بَرِيمٌ تَشُدُّ به المرأة وَسَطَها . والبَرِيم : خيط فيه لونان ، وهذا مَثَل ؛ إما أن يكون أراد أنه احْتَرَم باللِّجاج أو جَعَله فى وِعائه . والهُوَّة : الجَوْبة . والبَوَار : الهلاك . وقال أبو زيد : الأصيلة والأصْل واحد . والانْتِكاث : الانْتِقاض ، والأنْكَاث ، واحدها نِكْثٌ ، وهو ما نُقِضَ من الأخْبِية والحِبال ليعاد ثانية ؛ ومنه بشير بن النِّكْث . والسُّهْمَة : القَرابة . ورَافِهة : ناعمة ، من الرَّفاهِيَة . ووَاطِدة : ثابتة . ومُثْرِيَة : متصلة ، مأخوذة من الثَّرَى ، وهو التراب النَّدِىّ ، يقال : ثَرَّيْت الترابَ إذا بَلَلْته ؛ قال جرير :

فلا تُوبِسُوا بينى وبينكمُ الثَّرَى * فإنّ الذى بينى وبينكمُ مُثْرِى

ويقال : قد ثَرِيتُ بك ، أى كَثُرْتُ بك ، وثَرَى بنُو فلان بنى فلان ، أى صاروا أكثر منهم . وأثْرَى الرجلُ يُثْرِى إثْراءً اذا كَثُرَ ماله ، وإنه لَمُثْرٍ . والثَّرَاء والثَّرْوة جميعا : كثرة المال ، وقد تكون الثَّرْوة كثرة العدد . وينشد بيت ابن مقبل :

وثَرْوَةٍ مِن رجالٍ لو رأيتَهمُ * لَقُلْتَ إحدى حِرَاجِ(٦) الجَرِّ من أُقُرِ(٧)

فالثَّرْوة هاهنا كثرة العدد . ويروى ؛ وثَوْرة من رجال ، وهم الذين يَثُورُون فى الحرب . ومُعْرِضة : ممكنة ، قد أمْكَنَتْ من عُرْضها ، أى من جنبها وناحيتها ، يقال : قد أعْرَضَ لك الظَّبْىُ فارْمِه ، أى قد أمكنك من عُرْضه . قال الأصمعى : صارَ يَصير صَيْرورة ومَصِيرا ، والصَّيُّور : الأمر الذى يُرْجَع إليه .

(١) فى اللسان : وركب فلان هجاجَ غيرَ مُجْرَى ، وهجاج مبنياً على الكسر مثل قطام : ركب رأسه اه . وبه يعلم ما هنا .
(٢) قفا : خلف . (٣) الأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق الى المزارع . وذات أوشال : مجتمع ذلك الماء . (٤) رواية الكامل للمبرّد : خبرونى . (٥) ودّان : اسم موضع . (٦) الجرّ : اسم موضع . (٧) أقر : اسم جبل .

وآسْتِفْحال الداء : آشتداده، وهو أن يصير مثل الفحل . وَتَقَضَّبَتْ : تقطعت . وشَمِلَ البلاءُ : عَمَّ، وشَمِلَ يَشْمَل أفصح، وقال أبو عبيدة : شَمَلَ يَشْمُل، وأنشدنا :

كَيفَ نَوْمِى على الفراش ولَمَّا * تَشْمُلِ الشَّأمَ غارةٌ شَعْواء[1]

والأُساة : الأطبَّاء، واحدهم آسٍ، قال البَعِيث :

إذا قاسَها الآسِى النِّطاسِىُّ أدْبَرَتْ * غَثِيثَتُها وآزْدادَ وَهْيًا هُزُومُها

الغَثِيثة : ما سال من الجُرح من مِدَّة أو قَيْح . والإسَاء : الدواء . والرِّدْء : العَوْن، قال الله عز وجل : ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْأً يُصَدِّقُنِى﴾ . والزَّعامة : الرياسة، ويقال : السِّلاح، وهى هاهنا الرياسة، قال لَبِيد :

تَطِيرُ عَدائد الأشْراك شَفْعًا * وَوَتْرًا والزَّعامةُ للغُلام

وجَدَبَه : عابه، وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه جَدَبَ السَّمَرَ بعد عَتَمةٍ، أى عابه، قال ذو الرُّمّة :

فَيَالَكَ مِنْ خَدٍّ أسِيلٍ ومَنْطِقٍ * رَخِيمٍ ومن خَلْقٍ تَعَلَّلَ جادِبُهْ

والمَقامةُ : المجلس، قال الأصمعى : المَجْلِس الناس، وأنشد بيت مُهَلْهِل :

نُبِّئْتُ أنّ النارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ * وآسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المجلسُ

قَرِفًا، قال أبو على : هكذا أملاه قَرِفًا على فَعِل، أى خَليقا، وكان آبن الأعرابى يقول : يقال : أنْتَ قَرَفٌ من كذا، ولا يقال : قَرِيف ولا قَرِف، ويقال : إنه لَخَلِيق لكذا وكذا، وقد خَلُق خَلاقة، وإنه لَجَدِير بكذا وكذا، وقد جَدُر جَدارة، وإنه لَحَرِىٌّ وحَرًى وحَرٍ لذلك، وإنه لَقَمِينٌ بكذا وكذا، وقَمِنٌ وقَمَنٌ، وإنه لَعَسٍ أنْ يفعل ذلك، ويُثَنَّى ويجمع، وليس يقال فيه : يعسو ولا يعسَى، وإنه لَحَجٍ به وحَجِىٌّ به، وقد حَجِىَ يحْجَى حَجًى، ولا يقال : أنت حَجًى بكذا ولا عَسًى . ويقال فى هذا كله : ما أخْلَقَه وأجْدَرَه وأحْراه وأعْساه وأقْمَنَه وأحْجاه وما أقْرَفَه . ويقال فى هذا كله : أفْعِل به : أعْسِ به، أقْرِف به .

قال أبو على : وقد روينا من غير طريق آبن الأعرابى : أنت قَرِفٌ بكذا وحَجًى بكذا، وهما عندنا جائزان . وقال أبو على : ويقال : قَرَف عليه يَقْرِف قَرْفا اذا بَغَى عليه، وقَرَفَ فلان فلانا إذا وَقَع فيه

(١) غارة شعواء : فاشية متفرقة . والبيت لآبن قيس الرقيات كما فى اللسان ج ١٣ ص ٣٩١، ج ١٩ ص ١٦٤

كأنه يَقْشِره . وقَرَفْت القَرْحة اذا قَشَرْتَها ، ويقال : تَرَكْتُهم على مثْلِ مَقْرِف الصَّمْغة ، أى مَقْشِرها ، والقَرْف : القَشْر ، والقِرْف : القِشْر ، والقِرْفة : القِشْرة ، ولهذا سُمِّى هذا التابَل قِرْفة ، لأنه لِحاء شجر . ويقال : صَبَغ ثوبه بقِرْف السِّدْر . وقال الأصمعى : أقْرَف الرجلُ وغيره إذا دانَى الهُجْنة فهو مُقْرِف . ويقال : أخشى عليــه القَرَف ، أى مُداناة المرض . ويقال : قُرِف فلان بسوء فهو مَقْروف ، ومَنْ قِرْفَتُك من القوم ، أى من تَتَّهِم . والمُقَارَفة : الجماع ، وفى حديث عائشة رضى الله عنها : "إنْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيُصْبِح جُنُبا عن قِرافٍ غير آحتلام" . ويقال : آقْتَرَف اذا آكتسب . والقُرُوف : الأوْعِية ، واحدها قَرْف . وشَرْواها : مِثْلُها . والمَطُّ والمَدُّ والمَتُّ بمعنى واحد . والخَزَرُ : أن ينظر الرجل الى أحد عُرْضَيْه ، يقال : إنه ليَتَخَازَر لى إذا نَظَر اليه بمُؤْخِرِ عَيْنه ولم يستقبله بنظره . وأنشدنى أبو بكر آبن دريد :

إذا تَخَازَرْتُ وما بِى من خَزَرْ * ثم كَسَرْت العينَ من غير عَوَرْ[1]
أَلْفَيْتَنِى أَلْوَى بَعِيدَ المُسْتَمَرّْ * أَحْمِل ماحُمِّلْتُ من خَيْرٍ وشَرّْ

وقال أبو عبيدة : الجَخِيف : التَّكَبُّر .

قال أبو على : حدّثنا بعض مشايخنا عن أبى العبّاس أحمد بن يحيى أنه قال : بلغنى أنه قيل للأصمعى : قال أبو عبيدة : الجَخِيف : التكبر ، والبَأْو : التكبر ، قال : أما البَأْو فنَعَمْ ، وأما الجَخِيف فلا .

وحدّثنى أبو بكر بن دريد قال حدّثنى أبو حاتم قال : قلت للأصمعى : أتقول فى التهدّد : أبْرَق وأرْعد؟ فقال : لا ، لست أقول ذلك إلا أن أرَى البَرْق أو أسْمَع الرعد ، فقلت : فقد قال الكميت :

أَبْرِقْ وأَرْعِــدْ يا يزيــ * ــد فما وَعِيدُكَ لى بِضَائِر

فقال : الكُمَيْت جُرْمقانِىٌّ من أهل الموصل ليس بحجة ، والحجة الذى يقول :

اذا جاوَزَتْ مِنْ ذات عِرْقٍ ثَنِيَّةً * فَقُلْ لأبى قَابوسَ ما شِئْتَ فارْعُد

فأتيت أبا زيد فقلت له : كيف تقول من الرَّعْد والبَرْق : فَعَلَت السماءُ ؟ فقــال : رَعَدَتْ وبَرَقَتْ ، فقلت : فمِنَ التهدّد؟ قال : رَعَدَ وبَرَق وأَرْعَدَ وأَبْرَق ، فأجاز اللغتين جميعا ، وأقبــل أعرابىٌّ مُحْرِم

(١) جاء فى اللسان ج ٧ ص ١٩ مانصه : « قال آبن برّى : هذا الرجز يروى لعمرو بن العاص ، قال : وهو المشهور ، ويقال : إنه لأرطاة بن سُهَيّة تمثل به عمرو رضى الله عنه » اهـ .

فأردت أن أسأله ؛ فقال لى أبو زيد : دعنى فأنا أعرف بسؤاله منك ، فقال : يا أعرابى ، كيف تقول : رَعَدَت السماء وبَرَقَتْ ، أو أرْعَدَت وأبْرَقَت ؟ فقال : رَعَدَتْ وبَرَقَت ؛ فقال أبو زيد : فكيف تقول للرجل من هذا؟ فقال: أمِنَ الجَخيف تُريد؟ — يعنى التهدّد — قلت: نعم؛ فقال أقول : رَعَدَ وبَرَق وأرْعَد وأبْرَق . وتَخْزُونِى : تقهرنى وتَسُوسُنى ، وقال يعقوب : خَزَوته : قهرته . والمُدَاجاة : المُساتَرة ، قال الأصمعى : دَجَا الليلُ يَدْجُو اذا ألْبَسَ كُلَّ شىء ؛ وأنشد غيره :

فما شِبْهُ عمرو غيرُ أغْتَمَ فاجِرٍ (١) * أبى مُذْ دَجا الإسلامُ لا يَتَحَنَّفُ

يعنى : ألْبَسَ كلَّ شىء . وقال بعض العرب : ترى الحُبارَى الصَّقْر فينْتَفِش رِيشُها ، فاذا سَكَن رُوعُها دَجَا رِيشُها ، أى رَكِب بَعْضُه بعضا . وقيل لأعرابى : بأى شىء تَعْرِف حَمْلَ الشاة ؟ فقال: بأن تَسْتَفِيض خاصِرتاها وتَدْجُوَ شَعْرَتُها ويُحشِف حَيَاؤها . وقوله : غَفِيرة ، أى غُفْران ، والعرب تقول : ليست فيهم غَفِيرة ، أى لا يَغْفِرون . ويقال : جاءوا جَمًّا غَفِيرا والجَمَّاءَ الغَفِيرَ . والغَفْر : زِئْبِر الثوب ، والغَفْر : الشَّعَرُ الذى على ساق المرأة ، والغَفْر : مَنْزِل من منازل القمر ، كلها مسكّنة الفاء مفتوحة الغين . والغُفْر : وَلَد الأُرْوِيَّة ، والجمع أغْفار . والغِفَارة : السحابة تراها كأنها فوق السحابة ، والغِفَارة : الجلدة التى تكون على رأس القوس فى الحَزِّ يَجْرِى عليها الوَتَر ، والغِفَارة : خرقة تلبسها المرأة تحت مِقْنَعتها تُوَقِّى بها الخِمَار من الدُّهْن . ويقال : غَفَرَ الرجلُ يَغْفِر غَفْرا اذا بَرَأ من مرضه ، وغَفَر اذا نُكِس ، قال الشاعر (٢) :

خَليلَىَّ إنَّ الدارَ غَفْرٌ لِذِى الهوى * كما يَغْفِرُ المحْمومُ أو صاحبُ الكَلْمِ

وغَفَر الجُرح يَغْفِر غَفْرا اذا فَسَدَ ، وغَفَرَ الرجلُ المتاعَ فى الوعاء يَغْفِره غَفْرا ، ويقال : اْصْبُغْ ثوبَك بالسَّواد فإنه أغْفَرُ للوسخ ، أى أغْطَى له . وقال الأصمعى : نَشَطت العُقْدة : عَقَدْتُها ، وأنْشَطْتها : حَلَلْتُها . وأما قوله : ولا تُلْقِحوا العُون ، فإنما هو مَثَلٌ ، وأصله فى الإبل ، يقال : لَقِحَت الناقةُ اذا حَمَلت وألْقَحَها الفَحْلُ ، ثم ضرب ذلك مَثَلا للحرب اذا ٱبتدأت . والعُونُ : جمع عَوَان وهى الثيِّب ، يقال للحرب : عَوانٌ اذا كان قد قُوتِل فيها مرة بعد مرة . وتُؤَرِّثوا : تُذْكُوا ، قال أبو زيد : يقال:

(١) فى اللسان ج ١٨ ص ٢٧٣ : كعب . (٢) الشاعر هو المرّار الفقعسى كما فى اللسان مادة غفر وبعد البيت :

قفا فاسألا من منزل الحىّ دِمْنةً * وبالأبرق البادى ألِمَّا على رسم

أَرِّ نارَك تأريةً، أى عَظِّمْها، ونَمِّها تَنْمِيَةً مثلُه، وكذلك ذَكِّ نارك تذكيةً، أى ألقِ عليها حطبا أو بعرًا لتَهِيجَ، وآسمُ الذى يُلْقَى عليها من الحطب أو البعر: الذُّكية، وأرِّثْ نارَك تأريثًا مثله، وآسم ما تُؤَرَّث به النارُ: الإِرَاث. والأَلِيلة: الثُّكل. والجائحة: الآستئصال، أنشدنى أبو بكر:

فَهِىَ الأَلِيــلَةُ(١) إن قَتَلْتُ خُؤُولَتِى * وهِىَ الأَلِيلةُ(١) إن هُمُو لم يُقتَــلوا

والأَلِيل: الأنين، قال آبن مَيَّادة:

وقُولَا لهــا ما تَأْمُرِينَ لِوامِقٍ * له بَعْـدَ نَوْمات العُيون أَلِيــلُ

أى أنين. ويقــال: سَمِعْت أَلِيلَ المــاء وخَرِيره وقَسِيبَه، أى صــوت جَرْيه. والأَبْلاد: الآثار، واحدها بَلَدٌ، وكذلك النُّدُوب، واحدها نَدَبٌ. والحَبَار والحَبَرُ والعُلُوب: الآثار. والدَّعْس: الأَثَرُ. والعاذرُ: الأثر، قال آبن أحمر:

أُزاحِمُهُمْ بالبــاب إذ يَدْفَعُونَنِى * وبالظَّهْرِ مِنِّى مِنْ قَرَا الباب عاذرُ

والزِّبْرِج: السحاب الذى تَسْفِرُه الريح، وهــذا قول الأصمعىّ، وقال أبو بكر بن دريد رحمه الله: لا يقال: زِبْرِج إلا أن تكون فيــه حُمْرة. والقُلُّ: القِلَّةُ. والذُّل: الذِّلة. والقَعْساء: الثابتــة. وتَفَوَّقْهم: تسقيهم الفُوَاق، والفُوَاق: ما بين الحَلْبتين، كأنه يَحْلُب حَلْبة ثم يسكت ثم يَحْلُب أخرى. والمُقَشَّم والمُقَشَّب واحد، وهو المَخْلوط. ولا تَسْتَنْبِثُوها: مَثَلٌ، أى لا تُخْرِجوا نَبِيثَتَها، وهو ما يُخْرَج من البئر اذا حُفِرت، يريد: لا تُثيروا الحرب. ومُكَشَّم: مقطوع.

وقرئ على أبى بكر بن دريد لأبى العَمَيْثَل عبد الله بن خالد وأنا أسمع:

لَقِيتُ آبنةَ السَّهْمِىِّ زَيْنَبَ عن عُفْرٍ * ونحن حَرَامٌ مُسْىَ عاشرةِ العَشْرِ
وإنّا وإيّاهــا لَحَــتْمٌ مَبِيتُنــا * جميعا وسَــيْرانا مُغِــذٌّ وذو فَــتْرِ

قوله: عن عُفْر: عن بُعْــد، أى بَعْدَ حين، يقال: ما ألقاه إلا عن عُفْر، أى بعــد حين. ونحن حرام، أى مُحْرِمونــ. مُسْىَ عاشرة العشر، يعنى أنه لَقِيها بعرفاتٍ عَشِيَّةَ عرفة وهو مُسْىُ عاشرة العَشر. وقوله: حَتْمٌ مبيتُنا، يقول: مَبِيتُ الناس بالمُزْدَلِفة لا يجاوزها أحد. وسَيْرانا، أى سَيْرِى أنا مُغِذٌّ، أى مُسْرِع، وسَيْرُها ذو فَتْرٍ، أى ذو فُتور وسكون لأنها يُرْفَق بها.

---

(١) فى اللسان مادة ألل: فَلِىَ الأَلِيلة ... ولى الأليلة.

[ما قيل فى طول الليل]

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال : أنشدنا أبو حاتم — ولم يسم قائله — فى طول الليل :

ألا هل عَلَى اللَّيْل الطويلِ مُعِين * اذا نَزَحَتْ دارٌ وحَنَّ حَزِينُ
أُكابِدُ هذا الليلَ حَتَّى كأنما * على نَجْمِه ألّا يَغُورَ يَمِينُ
فوالله[1] ما فارَقْتُكُمْ قالِيًا لكم * ولكنّ ما يُقْضَى فَسَوْفَ يكونُ

وقرأت على أبى بكر لخُنْدُج بن خُنْدُج :

فى ليل صُولٍ[2] تَنَاهى العَرْضُ والطُّول * كأنّما لَيْلُه بالليل موصولُ
لا فارَقَ الصُّبْح كَفّى إن ظَفِرْتُ به * وإن بَدَتْ غُرَّةٌ منه وتحجيلُ
لِساهِرٍ طال فى صُولٍ تَمَلْمُلُه * كأنه حَيَّةٌ بالسَّوْط مَقْتولُ
مَتَى أرَى الصبحَ قد لاحت مَخَايِلُه * واللَّيْلَ قد مُزِّقَتْ عنه السَّرابِيلُ
لَيْلٌ تَحَيَّرَ ما يَنْحَطُّ فى جِهَةٍ * كأنه فَوْقَ مَتْنِ الأرض مشكولُ
نُجُومُه رُكَّدٌ ليست بزائلةٍ * كأنّما هُنَّ فى الجَوِّ القَناديلُ
ما أقْدَرَ الله أن يُدْنِى على شَحَطٍ * مَنْ دارُه الحَزْنُ مِمّن دارُه صُولُ
ألله يَطْوِى بِساطَ الأرض بينهما * حتى يُرَى الرَّبْعُ منه وهو مأهولُ

وأنشدنا بعض أصحابنا لبَشَّار :

خليلىّ ما بالُ الدُّجَى لا تَزَحْزَحُ * وما لعمود الصبح لا يَتَوَضَّحُ
أ ضَلَّ النهارُ المستنيرُ طريقَه * أم الدهر لَيْلٌ كلُّه ليس يَبْرَحُ
وطال علىَّ الليلُ حتى كأنّه * بِلَيْلَيْن موصولٌ فما يتزحزحُ

---

(١) كذا فى بعض النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب، وفى الطبعة الأولى « وبالله » . (٢) صول : اسم مدينة فى بلاد الخَزَر فى نواحى باب الأبواب وهو الدَّرْبَنْد، كذا قال ياقوت فى معجمه وذكر الأبيات .

قال أبو علي : وأحسنَ عَدِىّ(١) بن الرقاع فى هذا المعنى فقال :

وكأنّ لَيْلِي حين تَغْرُب شَمْسه * بسواد آخَرِ مِثْـلِه مَوْصـولُ

ولبعضهم فى طول الليل :

ما لِنجُومِ اللَّيل لا تَغْرُبُ * كأنّها من خَلْفِها تُجْذَبُ

رَوَاكِدًا ما غار فى غَرْبِهـا * ولا بَدَا مِنْ شَرْقِها كَوْكَبُ

وقد ذكر الفرزدق العلّة فى طول الليل فقال :

يقولون طال الليلُ والليل لم يَطُلْ * ولكنّ مَنْ يَبْكِى من الشوق يَسْهَرُ

وقال بشّار فى هذا المعنى :

لم يَطُلْ لَيْـلِي ولكن لم أَنَمْ * ونَفَى عنى الكَرَى طَيْفٌ أَلَمّ

وإذا قلت لهـا جُودِى لنا * خَرَجَت بالصمت(٢) عن لا ونَعَمْ

نَفِّسِى يا عَبْدَ عَنِّى وٱعْلَمِى * أنّنى يا عَبْـدَ من لحمٍ ودمْ

إن فى بُرْدَىَّ جِسْمًا ناحلا * لو تَوَكَّأْتِ عليـه لٱنْهَـدَمْ

خَتَمَ الحُبُّ لهـا فى عُنُـقِى * مَوْضِعَ الخاتَمِ من أهل الذِّمَمْ

ولقد أحسن علىّ بن بَسَّام فى هذا المعنى، أنشدنى ٱبنه أبو علىّ عن أبيه :

لا أظلم اللَّيـــلَ ولا أدّعى * أنّ نجوم الليل ليست تغورُ

لَيْلِي كما شاءت فإن لم تَجُـدْ * طال وإن جادت فلَيْلِي قَصِير

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارىّ قال حدّثنا عبـد الله بن خلف قال حدّثنا أبو بكر بن الوليد البزّار قال : كان علىّ بن الجَهْم يستنشدنى كثيرا شعر خالد الكاتب، فأُنشـده، فيقول : ما صنع شيئا، ثم أنشدته يوماله :

رَقَدْتَ ولم تَرْثِ للساهرِ * ولَيْـــلُ المحبِّ بلا آخرِ

ولم تَدْرِ بعـد ذَهاب الرقا * د ما صَنَعَ الدَّمْعُ من ناظرى

فقال : قاتله الله! لقد أَدْمَن الرَّمْية حتى أصاب الغِرّة(٣) .

(١) فى الطبعة الأولى «علىّ بن الرقاع» والتصويب عن بعض النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب، وبعد البيت كما فى السفر الأوّل من نهاية الأرب طبع مطبعة دار الكتب :

أرعى النجوم اذا تغيّب كوكب * أبصرت آخر كالسراج يجـول

(٢) فى الأصول التى بأيدينا : «خرجت بالصب» وما أثبتناه عن الأغانى ج ٣ ص ٢٧ طبع بولاق .

(٣) بهامش بعض النسخ : لعله : الثغرة ليوافق المثل .

وأنشدنا بعض أصحابنا لعلى بن العبّاس الرومىّ فى طول الليل :

رُبَّ لَيْلٍ كأنه الدّهرُ طولًا * قد تَنَاهى فليس فيه مزيدُ
ذى نجومٍ كأنهنّ نُجُـوم الشيب ليست تزول لكن تزيدُ

ولسعيد بن حُمَيْد فى طول الليل :

يالَيْـلُ بل يا أبَدُ * أنائمٌ عَنْـكَ غَـدُ
ياليل لو تَلْقَ الذى * ألْقَ بهـا أو تجِـدُ
قَصّر من طُولك أو * ضُعّف منك الجَلَدُ
أشكو الى ظالمـةٍ * تشكو الذى لا تجِدُ
وَقْفٌ عليها ناظرى * وَقْفٌ عليهـا السُّهُدُ

قال أبو زيد : تقول العرب فى مَثَلٍ لها : «خُبَأَةٌ(١) خيرٌ من يَفَعةِ سَوْءٍ» أى بِنْتٌ تلزم البيت تَخْبَأ فيه نفسَها خير من غُلام سَوْءٍ لا خير فيه . قال : ويقال للرجل اذا وُلِدَتْ له جارية :"هنيئًا لَكَ النافِجةُ" وذلك أنه يزوّج بنته فيأخذ مهرَها إبلا الى إبله فَتَنْفُجها . قال : ويقال : أضَبَّ القومُ إضـبابا اذا تكلّموا وصاح بعضهم الى بعض، وأضْبأ على الشىء إضْـباء فهو مُضْبِئٌ اذا كَتَمه، وقال الأصمعى : ضَبَأ فهو ضَابِئٌ اذا لَصِق بالأرض؛ قال الأعشى :

أهْوَى لها ضابئٌ فى الأرض مُفْتَحِصٌ(٢) * لِلّحْمِ قِـدْمًا خَفِىٌّ طالمـا خَشَـعا

قال : وأنشدنا أبو على للعباس بن الأحنف :

أيهـا الراقدون حَوْلِى أعينو * نى على الليل حِسْبة وٱئْتجارا
حدِّثونى عن النهـار حديثًا * أوصِفُوه فقد نسيت النهارا

وأملى علينا الأخفش، وقرأتها على ٱبن الأنبارىّ لسُوَيْد بن أبى كاهل :

وإذا ما قلتُ لَيْـلٌ قد مضى * عَطَف الأوّلُ منـه فرَجَع
يَسْحَبُ الليـلُ نجومًا ظُلَّعًا * فَتُـواليهـا بَطيئات التَّبَعْ
ويُزَجِّيهـا عـلى إبطائهـا * مُغْرَب اللون اذا الليلُ ٱنْقَشَعْ

(١) كذا فى الأصول، وفى مجمع الأمثال للميدانى : «خبأة صدق خير من يفعة سوء» .

(٢) مفتحص : متخذ فيها أُفْحُوصا، والأُفحوص مَجْثِم الطائر .

[مطلب حديث أوس بن حارثة ونصيحته لأبنه مالك وشرح الغريب من ذلك]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنى عمى عن أبيه عن هشام بن محمـد الكلبىّ عن عبد الرحمن آبن أبى عَبْس الأنصارى قال : عاش الأوس بن حارثة دَهْرًا وليس له وَلَدٌ إلا مالك، وكان لأخيه الخَزْرَج خمسةٌ: عمرو وعَوْف وجُشَم والحارث وكَعْب، فلمـا حَضَره الموت قال له قومه : قـد كنا نأمرك بالتزوّج[1] فى شبابك فلم تَزَوّج حتى حضرك الموت؛ فقال الأوس : لم يَهْلِك هالك تَرَك مثـلَ مالك؛ وإن كان الخزرج ذا عَدَد، وليس لمـالك وَلَد؛ فَلَعَلَّ الذى آستَخرج العَذْقَ من الجَرِيمة، والنارَ من الوَثِيمة؛ أن يجعل لمـالك نَسْلا، ورجالا بُسْلا . يامالك، المَنِيَّة ولا الدَّنِيَّة؛ والعِتاب قبل العِقاب؛ والتَّجَلُّد لا التَّبَلُّد. وآعلم أن القَبْر خير من الفقر؛ وشَرّ شارِبٍ المُشْتَفّ، وأقبح طاعِمٍ المُقْتَفّ؛ وذهاب البصر، خير من كثير من النظر؛ ومِنْ كَرَم الكريم، الدِّفاعُ عن الحريم؛ ومَنْ قَلّ ذَلّ، ومن أَمِرَ فَلّ؛ وخَيْر الغِنَى القَناعة، وشَرّ الفَقْر الضَّرَاعةُ؛ والدَّهْر يَوْمان، فَيَوْم لك ويَوْمٌ عليك؛ فاذا كان لك فلا تَبْطَر، وإذا كان عليك فاصْبِر، فكلاهما سَيَنْحَسِر؛ فإنما تَعُزُّ مَنْ تَرَى ، ويَعُزُّك مَنْ لا تَرَى ؛ ولو كان الموت يُشْتَرَى لَسَلِم منه أهلُ الدنيا ، ولكن الناس فيـه مُسْتَوُون: الشَّرِيف الأَبْلَج، واللَّئيم المُعَلْهَج؛ والمَوْتُ المُفِيت، خير من أن يقال لك: هَبِيت؛ وكَيْفَ بالسَّلامة، لمن ليست له إقامة؛ وشَرّ من المُصيبة سُوءُ الخَلَف ، وكلُّ مجموعٍ الى تَلَف ؛ حَيَّاك إلهُك ! قال : فَنَشَر اللهُ من مالكٍ بعـدد بنى الخَزْرَج أو نحوهم .

قال أبو على : قوله : فلعل الذى آستَخْرَج العَذْق من الجَرِيمة . العَذْق : النَّخْلة نفسها بلغة أهل الحجاز، والعِذْق الكِباسة . والجَرِيمة : النَّوَاة . والوَثِيمة : هى المَوْثومة المربوطة، يريد به: قَدْح حوافِر الخيل النارَ من الحجارة. والعرب تُقسم بهذا الكلام فتقول: لا والذى أخرج العَذْق من الجَرِيمة، والنارَ من الوَثِيمة . لا فعلت كذا وكذا. ومن أيمانهم : لا والذى شَقّهُنّ خَمْسا من واحدة، يَعْنُون: الأصابع . ويقولون : لا والذى أخرج قائبةً من قُوب، يعنون: فَرْخًا من بيضة . ويقولون : لا والذى وَجْهِى زَمَمَ بيتِـه ، أى قَصْدَه وحِذاءه . والبُسْل : الشجعان ، واحدهم باسل ، والبَسالة : الشجاعة، قال

(١) بالأصول « بالتزويج » .

الفراء : الباسل : الذى حَرَّم على قِرْنه الدنوَّ منه لشجاعته، أى لشدته، لأنه لا يُمْهِل قِرْنه ولا يُمكنه من الدنو منه، أُخِذ من البَسْل وهو الحرام . وقال غيره : الباسل : الكَرِيه المَنْظَر، وإنما قيل للأسد : باسل، لكراهة وجهه وقبحه؛ يقال : ما أَبْسَل وَجْهَ فلان؛ قال أبو ذُؤَيب :

فكُنْتُ ذَنُوبَ البِــئر لَمَّـا تَبَسَّلَتْ * وسُرْبِلْتُ أكفانى ووُسِّدْتُ ساعدِى

تَبَسَّلَتْ : فَظُع مَنْظَرُها وكَرُهَتْ، وقال شيخنا أبو بكر بن الأنبارىّ : قال الأصمعىّ : الباسل : المُرّ، وقد بَسُل الرجل يَبْسُل بَسالةً اذا صار مُرًّا . والمُشْتَفّ : المُسْتَقْصِى، يقـال : اسْتَشَفَّ ما فى إنائه واشْتَفَّ اذا شرِب الشُّفَافة، وهى البَقِيَّة تبقى فى الإناء . والمُقْتَفّ : الآخذ بعَجَلة، ومنه سمى القَفَّاف(١) . وأَمِر : كَثُر عددُه، يقال : أَمِرَ القوم يَأْمَرون اذا كثر عددهم؛ قال لَبِيد :

نَعْلُوهُمُ كُلَّمـا يَنْمِى لهم سَلَفٌ * بالمَشْرَفِىِّ ولولا ذاك قد أَمِرُوا

[مطلب الكلام على مادة أمر وتفسير قوله تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا)]

وأنشدنا أبو زيد :

* أُمُّ جَوَارٍ ضَنْؤُها غيرُ أَمِرْ *

ضَنْؤُها : نَسْلُها، وأَمِرَ المـالُ وغيره يَأْمَر أَمَرَة وأَمَرًا إذا كثر؛ قال الشاعر :

والإثْمُ من شَرِّ ما يُصال به * والــبِرُّ كالغَيْث نَبْتُــه أَمِرُ

ويقال فى مَثَــلٍ : فى وَجْهِ مالك تَعْرِف أَمَرَتَهُ، وأَمَرَتَه، أى نماءه وكثرته؛ وقال الله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أى كَثَّرنا؛ وقال أبو عبيــدة : يقال : خَيْرُ المـال سِكَّةٌ مَأْبُورة، أو مُهْرة مأمورة، فالمأمورة : الكثيرة الولد، من آمَرَها الله، أى كَثَّرها؛ وكان ينبغى أن يقال : مُؤْمَرة، ولكنه أُتْبِــع مأبورة . والسِّكَّة : السَّطْر من النخل، وقال الأصمعىّ : السِّكَّة : الحديدة التى يُفْلَح بها الأَرَضُون . والمأبورة : المُصْلَحة، يقال : أَبَرْت النخل آبُرُه أَبْرًا اذا لَقَّحْته وأصلحته . وقد قرئ أَمَّرْنا مُتْرَفِيها، على مثال فَعَّلْنا . أخبرنا القالى عن ابن كيسان أنه قد يقال : أَمَرَه بمعنى آمَرَه يكون فيه لغتان، فَعَل وأفعل . وتَعُزّ : تَغْلِب، ويقال : عَزَّ فلان فلانا عَزًّا . وعَزَّ يَعِزُّ عِزًّا وعِزَّة من العِزّ . وعَزَّ على

(١) قوله : ومنه سمى القفاف، هو كما فى القاموس واللسان : الصيرفى يقفّ الدراهم، أى يسرقها بين أصابعه .

أهله عَزَازَةٌ، من العِزِّ. والمُعَلْهَج : المُتناهِي فى الدَّناءة واللُّؤم، وكان أبو بكر يقول : هو اللئيم فى نفسه وآبائه . والهَبِيت : الأحمق الضعيف، قال طَرَفَة :

الهَبِيتُ (١) لا فُؤادَ له * والثَّبِيتُ ثَبْتُه فَهِمُه

وكان أبو بكر بن الأنبارى يرويه : قِيَمُه .

[مطلب ما وقع بين رجل من العرب وزوجته من الخصام والمشاتمة]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت آمرأة من العرب تخاصم زوجها وهى تقول : والله إن شُرْبَكَ لَاشْتِفَاف، وإن ضِجْعَتَك لَانْجِعاف، وإن شِمْلَتَك لَالْتِفَاف، وإنك لَتَشْبَعُ ليلةَ تُضَاف، وتنام ليلةَ تَخَاف، فقال لها : والله إنَّكِ لَكَرْواء السَّاقَيْن، قَعْواء الفَخِذَيْن، مَقَّاء الرُّفْغَيْن، مُفَاضة الكَشْحَين، ضَيْفُكِ جائع، وشَرُّكِ شائع .

قال أبو على: الانْجِعَاف : الانصراع، يقال : ضَرَبَه فَجَأَفه وجَعَفَه وجَفَاه وكَوَّره وجَوَّرَه وجَعفَلَه، وقَطَّرَه إذا ألقاه على أحد قُطْرَيه ، قال طُفَيل :

وراكضةٍ ماتَسْتَجِنُّ بجُنَّةٍ * بَعِيرَ حِلالٍ (٢) غادَرتْه مُجَعْفَلِ

وقال لَبِيد رضى الله عنه :

فــلم أرَ يَوْمًا كانَ أكثرَ باكيا * وحَسْناء قامتْ عن طِرَافٍ مُجَوَّرِ

وقال آبن قيس الرُّقَيَّات :

كالشَّارِب النَّشْوانِ قَطَّــرَه * سَمَلُ (٣) الزِّقاق تَفِيضُ عَبْرَتَيه

وأَتْكَأَه إذا ألقاه على هيئة المُتَّكِئ. وقال أبو زيد : ضَرَبَه فَقَحْزَنَه وجَدَله اذا صَرَعَه . وقال الأصمعى وآبن الأعرابى : بَرْكَعَه : صَرَعه، وأنشد لرؤبة :

(١) ورد هذا البيت فى اللسان فى مادة "ثبت" هكذا :

فالهبيت لا فؤاد له * والثبيت قَلْبُه قِيَمُه

وفسر الثبيت بقوله : الثابت العقل . (٢) الحلال بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء . (٣) سمل بالتحريك : البقية من الشراب فى الإناء، وورد فى الطبعة الأولى « شمل » بالشين المعجمة وسكون الميم وهو خطأ، والتصويب عن إحدى النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

وَمَنْ(١) هَمَــزْنا عِزَّهُ تَبَرْكَعَا * على ٱسْتِه زَوْبعةً أوزَوْبعا(٢)

وقال غيرهما : الْبَرْكَعَة : القيــام على أربع ؛ ويقال : تَبَرْكَعَتِ الحَمامةُ لذَكَرِها، أى بَرَكَتْ . والكَرْواء : الدقيقة الساقين . والكَرَا : دِقَّةُ الساق، والكَرَى : النَّوم، والكَرَا : بمعنى الكَرَوان، وكَرَاءُ ممدودا : موضع . وقال أبو بكر : القَعْواء : المتباعدة مابين الفخذين، ولم أسمع هذا من غيره، والذى ذكره اللغويون فى كتبهم فيما قرأته الفَجْواء : المتباعدة ما بين الفخذين . وقوله : مَقَّاء، قال أبو زيد : المَقَّاء : الدقيقة الفخذين ، وكذلك الرَّفْغاء ، وقال الأصمعى : المَقَّاء : الطويلة ، والمَقَق : الطُّول، ورَجُلٌ أمقُّ : طويل، قال رؤبة :

لَوَاحِقُ(٣) الأقْرابِ فيهــا كالمَقَق * تَفْليلُ ما قارَعْنَ من سُمْرِ الطُّرَق

يَصِفُ أُتُنًا . والمُفَاضة : المُسْتَرْخية . والكَشْحان : الخاصرتان ، وهُمــا الأَيْطَلان والإِطْلانِ والقُرْبانِ والصُّقْلانِ، واحدهما قُرْبٌ وصُقْلٌ وكَشْحٌ وإطْلٌ وأَيْطَلٌ .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله تعــالى قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : دخل أبو جُوَيْرِيَة الشاعر على خالد بن عبد الله يمدحه، فقال له خالد : ألست القائل :

ذَهَب الجُودُ والجُنَيْدُ جميعًا * فَعَــلَى الجُود والجُنَيْدِ السَّلامُ

أَصْبَحا ثاوِيَيْن فى بَطْنِ مَرْوٍ * ما تَغَنَّى على الغُصون الحَمَــامُ

آذهب الى الجُود حيث دفَنْتَه فاستخرِجْه، قال أبو جويرية : أنا قائل هذا ، وأنا الذى أقول بعده، فوَثَب اليه الحَرَسُ ليَدْفعوه، فقال خالد : دَعُوه ،لا نَجْمع عليه الحِرْمانَ ونمنعه الكلام، فأنشأ يقول :

---

(١) ضمن هذا البيت صدرى بيتين من أرجوزة وردت بديوانه المطبوع بمدينة ليپسج سنة ١٩٠٣م وهما :

ومن همزنا رأســه تلعلعا * ومن أبحنا عزّه تبركعا

على آســته روبعــة أوروبعا * زحفى مزاحيف وصرعى خُفَّعا

(٢) زوبعة أو زوبعا ، فى اللسان : " قال ٱبن برى : ذكره ٱبن دريد والجوهرى بالزاى ، وصوابه بالراء ، روبعة أو روبعا ، وفسر بأنه القصير الحقير ، وقيل : القصير العرقوب ، وقيل : الناقص الخلق ، وقيل : الضعيف" اه وفى شرح ديوان رؤبة : قال الأصمعى : الروبعة بالراء : داء يأخذ الفصيل .

(٣) اللواحق : خماص البطون ، وشطرا هذا البيت عجزا بيتين من هذه الأرجوزة وصدرهما :

قُبٌّ من التعداء حُقْبٌ فى سَوَقْ * لواحق الأقراب فيها كالمقق

سوّى مساحيهن تقطيط الحقق * تفليل ما قارعن من سمر الطرق

لو كان يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمسِ من كَرَمٍ * قَــوْمٌ بأوّلهم أو مَجْـدِهم قَعَـدُوا
أو خَلَّد الجُود أقواما ذَوِى حَسَبٍ * فيما يحاول من آجالهم خَـلَدُوا
قَوْمٌ سِـنانٌ أبوهم حين تنسـبهم * طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدوا
جِنٌّ اذا فَزِعوا إنْسٌ اذا أمِنُوا * مُرَزَّءُون بَهَالِيـلٌ اذا آحْتَشَـدوا
مُحَسَّـــدون على ما كان من نِعَمٍ * لا يَنْزِعُ اللهُ عنهــم ماله حُسِدوا

قال : فخرج من عنده ولم يعطه شيئا . وقرأت على أبى بكر بن دريد للشّمّاخ :

أعائش ما لأَهْلِكِ لا أراهُــمْ * يُضِيعون الهِجَان مع المُضِـيعِ
وكيف يُضِيع صاحبُ مُدْفَآتٍ * على أثْبَاجِهِنَّ من الصَّقِيعِ

يعنى أن عائشة قالت له : لِمَ تُشَدِّد على نفسك فى المعيشة وتلزم الإبل والتَّعَزُّب فيها ؛ فردّ عليها : ما لأهلك أراهم يَتَعَهَّدون أموالهم ويصلحونهـا وأنت تأمرينني بإضاعة مالى ، ثم أقبـل على إبله يمدحها فقال :

* وكيف يُضِيع صاحبُ مُدْفَآت *

أُدْفِئْن بكثرة الوَبَر على أثباجهن ، والأثباج : الأوساط . قال : قال الأصمعىّ : ثَبَجُ كلّ شىء : وَسَطُه ؛ وغيره يقول : ظَهْره . وروى أبو عبيد عن الأصمعى : الكَتَد : ما بين الكاهل الى الظهر ، والثَّبَجُ نحوه . وهـذه الأقوال متقاربة فى المعنى . والصَّقيع : البَرْد والنَّدَى ، ويقال : الجَليد . وقال الأصمعى : من أمثال العرب : "إنّهُ لَيُسِرُّ حَسْوًا فى آرتغاء" يضرب مثلا للرجل يُرِيك أنه يعمل أمرا وهو يريد غيره . والآرتِغاء: شُرْب الرَّغْوة ، يقال : رَغْوة ورِغْوة ورُغْوة . يقول: فهو يظهر ذاك وهو يَحْسُو اللَّبَن . ويقال : "سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرْحان" يضرب مثلا للرجل يطلب الأمر التافه فيقع فى هَلَكة . وأصل المثل ، أن دابّة طلبت العَشَاء فهجمت على الأسد . والسِّرْحان : الأسد بلغة هذيل ، وبلغة غيرهم من العرب : الذئب . ويقال : "سَبَقَ السَّيْفُ العَذَل" يضرب مثلا للأمر الذى قد تَفَاوت ؛ وأصل هذا المثل ، أن الحارث بن ظالم ضَرَب رجلا بالسيف فقتله ، فأُخْبِر بعُــذْره فقال : "سبق السيف العذل" . قال أبو زيد : العرب تقول: " إن كُنْتَ كاذِباً فَحَلَبْتَ قاعدا " أي ذَهَبَتْ إبلُك

فَـلَبْتَ الغنم . وتقول : «إن كُنْتَ كَذُوبا فَشَرِبْتَ غَبُوقا باردا» أى ذَهَبَ لبنُك فشربت المـاء البارد، والغَبُوق : ما اغْتَبَقْتَ حارّا بالعَشِىّ، وقرأت على أبى بكر للشّماخ :

اذا ما اسْتَافَهُنَّ ضَرَبْنَ منـه * مَكانَ الرُّمْحِ من أَنْفِ القَدُوعِ

فقـد جَعَلَتْ ضَغَائِنُهُنَّ تَبْدُو * بمـا قد كان نال بلا شَـفِيعِ

اسْتَافَهُنَّ : شَمَّهُنَّ، يعنى الحمـار ، فإذا فعل ذلك ضَرَبْنَ منه أعلى خَيْشُومه، وهو مكان الرمح اذا قَدَعْتَ به أَنْفَ الفرس، لأنهن قد حَمَلْنَ منه . والقَـدُوع : الذى يُقْدَع ويُرَدُّ بالرمح ، وهو أن يَرْفَع رأسَه من عِزَّة نفسه، أو من فَرَقٍ، أو لا يُرْضَى للفِحْلة فيُضْرَب أنفُه ويُنَحَّى عن الطَّروقة، وهو وإن كان يُقْدَع فهو قَدُوع ، كما قالوا لمـا يُحْلَب ويُرْكَب : حَلُوبة ورَكُوبة . وضَغَائِنُهُنَّ : ما فى قلوبهن، أى كُنَّ يُمكنّه ولا يحتاج الى شفيع، فلما حَمَلْنَ أَبْدَيْنَ ضَغائنهن المخبوءة .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو الحسن الأسدى قال : كتب أحمد بن المُعذَّل الى أخيه عبد الصمد بن المعـذّل : إنى أرى المكروه من حيث يُرْتَجَى المحبوب، وقد شَمِـل عَرُّك وَعَمَّ أذاك، وصرتُ فيك كأبى الابن العاقّ، إن عاش نَغَّصه، وإن مات نَقَصه؛ وقد خَشَّنْتَ(١) بقلبٍ جَيْبُه لك ناصح، والسلام . فكتب اليه عبد الصمد :

أطاع الفريضة والسُّنَّهْ * فَتَاهَ على الإنْس والجِنَّهْ

كأنَّ لنا النارَ مِنْ دونه * وأفْرَدَه الله بالجَنَّـهْ

ويَنْظُر نحْوى اذا زُرْتُه * بعَيْن حَمَـاةٍ الى كَنَّـهْ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشـدنا أبو العباس أحمـد بن يحيى النحوى للأَضْبَط بن قُرَيع وقال : وبلغنى أن هذه الأبيات قيلت قبل الإسلام بدهر طويل وهى :

لِكُلِّ هَمٍّ من الهُـموم سَـعَه * والمُسْىُ والصُّبح لا فَلَاحَ مَعَـهْ

ما بالُ مَنْ سَرَّه مُصابُك لا * يَمْلِك شيئًا مِنْ أمْرِه وَزَعَـهْ

(١) وقد خشنت الخ، فى اللسان وخشنت صدره تخشينا : أوغرت، قال عنترة :

لَعمرى لقد أعذرت لو تعـذُرينَنِى * وخشنتِ صدرا جيبه لك ناصح

أذُود عن حَوْضه ويَدْفعُنى * ياقَوْمِ مَنْ عاذرى من الخُدَعهْ
حتى اذا ما آنجلت عَمَايَتُه * أقْبَلَ يَلْحَى وغَيُّه فَجَعَهْ
قد يجمع المالَ غيرُ آكله * ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعهْ
فاقْبَلْ من الدهر ما أتاك به * مَن قرّ عينا بعَيْشه نفعهْ
وصِلْ حِبالَ البعيدِ إن وَصَلَ الـ * ـحَبْلَ وأقْصِ القريبَ إن قطعهْ
ولا تُعَادِ(١) الفقيرَ عَلَّكَ أن * تَرْكَعَ يوما والدهرُ قد رَفَعَهْ

قال أبو العباس : وكان الأصمعى ينشد :

* فصل حبال البعيد إن وصل الحبل *

قال أبو على : تقول العرب : لَعَلَّك وعَلَّك ولَعَنَّك ولَغَنَّك، سمعه عيسى بن عمر من العرب ، ورواه الأصمعى عنه .

قال أبو على : قرأت على أبى بكر بن دريد فى شعر أبى النجم قال عيسى بن عمر: سمعت أبا النجم ينشد :

* أُغْدُ لَعَلْنا فى الرِّهانِ نُرْسِلُهْ *

[مطلب ما قيل فى الشيب والخضاب مدحا وذما]

وأنشدنى أبو بكر بن دريد رحمه الله لمحمود الورّاق :

فاجاك مِنْ وَفْد المَشيب نذيرُ * والدَّهرُ من أخلاقه التغييرُ
فَسَوادُ رأسك والبياضُ كأنه * لَيْلٌ تَدِبُّ نجومُه وتَسِيرُ

وأنشدنى بعض أصحابنا قال : أنشدنى أبو يعقوب بن الصفار لداود بن جَهْوة :

أُقاسِى البَلَا لا أستريح الى غَدٍ * فيَأْتى غَدٌ إلا بَكَيْت على أمسِ
سأبكى بدمع أو دَمٍ أشتفى به * فهل لِيَ عُذْرٌ إن بكيت على نفسِى

(١) ولا تعاد ، المشهور فى كتب النحو واللغة إيراد هذا البيت بلفظ : ولا تهين الفقير الخ شاهدا على حذف نون التوكيد الخفيفة بعد قلبها ألفا اذا لقيها ساكن .

سـلامٌ على الدنيا ولَذَّةِ عَيْشِها * سـلامَ غُدُوٍّ أو رَوَاحٍ الى رَمْسِي
وأنكرتُ شمسَ الشَّيْبِ فى ليلِ لِمَّتِي * لَعَمْرِى للَيْلِي كان أحْسَنَ من شمسِي
كأنَّ الصِّبا والشَيْبُ يَطْمِسُ نورَه * عَرُوسُ أُناسٍ مات فى لَيْلَةِ العُرْسِ

وأنشدنا أبو محمد عبد الله بن جعفر النحوى قال : أنشدنا المبَرِّد لمحمود الورّاق :

أليس عجيباً بأنّ الفـتى * يصاب ببعض الذى فى يديه
فَمِنْ بين باكٍ له مُوجَعٍ * وبين مُعَـزٍّ مُغِـذٍّ اليـه
ويَسْلُبُه الشَيبُ شَرْخَ الشَّباب * فليس يُعَـزِّيه خَلْقٌ عليـه

وأنشدنا الأخفش للعَكَوَّك على بن جَبَلة :

جَـلَالُ مَشِيبٍ نَزَلْ * وأُنْسُ شـبابٍ رَحَلْ
طَوَى صاحبٌ صاحبا * كذاك اختلافُ الدُّوَلْ
أعاذِلَـتى أقْصِرِى * كَفَاكِ المشيبُ العَذَلْ
بدا بَدَلًا بالصِّـبا * بِلَيْتَ الشبابَ البَدَلْ
جَـلالٌ ولكِنَّـه * تَحَاماه حُورُ المُقَـلْ

وانشدنا أبو عبد الله نفطويه لأبى دُلَف العِجْلىّ :

نَظَرَتْ إلىَّ بعين من لم يَعْدِلِ * لَمَّا تَمَكَّنَ طَرْفُها من مَقْتَلِي
لَمَّا تَبَسَّم بالمشيب مَفارِقِى * صَدَّت صُدود مفارِقٍ مُتَحَمِّلِ
فجعلْت أطلبُ وصلَها بتَعَطُّفٍ * والشَّيْبُ يَغْمِزُها بأن لا تَفْعَلِى

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى

أرى بَصَرِى عن كل يوم وليلة * يَكِلُّ وخَطْوِى عن مَدَى الخَطْوِ يَقْصُرُ
ومن يَصْحبِ الأيَّام تسـعين حِجَّةً * يُغَـيِّرْنَه والدهــر لا يتغـيّر
لَعَمْرِى لئن أمسيتُ أمْشى مُقَيَّـدا * لَمَا كنتُ أمشى مُطْلَقَ القيد أكثر

وأنشدنى بعض أصحابنا :

حنَتْنِي حانيـاتُ الدَّهْـرِ حَتَّى (١) * كأنّى خاتِـلٌ يَدْنُو (٢) لصَـيْدِ
قريبُ الخَطْوِ يَحْسَب من رآنى * ولَسْتُ مُقَيَّـدا أنّى بقَيْـدِ

وقال رجل لشيخ رآه يمشى : مَنْ قَيَّدَك ياشيخ؟ قال : الذى خَلَّفْتُه يَفْتِل فى قَيْدِك ، يعنى : الدهر .

وأنشدنا أبو بكر محمد بن السَّرِىّ السَّراج النحوى :

وعائبٍ عابَنِي بشَيْبِ * لم يَعْدُ لَمَّا ألَمَّ وقتَـهْ
فقلتُ إذ عابنى بشيبى * ياعائبَ الشيب لابَلَغْتَهْ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا عبد الله بن خلف :

نُصولُ الشَّيْب طَوَّقَنِي بطَوْق * يَلُوح علىَّ مِنْ تحت السوادِ
اذا أبصرته فكأنَّ وَخْزًا * بأطراف الأسِنَّة فى فؤادى

قال : وأنشدنا أبى قال : أنشدنى أبو عبدالله بن المَطِيخى :

إنَّ الكبير اذا تناهَتْ سِنُّه * أعْيَتْ رِياضَته على الرُّوَّاضِ
واذا دُفِعْتَ الى الصغير فإنما * تكفيه منـك إشارةُ الإيماض
وعَلَيْكَ من نَسْجِ الزمان عِمامةٌ * خَضَبَ المَشيبُ سَوادَها ببياض
فالوَعْظ يَنْبُو عن صَفَاتك راجعا * مِثْلَ السهام نَبَتْ عن الأغراض

وممن مدح الشيب من الشعراء فأحسن دِعْبِل حيث يقول :

أهـلا وسـهلا بالمشيب فإنه * سِمَةُ العَفيف وحِلْيَة المُتَحَرِّجِ
وكأنَّ شيبى نَظْـمُ درّ زاهر * فى تاج ذى مُلْكٍ أغَرَّ مُتَوَّجِ

وممن مدح الخِضاب فأحسن عبد الله بن المعتز حيث يقول :

وقالوا النُّصولُ مشيبٌ جديدْ * فقلت الخِضَابُ شباب جَدِيدْ
إساءةُ هـذا بإحسـان ذا * فإن عاد هـذا فهذا يَعودْ

(١) القائل لهذين البيتين أبو الطَّمَحان القَيْنِىّ كما فى حماسة البحترى ص ٢٩٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ م وكتاب المعَمّرين من العَرَب للسجستانى ص ٦٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٩ م . (٢) فى الطبعة الأولى «أدنو» وما أثبتناه عن حماسة البحترى وكتاب المعمرين ، وفى اللسان مادة أدَا : «يأدو لصيد» من أدَا السَّبُع للغزال يأدو أدوا : ختله ليأكله .

وأنشدنى أبو معاذ عَبْدان المتطبّب قال : أنشدنى أبو هَفّان لنفسه

تَعَجَّبَتْ دُرُّ من شيبى فقلت لها * لا تَعْجَبى فَبَياضُ الصبح فى السَّدَف
وزادها عَجَبًا أنْ رُحْتُ فى سَمَلٍ * وما دَرَتْ دُرُّ أن الدُّرَّ فى الصَّدَف

قال أبو زيد : يقال : عام أَوْطَف وأَغْلَف وأَقْلَف اذا كان خَصِيبا ؛ وقال العُقَيْليّون : عامُ مَجَاعةٍ ومَجُوعة ومَجْوَعة ، وقال أبو زيد : الأُطْرة : ما حَوْل الأظفار من اللحم . وقال ٱبن الأعرابىّ : عَيْشٌ أغْزَل وأرْغَل وأغْضَف وأغْطَف وأوْطَف وأغْلَف اذا كان مُخْصِبا ، وهذه كلها تقال فى العام . وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال أنشدنى أبى لرجل من خُزَاعة (١) :

قد كُنْتُ أفْزَع للبيضاء أُبصرها * من شعر رأسى وقد أيْقَنْت بالبَلَقِ
ألآن حين خَضَبْتُ الرأس زايلَنِى * ما كنت ألتذُّ من عيشى ومن خُلُقِى
إن الشبابَ إذا ماالشيبُ حَلَّ به * كالغُصْنِ يَصْفَرُّ فيه ناعمُ الوَرَق
شَيْبٌ تُغيِّبُه عمّن تَغُرُّ به * كَبَيْعك الثوبَ مَطْويًّا على حَرَق
فإن سَتَرْت مشيبا أو غَرَرْت به * فليس دَهْرٌ أكَلْناه بمُسْتَرَق
أفْنَى الشبابَ الذى أفْنَيْتَ مُيْعَتَه * مَرُّ الجَدِيدَيْن من آتٍ ومنطلق
لم يَتْرُكا منك فى طول ٱختلافهما * شيئا يخاف عليه لَذْعة الحَرَق

[مطلب ماوقع لخالد بن عبد الله القسرى من الحصر وهو على المنبر وما قاله فى ذلك]

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام الكلبىّ قال : صَعِد خالد بن عبد الله القَسْرى يوما المنبر بالبصرة ليخطب فأُرْتِجَ عليه ، فقال : أيها الناس ، إن الكلام ليجىء أحيانا فيتسبّب سَبَبُه ، ويَعْزُب أحيانا فيَعِزُّ مَطْلَبُه ؛ فربما طُولِب فأبَى ، وكُوبِر فعَصَى ؛ فالتَّأتِّى لمجيِّه ، أصوب من التعاطى لأبيِّه ؛ ثم نزل . فما رُئى حَصِرٌ أبلغ منه . وقرأت على أبى بكر بن دُرَيد لنفسه :

أرى الشيب مُذْ جاوزْتُ خمسين دائبا * يَدِبُّ دَبِيب الصبح فى غَسَق الظُّلَم
هو السُّقم إلا أنه غير مؤلم * ولم أر مثل الشيب سُقْمًا بلا ألَم

(١) هو ثعلبة بن موسى كما فى حماسة البحترى ص ٢٦٦ طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ م .

وأنشــدنى بعض أصحابنا لعلى بن العباس الرومى :

يابياض المَشيب سَوَّدْتَ وجهى * عند بِيض الوجوه سُـودِ القُرونِ

فلعمـرى لأُخْفِيَنَّك جُهْــدِى * عن عِيانى وعن عِيان العُيونِ

ولعمــرى لأَمْنعَنَّــك أن تَظْـ * ــهر فى رأس آسـفٍ محزونِ

بسواد فيــه ٱبْيِضاضٌ لوجهى * وسَـوادٌ لوجهــك الملعونِ

وأنشدنا الأخفش لمنصور النَّمَرِىّ :

ماواجَهَ الشَّيْبَ من عَيْنٍ وإن وَمِقَتْ * إلا لهـا نَبْـوةٌ عنـه ومُرْتَدَع

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبى :

رأيتُ الشيب تَكْرَهه الغَوانِى * ويُحْبِبْنَ الشباب لِمَا هَوِينا

فهــذا الشيب نَخْضِبه سَـوادًا * فكيف لنـا فَنَسْـتَرِقَ السِّنينا

وفى الخضاب :

إنَّ شيئا صَلَاحُه بالخِضَاب * لَعَــذَابٌ مُوَكَّلٌ بعـــذابِ

ولَعَمْــرُ الإلٰهِ لولا هَوَى البِيـ * ـضِ وأن تَشْمَئِزَّ نفس الكَعَاب

لَأَرَحْتُ الخدَّيْن من وَضَرِ الخِطْـ(١) * ــرِ وأذْعَنْتُ لانقضاء الشـباب

ومن أحسن ما قيل فى مدح الشيب :

والشَّيْبُ إن يَحْلُلْ فإنَّ وراءه * عُمْـرًا يكون خِلَالَهُ مُتنفَّسُ

لم يَنْتَقِص مِنِّى المَشيبُ قُلامـةً * ألآنَ(٢) حينَ بدا ألَبُّ وأَكْيَسُ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبى :

لا يَرُعْكِ المَشيبُ يابنة عبد الله * فالشَّيْبُ جِـلَّة وَوَقارُ

إنما تَحْسُن الرياض إذا ما * ضَحِكَتْ فى خِلَالها الأنوار

(١) الخطر بالكسر : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به .

(٢) ألآن ، لعل فى الشطر سقطا من الناسخ ، ولعل أصله : أنا الان بنقل حركة الهمزة إلى ماقبلها وحذفها .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنى أبو الحسن بن البراء قال قال أبو الحسن الأسـدى : مات رجل كان يَعُول آثنى عشر ألف إنسـان ، فلما حُمِل على النعش صَرَّ على أعناق الرجال ؛ فقال رجل فى الجنازة :

وليس صَرِيرُ النعش ما تَسْمَعُونه * ولٰكنّـه أعنـاقُ قوم تَقَصَّفُ

وليس فَتِيـقُ المِسْك ما تجِـدُونه * ولكنـه ذاك الثنـاء المُخَلَّف

قال أبو على : وقرأت على أبى بكر بن دريد لبعض العرب :

دَبَبْتُ للمَجْد والساعُون قد بَلَغُوا * جَهْدَ النفوس وألْقَوْا دونه الأُزُرا

وكابَدُوا المَجْد حَتَّى مَلَّ أكثرُهم * وعانَقَ المَجْدَ من أَوْفَى ومن صَبَرا

لا تَحْسَبِ المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تَلْعَق الصَّبِرا

وأنشدنا غير واحد من أصحاب أبى العباس منهم آبن السَّرِى والأخفش وآبن درستويه قالوا : أنشدنا أبو العباس المُبَرِّد لعبد الصمد بن المُعَذَّل فيه :

سألْنا عن ثُمَـالةَ كل حَىٍّ * فقال القائلون ومَنْ ثُمَالَهْ

فقلتُ محمد بن يزيد منهم * فقالوا زِدْتَنـا بِهِمُ جَهالَهْ

فقال لى المُبَرِّد خَلِّ عَنِّى * فقومى مَعْشَرٌ فيهم نَذَالَهْ

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنى سعيد بن هارون :

فلو أبْصَرْتِ دارَكِ فى مَحَلٍّ * يَحُلُّ الحُزْن فيـه والسُّرُورُ

رأيتِ مَنَادِحًا لم يُرْعَ فيهـا * مَلَالٌ مذ نأيْتِ ولا فُتُور

قال يخاطب آمرأة يقول : لو رأيتِ مَحَلّك فى قلبى؛ فلم يَسْتَقِمْ له الشـعر، فقال : دارك . وقوله :

* يَحُلُّ الحزن فيه والسرور *

يعنى القلب، لأن الحزن والسرور فيه يكونان . وقوله : مَنادِحًا، يعنى مُتَّسَعا . وقوله : (لم يُرْعَ فيها مَلالٌ مذ نأيت ولا فتور) مَثَلٌ .

[مطلب خطبة الأعرابى السائل فى المسجد الحرام وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر رحمـه الله قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو زيد قال : بينـا أنا فى المسجد الحرام إذ وَقَفَ علينا أعرابى فقال : يامسلمون، إن الحمد لله والصلاة على نبيه، إنى آمرؤ من أهل هـذا المِلْطاط الشَّرْقِى المُوَاصِى أسْيافَ تِهامة، عَكَفَتْ عَلَىَّ سُنون مُحُشٌ، فآجْتَبَّتِ الذُّرَى، وهَشَمَت

العُرَى ، وجَمَشَت النَّجْم ، وأعْجَتِ البَهْم ، وهَمَّتِ الشَّحْم ، وٱلتَحبَت اللَّحْم ، وأَمْجَنَتِ العَظْم ؛ وغادَرَت التُّرَاب مَوْرا ، والمـاء غَوْرا ، والناسَ أَوْزاعا ، والنَّبط قُعَاعا ، والضَّهْل جُزَاعا ، والمَقَام جَعْجَاعا ؛ يُصَبِّحنا الهاوى ، ويَطْرُقنـا العاوى ؛ فخرجت لا أتَلَفَّع بوَصِـيدَه ، ولا أتقَوّت هَبِيـدَه ؛ فالبَخَصات وَقِعة ، والرُّكَباتُ زَلِعة ، والأطراف قَفِعة ؛ والجسْمُ مُسْلَهِمّ ، والنَّظَر مُدْرَهِمّ ؛ أعْشُو فأغْطَش ، وأُضْحِى فأَخْفَش ، أُسْهِل ظالِعـا ، وأُحْزِن راكِعا ؛ فهل من آمرٍ بِمَيْر ، أو داعٍ بِخَيْر ؛ وقَاكم اللهُ سَطْوة القادِر ، ومَلَكة الكاهِر ، وسُوءَ المَوَارد ، وفُضُوح المَصَادِر . قال : فأعْطَيْتُه دينارا ، وكتبت كلامه وٱستفسرته ما لم أعرفه .

قال أبو على : قال أبو بكر : المِلْطاط : أشَدُّ ٱنخفاضا من الغائط وأوسع منه ، وحكى اللحيـانى عن الأصمعى أنه قال : المِلْطاط : كلُّ شَفِيرِ نَهَر أو وادٍ . والمُوَاصِى والمُوَاصِل واحد ، يقال : تَوَاصَى النَّبْتُ إذا ٱتصل بعضه ببعض . وأسْيَاف جمع سِيف ، وهو ساحل البحر . وعَكَفَت : أقامت . والسُّنُون : الجُدُوب . ومُحُش جمع مَحُوش ، وهى التى تَمْحَش الكَلَأ ، أى تُحْرِقه . وٱجْتَبَّت ، ٱفتعلت من الجَبِّ ، يقال : جَبَبْت السَّنَام إذا قطعته ، وكل شىء ٱستأصلته فقد جَبَبْته . وهَشَمَت : كَسَرَت . والعُرَى جمع عُرْوة ، والعُرْوة : القطعة من الشجر لا يزال باقيـا على الجدب تَرْعاه أموالهم ، قال التَّغلبىّ (١) : يُرْوَى :

خَلَعَ المُلوكَ وسار تحت لوائه * شَجَرُ العُرَى وعُرَاعِرُ الأقوام

ويُرْوَى : وعَرَاعِر ، وهُم السادة . وجَمَشَت : ٱحْتَلَقَتْ ، قال رؤبة :

* أو كٱحْتِلاق النُّورة الجَمُوش *

والنَّجْم : ما نَجَم ولم يَسْتَقِلّ على ساق . وأعْجَتْ ، أى جَعَلَتْها عَجَايا ، والعَجِىُّ : السَّيِّئُ الغِذاء المهزول ، قال الشاعر :

عَدَانِى أن أزُورَكَ أنَّ بَهْمِى * عَجَـايا كلها إلّا قليـــلا

وهَمَّتْ : أذابت ، قال أبو على : العرب تقول : هَمَّك ما أهَمَّك ، أى أذابك ما أحزنك . قال وقال أبو بكر : ٱلتَحبَت اللحم : عَرَقَتْه عن العظم . وأمْجَنَت العَظْم ، أى عَوَّجَتْه فصيرته كالمِحْجَن . والمَوْر :

(١) قال ٱبن برى : ويروى البيت لشرحبيل بن مالك يمدح معـديكرب بن عكب قال : وهو الصحيح ، كذا فى اللسان مادة : "عرا" .

الذى يجىء ويذهب، قال إسماعيل : والمَوْرُ : الطريق ، رواه أبو عبيدة، والمُورُ بضم الميم : الغُبار بالريح . قال أبو بكر : الغَوْر : الغائر . وأَوْزَاع : فِرَق . والنَّبَط : المـاء الذى يُسْتَخرج من البئر أول ما تُحْفَر، قال الشاعر :

قَــرِيبٌ(١) ثَرَاه لا ينـالُ عَدُوُّه * له نَبَطًا عند الهَوان قَطُوب

والقُعَاع : المـاء المِلْح المُرُّ . والضَّهْل : القليل من المـاء ، ومنه قيل : ما ضَهَل اليه منـه شىء . والحُزَاع : أشـد المياه مرارة، قال إسماعيل قال يعقوب ويقـال : ماء مِلْحٌ، فإذا آشتدّت ملوحته قيـل : زُعاق وقُعَاع وأُجَاج وحُرَاق، أى يُحْرِق أوبار المـاشية من شـدّة ملوحته ، قال ويقال : ماء مِلْح يَفْقَأ عين الطـائر اذا بولغ فى ملوحته ، وماء نَمْجَرِيرٌ اذا كان ثقيـلا ، وقال آبن الأعرابى يقال : ماء مُخَضْرَم ونَمْجَرِيرٌ ومُخْضِم اذا لم يكن عَذْبا . والجَعْجَاع : المكان الذى لا يَطْمَئِنُّ من قَعَدَ عليه . قال أبو على قال الأصمعى : الجَعْجَاع : المَحْبِس، وأنشد(٢) :

* اذا جَعْجَعوا بين الإناخةِ والحَبْس *

وقال أبو عمرو الشيبانى : الجَعْجَاع : الارض ، وكل أرض جَعْجاع . وقال أبو بكر : الهـاوِى : الجَراد . والعَاوِى : الذئب . والتَّلَفُّع : الاشتمال . وقال أبو على : هو آشتمال الصَّمَّاء عند العرب، وهو ألّا يرفع جانبـا منه فتكون فيه فُرْجة . والوصِيدَةُ : كل نَسيجة . والهَبِيد : حَبُّ الحَنْظَل يعالَج حتى يَطيب فيُخْتبَز . والبَخَصات، واحدها بَخَصة، وهى لحم باطن القدم . ووَقِعة ، من قولهم : وَقِـعَ الرجل اذا آشتكى لحم باطن قدمه، قال الراجز(٣) :

يا لَيْتَ لى نَعْلَيْن من جِلْدِ الضَّبُعْ * وشُرُكًا مِنَ ٱستِهـا لا تَنْقَطِعْ
* كُلَّ الحِذاء يَحْتَذِى الحافى الوَقِـعْ *

وزَلِعةٌ : متشققة، وأنشد(٤) :

وغَمْـلَى نَصِىٍّ بالمِتَـانِ كأنَّها * ثَعَالبُ مَوْتَى جِلْدُها قد تَزَلَّعا

(١) ويروى : قريب نداه ما ينال الخ، وقائل البيت كعب بن سعد الغنوى، كما فى اللسان مادة نبط . (٢) القائل هو أوس بن حجر، كما فى اللسان مادة جعع وصدر البيت * كأنّ جلود النمر جيبت عليهم *

(٣) الراجز هو أبو المقدام وآسمه جسّاس بن قُطَيب، كما فى اللسان مادة : « وقع » . (٤) القائل هو الراعى [عبيد ابن الحصين]، كما فى اللسان مادة : « غمل » .

قال أبو على : عَمَلَّى ، فَعَلَّى ، وهو الذى قد تَرَاكَب بعضُه على بعض . وقَفِعة ومُقَفَّعة واحد ، وهى التى قد تَقَبَّضَتْ ويَبِسَتْ . وقال أبو بكر : المُسْلَهِمُّ : الضامر المتغير . قال أبو على وقال أبو زيد : المُسْلَهِمُّ : المُدْبِر فى جسمه ، وتفسير أبى بكر أحسبه كلام الأصمعى . والمُدْرَهِمُّ : الضعيف البصر الذى قد ضَعُف بصرُه من جوع أو مرض . قال أبو على : ولم يذكر هـذه الكلمة أحدٌ ممن عمِل خَلْقَ الإنسان . وأَعْشُو : أَنْظُر ، يقـال : عَشَوْت الى النار اذا أَحْدَدْت نظرَك اليها ، وأنشد(١) :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُـو إلى ضوء ناره * تَجِدْ خيرَ نار عندها خَيْرُ مُوقِدِ

وقوله : فأغْطَش ، أى أصير غَطِشا ، والغَطَشُ : ضَعْفٌ فى البصر ، يقال : رجل أَغْطَش ، وآمرأة غَطْشَى . وأُسْهِل ظالعا ، يقول : اذا مَشَيْت فى السهول ظَلَعْت ، أى غَمَزْت . وأُحْزِن را كعا ، أى اذا عَلَوْت الحَزْن رَكَعْت ، أى كَبَوْت لوجهى . والمَيْر : العَطِيَّة ، من قولهم : مارَهُم يَمِيرُهم مَيْرًا .

قال أبو على : الكاهِرُ والقاهر واحد ، وقد قرأ بعضهم : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ ﴾ .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبـد الرحمن عن عمه قال قال أعرابى لرجل : ما آتَّهَمْتُ حُسْنَ ظنى بك مُنْذُ تَوَجَّه رجائى نحوك ، ولا قَعَدَتْ بِجَدّ فائلٍ بآعتمادى عليك ، ولا آسْتَدْعَتْنِى رَغْبَـةٌ عنك الى مَنْ سِواك ، ولا أرانى الآختبارُ غيرَك عِوَضًا منك .

قال أبو على : الفائل : المُخْطِئ ، يقال : رجل فَالُ الرَّأْى وفائلُ الرأى وفَيِّل الرأى وفِيلُ الرأى اذا كان مخطئ الرأى .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا ذكر رجلا فقال : كان والله للإخاء وَصُولا ، وللمـال بَذُولا ، وكان الوَفَاءُ بهما عليه كَفيلا ، ومَنْ فاضَلَه كان مَفْضُولا . وقال أبو زيد : من أمثال العرب «لم يَهْلِكْ مِنْ مالِكَ ما وَعَظَك» أى اذا أفسدت بعض مالك فوَعَظَك الذى أفسدت فأصلَحْت بعدُ ، فكأن الذى أفسدت لم يَهْلِك . ويقال : « ذَلِيلٌ عاذَ بقَرْمَلَةٍ » وهى شجرة صغيرة ، يقال ذلك لمن عاذ بمن هو أذَلُّ منه أو مثله . ويقال : « قد تَحْلُبُ الضَّجُورُ العُلْبَة » أى قد تصيب من السَّيِّئ الخُلُق اللَّيِّنَ . ويقال : « لَا تَعْدَمُ ناقةٌ من أُمِّها حَنَّةً » أى لاتعدم شَبَهًا ، يقال ذلك لمن أشبه أباه أو أمه .

(١) القائل هو الحطيئة ، كما فى اللسان مادة : « عشا » .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد وقرأنا أيضا عليه :

أقْبَلْنَ مِنْ أعلى فَيَافٍ بسَحَرْ * يَحْمِلْنَ صَلَّالًا كأعْيان البَقَر

قوله : يَحْمِلْنَ صَلَّالًا، أى يحملن فَحْمًا يَصِلُّ، أى يُصَوّت . وأعيان جمع عَيْن . وقرأنا عليه أيضا لزيد الخيـــل :

نَصُول بكل أبْيَض مَشْرَفِيٍّ * على اللَّاتى بَقَى فِيهِنَّ ماء

عَشِيَّةَ نُؤْثِرُ الغُرَباء فينا * فَلَا هُمْ هالكون ولا رِواء

يعنى أنهم يفْتَظُّون الإبل فيأخذون ما بَقِىَ فى كروشها من المـاء . ومثله :

وشَرْبةِ لَوِيجٍ لم أجِدْ لشِفَائهـا * بدُون ذُباب السَّيْف أوشَفْرِه حَلّا

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : بينما أنا سائر بناحية بلاد بنى عامر، اذ مررت بحِـلَّةٍ فى غائط يَطَؤُهم الطريق، واذا رَجُل ينشد فى ظِلّ خَيْمة له وهو يقول :

أحَقًّا عبـادَ الله أن لَسْتُ ناظرًا * الى قَرْقَرَى(١) يومًا وأعلامها الغُبْرِ

كأنَّ فؤادى كُلّما مرّ راكب * جَناحُ غُـرابٍ رام نَهْضًا الى وَكْرِ

اذا ٱرْتَحَلَتْ نحوَ اليمـامة رُفْقَةٌ * دعاك الهوى وٱهتاج قَلْبُـك للذِّكْرِ

فيا راكبَ الوَجْناء أُبْتَ مُسَلَّمـا * ولازِلْتَ من رَيْب الحوادث فى سِتْرِ

اذا ما أتَيْتَ العِـرْضَ فٱهْتِفْ بِجَوِّه * سُقِيتَ على شَحْطِ النَّوى سَبَلَ القَطْرِ

فإنَّك مِنْ وادٍ إلىَّ مُرَجَّب * وإن كنتَ لا تُزْدارُ إلَّا على عُفْـرِ

قال : فأذنْت له وكان نَدِىَّ الصوت ، فلمـا رآنى أومأ إلىَّ فأتيته فقـال : أأَعْجَبك ما سمعت ؟ فقلت : إى والله، فقال : من أهل الحَضَارة أنت؟ قلت: نعم، قال : فمن تكون؟ قلت : لاحاجة لك فى السؤال عن ذلك، فقال : أو ماحَلّ الإسلامُ الضَّغَائن وأطْفأ الأحقاد؟ قلت : بلى، قال : فما يمنعك اذا؟ قلت : أنا ٱمْرُؤ من قَيْس، فقال : الحبيب القريب من أيِّهِم؟ قلت : أحَد بنى سَعْد ابن قيس، ثم أحد بنى أعْصر بن سَعْد، فقال : زادك الله قُرْبا، ثم وَثَبَ فأنزلنى عن حمارى، وألقى عنه إكافَه وقَيَّده بقُرَاب خَيْمته ، وقام الى زَنْدٍ فٱقْتَدَح وأوقد نارا، وجاء بصَيْدانة فألْقَى فيها تمرا وأفرغ

(١) قرقرى : اسم موضع .

عليه سَمْنا، ثم لَفّتَه حتى ٱلْتبَكَ، ثم ذَرَّ عليه دقيقا وقَرَّبه إلىَّ، فقلت : إنى الى غير هذا أحوج، قال: وما هو ؟ قلت : تُنْشِــدنى، فقال : أصِبْ فإنى فاعِل، فَلَقِمْت لُقَيْماتٍ وقلت : الوعد، فقــال : ونُعمَى عَيْنٍ، ثم أنشدنى :

لقد طَرَقَتْ أُمُّ الخُشَيْف وإنّها * اذا صَرَعَ القومُ الكَرَى لَطَرُوق
فيــا كَبِدًا يُحْمَى عليهــا وإنّها * مَخَافَةَ هَيْضات النّــوَى لَخَفُوق
أقام فــريقٌ من أناس يَوَدُّهم * بذات الغَضَا قلبي وبان فَــريق
بحاجة محزونٍ يَظَلُّ وقَلْبُــه * رَهِينٌ بِبَضَّاتِ الحِجال صَدِيق
تَحَمَّلْن أن هَبّتْ لهُنّ عَشِــيَّةً * جَنوبٌ وأن لاحت لهُنّ بُرُوق
كأنّ فُضُول الرَّقْم حين جَعَلْنَهــا * غُدَيًّا على أُدْمِ الجِمــال عُــذُوق
وفيهنّ مِنْ بُخْت النساء رِبَحْــلَةٌ * تَكَادُ على غُرِّ الســحاب تَرُوق
هِجانٌ فأما الدِّعْصُ من أُخْرَيَاتِها * فَوَعْثٌ وأما خَصْرُهــا فدَقِيق

قال : ففارقته وأنا من أشد الناس ظَمَأً الى معاوَدة إنشاده .

[مطلب الكلام على مادة ع ر ض وشرح حديث الأعرابى مع ضيفه]

قال أبو على : العِــرْض : وادٍ باليمــامة ، وكل واد يقال له : عِرْض ، يقال : أخْصَب ذلك العِرْض، وأخْصَبَتْ أعراض المدينة . والعِرض أيضا : الرِّيح، يقال : فلان طَيِّب العِرْض، وفلان مُنْتِن العِرْض، أى الريح . والعِرْض أيضا : ما ذُمَّ من الإنسان أو مُدِح، يقال : فلان نَقِيُّ العِرْض، أى هو برىء من أن يُشْتَمَ أو يُعاب، وٱختلف فيه، فقال أبو عبيد : عِرْضُه : آباؤه وأسلافه، وخالفه ٱبن قتيبة فقال : عِرْضُه : جَسَده، وٱحْتَجَّ بحديث النبى صلى الله عليــه وسلم فى صفة أهل الجنة : "لا يَبُولون ولا يَتَغَوَّطون إنمــا هو عَرَقٌ يجرى من أعراضهم مثل المِسْك" يعنى من أبدانهم، ونَصَرَ شيخنا أبو بكر بن الأنبارى أبا عبيد فقال : ليس هذا الحديث حُجَّةً له، لأن الأعراض عنــد العرب المواضع التى تَعْرَق من الجسد، قال : والدليل على غلط ٱبن قتيبة فى هذا التأويل وصحة تأويل أبى عبيد قول مسكين الدارمى :

رُبَّ مَهْزولٍ سَمِين عِرْضُه * وسَمِينِ الجسم مَهْزُول الحَسَب

فمعناه : رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء؛ قال : وأما آحتجاجه ببيت حسان بن ثابت :

فإنَّ أبى ووالده وعِرْضِى * لعِرْض محمد منكم وِقَاءُ

فى أن العِرْض الجسم ، فليس كما ذَكَر ، لأن معناه : فإن أبى ووالده وآبائى ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ، ذَكَر الأب ثم جمع الآباء ، كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فخَصَّ السَّبْع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها ، والذى قاله آبن قتيبة قد قاله غيره ؛ ويمكن من يَنْصُر آبنَ قتيبة أن يقول : بَيْتُ مسكين مَثَلٌ ، ومعناه : رب مهزول الجسم سمين الحسب ، أى عظيم الشرف ، وسمين الجسم مهزول الحسب ، أى ضعيف الشرف . والعَرْض : ما خالَفَ الطول . والعَرْض من المال : ما ليس بنَقْد ، والجمع عُروض ، يقال : آقْبَلْ منى عَرْضًا ، أى دابة أو متاعا . والعَرْض : سَفْح الجبل ، أى ناحيته ، قال ذو الرمة :

أدْنَى تَقَاذُفِه تَقْرِيبٌ أو خَبَبٌ * كما تَدَهْدَى من العَرْضِ الجَلَامِيدُ

ويقال للجيش اذا كان كثيرا : ما هو إلا عَرْض من الأعْرَاض ، يُشَبَّه بناحية الجبل ، قال رؤبة :

إنا اذا قُدْنا لقوم عَرْضا * لم نُبْقِ من بَغْىِ الأعادى عِضّا

والعِضُّ : الداهية . والعَرْض : مصدر عَرَضْتُه على البيع أعْرِضُه عَرْضا . والعَرْض : مصدر عَرضْت العُود على الإناء أعْرِضه عَرْضًا . والعَرْض : مصدر عَرَضْت له من حقه ثوبا ، فأنا أعْرِضُه عَرْضا اذا أعطيته ثوبا مكان حقه ، هذه كلها مفتوحة العين مسكنة الراء ، وكذلك مصدر عَرَضت له حاجة وعَرَضت عليه الحاجة . والعُرْض بضم العين : الناحية ، يقال : ضَرَبْت به عُرْضَ الحائط ، ويقال : خرجوا يَضْرِبون الناس عن عُرْض ، يريدون عن شِقٍّ وناحية ، لايُبالون مَنْ ضَرَبوا ، ومنه آستعراض الخوارج الناس اذا لم يُبالوا مَنْ قتلوا . ويقال : قد أعْرَض لك الظَّبْىُ ، أى أمْكَنَك من عُرْضِه ، أى من ناحيته . والعَرَض مفتوح الراء : حُطَام الدنيا وما يُصيب منها الإنسانُ ، يقال : إن الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البَرُّ والفاجر . والعَرَض أيضا : الأمر يَعْرِض للإنسان من مَرَض أو كَسْر أو غيرهما مما يُبْتَلَى به ، ويقال : عَرَض له عارضٌ ، مثل عَرَضٍ ، ولا تزال عارضةٌ تَعْرِض . والعارض : الأسنان التى بعد الثنايا ، وهى الضَّوَاحك ، وجمعه عَوَارِض ، يقال : آمرأة نَقِيَّة العارض ، ومصقولة العارض ، قال جرير :

أَتَذْكُرُ يومَ تَصْقُل عارِضَيْها * بعُودِ بَشَـامةٍ سُقِيَ البَشَـامُ (١)

والعارض : الخَدُّ، كذا قال أبو نصر . وقال غيره : سـئل الأصمعى عن العارِضَيْن من اللِّحية، فوضع يده على ما فوق العوارض من الأسنان . ويقال للنَّحْل والجَراد اذا كَثُر : مَرَّ منه عارضٌ قـد مَلأَ الأُفُق . ويقال للجبل : عارض، وبه سمى عارض اليَمَـامة . والعارِضَةُ : الشاةُ أو البعيرُ يُصيبه الداءُ أو السَّبُعُ أو كَسْرٌ، وجمعه عَوارض، يقال : بنو فلان أَكَّالُون للعَوارِض . ويقال : فلان شديد العارضة، أى الناحية . ويقال : أَخَذَ فى عَرُوضٍ ما تُعْجِبُنى، أى فى طريقٍ وناحية، وعَرَفْت ذلك فى عَرُوض كلامه . ويقال لمكة والمدينة واليمن : العَرُوض، ويقال : وَلِى فلان العِرَاقَ ووَلِىَ فلان العَرُوض . والعَرُوض : عَرُوض الشعر . والعَرُوض : البعير الصَّعْب . والعَرُوضانِ : الجانبان . والعَرُوض من الإبل والغنم : الذى يَعْتَرِض الشَّوْكَ فيأكله، يقال : غَنَمُ فلان تَعْرُضُ اذا اعْتَرَضَت الشَّوكَ فأكلته . وعَرِيضٌ عَرُوضٌ . والعَرِيض من المِعْزَى : الذى أَتَى عليه نحوٌ من سَنَةٍ ونَبَّ وأراد السِّفاد، وجمعه عِرْضان، وقال اللحيانى : قال بعضهم : العَرِيض من الظباء : الذى قد قارب الإثْنَـاء . والعَرِيض عند أهـل الحجاز : الخَصِىُّ، والجميع العِرْضان . قال : ويقال : أَعْرَضْتُ العِرْضانَ اذا خَصَيْتَهـا . ويقال : فلان عُرْضَة للشَّر، أى قَوِىٌّ عليه ، وفلانة عُرْضَةٌ للزَّوج، أى قَوِيَّة عليه، وفَرَسٌ عُرْضة للميدان ، وجَمَلٌ عُرْضة للحِمْل الثقيل . والعُرَاضة : الهَدِيَّة، يقال : ما عَرَّضْتَهم ، أى ما أَهْـدَيْتَ اليهم وأطعمتهم، قال الشاعر (٢) :

حَمْراء مِنْ مُعَرِّضات الغِرْبانْ * يَقْـدُمُها كُلُّ عَلاةٍ عِلْيَانْ

يقول عليها التمر فتأتى الغِرْبانُ فتأكل ممـا عليها . والعُرَاضـة : الشىء يُطْعِمه الرَّكْبُ من ٱسْتَطْعَمَهم من أهل المياه . والعُرَاضة والعَرِيضة واحد، وجاء فى بعض الحـديث اذا طَلَعَت الشِّعْرَى سَفَرا ولم تَرَ فيها مَطَرا فلا تَغْذُوَنَّ إِمَّرَةً ولا إِمَّرا وأَرْسِلِ العُرَاضاتِ أَثَرا يَبْغينك فى الأرض مَعْمَرا . فالعُرَاضات :

(١) ورد فى اللسان : أن صدر هذا البيت فى التهذيب :

* أتذكر إذ تودّعنا سليمى *

ويُروى فيه : بفرع بدلا من بعود . وفى الأغانى : أتنسى إذ تودّعنا ...

(٢) القائل هو الأجلح بن قاسط كما فى اللسان وأورد البيت هكذا :

يقدمها كل علاة عليان * حمراء من معرّضات الغربان

الإبل العريضة الآثار . ويقال : قَوْسٌ عُرَاضة ، أى عريضة . والمِعْرَاض : السهم الذى لا رِيش عليه . والمِعْرَض : الثوب الذى تُعْرَض فيه الجارية ، وجمعه مَعَارِض . ويقال : لَقِحَت الناقة عِرَاضًا ، والعِراض : أن يُعارِضها الفحل فيَتَنَوَّخها فيضربها ، فذلك الضِّراب هو العِرَاض ، واذا لَقِحت الناقة كذلك ، قيل : لَقِحَت يَعارةً(١) ، قال الراعى :

نَجائب لا يُلْقَحْن إلَّا يَعارةً * عِرَاضًا ولا يُشْرَيْنَ إلا غَوَاليا

ويقال : جاءت فلانة بولد عن مُعارضة وعن عِرَاضٍ ، وذلك اذا لم يكن له أبٌ يُعْرَف ، ويقال : أَعْرَضَتْ فلانة بأولادها اذا وَلَدَتْهم عِرَاضا طِوَالا من الرجال ، ويقال : أَعْرَضَ الشيءُ اذا صار ذا عَرْضٍ ، قال ذو الرمة :

عطاءُ فَتًى بَنَى وبَنَى أبوهُ * فأَعْرَضَ فى المكارم وآسْتَطَالا

أى تمكّن من طُولها وعَرْضِها . وأَعْرَض فلان عن فلان يُعْرِض إعراضا اذا لم يلتفت اليه ، ويقال : عَرُض فلان وطال إذا ذَهَب عَرْضًا وطُولا . ويقال : عَرَّضْته للخير تَعْرِيضا ، وزاد اللحيانى وأَعْرَضْته . وعارَضْت الشيءَ بالشيء قابَلْته به . وخرج يُعارِض الرِّيح اذا لم يستقبلها ولم يستدبرها ، ويقال : فى فلان عُرْضِيَّة أى صعوبة ، وكذلك ناقة عُرْضِيَّة ، أى فيها صعوبة . والعِرَضْنَة : أن يمشى مِشْية فى شِقٍّ فيها بَغْيٌ ، ويقال : هو يَتَعَرَّض فى الجبل اذا أخَذَ يمينا وشمالا ، قال عبد الله ذو البِجَادَيْن يخاطب ناقة النبى صلى الله عليه وسلم :

تَعَرَّضِى مَدَارِجًا وسُومِى * تَعَرُّضَ الجَوْزاء للنجوم

* هذا أبو القاسم فآستَقيمى *

المَدَارِجُ : الثَّنايا الغِلاظ . ومُرَجَّب : مُعَظَّم وهو مأخوذ من تَرْجيب النَّخلة ، وذلك أنها اذا كَرُمت على أهلها وعَظُمَ حَمْلُها رَجَّبُوها ، والتَّرْجيب : أن تُعْمَد بِرُجْبة ، وهى بناء يُبْنَى كالعَمُود تحتها تُعْمَد به ، قال الشاعر :

ليست بِسَنْهاء ولا رُجَّبِيَّةٍ(٢) * ولكنْ عَرَايَا فى السِّنينَ الجَوائح

(١) اليعارة : الناقة الكريمة التى يقاد إليها الفحل لتلقح ، فان شاءت أطاعته وان شاءت امتنعت منه فلا تكره على ذلك .

(٢) هذا البيت دخله الخرم وهو حذف فاء فعولن . وقائله سويد بن صامت . يصف نخله بالجودة ، والسنهاء : التى أصابتها السنة وأضرّ بها الجدب . والعرايا جمع عرية وهى التى يوهب ثمرها .

وكان أبو بكر بن دريد ينشد «رُجَيِّة» بتشديد الياء فقط، وأنشدنا أبو بكر بن مجاهد المقرى عن أحمد بن يوسف التَّغْلَبى «رُجِّيَّة» بتشديد الجيم والياء، وكذلك أقرأنى أبو بكر بن الأنبارى فى الغريب المصنَّف بتشديد الجيم والياء . وقوله : على عُفْر، أى على بُعْد من اللِّقاء، وقال أبو زيد : بَعْدَ عُفْر: بعد شهر، وقال غيره : بَعْدَ حِينٍ، والحِينُ : مثل البُعْد فى المعنى . وقوله : أذِنْت له معناه ٱستمعت له، قال قَعْنَب بن أمّ صاحب :

صُمٌّ اذا سَمِعوا خيرا ذُكِرْتُ به * وإن ذُكِرت بسُوء عندهم أذِنُوا

وقُرَاب وقَرِيب واحد، مثل كُبَّار وكَبِير، وجُسَام وجَسِيم، وطُوَال وطَوِيل . والصَّيْدَانة : القِدْر العظيمة . وقال الأصمعى : الحَضَارة والبِدَاوة : للحَضَر والبَدْو، بكسر الباء وفتح الحاء، وقال أبو زيد: البَدَاوة والحِضَارة، بفتح الباء وكسر الحاء .

قال أبو على وهما عندى لغتان، الحَضَارة والحِضَارة ، والبَدَاوة والبِداوة . ولَفَتَه : لَوَاه . واللَّفِيتة : العَصِيدة ، وإنما سميت لَفِيتَةً لأنها تُلْفَت ، أى تُلْوَى . والْتبَكَ : اختلط، يقال : لَبَكْت الشىء وبَكَلْته اذا خَلَطْته، قال أمية ٱبن ابى الصَّلْت :

له داعٍ بمكَّةَ مُشْمَعِلٌّ * وآخَرُ فَوْقَ دارَتِه يُنادِى

الى رُدُحٍ من الشِّيزَى مِلاء * لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهاد

أى يُخْلَط بالشُّهْد، يعنى الفالوذ . وقال أبو زيد : الرِّبَحْلة : الجَسِيمة الجَيِّدة الجسم فى طُول، ورَجُل رِبَحْلٌ . والسِّبَحْلة : الطويلة العظيمة، ورجل سِبَحْل؛ وقال الأصمعى : نَعَتَتْ ٱمرأةٌ من العرب ٱبنتها فقالت :

سِبَحْلَةٌ رِبَحْلَهْ * تَنْمِى نَبَاتَ النَّخْلَهْ

ويقال : سِقَاءٌ سِبَحْل وسَبَحْلَل وسَحْبَلٌ، أى عظيم . وقال : الجنوب لَيِّنةٌ تُؤَلِّف السحاب وتُكَثِّفه، والشَّمَال تُفَرِّقه، فيُسَمُّون الشَّمَال : مَحْوَةَ، لأنها تمحُو السحاب . والوَعْث : اللَّيِّن الوَطِىءُ، كذا قال الأصمعى؛ وقال أبو زيد نحو هذا، وقال: هو الذى تَسُوخ فيه أخفاف الإبل، وهو شديد عليها .

[مطلب حديث يحيى بن طالب وشكايته ورحلته الى بغداد ليسأل السلطان]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو محمد بن سعيد قال : كان يحيى ابن طالب الحنفى شيخا كريما يَقْرِى الأضياف ويُطْعِم الطعام، فركبه الدَّينُ الفادحُ، فخلا عن اليمامة الى بغداد يسأل السلطان قضاءَ دينه، فأراد رجل من أهل اليمامة الشُّخوص من بغداد الى اليمامة، فشيّعه يحيى بن طالب، فلما جلس الرجل فى الزَّوْرَق ذَرَفَتْ عَيْنَا يحيى وأنشأ يقول :

أحَقًّا عبادَ الله أن لَسْتُ ناظرا * الى قَرْقَرَى يوما وأعْلامِها الخُضْر(١)
اذا ٱرتحلتْ نحوَ اليمامة رُفْقةٌ * دعاك الهوى وٱهتاج قلبك للذكر
أقول لموسى والدموعُ كأنها * جَداولُ ماء فى مَسارِبها تَجْرِى
ألا هَلْ لشيخٍ وٱبن ستين حِجّةً * بَكَى طَرَبًا نحو اليمامة من عُذْر
كأن فؤادى كلما مرّ راكب * جناحُ غراب رام نَهْضًا الى وَكْر
يُزَهّدُنى فى كل خيرٍ صَنَعْتُه * الى الناس ماجَرَّبْتُ من قِلّةِ الشكر
فياحَزَنا ما ذا أُجِنُّ من الهَوَى * ومن مُضْمَرِ الشوقِ الدَّخيلِ الى حَجْر
تَعَزَّبْتُ(٢) عنها كارها فتركتها * وكان فِراقِيها أمَرَّ من الصَّبْر
لعلّ الذى يقضى الأمور بعلمه * سيصرفنى يوما اليها على قَدْر
فتَفْتُرَ عينٌ ما تَمَلُّ من البكا * ويَصْحُوَ قلبٌ ما يُنَهْنِهُه بالزَّجْر

قال أبو بكر بن الأنبارى : حَجْرٌ : قَصَبة اليمامة . قال : فغُنِّىَ هارونُ الرشيدُ بشعر يحيى بن طالب

أيا أَثَلاتِ القاع من بَطْنِ تُوضَحٍ * حَنِينِى الى أطْلالكنّ طَوِيلُ
ويا أَثَلاتِ القاع قد مَلَّ صُحْبتى * مَسِيرى فهل فى ظِلّكُنّ مَقِيلُ
ويا أَثَلاتِ القاع قَلْبِى مُوَكَّل * بِكُنّ وجَدْوَى خَيْرِكُنّ قليلُ
ألا هل الى شَمِّ الخُزَامَى ونَظْرةٍ * الى قَرْقَرَى قبل الممات سبيل
فأشربَ من ماء الحُجَيْلاء شربةً * يُداوَى بها قبل الممات غليلُ

(١) تقدم قريبا الغبر بدل الخضر، فلعلهما روايتان .
(٢) فى بعض النسخ الخطية المحفوظة بدار الكتب «تعزيت» وفى الأغانى طبع بولاق (ج ٢٠ ص ١٥٠) «تصبرت» .

أحدِّث عنك النفسَ أن لستُ راجعا * اليك فحزنى فى الفؤاد دَخيــل
أُريد هبوطـا نحوَكـم فيرُدّنى (١) * اذا رُمْتُه دَيْنٌ علىّ ثقيـــل

فقال هارون الرشيد : يُقْضَى دينُه، فطُلِب فاذا هو قد مات قبل ذلك بشهر .

وحدّثنا آبن الأنبارى قال حدّثنا أحمد بن يحيى النحوى قال : أراد الفضل بن يحيى أو جعفر آبن يحيى سفرا، فقال : قاتل الله جميلا، ماأشعره حيث يقول :

لمّـا دنا البَيْنُ بَيْن الحَىِّ وآقتسموا * حَبْل النَّوَى فهو فى أيديهمُ قِطَعُ
جادت بأدمعها لَيْـــلَى وأعجلنى * وَشْكُ الفراق فمـا أُبْقِى وما أَدَع
ياقلب وَيْحَكَ ماعَيْشِى بذى سَـلَمٍ * ولا الزمان الذى قـد مرّ مُرْتَجَع
أكُلّمـا بانَ حَىٌّ لا تلائمُهُــم * ولا يُبَالون أن يَشْـتاق مَنْ فَجَعُوا
عَلّقْتَنى بهوًى منهــم فقــد جَعَلَتْ * من الفراق حَصاةُ القلب تَنْصَدِع

وقرأت هــذه الأبيات فى شعر جميل على أبى بكر بن دريد ، مكان فما أُبْقِى ، فمـا أَبْكى، ومكان عَيْشِى، عَيْشٌ ، ومكان، بهوًى منهم ، بهوًى مُرْدٍ . وقال الأصمعى : من أمثالهم « جاءَ يَفْرِى الفَرَا وَيَقُدّ» اذا جاء يعمل عملا محكما، ومثله «جاء يَفْرِى الفَرِىّ» . ويقال : «الحقُّ أَبْلَج والباطلُ لَجْلَج» يراد أن الحق منكشف ، والباطل ملتبس . ويقال : « ماءٌ ولا كَصَدّاء» مثل حمراء، بئر طيّبة الماء جدا ؛ وكان أبو العباس محمد بن يزيد يقول : كَصَـدْآء على وزن صَدْعاء ، يقول : هــذا ماء ولا بأس به ، وليس كَصَـدّاء، يضرب مثلا لمن حُمِد بعض الحَمْد ويُفَضَّـل عليه غيره . ويقال « فَتًى ولا كَمَالِك» مثله . و «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان» مثله .

وأنشدنا آبن دريد عن عبد الرحمن عن عمه لرجل من بنى كلاب :

فلمـا قَضَيْنَا غُصَّــةً من حَدِيثنـا * وقد فاض من بعد الحديث المدامع
جرى بيلنـا مِنّـا رَسِيسٌ يزيدنا * سَـقَاما اذا ما آستيقنَتْه المسـامع
كأن لم تُجَـاوِرْنا أُمامُ ولم نُقِـمْ * بفَيْض الحِمَى اذ أنت بالعَيْش قانع

(١) فى الأغانى . * أريد رجوعا نحوكم فيصدّنى *

فهــل مِثْــلُ أيّامٍ تَسَلَّفْن بالحِمَى * عَــوائدُ أو غَيْثُ السِّــتارَيْن واقع
فإنّ نَسيم الريح من مَدْرَج الصَّــبا * لِأوْراب قَلْبٍ شَـفَّه الحُبُّ نافع

قال أبو على : الرَّسُّ : الشيء من الخَبَر، والرَّسيسُ مثله ، قال الأفْوه الأوْدى :

بَمْهَمَـــهٍ ما لِأنِيسٍ به * حِسٌّ وما فيه له مِنْ رَسِيس

وقال أبو زيد : رَسَوْت عنه حديثا أرْسُوه رَسْوًا : حدّثْتُ عنه ، وقال غيره : رَسَسْتُ الحديثَ فى نفسى أرُسُّه رَسًّا اذا حدّثت به نفسك، قال الأصمعى : رَسَسْتُ بين القوم : أصْلَحْت بينهــم . والأوْرَاب : واحدها وَرْبٌ ، وهو فَسَاد يكون فى القلب وفى غيرذلك ؛ والعَرَب تقول : إنه لذو عِرْقٍ وَرِبٍ، أى فاسد .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه لرجل من بنى كلاب أيضا :

تَحِــنُّ الى الرَّمْــل اليَمَــانِى صَبابةً * وهذا لَعَمْرِى لو رَضِيتَ كَثِيبُ
فأين الأرَاكُ الدَّوْح والسِّدْر والغَضَا * ومُسْــتَخْبَرٌ عَمّنْ تُحِبُّ قَــرِيب
هُنَــاكَ تُغَنّينــا الحَمَــامُ ونَجْتَــنِى * جَنَى اللَّهْوِ يَحْـلَوْلِى لنــا ويَطِيبُ

قال أبو زيد : قال الكلابيُّون : « سَمِعتُ سِرًّا فما جَأيْتُهُ » مثال جَعَيْتُهُ، أى لم أكتمه ، وفلان لا يَجْأى سِرًّا ، أى لا يكتمه ، والمصــدر الجَأْىُ ، والسِّقَاء لايَجْأى المــاء، أى لا يحبسه ، والراعى لا يَجْأى غَنَمه اذا لم يحفظها فتفرّقت . وفلان لا يَجْجُو سِرًّا، أى لايكتمه، والمصدر الجَجْوُ، والسِّقاء لا يَجْجُو المــاء ، أى لا يحبسه ، والراعى لا يَجْجُو غَنَمه ، أى لا يحفظها .

قال الأصمعى: يقال : طَمَحَ فى السَّوْم اذا آستام بسِلْعته أكثر ممــا تُساوِى ، وتَشَحَّى فى السَّوْم ، وأبْعَطَ فى السَّوْم، وشَحَطَ فى السَّوْم، وذلك أن يتباعد . قال : ويقال : مَصَعَ الظَّبْىُ ولَأْلَأَ اذا حرّك ذَنَبه . ومَثَلٌ من أمثالهم «لا آتيكَ ما لَأْلَأَت الفُورُ والعُفْر» أى ماحركت أذنابها، أى لا آتيك أبدا، قال : والأعفر : الأحمر من الظباء . والفُورُ : السُّود ، وقال لى أبو بكر بن دريد : قال الأصمعى : الفُور : الظِّباء لا واحد لها .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى :

رَفَعْنا الخُرُوشَ عن وجوه نسائنا * الى نِسْوة منهم فأبْدَيْن مجْــلَدا

قال أبو العبـاس : الخُمُـوش : الخُدوش ، وهذا رجل قُتِل من قومه قَتْلى ، فكان نساؤهم يَخْمُشْن وجوههن عليهم ،فأصابوا بعد ذلك منهم قتلى ،فصار نساء الآخرين يَخْمُشْن وجوههن عليهم . يقول : لمـا قَتَلْنا منهم قَتْلَى بعد القَتْلَى الذين كانوا قَتَلوا منا ، حَوَّلْنا الخُمُوش عن وجوه نسائنا الى وجوه نسائهم . قال وهذا مثل قول عمرو بن معديكرب .

عَجَّتْ نساءُ بنى زُبَيْـدٍ عَجَّـةً * كعَجِيجِ نِسْوتنا غَداةَ الأرْنَب

قال أبو العباس : العَجَّة : الصوت . والأرْنَب : موضع . والمِجْلَد : جِلْدة تمسكها النائحة بيدها، وربمـا أشارت بها الى وجهها كأنها تَلْطِمه بها، وأنشد :

خَرَجْن حَرِيراتٍ وأبْدَيْن مِجْلَدا * ودارت عليهن المُقَرَّمةُ الصُّـفْر (١)

قال أبو العباس : حَرِيرات : حارَّات الأجواف من الحُزْن . وقوله : دارت عليهن المقرّمة الصُّفر، يقول : سُبِين فأُجِيلَت عليهنّ القِدَاح لِيُؤْخَذن بأسْهُما ، قال ويروى : المُكَتَّبة الصفر، يعنى السهام التى عليها أسماء أصحابها مكتوبة؛ ولم يفسر أبو العباس مُقَرَّمة ولا أبو بكر .

قال أبو على : وأنا أقول مُقَرَّمة : مُعَضَّضة ، وذلك أن الرجل كان يُعْلِم قِدْحَه بالعَضِّ .

[مطلب حديث زبراء الكاهنة مع بنى رئام من قضاعة وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكرقال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن هشام بن محمد عن أبى مِخْنَف عن أشياخ من عُلَماء قُضَاعة قالوا : كان ثلاثة أبْطُن من قُضَاعة مُجْتَوِرِين بين الشِّحْر وحَضْرَمَوْت: بَنُو ناعب، وبَنُو دَاهِنٍ، وبَنُو رِئَام، وكانت بنو رئام أقلَّهم عَدَدا وأشجَعَهم لقاء،وكانت لبنى رئام عجوز تُسَمَّى خُوَيْلة، وكانت لهـا أَمَةٌ من مُوَلَّدَات العرب تسمى زَبْراء، وكان يدخل على خُوَيْلة أربعون رجلا كلهم لها مَحْرَمٌ، بَنُو إخْوة وبَنُو أخَوَات، وكانت خويلة عَقِيمًا، وكان بنو ناعب وبنو داهن مُتَظَاهِرِين على بنى رئام ، فاجتمع بنو رئام ذاتَ يوم فى عُرْسٍ لهم وهم سبعون رجلا كلهم شُجَاعٌ بَئِيس، فَطَعِموا وأقبلوا على شرابهـم، وكانت زبراء كاهنة ، فقالت لخُوَيْلة : انطلقى بنـا الى قومك أُنْذِرْهم، فأقبلت خُوَيْلة تتوكأ على زَبْراء، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالا لها، فقالت: يا ثَمَرَ الأكباد،

(١) البيت للفرزدق، كما فى اللسان مادة حرر .

وأنْدادَ الأولاد، وشَجَا الحُسَّاد، هذه زبراء، تخبركم عن أنباء، قبل ٱنحسار الظلماء، بالمُؤْيِد الشَّنْعاء، فاسمعوا ما تقول . قالوا : وما تقولين يازبراء؟ قالت : واللَّوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمُزْن الوادق، إنَّ شَجَر الوادى لَيَأْدُو خَتْلا، ويَحْرُق أنيابًا عُصْلًا، وإن صَخْرَ الطَّوْد لَيُنْذِر ثُكْلا، لا تجدُون عنه مَعْلا، فوافَقَتْ قوما أَشَارَى سُكَارَى، فقالوا : رِيحٌ خَجُوجٌ، بَعيدة ما بين الفُرُوج، أتت زَبْراءُ بالأَبْلَقِ النَّتُوج . فقالت زبراء : مَهْلًا يابنى الأعزة، والله إنى لأَشُمُّ ذَفَرَ الرجال تحت الحديد، فقال لها فتى منهم يقال له هُذَيْل بن مُنْقِذ : ياخَذَاق، والله ما تَشَمِّين إلا ذَفَرَ إبْطَيْك، فانصرفَتْ عنهم وٱرْتَاب قوم من ذَوى أسْنانهم، فانصرف منهم أربعون رجلا وبَقِىَ ثلاثون فرَقَدُوا فى مَشْرَبهم، وطَرَقَتْهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين، وأقبلت خُوَيْلَةُ مع الصباح فوَقَفَت على مَصارعهم، ثم عَمَدَت الى خَنَاصِرِهم فقطعتها، وٱنْتَظَمَتْ منها قِلادةً وألْقَتها فى عنقها، وخرجت حتى لَحِقَتْ بمَرْضاوى بن سَعْوة المَهْرى، وهو ٱبن أختها، فأناخت بِفِنائه وأنشأت تقول :

يا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ وأمْنَعَ مَلْجَإٍ * وأعزَّ مُنْتَقِمٍ وأدْرَك طالب
جاءتك وافدةُ الثَّكَالَى تَغْتَلِى * بسوادها فَوْقَ الفَضاء النَّاضب
عَيْرَانةٌ سُرُح اليَدَيْن شِمِلَّةٌ * عُبْرُ الهَوَاجِر كالهِزَفِّ الخَاضب
هَذى خَنَاصِرُ أُسْرَتِى مَسْرُودةٌ * فى الجِيدِ مِنِّى مِثْلَ سِمْطِ الكاعب
عشرون مُقْتَبَلا وشَطْرُ عَدِيدهم * صُيَّابةٌ مِلْقَوْمِ غَيْرُ أشَايِب
طَرَقَتْهُمُ أُمُّ اللُّهَيْم فأصبحوا * تَسْتَنُّ فوقَهُمُ ذُيولُ حَوَاصِب
جَزَرًا لعافيةِ الخَوَامِع بعدما * كانوا الغِيَاثَ من الزَّمَانِ اللَّاحِب
قَسَمَتْ رجالُ بَنِى أبيهم بينهم * جُرَعَ الرَّدَى بمَخَارِصٍ وقَوَاضِب
فٱبْرُدْ غَلِيلَ خُوَيْلة الثَّكْلَى التى * رُمِيَتْ بأثقلَ من صُخُور الصاقب
وتَلَافَ قبل الفَوْتِ ثَأْرِىَ إنَّه * عَلِقٌ بثَوْبَىْ داهنٍ أو ناعب

فقال : حَجْرٌ على مَرْضَاوى الأعْذَبانِ والأحْمَرَانِ، أو يَقْتُلَ بعدد رِئَامٍ من داهنٍ وناعب، ثم قال :

أخَالَتَنَا سِرُّ النساء مُحَرَّمٌ * عَلَىَّ وتَشْهَادُ النَّدَامَى على الخمر
كذاكَ وأفْلاذُ الفَئِيد وما ٱرْتَمَتْ * به بين جالَيْها الوَئِيَّةُ مِلْوَذُر

لئن لم أُصَبِّح داهنا ولَفيفَها * وناعِبَها جَهْـرًا بِراغِيـةِ البَـكْر
فَوَارِى بَنَانَ القَوْم فى غامِض الثَّرَى * وصُورِى إليك من قِناعٍ ومن سِتْر
فإنى زَعِيمٌ أن أُرَوِّىَ هامَهُمْ * وأُظْمِئ هامًا ما ٱنْسَرَى الليلُ بالفجر

ثم خرج فى مَنْسِر من قومه، فَطَرَق ناعبا وداهنا فأوجَعَ فيهم .

قال أبو على : المُؤْيِدُ : الداهية والأمر العظيم . والنَّفْنَف واللُّوح والسُّكَاك والسُّكاكة والسَّحاح والكَبَد والسَّمْهَى : الهواء بين السماء والأرض، يقال : لَأفْعلنَّ ذلك ولو نَزَوْت فى اللُّوح، ولو نَزَوْت فى السُّكَاك، واللَّوح بفتح اللام : العَطَش . وقال أبو زيد : أَدَوْتُ له آدُو أَدْوا اذا ختَلْته، قال الشاعر :

أَدَوْتُ له لآخُـذَه * فَهَيْهات الفَتَى حَذِرا

ويقال : دَأَيْت له أيضا ودَألْت له بمعنى واحد . وحَرَق أنيابَه اذا حَكَّ بعضَها ببعض، والعرب تقول عند الغضب يَغْضَبُه الرجلُ على صاحبه : « هو يَحْرُق عَلَىَّ الأُرَّمَ » أى الأسـنان، والعُصْلُ : المُعْوَجَّة، واحدها أعْصَل . والمَعْلُ : المنْجَا . والنَّجُوج : السريعة المَرّ . والأبْلَق : لايكون نَتُوجا، والعرب تضرب هذا مثلا للشيء الذى لا ينال فتقول :

طَلَبَ الأبْلَقَ العقُوق فَلَمَّا (١) * فاته أراد بَيْـــضَ الأنُوق

والأنُوق : الذَّكَر من الرَّخَم ولابَيْض له، هذا قول بعض اللغويين، وعامّتهـم يقولون : الأنوق : الرَّخَمَـة وهى تبيض فى مكان لا يُوصَل فيـه الى بيضها إلا بعد عَناء، فيراد بهـذا المثل أنه طلب ما لا يقدر عليه، فلما لم ينَـلْه طَلَب ما يجوز أن يَناله، هـذا على القول الثانى، فأما على القول الأوّل، فإنه طلب ما لا يُمْكِن، فلما لم يَجِدْ طَلَب أيضا ما لا يكون ولا يُوجَد . والعَقُوق : الحامل، يقال : أَعَقَّت الفرسُ فهى عَقُوق، ولم يقولوا : مُعِقٌّ، تركوا القياس فيه، وهذا هو قول الأصمعى، وقد قال بعض اللغويين : يقـال عَقُوق ومُعِقٌّ . والذَّفَر يكون فى النَّتْن والطِّيب، وهو حِدّة الرِّيح، والدَّفَرُ بفتح الفاء لا يكون إلا فى النتن، ومنه قيل للدُّنْيا : أُمُّ دَفْر، وللأمة دَفارِ، فأما الدَّفْر بتسكين الفاء : فالدَّفع، يقال : دَفَرَ فى عُنُقه . وخَذَاق : كناية عما يَخْرج من الإنسان، يقال : خَذَق ومَزَق

(١) ورد هذا المثل فى الطبعة الأولى والنسخ الخطية غير منظوم، وفى مجمع الأمثال واللسان : أن رجلا سئل معاوية أن يفرض له فأجابه الى ذلك، ثم سأل لولده فمنعه، فسأل لعشيرته فتمثل معاوية بهذا البيت :

طلب الأبلق العقوق فلما * لم يجده أراد بيض الأنوق

وزَرَق، وهذا قول ابن الأعرابى . والمُغَالاة[1] : المباعَدة فى الرَّمْى . وقال الأصمعى : الناضب : البعيد، ومنه نَضَب المـاءُ، أى بَعُدَ عن أن يُنال . وعَيْرانة : تُشْبِه العَيْر لصلابتها . والسُّرُح : السَّهلة رَجْع اليدين . والشِّمِلَّة : السريعة الخفيفة . ويقال : ناقة عُبْر أسفار اذا كانت قوية على السَّفر، وعُبْر الهَواجِر اذا كانت قوية على الحرّ، وأصل هذا كأنه يَعْبَر بها الهَواجِر والأسفار . والهِزَفّ والهِجَفّ : الظَّلِيم الجافى . والخاضِب : الذى قد أكَلَ الربيعَ فاْحمَرَّت ظُنْبُوباه وأطرافُ ريشه . والظُّنْبُوب : مُقَدَّم عَظْم الساق . ومَسْرُودة : مَشْكوكة . ومُقْتَبَل : مُسْتأنَف الشَّباب . وأشَابِب : أخلاط من الناس . والصُّيَّابة : صَميم القوم وخالِصهم . وأُمُّ اللُّهَيْم : الداهية . والحَوَاصِب : الرياح التى تَسْفِى الحَصْباء . والخَوَامِعُ : الضِّباع . واللاحب : القاشر، لَحَبْتُ الشيءَ قَشَرْته . والمَخَارِص، واحدها مِخْرَص وهو سِكِّين كبير مثل المِنْجَل يقطع به الشجر . وخَرِيص البحر : خَليجٌ منه كأنه مَخْرُوص، أى مَقطوع من مُعْظَمه . والصاقِبُ : جبل معروف . وحِجْر : حَرَامٌ . والأعْذَبَانِ : النكاح والأكل . والأحْمرانِ : اللحم والخمر . والسِّرُّ : النكاح، قال الأعشى :

فلا تَنْكِحَنَّ جارةً إنَّ سِرَّهـا * عليك حَرَامٌ فانْكِحَنْ أو تأبَّدَا

والأفلاذ، واحدها فِلْذٌ، ويقال: أعطيته حُزَّةً من لحم وفِلْذةً من لحم وحِذْيةً من لحم، كلُّ هـذا ما قُطِع طُولا، فإذا أعطاه مجتمعا قيل : أعطاه بَضْعة وهَبْرة ووَذْرَة وفِدْرةً . والفَئِيد: الشِّواء، وهو فعيل بمعنى مفعول، يقال: فَأَدْت اللحم اذا شَوَيْته، والمِفْأَدُ : السَّفُّود . والمُفْتأَد: المُشْتَوَى . والجالان : الناحيتان من أعلاهما الى أسفلهما، يقال: جال البئر، وجُولُ البئر. ويقال: رَجُلٌ ماله جُولٌ ولا مَعْقُول اذا كان ضعيف الرأى أحمق . والوَئِيَّة: القِدْر العظيمة . وصُورِى: مِيلِى . وزَعِيم: ضامن، وكذلك قَبِيل وحَمِيل وكَفِيل و نَمِين واحد. ويقال من القَبِيل: قَبَلْت به أقْبُل قَبَالة . وقوله أُرَوِّى هاما، كانت العرب تقول : اذا قُتِل الرجل فلم يُدْرَك بثأره خَرَج من هامَته طائر يسمى الهـامةَ فلا يزال يقول : اسْقُونى اسْقُونى حتى يُقْتَل قاتلُه فيَسْكُن، قال ذو الإصبع العَدْوانى :

يا عَمْرو إلَّا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصتِى * أضْرِبْك حيث[2] تقولُ الهامَةُ اسْقُونى

---

(١) قوله : والمغالاة الخ جاء بهذا مفسرا لقوله فى الشعر المتقدم : تغتلى بسوادها، واغتلاء الدابة : ارتفاعها فى السير وإسراعها كما فى كتب اللغة . (٢) فى الأغانى (ج ٣ ص ٩) "حتى" .

وحدّثنـا أبو بكر أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت أعرابيا ذم رجلا فقال: تَسْهَرُ والله زوجته جُوعا اذا سَهِر شِبَعا، ثم لا يخاف مع ذلك عاجلَ عار، ولا آجلَ نار، كالبهيمة أَكَلَتْ ما جَمَعَتْ، ونكحت ما وَجَدَتْ .

قال أبو علي: قوله: اذا سَهِر شِبَعا يعنى من شِدّة الكِظّة والامتلاء .

وحدّثنـا أبو بكر قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال: قيل لرجل من حِمْيَر: ما العِزُّ فيكم؟ قال: حَوْطُ الحَرِيم، وبَذْلُ الجسيم، ورِعايةُ الحق، وقولُ الصدق، وتركُ التحلى بالباطل، والصبرُ على المَثاكل، واجتنابُ الحَسد، وتعجيلُ الصَّفَد .

[مطلب حديث عوف بن محلم مع عبد الله بن طاهر]

وحدّثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى قال حدّثنا ابن جُوَان صاحب الزيادى قال: قال ابن مُحَلِّم: كنت آتى عبد الله بن طاهر فى كل سنة وكانت صِلَتى عنده خمسة آلاف درهم، فأتيته آخر ما أتيته فشكوت إليه ضعفى ثم أنشدته:

أفى كلِّ عامٍ غُرْبَةٌ ونُزُوح * أمَا للنَّوى مِنْ ونْيَةٍ فتُرِيح
لقد طَلَّح البَيْنُ المُشِتُّ(١) ركائبى * فهل أرَيَنَّ البين وهو طَلِيح
وأرَّقَنى بالرَّىِّ نَوْحُ حمامة * فَنُحْتُ وذو الشَّجْو الحزينُ ينوح
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دَمْعةً * ونُحْتُ وأسراب الدموع سُفُوح
وناحت وفَرْخَاهَا بحيث تراهما * ومِنْ دون أفراخى مَهَامِهُ فِيح
عَسَى جودُ عبد الله أن يَعْكِس النَّوَى * فتُضْحِى عصا التَّسْيار وهى طَرِيح
فان الغِنَى مُدْنِى الفتى من صديقه * وعُدْم الفتى بالمُقْترين نَزُوح

فتوجّع له عبد الله وقال: صِلَتُك عشرةُ آلاف درهم فى كل سنة ولا تَتْعَبَنَّ إلينا فإنها توافيك فى منزلك إن شاء الله، ففعل .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى وأبو بكر بن دريد يزيد كل واحد منهما على صاحبه من قصيدة توبة ابن الحُمَيِّر:

(١) فى بعض النسخ الخطية المحفوظة بالدار: «القذوف» .

يقول أناس لا يَضيرك نأيها * بلى كلُّ ما شَفَّ النفوس يَضيرها
بلى قد يَضير العينَ أن تكثر البكا * ويُمْنَعَ منها نومُها وسرورها
أرى اليوم يأتى دون ليلى كأنما * أتت حِجَجٌ من دونها وشهورُها
لكل لقاءٍ نلتقيه بَشَاشةٌ * وإن كان حَوْلًا كلَّ يوم أزورها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابنى منها الغداةَ سُفورها
وقد رابنى منها صدود رأيته * وإعراضُها عن حاجتى وبُسُورها
حمامةَ بطن الواديين تَرَنَّمى * سقاكِ من الغُرِّ الغوادى مَطيرها
أبينى لنا لا زَال ريشُك ناعما * وبَيْضُكِ فى خضراء غَضٍّ نضيرها (١)
وأُشرف بالقُورِ اليَفَاع لعَلَّنى * أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر * لنفسى تُقاها أو عليها فُجورها

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الرياشي :

ألا قاتل اللهُ الحمامةَ غُدْوةً * على الأَيْك ماذا هَيَّجَتْ حين غَنَّتِ
تَغَنَّت غِناءً أعجميًّا فهيجت * جَواى الذى كانت ضلوعى أَكَنَّتِ
نَظَرْتُ بصَحْراء البريقين نَظْرةً * حِجازِيَّةً لو جُنَّ طَرْفٌ لجُنَّتِ

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم للعَوَّام بن عقبة بن كعب :

أَأَنْ سَجَعَتْ فى بطن وادٍ حمامةٌ * تُجَاوِب أخرى ماءُ عَيْنَيْك فاسق
كأنك لم تَسْمَعْ بكاءَ حمامة * بليلٍ ولم يَحْزُنْك إلْفٌ مفارِق
ولم تَرَ مفجوعا بشيء يُحِبُّه * سواك ولم يَعْشَقْ كعِشْقِك عاشق
بلى فأفِقْ عن ذِكْر لَيْلَى فإنما * أخو الصَّبْر مَنْ كَفَّ الهوَى وهو تائق

قال وأنشدنا أبو حاتم لرجل من بنى نَهْشَل :

أُلامُ على فَيْض الدموع وإننى * بفيض الدموع الجاريات جَدير
أَيَبْكِى حَمامُ الأيك من فَقْد إلْفه * وأصبر عنها إننى لَصَبُور

(١) ورد هكذا فى الأصل، وفى الأغانى (ج ١٠ ص ٦٩) طبع بولاق .
* ولا زلت فى خضراء دانٍ بريرها *
والبرير : ثمر الأراك

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الرياشى عن الأصمعى قال أنشدنى مُنْتَجِع بن نَبْهان لرجل من بنى الصَّيداء :

دَعَتْ فوق أفنانٍ من الأيك مَوْهِنًا * مُطَـوَّقةٌ وَرْقاء فى إثْرِ آلـف
فهاجت عَقابيـلَ الهوى اذ تَرَنَّمَتْ * وشَبَّتْ ضِرامَ الشَّوْق تحت الشَّراسف
بَكَتْ بجفونٍ دَمْعُها غـيرُ ذارفٍ * وأغْرَتْ جفونى بالدموع الذَّوَارف

وقال الأصمعى : من أمثالهم : « أيْنَما أذْهَبْ ألْقَ سَعْدا » قال : كان غاضَبَ الأضْبَطُ بن قريع سعدا فجاور فى غيرهم فآذَوْه فقال : « أينمـا أذهب ألق سعدا » أى قَوْمًا ألْقَ منهم مثل مالَقِيتُ من سعد . قال ويقال : « مُحْسِـنَةٌ فَهِيلِى » يقال ذلك للرجل يُسِىء فى أمر يفعله فيؤمر بذلك على سبيل الهُزْء به . وقال الأصمعى : ومن أمثال العرب : « لا يُرَحِّلَنَّ رَحْلَكَ من لَيْسَ مَعَـك » أى لا تُدْخِلَنَّ فى أمرك من ليس نَفْعُه نَفْعَك ولا ضَرَرُه ضررك . ويقال : « المرءُ يَعْجِزُ لا المَحالَةُ » . يقول : إن العَجْز أتى مِنْ قِبَله ، فأما الحِيلةُ فواسعة .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى :

سَفِيرَا خُروجٍ أدْلَجَا لم يُعَرِّسا * ولم تَكْتَحِلْ بالنوم عَيْنٌ تراهما
فلم أرَ مُخْتالَيْنِ أحْسَنَ منهما * ولا نازلا يَقْرِى غَدًا كقِرَاهما

قال أبو العباس : سفيرا خروج يعنى غيثَيْن . والسَّفير : المتقدم . وخُروج يعنى من السحاب .
وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى أبى :

تُذَكِّرُنى أمَّ العَـلاء حمـائمٌ * تَجَاوَبْنَ اذ مالت بهنَّ غُصون
تَمَـلَّأْ طَلًّا رِيشُكنَّ من الندى * وتَخْضَرُّ مِمَّا حَوْلَكُنَّ فُنون
ألا ياحَمامات اللِّوَى عُدْنَ عَودةً * فإنّى(١) الى أصـواتِكُنَّ حَزين
فَعُدْنَ فلمـا عُدْن كِدْنَ يُمِتْنَنى * وكِدت بأشجانى لهنَّ أُبِين

وأنشدنى جحظة * وكدت بأسرارى لهن أُبِين *

وعُدْنَ بقَرْقارِ الهَدِير كأنَّمـا * شَرِبْنَ حُمَيًّـا أو بهنَّ جنون
فلم تَرَ عَيْـنى مثلَهنَّ حمائمـا * بَكَيْنَ ولم تَدْمَع لهن عيون

(١) فى بعض النسخ الخطية المحفوظة بدار الكتب : « فقلبى » .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنى أبى :

دَعْ ذِكْرَهُنَّ فما تزال تَشُبُّهُ * وَرْقاءُ تَرْكَبُ حانياً مَيَّادا

تَدْعُو حمائمَ أَيْكَةٍ بِهَدِيلِها * يُخْضِعْنَ حِينَ يُجِبْنَها الأجيادا

يا وَيْحَهُنَّ حمائماً هَيَّجْنَ لى * شوقًا يكاد يُصَدِّعُ الأكبادا

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال : أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعى لحميد بن ثور ولم يروه الأصمعى فى شعر حميد :

اذا نادَى قَرِينَتَهُ حَمَامٌ * جَرَى لِصَبابَتِى دَمْعٌ سَفُوحُ

يُرَجِّعُ بالدعاء على غصون * هَتُوفٌ بالضُّحَى غَرِدٌ فَصِيحُ

هَفَا لِهَدِيلِه مِنِّى اذا ما * تَغَرَّدَ ساجِعًا قلبٌ قَرِيحُ

فقلتُ حَمامةٌ تَدْعُو حماما * وكُلُّ الحُبِّ نَزَّاعٌ طَمُوحُ

وأنشدنى أبو بكر :

كاد يَبْكِى أو بَكَى جَزَعا * من حمامات بَكَيْنَ معا

ذَكَّرَتْه عِيشَةً سَلَفَتْ * قَطَّعَتْ أنفاسه قِطَعا

وأنشدنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى قال أنشدنى أبو العباس محمد بن يزيد الثمالى لعَوْف بن مُحَلِّم :

ألا يا حمام الأيك إلْفُكَ حاضر * وغُصْنُكَ مَيَّاد فَفِيم تَنُوحُ

أَفِقْ لا تَنُحْ من غير شىء فإنّنى * بَكَيْتُ زمانا والفؤاد صحيح

وَلُوعًا فَشَطَّتْ غُرْبةً دارُ زينبٍ * فها أنا أبكى والفؤاد جريح

وحدّثنى أبو بكر بن دريد قال : خرجنا من عُمَان فى سفر لنا فنزلنا فى أصل نخلة ، فنظرت فاذا فاختتان تَزْقُوَان فى فرعها ، فقلت :

أقول لوَرْقاوَيْنِ فى فرع نخلةٍ * وقد طَفَّل الإمساء أو جَنَحَ العَصْرُ

وقد بَسَطَتْ هاتا لتلك جَنَاحَها * ومال على هاتيك مِنْ هذه النَّحْرُ

لِيَهْنِكُمَا أن لم تُرَاعا بفُرْقةٍ * وما دَبَّ فى تشتيتِ شَمْلِكُما الدَّهْرُ

فلم أر مثلى قطَّعَ الشوقُ قَلْبَه * على أنه يحكى قَسَاوتَهُ الصَّخْرُ

[مطلب حديث خنافر الحميرى مع رئيه شصار ودخوله فى الاسلام بارشاد رئيه المذكور وشرح الغريب فى هذه القصة]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنى عمى عن أبيه عن آبن الكلبى عن أبيه قال : كان خُنَافِر بن التَّوْءم الحِمْيَرِى كاهنا، وكان قد أُوتِى بَسْطةً فى الجسم، وسَعَةً فى المال، وكان عاتيا؛ فلما وَفَدَتْ وفود اليمن على النبى صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام أغار على إبل لمُرادٍ فاكْتَسَحها وخرج بأهله وماله ولَحِق بالشِّحْر، فحالف جَوْدان بن يحيى الفِرْضِمى (١)، وكان سيدا منيعا، ونزل بواد من أودية الشِّحْر مُخْصِبا كثير الشجر من الأيك والعَرِين . قال خُنَافِر : وكان رَئِيٌّ فى الجاهلية لايكاد يَتَغَيَّب عنى، فلما شاع الإسلام فَقَدْتُه مدة طويلة وساءنى ذلك، فبينا أنا ليلةً بذلك الوادى نائما إذ هَوَى هُوِيَّ العُقَاب، فقال : خُنَافِر، فقلت : شِصَار ؟ فقال : آسْمَعْ أَقُلْ، قلت : قل أسمع، فقال : عِه تَغْنَم، لكل مُدَّةٍ نهاية، وكل ذى أَمَدٍ الى غاية، قلت : أَجَلْ، فقال : كل دَوْلة الى أَجَل، ثُمَّ يُتَاحُ لها حِوَل، آنْتُسِخَتِ النِّحَل، وَرَجَعَتْ الى حقائقها المِلَل؛ إنَّكَ سَجِيرٌ موصول، والنُّصْحُ لك مبذول؛ وإنى آنَسْتُ بأرض الشام، نَفَرا من آل العُذَام، حُكَّاما على الحُكَّام، يَذْبُرُون ذا رَوْنَق من الكلام؛ ليس بالشعر المُؤَلَّف، ولا السَّجْع المتكلَّف، فأصْغَيْت فزُجِرت، فعاوَدْتُ فظُلِفْت، فقلت بِمَ تُهَيْنِمون، وإلامَ تَعْتَزُون؟ قالوا : خِطَابٌ كُبَّار، جاء من عند الملك الجَبَّار، فاسْمَعْ ياشِصَار، عن أصدق الأخبار، وآسْلُكْ أوضحَ الآثار، تَنْجُ من أُوار النار؛ فقلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا : فُرْقانٌ بَيْنَ الكفر والإيمان؛ رَسُول من مُضَر، من أهل المَدَر، آبْتُعِث فَظَهَر، فجاء بقول قد بَهَر، وأوضح نَهْجًا قد دَثَر، فيه مواعظُ لمن آعتبر، ومَعَاذٌ لمن آزْدَجَر، أُلِّفَ بالآى الكُبَر؛ قلت : ومن هذا المبعوث من مُضَر؟ قال : أحمدُ خير البشر، فإن آمَنْتَ أُعْطِيت الشَّبَر، وإن خالَفْت أُصْلِيت سَقَر، فآمَنْتُ يا خُنَافِر، وأقبلتُ اليك أُبادر، فجانِبْ كلَّ كافر، وشايِعْ كُلَّ مؤمن طاهر؛ وإلَّا فهو الفراق، لا عن تَلَاق؛ قلت : من أين أَبْغِى هذا الدِّين ؟ قال : من ذات الإِحَرَّين، والنَّفَر اليمانِين، أهل الماء والطين؛ قلت : أَوْضِحْ، قال : آلْحَقْ بيَثْرِبَ ذات النخل، والحَرَّة ذات النَّعْل، فهناك أهلُ الطَّوْل والفضل، والمواساة والبذل؛ ثم آمَّلَسَ عنِّى . فَبِتُّ مذعورا أُراعِى الصباح؛ فلما برق لى النور آمْتَطَيْتُ راحلتى، وآذَنْتُ أَعْبُدِى، وآحتملت بأهلى حتى وَرَدْت الجَوْف؛ فَرَدَدْت الإبل على أربابها بحُولها وسِقابها،

(١) الفرضمى منسوب الى فرضم كزبرج، وهو كما فى القاموس أبو بطن من مهرة بن حيدان .

وأقبلتُ أريد صَنْعاء، فأصَبْتُ بها مُعاذَ بن جبلٍ أميرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعته على الإسلام وعَلَّمني سُوَرًا من القرآن؛ فمنَّ الله عليّ بالهُـدى بعد الضَّلالة، والعِلْمِ بعد الجَهَالة؛ وقلت في ذلك:

ألم تر أنّ الله عاد بفضـله * فأنقـذَ من لَفْحِ الزَّخيخِ خُنَافِرا
وكَشَّف لي عن جَحْمَتَيَّ عَمَاهُما * وأوْضَحَ لي نَهْجِي وقد كان داثِرا
دعاني شِصَارٌ لِلَّتي لو رَفَضْتُها * لأُصْلِيتُ جَمْرًا من لَظَى الهُوبِ واهِرا
فأصْبَحْتُ والإسلام حَشْوُ جَوانِحي * وجانَبْتُ مَنْ أمْسَى عن الحق نائِرا
وكان مُضِلِّي مَنْ هُدِيتُ بُرشْـده * فلله مُغْـوٍ عادَ بالرُّشْـد آمِرا
نَجَوْتُ بحمد الله من كل قُحْمَة * تُؤَرِّثُ هُلْكًا يوم شايَعْتُ شاصِرا
وقد أمِنَتْني بَعْـدَ ذاك يُحَابِرٌ * بما كنتُ أُغْشِي المُنْدِياتِ يُحَابِرا
فَمَنْ مُبْلِغٌ فِتْيانَ قومي ألُوكَةً * بأنِّيَ مِنْ أقتـالِ مَنْ كان كافـرا
عليكُمْ سَواءَ القَصْـدِ لا فُلَّ حَدُّكُمْ * فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا

قال أبو علي: أكْتَسَحَها: كَنَسَها، يقال: كَسَحْتُ البيتَ وقَمَمْتُه وخَمَمْتُه وسَفَرْتُه، كلها بمعنى واحد. والمِقَمَّة والمِخَمَّة والمِكْسَحَة والمِسْفَرة: كلها المِكْنَسة. والخُمَامة والسُّبَاطة والكُسَاحة والقُمَامة والكِبَا مقصور: كُلُّ ما كَنَسْتَه من البيت فألقيتـه من قُمَاشٍ وتراب. والكِبَاء ممـدود: البَخُور، يقال: قد كَبَا ثوبَه اذا بَخَّره. وفي رَئِيٍّ لغتان يقال: رَئِيٌّ ورِئِيٌّ وهو ما يتراءى للإنسان من الجن. والحِوَل: التحوُّل. والسَّجِير: الصَّـدِيق. والشَّجِير بالشين معجمة: الغـريب، وقد قال بعض اللغويين يقال: السَّجِير والشَّـجِير للصَّـدِيق. وآنَسْتُ: أبصرت، قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾. والعُذَام: قبيلة من الجن كذا قال أبو بكر. ويقال: ذَبَرْتُ الكِتَاب اذا قرأته، وزَبَرْتُه اذا كتبته، وقد قالوا ذَبَرْتُه وزَبَرْتُه بمعنى واحد اذا كتبته. وظُلِفْت: مُنِعْت، قال الشاعر:(١)

أَلَمْ أَظْلِف عن الشُّعَراء عِرْضِي * كما ظُلِفَ الوَسِيقةُ بالكُرَاعِ

والأُوَار: شدة الحر. والشَّبْر: الخير وحرك للسجع كما حركه العجاج لإقامة الشعر،(٢) قال:

(١) الشاعر: هو عوف بن الأحوص كما أورده اللسان في مادة «ظلف».

(٢) قوله وحرك للسجع كما حركه العجاج الخ، كذا قال الجوهري في صحاحه، وغلطه ابن بري قال: لأن الشبر بسكون الباء مصدر وبفتحها اسم العطية كذا في اللسان، أي واسم العطية هو المراد هنا.

الحمـــدُ لله الذى أعطَى الشَّـبَرْ * مَوالِيَ الخَـيْرِ إنِ المَـوْلَى شَكَرْ

وقال الأصمعى: جمع الحَرَّة حِرار وحَرُّونَ وإحَرُّونَ. والنَّعْل: المكان الغليظ من الحَرَّة. وآذَنْت: أعلمت. والحُول جمع حائل وهى الأنثى من أولاد الإبل. والسِّقاب جمع سَقْب وهو الذَّكَر. وقال أبو بكر: الزَّخيخُ بلغة أهل اليمن: النار. والجَحْمتان: العَيْنان بلغتهم، قال شاعرهم — وأكل أُمَّه الذئبُ —:

فياجَحْمَتَا بَكِّى على أمِّ واهبٍ * أكِيلةِ قِلَّوْبٍ ببعض المَذَانب

والقِلَّوْبُ والقِلِّيب بلغتهم الذئب. والهَوْب: النار بلغتهم. والواهِرُ: الساكن مع شدة الحر، وكل هذه الأحرف من لغتهم. ونائر: نافر. والقُحْمة: الشِّـدَّة. والأقْتال: الأعداء، والأقتال: الأقران، واحدهم قِتْلٌ.

قال أبو على: التفسير لأبى بكر من قوله: والزَّخيخُ بلغة أهل اليمن النار إلى قوله نائر.

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء قال أنشدنى إبراهيم بن سَهْل لقيس ابن ذُرَيْح. قال: والناس يَنْحَلُونها غيره وبعضهم يصححها له، وأنشدنا أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى عمرو الشيبانى عن قيس المجنون:

سَأَصْرِمُ لُبْنَى حَبْـلَ وَصْلِك مُجْمِـلًا * وإن كان صَرْمُ الحَبْـلِ منكِ يَرُوع
وسوف أُسَلِّى النفسَ عنك كما سَلَا * عن البَلَد النـائى البعيد نَزِيع
وإن مَسَّـنى للضُّر منـك كآبة * وإن نال جسمى للفـراق خُشُوع
سَـقَى طَلَـلَ الدار التى أنْتُمُ بها * بشَرْقِىِّ لُبْـنَى صَـيِّفٌ ورَبِيـع
يقولون صَبٌّ بالنساء مُوَكَّلٌ * وما ذاك من فعـل الرجال بَدِيع
مَضَى زمنٌ والناسُ يَسْتَشْفِعُون بى * فهـل لى الى لُبْنَى الغَـداةَ شَفِيع
أيا حَرَجات الحَىِّ حيث تَحَمَّـلوا * بذى سَـلَمٍ لا جادَكُنَّ رَبِيـع
وخَيْماتُكِ اللَّاتِى بمُنْعَـرَج اللِّوَى * بَلِيـنَ بِلًى لم تُبْلَهُنَّ رُبُـوع
الى الله أشكو نِيَّةً شَقَّت العَصا * هِىَ اليومَ شَتَّى وهْىَ أمْسِ جَمِيع
وما كادَ قَلْبى بعـدَ أيَّامَ جاوَزَتْ * الىَّ بأجراع الثُّـدِىِّ يَرِيـع

فإن آنهمالَ العَيْن بالدمع كُلَّما * ذَكَرْتُك وَحْدى خاليا لَسَريع
فلو لم يَهِجْنى الظاعنونَ لَهَاجَنى * حَمائمُ وُرْقٌ فى الديار وُقُوع
تَجاوَبْنَ فاسْتَبْكَيْنَ من كان ذا هوًى * نَوائحُ ما تَجْرى لهُنّ دموع
لَعَمْرُك إنّى يومَ جَرْعاء مالكٍ * لَعاصٍ لأمرِ المُرْشِدين مُضيع
نَدِمْتُ على ما كان منّى فَقَدْتُنى * كما يَنْدَمُ المغبونُ حين يَبيع
اذا ما لحانى العاذلات بحبها * أبَتْ كَبِدٌ مِمّا أُجِنُّ صَديع
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحُبُّها * يُؤَرِّقُنى والعاذلاتُ هُجُوع
عدِمْتُكِ من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنّنى * نَهَيْتُكِ عن هذا وأنتِ جميع
فَقَرَّبْتِ لى غيرَ القريب وأشْرَقَتْ * هناك ثَنايا مالَهُنّ طُلوع
فضَعَّفَنِى[1] حُبَّيْكِ حَتّى كأننى * من الأهل والمال التِّلاد خَليع
وحتى دعانى الناسُ أحمقَ مائقا * وقالوا مُطيعٌ للضلال تَبُوع

قال وأنشدنا أبو بكر بن الانبارى قال : أنشدنا عبد الله بن خلف لقيس المجنون :

راحوا يَصِيدون الظباءَ وإننى * لأرى تَصَيُّدَها علىّ حَرَاما
أشْبَهْنَ منك سوالفًا ومَدَامعا * فأرَى عَلَىَّ لها بذاك ذِماما
أعْزِزْ عَلَىَّ بأن أُرَوِّعَ شبيهها * أو أن يَذُقْنَ على يَدَىَّ حِماما

قال حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال : ذَكَرَ أعرابىٌّ رجلا فقال : مالَهُ لَمَجَ أُمَّه ، فرفعوه الى السلطان ، فقال : إنما قلت مَلَجَ أُمَّه . قال أبو بكر قال أبو العباس : لَمَجها : نكحها ، ومَلَجها : رَضَعها .

وقرأت على أبى عمرو عن أبى العباس عن ابن الاعرابى قال : آختصم شيخان غَنَوِىٌّ وباهلىٌّ ، فقال أحدهما لصاحبه : الكاذب مَحَجَ أُمَّه ، قال الآخر : آنظروا ما قال لى : الكاذب مَحَجَ أُمَّه ، أى جامَعَ أُمَّه ، فقال الغَنَوىُّ : كَذَب ما قلت له هكذا ، إنما قلت له : الكاذبُ مَلَجَ أُمَّه ، يقال : مَلَجَ يَمْلَج ، ومَلَج يَمْلُج ، ولَمَجَ يَلْمُج اذا رَضَع .

(١) هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها تضعفني بالتاء ، والذى فى معجم ياقوت وما زال بى حبيك الخ .

قال أبو على : يقال : مَحَجَها ومَخَجَها ونَخَجَها، وهو مأخوذ من قولهم : مَخَجْت الدَّلْو فى البئر اذا حَرَّكتَها لتمتلئ ونَخَجْتها أيضا بالنون .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو العباس لمسكين بن عامر الحنظلى :

أَصْـبَحَتْ عاذلتى مُعْتَـلَّةً * قَرِمَتْ بل هى وَحْمَى للصَّخَب
أصبحتْ تَتْفُل فى شَحْمِ الذُّرَى * وتَعُـدُّ اللَّـوْمَ دُرًّا يُنْتَهَب
لا تَلُمْها إنَّها مِنْ نِسْوةٍ * مِلْحُها مَوضوعَةٌ فَوْقَ الرُّكَب

قال أبو العباس : الوَحَمُ : الشَّهوة على الحَمْل، فجعله هاهنا للصَّخَب .

قال أبو على : قال أبو بكر عن أبى العبـاس قوله : تتفل فى شحم الذرى يعنى أنهـا تتفل على إبلى وتُعوِّذها من العَيْن لتُعَظِّمها فى عينى فلا أَهَبها . وتَعُدّ اللَّوْم دُرًّا يُنْتَهَب، أى من حِرْصها عليـه .

[مطلب الكلام على معنى قول بعض العرب ملحها موضوعة فوق الركب]

وقـــوله :

* مِلْحُها موضوعة فوق الرُّكَب *

حكى عن الأصمعى أنه قال : كانت زِنْجِيَّة حَبَشية . والمِلْح : السِّمَن، يقــال : تَمَلَّح وتَحَلَّم اذا سَمِن، فيقول : سِمَنُها فوق رُكْبَتَيْها، أى فى عَجِيزتها . وقال أبو عمرو الشيبانى :

* مِلْحُها موضوعة فوق الرُّكَب *

أى إنها بَخِيـلة تَضَع مِلْحَها فوق ركبتيها ، فهى تأمرنى بذلك ؛ وقال غيرهما من اللغويين : قوله :

* ملحها موضوعة فوق الركب *

أى إنها سريعة الغضب، يقال للسريع الغضب: مِلْحُه فوق ركبتيه، وكذلك غَضَبُه على طَرَف أنفه .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمــه قال : وَقَفَ علينا أعرابى ونحن برَمْلة اللِّوَى فقال : رحم الله آمرأ لم تَمْجُجْ أُذُناه كلامى، وقَدَّم مَعاذةً من سُوءِ مَقامى؛ فان البلاد مُجْدِبَة، والحال مُسْغِبة ؛ والحياء زاجرٌ يمنعُ من كلامكم ، والفَقْر عاذرٌ يدعو الى إخباركم؛ والدعاء أحَدُ الصَّـدَقتَيْن ؛ فَرَحِم اللهُ آمْرأً أَمَر بمَيْر، أو دعا بخَـيْر؛ فقلت : مِمَّنْ أنت يرحَمُك الله؟ فقال : اللَّهم غَفْرًا، سُوءُ الاكْتِساب، يمنعُ من الانْتِساب .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا العُكْلىّ عن الحِرْمازِىّ عن آبن الكلبى : أن رجلا أغْلَظ لعمرو آبن سعيد بن عمرو بن العاص، فقال له عَمْرٌو : مَهْلًا، عَمْرٌو ليس بحُلْوِ المَذَاقة، ولا رِخْوِ المَلَاكة، ولا الخَسِيس ولا المَخْسُوس، ولا النِّكْسِ الشَّكِسِ، الهالك فهَاهة، الجاهل سَفَاهة، والله ما أنا بكَهَام اللسان، ولا كَلِيلِ الحَدّ، ولا عَيِّ الخطاب، ولا خَطِل الجواب، أيْهاتَ ! جارَيْتُ والله الأسْنان، وجَرَّسَتْنِي الأمور، ولقد عَلِمَتْ قريشٌ أنى ساكِنُ الليل داهِيَةُ النهار، لا أنهض لغير حاجتى ولا أتْبَع أفْياء الظِّلال، وإنَّك أيُّها الرجل لأبْيَض أُمْلُود، رَقِيق الشَّعَرة، نَقِىُّ البَشَرة، صاحب ظُلُمَات، ووَثَّاب جُدُرَات، وزَوَّار جارات .

قال أبو على : المُجَرَّس والمُضَرَّس والمُقَتَّل والمُنَجَّد الذى قد جرّب الأمور وعَرَفها . والْفَهُّ : الْعَيِّ الكَلِيل اللسان كذا قال أبو زيد، قال ويقال : جِئْتُ لحاجة فأفَهَّنِي عنها فلان حتى فَهِهْت اذا أنْسَاكَها . والأُمْلُود : الناعم، قال ذو الرمة :

خَرَاعِيب أُمْلُود كأن بَنَانَها * بَنَاتُ النَّقَا تَخْفَى مِراراً وتَظْهَر

[مطلب ماقاله بعض الأعراب فى صفة قومه]

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يذكر قومه فقال : كانوا والله اذا آصْطَفُّوا تحتَ القَتَام، خَطَرَتْ بينهم السِّهام، بوُفُود الحِمَام، واذا تَصَافَحُوا بالسُّيُوف فَغَرَت المَنايا أفواهَها، فربَّ يَوْمٍ عارِمٍ قد أحْسَنُوا أَدَبَه، وحَرْبٍ عَبُوسٍ قد ضاحَكَتْها أسِنَّتُهم، وخَطْبٍ شَـئِزٍ قد ذَلَّلوا مَنَاكِبَه، ويَوْمٍ عَمَاسٍ قد كَشَفُوا ظُلْمَتَه بالصبر حتى يَنْجَلِي، إنما كانوا البَحْرَ الذى لايُنْكَشُ غِمَارُه، ولا يُنْهَنَه تَيَّارُه .

قال أبو على قوله : فَغَرَتْ : فَتَحَتْ، قال حميد بن ثور :

عَجِبْتُ لها أنَّى يكون غِناؤُها * فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا

والشَّئِزُ : المُقْلِق، والشَّأْزُ والشَّأْس : الأرض الغَلِيظة، قال العجاج :

* إن يَنْزِلُوا بالسَّهْل بَعْدَ الشَّأْس *

ومنه سمى الرجل شَأْسا . والعَمَاس : الشديد، ويُنْكَش : يُنْزَح . ويقال : قَلِيبٌ عَيْلَمٌ لايُغَضْغَض ولا يُؤْبِي ولا يُنْكَف ولا يُنْكَش ولا يُفَتَّح ولا يُغَرَّض ولا يُنْزَح ولا يُنْزَف .

قال أبو على : يجوز فتح الغين الثانية وكسرُها من يُنَضْغِض، وفتحُ الراء وكسرُها من يُغَرِّض، ولا يجوز فى يُؤْبى إلا كسر الباء فقط، كذا قال لى أبو عمرو المطرز .

حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا السكن بن سعيد قال : قيل لرجل من حِمْيَر : ما الداء العُضَال؟ قال: هَوًى مُحرِض، وحَسَدٌ مُمرِض، وقَلْبٌ طَرُوب، ولِسانٌ كَذُوب، وسُؤَالٌ كَدِيد، ومَنْعٌ جَحِيد، ورُشْدٌ مُطَّرَح، وغِنًى مُمْتَنَح .

قال أبو على : الحَرَضُ : الساقط الذى لا يَقْدِر على النُّهوض، يقال : أَحْرَضَهُ الله إحْرَاضا . والكَدِيد : الذى يَكُدُّ المسئول . وجَحِيد : يابس لا بَلَلَ فيه، قال أبو زيد : يقال : رجل جَحِدٌ وقد جَحِد اذا كان قليل الخير . وأرض جَحِدة : يابسة قليلة الخير . والمُمْتَنَح : المستعار وأصله من المِنْحة والمَنِيحة، وهو أن يُعْطِىَ الرجلُ الرجلَ الشاة أو الناقة يَحْتَلِبها وينتفع بصُوفِها الى مدة ثم يردها الى صاحبها . قال أبو زيد : من أمثال العرب : «من أَجْدَبَ ٱنْتَجَع» يقوله الرجل عند كراهته المنزلَ والجوارَ وقِلّةَ ماله .

قال أبو على : ومن أمثالهم : «الجَحْشَ لَمَّا بَذَّكَ الأَعْيَارُ» يقول عَلَيْك بالجحش اذا فاتتك الأعيار، يضرب مثلا للرجل يَطْلُب الأمر غيْرَ الخسيس فيفوته، فيقول له : ٱطْلُبْ دون ذلك . ومن أمثالهم : «ياحَبَّذَا التُّراثُ لَوْلَا الذِّلَّة» زعموا أن رجلا مات فبعث أخوه الى ٱمرأته أن ٱبْغِنِي الىّ بعَشَاء أخى، فَبَعَثَتْ به فرآه كثيرا فقال : ياحبذا التراث لولا الذلة، يقول : التراث حُلْوٌ لولا أن أهل بيته يَقِلُّون . ويقال : «أَصْلَحَ غَيْثٌ ماأَفْسَدَ بَرْدُه» يضرب مثلا للرجل يكون فاسدا ثم يصلح .

وأنشدنا ٱبن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى :

بَكَيْتُ الى سِرْبِ القَطا اذ مَرَرْنَ بى * وقلت ومثلى بالبكاء جدير
أَسِرْبَ القَطا هل مَنْ يُعير جناحَه * لَعَلِّى الى من قد هَوِيتُ أطير

وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأبى المطرز العنبرى :

أيا أَبْرَقَى مَغْنَى بُثَيْنَة أَسْعِدا * فَتًى مُقْصَدًا بالشوق فهو عَمِيد
لَيالِىَ منّا زائرٌ متهالِكٌ * وآخَرُ مشهورٌ ففيه صدود
على أنه مُهْدِى السلام وزائرٌ * إذا لم يكن مِمَّن يخاف شهود
وقد كان فى مَغْنَى بُثَيْنَة لو بدت * عيُونٌ مَهًا تبدو لنا وخُدُود

وأنشدنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوى قال: أنشدنا محمد بن الحسن بن الحرون:

وَلَمَّا رأت أن النَّوَى أَجْنَبِيَّةٌ * وأن خليلا مِنْ غَدٍ سَيَبِين
بَكَتْ فبكى من لاعِجِ الشَّوْق والأسى * وكُلٌّ بكلٍّ أن يَبِينَ ضَنِين
فقُلْت ولم أَمْلِكْ سوابق عَبْرةٍ * على الخَدِّ مِنِّى فالدمُوع هَتُون
لقد كُنْتُ أبكى قبل أن تَشْحَطَ النَّوَى * فكيف إذا ما غِبْتُ عنك أكون

قال أبو محمد وأنشدنا أيضا:

ولما رأت أن قد عَزَمْتُ ورَاعَها الـ * ـفراقُ بَكَتْ والإِلْفُ يبكى من البَيْن
لَعَمْرِى لئن أَبْكَيْتُ بالسَّيْرِ عَيْنَها * لقد طالما أَبْكَتْ بإعراضها عَيْنِى

قال الأصمعى يقال: بَنَى سافًا وسَطْرًا وسَطَرًا ومِدْماكًا كلُّه بمعنى واحد، وهو السَّطْر من الطين واللَّبِن، وأنشدنا بعض أصحاب أبى العباس المبرد لأبى العباس:

أُقْسِمُ بالمُبْتَسَمِ العَذْبِ * ومُشْتَكَى الصَّبِّ الى الصب
لو كَتَبَ النَّحْوَ عن الرب * ما زادَهُ إلَّا عَمَى قَلْب

قال أبو على: فحكى لنا أن أبا العباس ثعلبا أنشد هذين البيتين، فقال متمثلا:

أَسْمَعَنِى عَبْدُ بَنِى مِسْمَع * فَصُنْتُ عنه النَّفْسَ والعِرْضا
ولم أُجِبْهُ لاحْتِقارى له * ومَنْ يَعَضُّ الكَلْبَ إنْ عَضّا

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم أو عبد الرحمن عن الأصمعى — الشك من أبى على —:

أَقْرَأْ على الوَشَلِ السلامَ وقل له * كُلُّ المَشَارب مُذْ هُجِرتَ ذَمِيم
سَقْيًا لِظلِّك بالعَشِىِّ وبالضُّحَى * ولِبَرْدِ مائك والمِيَاهُ حَمِيم
لو كُنْتُ أَمْلِك مَنْعَ مائك لم يَذُقْ * ما فى قِلَاتِك ما حَيِيتُ لئيم

قال أبو على: القِلَاتُ جمع قَلْتٍ، والقَلْتُ: النُّقْرة تكون فى الصخرة.

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لهلال المازنى واغترب عن قومه:

أقول لناقتى عَجْلَى وحَنَّتْ * الى الوَقْبَى ونحن على جُرَاد
أتاحَ اللهُ يا عَجْلَى بلادًا * هَوَاكِ بها مُرِبَّاتُ العِهَاد

وأسْـقاها فَرَوَاهـا بوَدْقٍ * مَخَـارِجُه كأطْراف المَزاد
فمـا عن بِغْضةٍ مِنّا وزُهْدٍ * تَبَدَّلْنـا بهـا علَيْـا مُرَاد
ولٰكِنّ الحوادثَ أجْهَضَتْنا * عن الوَقْبَى وأطراف الثِّمَـاد

قال أبو على : أجْهَضَتْنا : أخْرَجَتْنا، يقال : أجْهَضَت النـاقةُ إذا ألْقت ولدها لغير وقته . قال الأصمعى : ومن أمثال العرب : «هٰذا ولَمَّـا تَرِدِى تِهَامة» يُضْرب مثلا للرجل يَجْزَع قَبْلَ وقْتِ الجَزَع ! ويقال : «عَرَفَ حُمَيْقٌ جَمَلَه» يضرب مثلا للرجل قد عَرَفَ الرجلَ فاجترأ عليه . ويقال : « من ٱسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَم » يراد به من وَلَّى غيرَ الأمين فالظُّلْمُ جاء من عنـده . ويقال : « خَرْقاءُ وَجَدَتْ صُوفًا » يضرب مثلا للرجل المفسد يقع فى يده مال فيَعِيث فيه . وقال يعقوب بن السكيت : العرب تقول : لأُقِيمَنَّ مَيْلَك وجَنَفَك ودَرْأك وصَغَاكَ وصَدَغَك وقَذْلك وضَلْعَك ،كله بمعنى واحد ، يقال ضَلْعُ فلان مع فلان ، أى مَيْـلُه . وقال غيره : فأما الضِّلَع فخِلْقةٌ تكون فى الإنسان . وقرأت على أبى بكر ٱبن دريد لأبى كبير الهُذَلىّ :

نَضَع السيوفَ على طوائفَ مِنْهُمُ * فنُقِيم منهم مَيْـلَ ما لم يُعْـدَل

الطوائف : النواحى : الأيدى والأرجلُ والرءوس ، وقوله : ميل ما لم يعدل ، قال : مَيْلُه : فَضْلُه وزيادته ، وإنما يريد أن هؤلاء القوم كانوا غَزَوْهُمْ فقتلوهم فكأن ذلك القتل مَيْلٌ على هؤلاء القوم ؛ ثم إن هؤلاء القوم المقتولين غَزَوْهُم بعدُ فقتلوهم فكأن قتلهم لهم قيام للْمَيْل(١) ، وهذا كقول ٱبن الزِّبَعْرَى :

* وأقَمْنا مَيْل بَدْرٍ فٱعتَدَل *

يقولها فى يوم أُحُد ، يقول : ٱعْتَدَل ميلُ بدر اذ قتلنا مثلهم يوم أُحُد . ويروى :

تَقَعُ السيوفُ على طوائفَ منهم * فيُقَام منهم مَيْـلُ ما لم يُعْـدَل

[مطلب حديث مصاد بن مذعور وخروجه فى طلب الذود وما أخبره به الجوارى الأربع الطوارق بالحصى]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا السكن بن سـعيد عن العباس بن هشام عن أبيـه قال : كان مَصَادُ بن مَذْعُور القَيْنِيُّ رئيسا قد أخَذ مِرْباعَ قومه دهرا ، وكان ذا مال فنَدَّ ذَوْدٌ من أذوادٍ له تَخْرج فى بِغَائها ؛ قال : فإنّى لَفِى طلبها إذ هَبَطْت واديا شَجِيرًا كَثِيفَ الظِّلال وقد تَفَسَّخْتُ أيْنًـا ،

(١) هكذا فى الأصل ، ولعل المناسب إقامة للميل .

فأنخت راحلتى فى ظل شجرة وحططت رحلى ورسغت بعيرى واضطجعت فى بردى، فإذا أربع جوارٍ كأنهن اللآلئ يرعين بهمًا لهن؛ فلما خالطت عينى السِّنة أقبلن حتى جلسن قريبا منى وفى كف كل واحدة منهن حصيات تقلّبهن، فخطّت إحداهن ثم طرقت فقالت : قُلْنَ يا بنات عرّاف، فى صاحب الجمل النيّاف، والبُرْد الكُثّاف، والجِرْم الخُفَاف . ثم طرقت الثانية فقالت : مُضِلُّ أذواد علاكد، كُومٍ صلاخد، منهن ثلاثٌ مقاحد، وأربعٌ جدائد، شُسُفٌ صمارد . ثم طرقت الثالثة فقالت : رَعَيْن الفرع، ثم هبطن الكَرَع، بين العَقِدات والجَرَع . فقالت الرابعة : ليَهْبِط الغائط الأفيح، ثم ليَظْهَرْ فى المَلا الصَّحْصَح، بين سَدِيرٍ وأَمْلَح؛ فهناك الذَّوْدُ رِتاعٌ بمُنْعَرَج الأجرع .

قال : فقمت الى جملى فشددت عليه رحله وركبت، ووالله ما سألتهن مَنْ هُنَّ ولا مِمَّنْ هُنَّ . فلما أدبرت قالت إحداهن : أَبْرَح فتًى إن جَدَّ فى طَلَب، فما له غيرهن نَشَب، وسيئوب عن كَثَب؛ ففَزَّع قلبى والله قولُها؛ فقلت : وكيف هذا؟ وقد خلّفت بوادىّ عَرْجا عكامسًا، فركبت السَّمْت الذى وُصِف لى حتى انتهيت الى الموضع فإذا ذَوْدى رواتع، فضربْت أعجازهن حتى أشرفت على الوادى الذى فيه إبلى، فإذا الرِّعاء تدعو بالويل، فقلت : ما شأنكم؟ قالوا : أغارت بَهْراء على إبلك فاستحفتها، فأمسيتُ والله مالى مال غير الذَّوْد فرمى اللهُ فى نواصيهنّ بالرَّغْس، وإنى اليومَ لأكثر بنى القَيْن مالا، وفى ذلك أقول :

هو الدهر آسٍ تارةً ثم جارح * سوانحه مبثوثة والبوارح
فبينا الفتى فى ظِلِّ نَعْماءَ غَضَّةٍ * تُبَاكِرُه أفياؤه وتُراوِح
الى أن رمته الحادثاتُ بنَكْبةٍ * تضيق به منها الرِّحاب الفَسائح
فأصبح نِضْوًا لا ينُوءُ كأنما * بأعْظُمه مما عراه القَوادح
فما خِلْتُنى من بعد عَرْجٍ عكامِسٍ * أُقَسِّس أذوادا وهُنَّ رَوازِح
حَدابيرُ ما ينهَضْنَ إلا تحامُلا * شَواسِفُ عُوجٌ أسْأرَتْها الجَوائح
فيا واثقًا بالدهر كن غيرَ آمِنٍ * لِمَا تنتضيه الباهظاتُ الفَوادح
فلستَ على أيامه بمُحكِّم * اذا فغرتْ فاها الخُطوبُ الكَوالح
مُجيرُك منه الصَّبرُ إن كنت صابرا * وإلا كما يَهْوَى العَدُوُّ المُكاشِح

[مطلب الكلام فى معنى المرباع وشرح مادة ر ب ع]

قال أبو على : المِرْباع : رُبْعُ الغَنيمة ، قال الأصمعى : يقال رَبَع فلان فى الجاهلية وخَمَس فى الإسلام ؛ وذلك أن أهل الجاهلية كان الرئيس منهم يأخذ رُبْع الغنيمة ، وأنشد غير الأصمعىّ :

مِنّا الذى رَبَعَ الجُيوش لصُلْبه * عشْرُون وهْوَ يُعَــدُّ فى الأحياء

وأنشدنا الأصمعىّ :

لَكَ المِرْباعُ منهـا والصَّفَايا * وحُكْمُك والنَّشيطة والفُضُول

قال ويقـال : رَبَع الجيش يَرْبَعه رَبَاعة اذا أخذ رُبُعَ الغنيمة . ورَبَعَ الوَتَرَ يَرْبَعه رَبْعًا إذا فَتَلَه على أربع قُوًى . ورَبَع القومَ يَرْبَعهم رَبْعًا اذا كانوا ثلاثة فصـار رابِعَهم . ورَبَعَ الحَجَرَ رَبْعًا إذا احتمله . وقال غيره : رَبَعْتُ عليه إذا عَطَفْت . ويقال : رَبَعْت : رَفَقْت . قال الحطيئة :

لَعَمْرى لَعَــزَّتْ حاجةٌ لو طَلَبْتها * أمامِى وأُخْرَى لو رَبَعْت لها خَلْفى

ورَبَعتُ عن الأمر : كَفَفْت عنه ، قال رؤبة :

* هاجَتْ ومِثْلى نَوْلُه أن يَرْبَعا *

وقال أبو نصر : رَبَع عليه فهو يَرْبَع رَبْعا إذا كَفَّ عنه ، يقال : ارْبَعْ على نفسك : يريد كُفَّ وارْفُق والرُّبَعُ : الفَصِيل الذى نُتِج فى أوّل الربيع ، قال الأصمعىّ أنشدنى عيسى بن عمر قال : سمعت بعض العرب ينشد :

وعُلْبَـة نازَعْتُها رِباعى * وعُلْبَة عند مَقِيل الراعى

وناقةٌ مُرْبِـع إذا كان يتبعها رُبَعٌ ، فإذا كان من عادتها أن تُنْتَج فى رِبْعِيَّة النتاج فهى مِرْباع ، والجمع مَرَابيع . ويقال : مكانٌ مِرْباع إذا كان يُنْبِت فى أوّل ما تُنْبِت الأرض ، قال ذو الرمة :

بأوَّل ما هاجَتْ لك الشَّوْقَ دِمْنَةٌ * بأجْرَعَ مِرْباعٍ مَرَبٍّ مُحَلَّل

ومكان مَربوع إذا أصابه مَطَرُ الربيع ، قال ذو الرمّة :

اذا ذابَتِ الشمسُ اتَّقَى صَقَراتها * بأفْنَان مَرْبُوع الصَّرِيمة مُعْبِـل

والمَرْبَع: المنزل الذى يُقام فيه فى الربيع، يقال: هذه مَصَايِفُنا ومَرَابِعُنا، أى حيث نَرْتَبِع ونَصيف، ويقال: رُبِعَ الرجلُ يُرْبَع رَبْعًا فهو مَرْبُوع إذا كان يُحَمُّ رِبْعًا، وأُرْبِع أيضا، قال الهذلىّ(١):

مِنَ المُرْبَعِينَ ومِنْ آزِلٍ * إذا جَنَّهُ الليلُ كالناحِطِ

ويقال: رُبِعْنا إذا أصابنا مطر الربيع. ويقال: ٱمْتَارَ فلان فى الميرة الرِّبْعِيَّة، أى فى أول الزمن. ويقال: تَرَبَّعْنا بمكان كذا وكذا، أى كُنَّا فيه فى الربيع، وٱرْتَبَعْنا نَرْتَبِعُ ٱرْتباعا. وأَرْبَعَ فلان إبله إذا رعاها فى الرَّبيع. وأَرْبَعَ فلان يُرْبِع إرْباعا إذا وُلِدَ له فى حَدَاثته، ووَلَدُه رِبْعِيُّون. ويقال: ٱرْتَبَع البعيرُ يَرْتَبِع ٱرتباعا، وما أشدّ رَبَعَتَه، وهو أشدُّ ما يكون من العَدْو.

قال وأنشدنى رجل(٢) من أهل العالية:

وٱعْرَوْرَتِ العُلُطَ العُرْضِيَّ تَرْكُضُهُ * أُمُّ الفَوَارِس بالدِّئْداء والرَّبَعَهْ

والدِّئْداء: دون الرَّبَعَة. وحَىٌّ من الأسد يقال لهم: الرَّبَعَة، متحركة الباء. والرَّبْعَة ساكنة الباء: الجُونة، يقال: ما أوسع رَبْعَ بنى فلان، لمحلهم والجمع رِباع ورُبُوع. ويقال: ما فى بنى فلان مَنْ يَضْبِط رِباعَتَه غير فلان، كأنه أمْره وشأنه، قال الأخطل:

ما فى مَعَدٍّ فتًى تُغْنِى رِباعَتُهُ * إذا يَهُمُّ بأمر صالح فَعَلا

وقال غيره: رِبَاعَتُه: قبيلته وقومه. قال الأصمعى: يقال: رجل مَرْبُوع ومُرْتَبَع إذا كان وَسَطًا لا بالطويل ولا بالقصير، قال العجاج:

* رَباعِيًا مُرْتَبِعا أو شَوْقَبا *

ويقال: أَرْبَعَ إذا جاءت إبله رَوَابِع، أى تَرِدُ فى رِبْع، فهو مُرْبِع. وأَرْبَعَ الدابةُ يُرْبِع إرباعا إذا طَلَعَتْ رَبَاعِيَتُه. ويقال: أرضٌ مَرْبَعَة إذا كانت ذات يَرَابيع. وقال ٱبن الأعرابى: الرَّبيع بلغة أهل الحجاز: الساقية الصغيرة، وجمعه رِبعان. والرَّبيعة: الصخرة. والرَّبيعة أيضا: بيضة الحديد. والمِرْبَعَة: عُصَيَّة يأخذ رَجُلانِ بطرفيها فيُلْقِيان الحِمْل على البعير، وأنشد الأصمعى:

أَيْنَ الشِّظَاظان وأَيْنَ المِرْبَعَهْ * وأَيْنَ وَسْقُ الناقة الجَلَنْفَعَهْ

(١) هو أسامة بن حبيب الهذلىّ كما فى اللسان مادة «ربع». (٢) فى اللسان مادة ربع أنه أبو داود الرؤاسى.

الشِّظَاظ : عُود يُدْخَل فى عُرْوَتَى الجُوَالق ليثبت على البعير . والجَلَنْفعة : الجافية ، ويقال : المُسِنَّة . والوَسْق : الحِمْل . ويقال : رابَعْتُ الرجلَ ، وهو أن تأخذ بيده ويأخذ بيدك تحت الحِمْل حتى ترفعاه على البعير ، قال الراجز :

ياليْتَ أُمَّ القَيْض(١) كانت صاحبي * مَكَانَ من أَنْشَا على الركائب
ورابَعَتْنِي تَحْتَ لَيْـــلٍ ضارب * بساعِدٍ فَعْمٍ وكَـفٍّ خاضب

ونَدَّ : شَرَد . والذَّوْدُ : ما بين الثـلاثة الى العشرة ، والعـرب تقول : « الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبل » يقول : إذا آجتمع القليل الى القليل صار كثيرا . وبِغَاؤها : طلبهـا . والشجير : الكثير الشجر . والأيْنُ : الكَلال . ورَسَغْت : شددت رُسْغَه . والنِّيَافُ : العالى . والكُثَاف : الكثيف . والجِرْم : الجسد . والخُفَاف : الخفيف . والعَلاكِد : الصِّـلاب . والكُومُ : العِظَام الأسْنِمة . يقال : ناقة كَوْماء وبعير أكْوَم . والواحد من عَلاكِد عِلْكِد . والصَّلاخِد : العظام الشداد ، واحدها صُلاخِد ، وفيه لغات ، يقال : بعير صُلاخِد وصِلَّخْدٌ وصَلَخْدَى ، وناقة صَلَخْداة . والمَقَاحِد جمع مِقْحاد ، وهى الغليظة السَّـنَام . والقَحَدة : السَّنَام ، ويقال : أصـل السَّنَام . والجَدَائِد جمع جَدُود ، وهى التى آنقطع لبنها . قال الأصمعى : الشَّاسِف : أشدّ ضُمْرًا من الشَّازِب . والصَّمارد جمع صِمْرِد ، والصِّمْرِد والبَكِيئة والدَّهِين : القليلة اللبن . والفَرْع جمع فَرْعة ، وهى أعلى الجبـل . والكَرَعُ : ماء السماء ينزل فيَسْتَنْقِع ، وسمى كَرَعا لأن المـاشية تَكْرَع فيـه . والعَقِدات جمع عَقِدة ، والعَقِـدة والضَّفِرة : ما تَعَقَّد من الرمل . والغائط : المطمئن من الأرض . والمَلَا : الفَضاء . والصَّحْصَح : الصحراء . وسَدِير وأمْلَح : موضعان . والأجْرَع والجَرْعاء : دِعْصٌ لا يُنْبِت شيئا . وأبْرَح : أشد . والكَثَب : القُرْب . والعَـرْج : نحو خمسمائة من الإبل . والعَكَابِس والعُكَامِس جميعا : الكثير . وأسْحَفَتْها : آستأصلتها . والرَّغْس : البركة والنَّماء ، قال رؤبة :

دَعَوْتُ رَبَّ العِزَّةِ القُدُّوسا * دُعاءَ مَنْ لا يَقْرَع النَّاقُوسا
* حتى أرانا وَجْهَك المَرْغُوسا *

والقَوَادح ، واحدتها قادحة ، وهى العَيْب فى العُود والسِّن . وأُقْسِس : أُتْبِـع . والرَّوَازح : التى قد سَقَطت من الهُزال . والحَدَابير : التى قد تقوّست من الهزال ، واحدها حِدْبار .

(١) كذا فى الأصل ، والذى فى اللسان مادة ربع ياليت أم العمر .

[مطلب خطبة إسماعيل بن أبى الجهم بين يدى هشام بن عبد الملك وما وقع بينهما من الحديث وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قدم وَفْدٌ على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من قريش يقال له : إسماعيل بن أبى الجَهْم، وكان أكبرهم سنا، وأفضلهم رأيا وحلما ؛ فقام متوكئا على عصا وقال : يا أمير المؤمنين، إن خُطَباء قريش قد قالت فيك فأطنبت، وأثنت عليك فأحسنت ؛ ووالله ما بلغ قائلُهم قَدْرَك، ولا أحصى مُثْنِيهم فضلَك ؛ أفتأذن لى فى الكلام؟ قال : تكلم، قال : أفأُوجِز أم أُطْنِب؟ قال : بل أَوجِزْ، قال : تَوَلَّاك الله أميرَ المؤمنين بالحُسْنَى، وزَيَّنَك بالتُّقَى، وجمع لك خير الآخرة والأولى ؛ إن لى حوائج أفأذكرها؟ قال : نعم، قال : كَبِرَتْ سنى، وضَعُفت قُواى، وآشتدّت حاجتى ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يَجْبُرَ كسرى، وينفى فقرى ؛ قال : يآبن أبى الجهم، ما يجبر كسرك وينفى فقرك؟ قال : ألف دينار وألف دينار وألف دينار، قال هيهات يآبن أبى الجهم! بيت المال لا يحتمل هذا، قال : كأنك آليت يا أمير المؤمنين أن لا تقضى لى حاجةً مَقَامى هذا، قال : ألف دينار لماذا؟ قال : أقضى بها دينا قد فَدَحَنى حَمْلُه، وأرهقنى أهلُه ؛ قال : نِعْمَ المَسْلك أَسْلَكْتَها، دينًا قضيت، وأمانةً أدّيت ؛ قال : وألف دينار لماذا؟ قال : أزوّج بها من أدرك من ولدى، فأشدّ بهم عَضُدى، ويَكْثُرُ بهم عددى ؛ قال : ولا بأس، أغْضَضْتَ طَرْفا، وحَصَّنْتَ فرجا، وأَمَّرْتَ نَسْلا ؛ وألف دينار لماذا؟ قال : أشترى بها أرضا فأعود بفَضْلها على ولدى، وبفضل فضلها على ذوى قُراباتى ؛ قال : ولا بأس، أردتَ ذُخرا، ورَجَوْتَ أجرا، ووصلت رَحِما ؛ قد أمرنا لك بها ؛ فقال : الله المحمود على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرَّحِمَ خيرا . فقال هشام : تالله ما رأيت رجلا ألطف فى سؤال، ولا أرفق فى مقال من هذا . هكذا فليكن القرشىّ .

قال : أَرْهَقَنى : أعجلنى ، ورَهِقَنى : غَشِيَنِى ، يقال : رَهِق فلانا دَيْنٌ يَرْهَقُه إذا غَشِيه ، ورَهِقَت الكلابُ الصيدَ إذا غشيته ولحقته، ورَهِقَنى فلان، أى لَحِقَنى، ويقال : فلان عَطُوف على المُرْهَق، أى على المُدْرَك، وأرهقت الرجل إذا أدركته، ويقال : هو يعدو الرَّهَقَى، وهو أن يسرع حتى يكاد أن يَرْهَق الذى يطلبه . وفى فلان رَهَقٌ اذا كان فيه غِشْيان للمحارم، قال آبن أحمر :

كالكوكب الأزهر آنْشَقَّتْ دُجُنَّتُه * فى الناس لا رَهَقٌ فيه ولا بَخَل

ويقال : إنّه لَمُرَهَّق إذا غشيه الأضياف والسؤّال، قال ابن هَرْمة :

خَيرُ الرجال المُرَهَّقُون كما * خَيْرُ تِلاع البلاد أكْلَؤُها

وفلان يُرَهَّق فى دِينـه اذا أُثنى عليه قِلةُ وَرَع . وأرْهَق القومُ الصلاةَ إذا أخروها حتى يدنو وقت الأخرى . قال أبو زيد : أرهقتُه عُسْرا وإثما حتى رَهِقه رَهَقا . غيره وراهَق الغلامُ إذا قارب الاحتلام .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال أنبأنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال أنشدنا إسماعيل بن أبى أويس والزبير بن أبى بكر وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون ومحمد بن طالوت الوادى، قال أنشدنى أبى، وقال كل هؤلاء أنشدنى لأبى صخر الهذلىّ يزيد بعضهم على بعض .

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر بن دريد هذه القصيدة لأبى صخر :

لِلَيْلَى بذات الجَيْش(١) دارٌ عرفتها * وأخرى بذات البين(٢) آياتُها سَطْر

كأنّهما مِلآنَ لم يتغيَّرا * وقد مرّ للدارين من بعدنا عَصْر

وَقفت بِرَسْميهما فَعَىَّ جوابُهما * فقلت وعينى دَمْعُها سَرِبٌ هَمْر

ألا أيها الرَّكْب المُخِبُّون هل لكم * بساكن أجزاع الحِمَى(٣) بَعْدَنا خُبْر

فقالوا طوينا ذاك ليلا فإن يكن * به بعضُ من تَهْوى فما شَعَر السَّفْر

قال أبو العباس قال عبد الله بن شبيب حدثتنى أم المِغْوار الباهلية قالت : كنت بِفناء بيتى فى السحر فمرّ بنا رَكْب فتمثلت بهذا البيت :

ألا أيها الركب المخبون هل لكم * بساكن أجزاع الحمى بعدنا خبر

فأجابنا غلام من صدر راحلته فقال :

فقالوا طوينا ذاك ليلا فإن يكن * به بعض من تهوى فما شعر السفر

خليلىّ هل يُسْتَخْبَر الرِّمْث والغَضَا * وطَلْح الكَدَا من بطن مَرْوان والسِّدْر

هكذا أنشدناه أبو بكر بن الأنبارى عن أبى العباس بفتح الكاف وقال : هو اسم موضع .

(١) موضع من العقيق بالمدينة (ياقوت ج ٢ ص ١٧٨) . (٢) اسم موضع ذكره ياقوت ولم يعينه .

(٣) والحمى : اسم لمواضع كثيرة، حمى ضرية أشهرها وأسيرها .

قال أبو على : أحسبه أراد كَدَاء فقصر للضرورة ، وأنشدنا أبو بكر بن دريد : كُدًّى بضم الكاف وقال : هو جمع كُدْية :

أما والذى أبكَى وأضحَك والذى * أمات وأحيا والذى أمْرُه الأمر
لقد كنتُ آتيها وفى النفس هَجْرُها * بَتَاتا لأُخرى الدهر ما طَلَعَ الفجر
فما هو إلا أن أراها فُجَاءة * فأُبْهَت لا عُرْفٌ لَدَىَّ ولا نُكْر
وأنسَى الذى قد كنتُ فيه هجرتُها * كما قد تُنَسِّى لُبَّ شاربها الخَمْر
وما تَرَكت لى من شَدًّا أهتدِى به * ولا ضِلَع إلا وفى عَظْمِها وقْرُ
وقد تركَتْنِى أغبِط الوحشَ أن أرى * أليفَيْنِ منها لا يَرُوعُهما الذُّعْر
ويَمْنَعُنى من بعض إنكار ظُلْمِها * اذا ظلمت يوما وإن كان لى عُذْر
مخافةُ أنى قد علمت لئن بدا * لِىَ الهجرُ منها ما على هجرها صَبْر
وأنّىَ لا أدرى إذا النفس أشرَفَتْ * على هجرها ما يَبْلغنَّ بِىَ الهجر

قال عبد الله بن شبيب حدثنى الزبير قال : لما أنشد أبو السائب هذا البيت قال : الموت الأحمر والله يابن أخى مادونه شىء :

أبَى القلبُ إلا حُبَّها عامرِيّةً * لها كُنْيةٌ عَمْرٌو وليس لها عمرو
تكاد يَدِى تَنْدَى اذا ما لَمَسْتُها * ويَنْبُت فى أطرافها الورق النَّضْر
وإنى لتعرونى لذا كراك هِزَّةٌ * كما آنتفض العصفور بَلَّله القَطْر
تمنَّيْتُ من حُبّى عُلَيَّة أننا * على رَمَثٍ فى البحر ليس لنا وَفْر
على دائم لا يَعْبُرُ الفُلْكُ مَوْجه * ومن دوننا الأهوال واللُّجَج الخُضْر
فنقضىَ هَمَّ النفس فى غير رِقْبة * ويُغْرِق من نَخْشَى نميمته البحر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها * فلما آنقضى ما بيننا سكن الدهر

قال عبد الله : وأنشدنى آبن أبى أويس :

فياحُبَّ لَيْلَى[1] قد بلغتَ بِىَ المَدَى * وزدتَ على ما ليس يَبْلُغه الهجر

(١) كذا فى النسخ ، والمشهور : فياهجر ليلى ، ولعلهما روايتان .

ويا حُبَّهــا زدنى جَوًى كل ليلة * ويا سلوة الأيام مَوْعِدُك الحشر
فليست عَشِـيَّات الحِمَى برواجع * لنـا أبدًا ما أَبْرَمَ السَّـلَمَ النَّضر
ولا عائد ذاك الزمانُ الذى مَضَى * تباركْتَ ما تَقْدُرْ يَقَعْ ولك الشكر

قال أبو بكر وزادنى أبى عن أحمد بن عبيد :

هجــرتكِ حتى قلتِ لا يَعْرِف القِلَى(١) * وزُرْتُكِ حتى قلت ليس له صـــبر
صدقْتِ أنا الصبُّ المصاب الذى به * تباريحُ حُبٍّ خامَرَ القلبَ أو سِحــر
فياحَبَّــذا الاحياءُ ما دُمْتِ فيهــم * ويا حبــذا الأموات ما ضَمَّكِ القــبر

[مطلب حديث الأعرابى الذى اشترى خمرا بجزة صوف وما حصل بينه وبين امرأته وتفسير الغريب من ذلك]

وحدّثنــا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه أو أبو حاتم — الشك من أبى على — عن الأصمعى قال : اشترى أعرابى خمرا بجُزَّةٍ من صوف فغضِبَتْ عليه امرأته فأنشأ يقول :

غَضِبَتْ علىّ لأن شَرِبْتُ بصوف * ولئن غَضِبْتِ لأَشْرَبَنْ بخَرُوف
ولئن غضبتِ لاشربنَّ بنعجــة * دَهْساء مائلــة الإناء سَحُــوف
ولئــن غضبتِ لأشربن بنــاقةٍ * كَوْماءَ ناوِيةَ العظــام صَــفُوف
ولئــن غضبتِ لأشربنَّ بســابح * نَهْــدٍ أشمِّ المَنْكِبَيْــن مُنيف
ولئــن غضبتِ لأشربنَّ بواحدى * ولأجعلــنَّ الصبر منـــه حَليفى
ولقد شَهِدْتُ الخيــلَ تَعْثُر بالقنــا * وأجبتُ صوت الصارخ الملهوف
ولقد شهدتُ اذا الخصوم تَوَاكَلوا * بخصــامِ لا نَزِقٍ ولا عُلْفُوف

قال أبو على : الصَّفُوف : التى تَصُفُّ بين رجليها عند الحلب ، ويقال : التى تَصُفُّ بين مِحْلَبَيْها ، والسَّحُوف : التى لها سَحْفَتان من الشحم ، أى طبقتان . والسَّحْف : القَشْر ، يقال : سَحَفْت الشىء : قَشَرْته . والعُلْفُوف : الجافى . وقرأت على أبى عبد الله إبراهيم بن عرفة لذى الرمة :

كأنَّ أعجازها والرَّيْطُ يَعْصِبها * بين البُرِينَ وأعناق العَوَاهيج
أنقاءُ سارية حَلَّت عَزَالِيَها * من آخر الليل رِيحٌ غيرُ حَرْجوج

(١) المعروف : الهوى .

يصف نساء، يقول : كأن أعجازهن أنقاء سارية، والأنقاء جمع نَقًا ، والنقا : قطعة من الرمل مستطيلة مُحْدَوْدِبة . والسارية : السحابة التى تُمْطِر ليلا ، فأضاف النقا إليها لأنها أمطرته . والرَّيْط جمع رَيْطة . ويَعْصِبها : يلْتاث بها، يقول: هذه الرِّياط دِقاق ناعمة، فاذا هَبَّت لها أدنى ريح ٱلتفَّت على سوقها وأعجازها . والبُرِين : الخلاخيل، واحدها بُرَةٌ . والعَوَاهيج : الطِّوال الأعناق من الظباء، واحدها عوْهَج، فكأنه قال : كأن بين أسْؤُقها وأعناقها كُثْبانا جادَتْها سحابةُ ليل حلّت عزاليها سحابةٌ ليِّنة (١) . والعَزَالى : مخارج مائها مستعارة من المَزَادة، لأن العَزْلاء فَمُ المزادة، وهذا مثل. والحُرْجُوج : الريح الشديدة الهبوب .

قال الأصمعى : من أمثال العرب «رُبَّ عَجَلةٍ تَهَبُ رَيْثا» يراد به ربما ٱستعجل الرجل فألقاه ٱستعجالُه فى بطء ، ويقال : «جَزَانِى جَزاءَ سِنِمَّار» وسنمار : إنسان كان عمل أُطُمًا لبعض الملوك، فقال له . إن نُزِع هذا الحجر تَدَاعَى بناؤك، فأمر به ، فرُمِى من فوق الأُطُم لئلا يعلم به أحد غيره ، يضرب مثلا للرجل يحسن فيُجْزَى بإحسانه سُوءا ، وأنشد الأصمعى :

* جزاء سِنِمَّارٍ بما كان يعمل *

ويقال : «بفلان تُقْرَن الصَّعْبة» يراد به أنه يُذِلُّ المُسْتَصْعِب، ويقال : «حَيْثُ لايَضَع الراقى أَنْفَه» يراد به أن ذلك الأمر لايُقْرَب ولا يُدْنَى منه ، وكأنهم يرون أن أصل ذلك أن ملسوعا لُسِع فى ٱسْته فلم يقدر الراقى أن يُقَرِّب أنفه مما هناك .

قال أبو زيد : يقال : هو أشْخَمُ الرأس ، بالخاء المعجمة، وأشهب الرأس . ويقال : كَلَأٌ أشْخَم اذا علا البياضُ الخضرةَ . وقد ٱشْخَامَّ وٱشْهَابَّ النَّبْتُ والرأس . ويقال : «لِيَسْتَغْن أحدُكم ولو بِضَوْزِ سِواكه» أى بمضغه، يقال : ضازَ الشيءَ يَضُوزه ضَوْزًا اذا مضغه . وأنشد أبو زيد :

طِوَال الأيادى والحَوَادِى كأنّها * سَمَاحِيجُ (٢) قُبٌّ طار عنها نُسالُها

قال: الحوادى: الأرجل التى تَحْدُو الأيدى وتَتْلُوها، قال : ويقال: ماأَعْظَبَه عليه ! أى ماأَصْبَرَه ! وقد عَظَب يَعْظِب عَظْبا وعُظُوبا اذا صبر عليه، وعَظَّبْته عليه تَعْظِيبا ومَرَّنْته تمرينا، وأنشد :

---

(١) كذا فى الأصول التى بأيدينا ولعلها "ريح لينة". (٢) سماحيج، واحدها سمحج وهو الطويل الظهر من الخيل والأتن، وقبّ، جمع أقب وهو من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن . والنسال : ما تساقط من الشعر .

لو كنتُ من زَوْفَنَ أو بَنِيها * قبيلة قـد عَظُبَتْ أيديها
مُعَوَّدِين الحَفْرَ حَفَّارِيها * لقد حَفَرْتُ نُبْثَـةً تُرْوِيها

الُنبْثَة : الرَّكِيَّة التى تخرج نَبِيثتها . وقال : قال بعض بنى عُقَيْل وبنى كلاب : هو الأكرم والأفضل والأجمل والأحسن والأرذل والأنذل والأسفل والألأم. وهى الكُرْمَى والفُضْلى والحُسْنَى والجُمْلَى والرُّذْلَى واللُّؤْمَى، وهن الرُّذَل والنُّذَل واللُّؤَم .

وقال الأصمعي يقال : كَثُر ولد فلان وقد أبقّ ونَتَق فهو ناتق، وكله سواء . وآمرأة ناتِقٌ إذا كثر ولدها، وأنشد للنابغة :

لم يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاء وأُمُّهم * طَفَحَت عليك بناتِقٍ مِذْكار

[مطلب حديث بعض مقاول حمير مع آبنيه وما دار بينه و بينهما من المساءلة حين كبرت سنه وشرح غريب ذلك]

وحدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الأشناندانى عن التوّزى عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال : كان لرجل من مَقَاوِل حِمْير آبنان يقال لأحدهما : عمرو وللآخر: ربيعة ، وكانا قد بَرَعا فى الأدب والعلم، فلما بلغ الشـيخ أقصى عُمُرِه وأشْفَى على الفناء، دعاهما لِيَبْلُو عقولَهما، و يعرِف مبلغ علمهما؛ فلما حضرا قال لعمرو — وكان الأكبر — : أخبرنى عن أحب الرجال اليك ، وأكرمهـم عليك ، قال : السيِّد الجَوَاد، القليل الأنداد، المـاجد الأجداد، الراسى الأوتاد، الرفيع العماد، العظيم الرماد، الكثير الحُسَّاد، الباسل الذَّوَّاد، الصادر الوَراد . قال : ما تقول ياربيعة ؟ قال : ما أحْسَنَ ما وَصَف ! وغيرُه أحب إلى منه ، قال : ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد الكريم، المانع للحريم، المِفْضال الحليم، القَمْقَام الزَّعِيم ؛ الذى إن هَمَّ فَعَل ، وإن سُئِل بَذَل . قال : أخبرنى يا عمرو بأبغض الرجال اليك، قال : البَرَم اللئيم ، المُسْتَخْذِى للخَصِيم ، المِبْطان النَّهِيم ، العَيِيُّ البَكِيم ؛ الذى إن سُئِل مَنَع ، وإن هُدِّد خضَع ، وإن طَلَب جَشِع . قال : ما تقول ياربيعة؟ قال : غيرُه أبغضُ إلىَّ منه ، قال : ومن هو؟ قال : النَّؤُوم الكَذوب ، الفاحش الغَضوب ، الرَّغيب عند الطعام ، الجَبَان عند الصِّدام . قال : أخبرنى ياعمرو، أىُّ النساء أحب اليك ؟ قال : الهِرْكَوْلة[1] اللَّفَّاء ، المَمْكُورة الجَيْداء ، التى يَشْفِى السقيمَ كلامُها ، ويُبْرِى الوَصِب إلمـامُها ؛ التى إن أحسَنْتَ اليها شَكَرَت ، وإن أسأت اليها صَبَرت ، وإن

(١) الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية .

ٱسْتَعْتَبتها أَعْتَبَتْ، الفاترة الطَّرْف، الطَّفْلة الكَف، العَميمة الرِّدْف . قال : ما تقول ياربيعة؟ قال: نَعَتَ فأَحْسَنَ ! وغيرها أحب إلىَّ منهـا، قال : ومن هى؟ قال : الفَتَّانة العينين، الأسيلة الخَدَّين، الكاعِبُ الثَّدْيين، الرَّدَاح الوَرِكَين، الشاكرة للقليل، المساعدة للحليـل، الرخيمة الكلام، الجَمَّاء العظام، الكريمة الأخوال والأعمام، العَـذْبة اللِّثام . قال : فأىُّ النساء إليك أبغض ياعمرو؟ قال : القَتَّاتة الكَذُوب، الظاهرة العيوب، الطَّوَّافة الهَبُوب، العابسة القَطُوب، السَّبَّابة الوَثُوب، التى إن ٱئْتمنها زوجها خانته، وإن لان لهـا أهانته، وإن أرضاها أغضبته، وإن أطاعهـا عصته . قال : ما تقول ياربيعة؟ قال : بئس والله المرأة ذَكَرَ! وغيرُها أبغض إلىَّ منها، قال : وأيتهن التى هى أبغض إليك من هذه؟ قال : السَّليطة اللسان، المؤذية للجيران، الناطقة بالبهتان، التى وجهها عابس، وزوجها من خيرها آيس، التى إن عاتبها زوجها وَتَرَتْه، وإن ناطقها ٱنتهرته . قال ربيعة : وغيرُها أبغضُ الىَّ منهـا، قال : ومن هى ؟ قال : التى شَقِىَ صاحبُها، وخَزِى خاطبُها، وٱفتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها؟ قال : مِثْلُها فى خصالها كُلِّها، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها . قال : فصِفْه لى ؟ قال : الكَفُور غير الشكور، اللئيم الفَجُور، العَبُوس الكالح، الحَرُون الجامح، الراضى بالهوان، المُخْتال المَنَّان، الضعيف الجَنَان، الجَعْد البَنَان، القَؤُول غير العَقُول، المَلُول غير الوَصُول، الذى لا يَرِعُ عن المحارم، ولا يرتدع عن المظالم . قال : أخبرنى ياعمرو، أىُّ الخيل أحب اليك عند الشدائد، اذا التقى الأقران للتجالد ؟ قال : الجَوَاد الأنيق، الحِصَان العتيق، الكَفِيت العَرِيق، الشديد الوَثِيق، الذى يفوت إذا هَرَب، ويَلْحَق إذا طَلَب . قال نِعْمَ الفرسُ والله نَعَتَّ! قال : فما تقول ياربيعة؟ قال : غيره أحب الىّ منه، قال : وما هو؟ قال : الحِصَان الجَواد، السَّلِسُ القِيَاد، الشَّهْم الفؤاد، الصَّبُور إذا سَرَى، السابق اذا جرى . قال : فأى الخيل أبغض إليك ياعمرو؟ قال : الجَمُوح الطَّمُوح، النَّكُول الأَنُوح، الصَّؤُول الضعيف، المَلُول العَنِيف، الذى إن جاريتَه سبقْتَه، وإن طلبته أدركْتَه، قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : غيره أبغض الىّ منه، قال : وما هو؟ قال : البَطِىء الثقيل، الحَرُون الكَلِيل، الذى إن ضربتَه قَمَص، وإن دَنَوْت منه شَمَس، يدركه الطالب، ويفوته الهارب، ويَقْطَع بالصاحب . قال ربيعة : وغيره أبغض إلىّ منه، قال : وما هو ؟ قال : الجَمُوح الخَبُوط، الرَّكُوض الخَرُوط، الشَّمُوس الضَّرُوط، القَطُوف فى الصعود والهبوط، الذى لايُسلِّم الصاحب، ولا ينجو من الطالب . قال : أخبرنى ياعمرو،

أى العيش ألذّ ؟ قال : عَيْشٌ فى كرامة ، ونعيم وسلامة ، وٱغتباق مُدامة . قال : ماتقول يا ربيعة؟ قال نِعْمَ العيشُ والله وَصَفَ ! وغيره أحب إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : عيش فى أَمْن ونعيم ، وعِزٍّ وغِنًى عميم ، فى ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ، وغيره أحب إلىّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : غِنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم . قال : فما أحب السيوف اليك يا عمرو؟ قال : الصَّقيل الحُسام ، الباتر المِجْذام ، المـاضى السِّطَام ، المُرْهَف الصَّمْصام ، الذى اذا هززته لم يَكْبُ ، وإن ضربت به لم يَنْبُ . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نعم السيفُ نَعَتَ ! وغيره أحب إلىّ ، قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرَّوْنق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إذا هززته هَتَك ، وإذا ضربت به بَتَك . قال : فما أبغض السيوف اليك يا عمرو؟ قال : الفُطَار الكَهَام ، الذى إن ضُرب به لم يَقْطَع ، وإن ذُبح به لم يَنْخَع . قال : فما تقول يا ربيعة؟ قال : بئس السيفُ والله ذَكَرَا ! وغيره أبغض الىّ منه ، قال : وما هو؟ قال : الطَّبِـع الدَّدان ، المِعْضَد المُهان . قال : فأخبرنى يا عمرو ، أى الرماح أحب اليك عند المِرَاس ، اذا ٱعْتَكَر الباس ، وٱشْتَجَر الدِّعاس؟ قال أحبها الىّ المارن المُثقَّف ، المُقَوَّم المُخَطَّف ، الذى اذا هَزَزْتَه لم يَنْعطِف ، واذا طعنت به لم يَنْقَصِف . قال : ما تقول يا ربيعة؟ قال : نِعْمَ الرمحُ نَعَتَ ! وغيره أحب الىّ منه ، قال : وما هو؟ قال : الذابل العَسَّال ، المُقَوَّم النَّسَّال ، المـاضى اذا هززته ، النافذ اذا هَمَزْته . قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرماح اليك ، قال : الأَعْصَل عند الطِّعان ، المُثَلَّم السِّنان ، الذى اذا هززته ٱنعطف ، واذا طَعَنْت به ٱنْقَصَف . قال : ما تقول يا ربيعة؟ قال : بئس الرمح ذَكَرَ ! وغيره أبغض الىّ منه ، قال : وماهو؟ قال : الضعيف المَهَزّ ، اليابس الكَزّ ، الذى اذا أكرهته ٱنحطم ، واذا طعنت به ٱنقصم . قال : ٱنصرفا الآن طاب لى الموت .

قال أبو على : قوله : وإن طَلَب جَشِع ، الجَشَع : أسوأ الحرص ، وقد جَشِع الرجل فهو جَشِع . واللَّفَّاء : الملتفَّة الجسم . والمَمْكُورة : المَطْوِيَّة الخَلْق . والرَّدَاح : الثقيلة العَجِيزة الضَّخْمة الوَرِكَيْن . والرَّخِيمة : اللينة الكلام ، قال ذوالرمة :

لها بَشَرٌ مثل الحرير ومنطق * رَخِيم الحواشى لاهُرَاء ولا نَزْر

والجَمَّاء العِظام : التى لا يوجد لعظامها حَجْمٌ ، بمنزلة الجَمَّاء من البقر . فأما قوله : العَذْبة اللِّثام ، فإنه أراد موضعَ اللِّثام ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامة . والقَتَّاتة : النَّمَّامة ، وقال اللحيانى : القَتَّات

والنَّمَّام والهَمَّاز واللَّمَّاز والغمَّاز والقَسَّاس والدَّرَّاج والمُهيْنِم والمُهتَمِل والمائس والمَؤُوس ، مثال مَعُوس والمِمْأس ، مثال مِمْعَس ، وقد مَأَس يَمْأَس مَأْسا اذا مشى بينهم بالنميمة والفساد ، ويقال : مَاسَ بين الناس ، ومَسَأ بينهم يَمْسَأ مَسْأ مثل مَعْسًا ، وكله واحد ، ويقال : إنه لذو تَيْرَبٍ ومِئْبَرة وإبْرة اذا كان نَمَّاما ، كله عن اللحيانى . والهَبُوب : الكثيرة الأنتباه ، قال الأصمعىّ : يقال : هَبَّ من نومه يَهُبُّ هُبوبا ، وأهْبَبْته أى انبهته . وهَبَّت الريح تَهُبُّ هُبوبا وهَبِيبا ، كذا روى أبو نصر عنه : هبيبا فى الريح ، وهَبَّ التيسُ يَهِبُّ هِبَابا وهَبِيبا إذا هاج وطلب السِّفاد ، وهَبَّ السيفُ هَبَّةً ، وهو صَوْته عند وَقْعه . وثَوْبٌ هَبَايِب وخَبَايِب اذا كان مُتَقَطِّعا . والحِصَان : الذَّكَر من الخيل . وقال الأصمعى : الكِفْت والكَفِيت : السريع . والنَّكُول : الذى يَنْكِل عن قِرنه . والأَنُوح : الكثير الزَّحير . والآنِح من الرجال على مثال فاعل : الذى إذا سُئل تَنَحْنح من لُؤمه ، وقد أَنَح يأْنِح . والمِجْذام مِفْعال من الجَذْم ، وهو القطع . والسِّطَام : حَدُّ السيف وغيره ، وفى الحديث : "العَرَب سِطَام الناس" أى حَدُّهم . والفُطَار : الذى لا يقطع وهو مع ذلك حديث الطَّبْع . وقوله : لم يَنْخَع : لم يبلغ النُّخَاع . والطَّبَع : الصَّـدَأُ . والدَّدان : الذى لا يقطع وهو نحو الكَهَام . والمِعْضَد : القصير الذى يُمْتَهن فى قطع الشجر وغيرها . والدِّعَاس : الطِّعان ، يقال : دَعَسه إذا طعنه ، والمداعسة : المطاعنة . والعَسَّال : الشديد الأضطراب اذا هززته ، ومنه العَسَلانُ ، وهو عَدْوٌ فيه آضطراب ، والنَّسَلان قريب منه ، وأنشدنى أبو بكر بن دريد :

عَسَـلانَ الذِّئب أمْسَى قاربًا ＊ بَرَدَ الليـلُ عليـه فَنَسَـلْ (١)

والأعْصَل : المُلتوى المُعْوَجُّ . وقرأت على أبى بكر بن دريد للحسن بن مطير الأسدى :

فيـا عَجَبًا للنـاس يَسْـتَشرِفوننى ＊ كأنْ لم يَرَوْا بعدى مُحِبًّا ولا قَبْلى
يقولون لى آصرِمْ يَرْجِع العَقْـلُ كلُّه ＊ وصَرْمُ حبيب النفس أذهبُ للعقل
ويَاعجبا من حُبِّ من هو قاتلى ＊ كأنى أجازيه المَوَدَّة مِنْ قتلى
ومن بَيِّنات الحُبِّ أن كان أهلُهـا ＊ أحبَّ الى قلبى وعينى من أهلى

قال أبو على : آستشرفت الشىء وآستكففته كلاهما أن تضع يدك على حاجبك كالذى يستظل من الشمس وينظر هل يراه . وأنشدنا أبو بكر ولم يسم قائلا (٢) :

(١) فى اللسان مادة "عسل" ينسب هذا البيت للبيد ، وقيل هو للنابغة الجعدى . (٢) القائل لهذه الأبيات هو آبن أذينة كما فى شرح الحماسة للتبريزى ص ٥٤٦ طبع مدينة "بن" سنة ١٨٢٨ م .

إنّ التى زَعَمتْ فؤادَك مَلَّها * خُلِقتْ هواك كما خُلِقتَ هَوًى لها
بيضاء باكَرَها النعيمُ فَصاغَها * بِلِبانه فَأَرَقَّها وأجَلَّها
حَجَبَتْ تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلَّها
واذا وجدت لها وساوسَ سَلْوةٍ * شَفَعَ الضميرُ لها الىَّ فسَلَّها

وقرأت عليه لعبد الله بن الدمينة الخثعمى :

ولما لَحِقْنا بالحُمُول ودُونَها * خَميصُ الحشا تُوهِي القَميصَ عواتِقُه
قليلُ قَذَى العينين يعلم أنه * هو الموت إن لم تُلْقَ عَنَّا بَوائقُه
عَرَضْنا فسلَّمنا فَسَلَّم كارِهًا * علينا وتَبْرِيحٌ من الغَيْظ خانِقُه
فسايَرْتُه مقدارَ مِيلٍ وليتنى * بِكُرْهي له ما دام حَيًّا أُرافِقُه
فلما رأت أن لا وصالَ وأنه * مَدَى الصُّرْم مضروبا عليه سُرادِقُه
رَمَتْنى بطَرْفٍ لو كَمِيًّا رمت به * لَبُلَّ نَجِيعًا نَحْرُه وبنائقُه
ولَمْحٌ بعينيها كأنّ وَميضَه * وَميضُ حَيًا تُهْدَى لنَجْدٍ شَقائقُه

وحدّثنى أبو بكر بن الأنبارىّ قال حدّثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد البصرىّ المقدمىّ قال حدّثنا الرياشىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الوهاب الثقفىّ قال : دخلنا على خَلَفٍ الأحمر نعوده فى مرضه الذى مات فيه فقلنا له : كيف تجدك يا أبا مُحْرِز؟ فأنشأ يقول :

يا أيها الليل الطويلُ ذَنَبُه * كأنَّ دَيْنًا لك عندى تطلبه
* أما لهذا الليل صُبْحٌ يقْرِبُه *

ثم أنشد يقول :

لا يَبْرَح المرءُ يَسْتَقْرِى مضاجِعَه * حتى يبيت بأقصاهنّ مُضْطَجِعا

قال أبو على : كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة، وأشعر الناس على مذاهب العرب .

حدّثنى أبو بكر بن دريد : أن القصيدة المنسوبة الى الشَّنْفَرَى التى أوّلها

أقيموا بنى أُمِّى صدورَ مَطِيِّكم * فإنى الى قومٍ سواكم لَأَمْيَلُ

له، وهي من المقدمات فى الحسن والفصاحة والطول، فكان أقدر الناس على قافية .

حدّثنى أبو بكر بن أبى حاتم عن الأصمعىّ قال : قال يوما خلف لأصحابه : ما تقولون فى بيت النابغة الجعدى :

كأنّ مَقطّ شَراسيفِه * الى طَرَف القُنْب فالمَنْقَب

لو كان موضع فالمَنْقَب فالقَهْبَلِس، كيف كان يكون قوله :

لُطِمْنَ بتُرْسٍ شديد الصِّفاقِ من خَشَبِ الجَوْز لم يُثْقَب؟

فقالوا : لا نعلم، فقال : والآبُنُس . وقال لهم مرة أخرى : ما تقولون فى بيت النمر بن تولب :

ألَمَّ بصحبتى وهُمُ هُجُود * خيالٌ طارقٌ من أُمِّ حِصْن

لو كان موضع من أم حصن من أُمِّ حَفْص ، كيف كان يكون قوله :

لها ما تشتهى عَسَلٌ مُصَفًّى * اذا شاءت وحُوَّارى بِسَمْن؟

قالوا : لا نعلم ، فقال : وحُوَّارى بلَمْص، وهو الفالوذ . قال أبو بكر : والقَهْبَلِس : ذَكَرُ الرجل، وقد يستعار لغيره . وقال محمد بن سلام فى كتاب طبقات العلماء : كنا اذا سمعنا الشعر من أبى محرز لانُبالِى ألّا نسمعه من قائله . وقرأت على أبى بكر بن دريد لأبى كبير الهذلى :

وأخو الأَباءة إذ رأى خُلّانَهُ * تَلَّى شِفاعًا حَوْله كالإذْخِر

الأَباءة : الأَجَمة، يعنى : رجلا صار فى أجمة . وخلانه : أصحابه الذين يوَدُّهم . وتَلَّى : صَرْعَى . وشِفاعًا : اثنين اثنين، وهو جمع شَفْع . وقوله : كالإذخر، قال الأصمعىّ : لا تكاد تجد من الإذخر واحدة على حِدة، إنما تجد الأرض مُسْتَحْلَسة منه، والمُسْتَحْلَسة : الكثيرة النبات، التى غطّاها النبات أو كاد يغطيها ، فشبه كثرة القتلى بالإذخر لذلك .

قال الأصمعىّ : من أمثالهم : « أهْوَنُ هالكٍ عجوزٌ فى عامِ سَنَةٍ » مَثَلٌ للشئ يُسْتخَفّ بهلاكه، ويقال : «خَلِّه دَرَجَ الضَّب» أى خله يذهب حيث شاء . ويقال : «لا يَدْرى المَكْروب كيف يأْتَمِر» يراد أن المكروب يغطى عليه الشأن فلا يدرى كيف يَنْفُذ أمره . ويقال : « لا تَعْجَبْ للعَروس عامَ هِدَائِها» يراد أن الرجل اذا استأنف أمره تجمّل لك، ويقال : «نابٌ وقد تَقْطَع الدَّوِّيَّة» يراد أن المُسِنّ تَبقى منه بقيّةٌ ينتفع بها . وقال أبو زيد : ومَثَلٌ من الأمثال : « الشَّرُّ ألجأَه الى مُخِّ العَرَاقيب » يقال ذلك عند مسئلة اللئيم، أعطاك أو منعك .

[مطلب الكلام على مادة خ ل ف]

قال الأصمعيّ : خَلَفَ فلان فهو يَخْلُف خُلوفا اذا فسد ولم يُفْلح، وهو خالِف وهى خالفة. ويقال : هو خالِفةُ أهل بيته اذا كان أحمقهم، والخالِفة : عمود فى مؤخر البيت . وقال اللحيانى : عبدٌ خالِفٌ، أى لا خير فيه. وقال ٱبن الأعرابىّ : يقال : أبيعُك العبد وأبرأ إليك من خُلْفته. ورجل ذو خُلْفة، ورجل خالِفةٌ وخالِفٌ وخِلْفَنَةٌ وخِلَفْناة، وفيه خِلَفْناة. وقال أبو زيد: الخالِف: الفاسد الأحمق، وقد خَلَفَ يَخْلُف خَلافَةً . قال : ويقال : جاء فلان خِلافِى وخَلْفِى وهما واحد . قال : ويقال: ٱختَلَفَ فلان صاحبَه فى أهله ٱختِلافا، وذلك أن يُيَاصِره حتى اذا غاب عن أهله جاء فدخل عليهن. وقال الأصمعى : خَلَفَ فلان عن خُلُق أبيه اذا تغيَّر. وخَلَف فُوهُ يَخْلُف خُلوفا اذا تغيرت رائحته، وقال اللحيانى : يقال : نَوْمُ الضُّحَى مَخْلَفَةٌ للفم . وقال أبو زيد : خَلَفَ الشرابُ واللبن يَخْلُف خُلوفا اذا حَمُض، ثم أُطِيل إنقاعُه فَفَسَد. وقال أبو زيد والأصمعىّ : خَلَفَتْ نفسُه عن الطعام تَخْلُف خلوفا اذا أضْرَبَتْ عنه من مرض، وقال أبو زيد: لا يقال ذلك إلا من المرض. وقال أبو نصر عن الأصمعىّ: خَلْفُ خَلْفَ صِدْق بإسكان اللام اذا ترك عَقِبًا . ويقال : خذ هذا خَلَفًا من مالك بتحريك اللام، أى بَدَلًا منه، وهو خَلَفٌ من أبيه، أى بدل منه . وقال اللحيانى: الخَلَف : الولد الصالح. والخَلْف: الردىء. يقال : بَقِيتُ فى خَلْف سوء، أى فى بقية سوء، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ وأنشد للبيد :

ذَهَبَ الذين يُعاش فى أكنافهم * وبَقِيت فى خَلْفٍ كجلد الأجرب

والخَلْف : المِرْبَد يكون وراء البيت، وأنشد اللحيانى :

وجيئا من البـاب المُجَافِ تَوَاتُرًا * وإن تَقْعُدا بالخَلْف فالخَلْف واسع

وقال الأصمعىّ واللحيانى : الخَلْف : الردىء من الكلام المُحَال. وقال ٱبن الأعرابى: جلس أعرابى مع قوم فَحَبَق، فتَشَوّر فأشار بإبهامه الى ٱسته وقال : إنها خَلْف نَطقت خَلْفا .

وحدثنى أبو عمرو غلام ثعلب عن أبى العباس: أنه قال فى قولهم : «سكَتَ ألْفا ونَطَق خَلْفا» : أى سكت عن ألف كلمة ونطق بواحدة رديئة . قال الأصمعىّ: الخِلْفة : الآستقاء، يقال : مِنْ أين خِلْفتكم؟ أى من أين تَسْتَقُون، وأنشد لذى الرمّة :

ومُسْتَخْلِفاتٍ من بلاد تَنُوفةٍ * لِمُصْفَرّة الأشداق حُمْرِ الحَواصِل

يعنى القَطَا يحملن المـاء فى حواصلهن . ويقال : نِتاجُ فلان خِلْفةٌ ، أى عام ذكر وعام أنثى . والخِلْفة : الشئ من الثمر يخرج بعـد الشئ ، وقال غيره : الخِلْفة : النبت فى الصيف ، والخِلْفة : الليل والنهـار لاختلافهما . والخِلْفة : اختلافُ البهائم وغيرِها . ويقال : حَلَبَ الناقةَ خَلِيفَ لِبَئِها ، يعنى : الحلْبَة التى بعد ذهاب اللِّبا . وروى أبو عبيد عن الأصمعىّ : الخَلِيف : الطريق فى الجبل ، وقال أبو نصر : الخَلِيف : الطريق وراء الجبل أو فى أصله ، وقال اللحيانى : الخليف : الطريق وراء الجبل أو بين الجبلين . وقال اللحيانى : المَخْلَفة : الطريق أيضا ، يقال : عليك المَخْلَفةَ الوُسْطَى . والخَوَالِف : النساء اذا غاب عنهن أزواجهن ، قال الله عز وجل : ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ . وقال الأصمعىّ : حَىٌّ خُلُوف ، أى غُيَّبٌ . وخُلُوف : حُضور . قال : والإخلاف : أن تعيـد على الناقة فلا تَلْقَح . والإخلاف : أن تَعِـدَ الرجلَ عِدَةً فلا تُنْجِزَها . والإخلاف : أن تضرب يدك الى قِرَاب السـيف لتأخذه . والإخلاف : أن تجْعَل الحَقَب وراء الثِّيل . والثيـل ، وِعاءُ مِقْلَمه ، وهو قضيبه ، يقال : أَخْلِف عن بعيرك .

[مطلب حديث معاوية مع عبدالله بن عبدالحجر بن عبد المدان ومادار بينهما من سؤال وجواب وشرح غريب ذلك]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنـا السكن بن سعيد عن محمـد بن عباد عن العباس بن هشام قال : سأل معاويةُ — رحمه الله — بعد الاستقامة ، عبدَ الله بن عبد الحجر بن عبد المَدَان ، وكان عبد الحجر وفَدَ على النبى صلى الله عليه وسلم فسماه : عبـد الله ، فقال له : كيف عِلْمُك بقومك ؟ قال : كعلمى بنفسى ، قال : ماتقول فى مُرَاد ؟ قال : مُدْرِكُو الأوتار ، وحُمَاة الذِّمَار ، ومُحْرِزو الخطَار . قال : فما تقول فى النَّخَع ؟ قال : مانعو السِّرْب ، ومُسْعِرو الحَرْب ، وكاشفو الكَرْب . قال : وما تقول فى بنى الحارث ابن كعب ؟ قال : فَرَّاجو اللِّكاك ، وفُرْسان العراك ، ولِزَاز الضِّكَاك ، تَرَاكِ تَرَاكِ . قال : فما تقول فى سَعْد العَشِيرة ؟ قال : مانعُو الضَّيْم ، وبَانُو الرَّيْم ، وشانُو الغَيْم . قال : ماتقول فى جُعْفِىٍّ ؟ قال : فُرْسان الصَّبَاح ، ومُعْلِمو الرِّماح ، ومُبَارِزو الرياح . قال : ما تقول فى بنى زَبِيد ؟ قال : كُمَاة أنجاد ، ساداتٌ أَمْجاد ، وقُرٌ عنـد الذِّياد ، صُبُرٌ عند الطِّراد . قال : ماتقول فى جَنْب ؟ قال : كُفاةٌ يَمْنَعون عن الحَرِيم ، ويَفْرُجون عن الكَظِيم . قال : فما تقول فى صُدَاء ؟ قال : سِمَام الأعداء ، ومَسَاعِير الهَيْجاء . قال : فماتقول فى رَهَاء ؟ قال : يُنَهْنِهُون عادِيَةَ الفَوارس ، ويَرِدُون المَوْتَ وِرْدَ الخَوَامس ، قال : أنت أعلم بقومك .

قال أبو علي : كلُّ ما حَمَيْتَه فهو ذِمَار . والسَّرْب : الإبل وما رَعَى من المال . واللّكاك : الزحام . والضِّكَاك : مثل اللكاك سواءٌ. والرَّيْمُ : الدَّرَجة، قال أبو عمرو بن العلاء : أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل فقال لى رجل منهم : ٱسْمُكْ فى الرَّيْم ، أى ٱعْلُ فى الدرجة . والرَّيْم : الزيادة، يقال : لى عليك رَيْمٌ على كذا وكذا، قال الشاعر :

فأَقْعِ كما أَقْعَى أبوك على ٱسْتِه * رأى أنَّ رَيْمًا فوقه لا يُعادِلُهْ

والرَّيْم : القَبْر، قال مالك بن الرَّيْب المازنىّ :

اذا مُتُّ فاعتادى القُبورَ وسَلِّمِى * على الرَّيْم أُسْقِيتِ السحابَ الغَوادِيا

والرَّيْم : عَظْمٌ يفضُل اذا ٱقتسم القومُ الجَزورَ، وهذا قول الشيبانى، وأنشدنا غيره

فكنت كعَظْمِ الرَّيْمِ لم يَدْرِ جازِرٌ * على أَىِّ بَدْأَىْ مَقْسِمِ اللَّحْمِ يُجْعَل

والغَيْمُ: العطش، وقال لى أبو بكر بن الأنبارى : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "نعوذ بالله من الأَيْمة والعَيْمة والغَيْمة والكَرَم والقَرَم" وقال : الأيمة : الخُلُوُّ من النساء . والعَيْمة : شهوة اللبن . والغَيْمة : العطش . وقال : الكَرَم فيه قولان ، يقال : فلان أكْرَم البنان اذا كان بَخيلا ، ويقال : إن الكَرَم الأكل الشديد . والقَرَم : شهوة اللحم . والأمجاد : الأشراف . ويُنَهْنِهُون : يَكُفُّون . والكَظِيم: المكظوم، وهو الذى قد ردّ نَفَسَه إلى جوفه . وقرأنا على أبى بكر بن دريد لحكيم بن مُعَيَّة :

إذا عَلَوْنَ أَرْبَعا بأربع * فى جَعْجَعٍ مَوْصِيَّة بجعجع
* أَنَنَّ تأْنانَ النفوس الوُجَّع *

يعنى الإبل علون أربعة أَوْظِفة بأربع أذرع ، وكأنه أَنّث على الكراع . وأَنَنَّ، من الأنِين، يعنى : أنهن اذا بَرَكْن أَنَنَّ، ومثله قول كعب بن زهير :

ثَنَتْ أربعًا منها على ظهر أربع * فهن بمَثْنِيَّاتِهِنّ ثمان

ومثله قول هِيت : تُقْبِل بأَرْبَع وتُدْبِر بثمان، يعنى : أنها تقبل بأربع عُكَنٍ، فإذا رأيتها من خلف رأيت لكل عُكْنة طَرَفين فصارت ثمانية .

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن العُتْبى قال : أقام معاوية — رحمه الله — الخُطَباء لبَيْعة يزيد، فقامت المَعَدِّيَّة فشَقَّقُوا الكلام . ثم قام رجل من حِمْيَر فقال: لَسْنا الى رِعاء هذه الجمال، عليهم تَشقيق

المقال، وعلينا صِدْق الصِّيال ؛ أَمَا والله إنا لَصُبُرٌ تحت البوارق ، مَرَاقيل فى ظِلِّ الخَوَافق ؛ لا نَسْأَم الضِّراس، ولا نَشْمَئِزُّ من المِراس؛ وإن واحدنا لألْف، وألْفنا كهف ؛ فمن أبْدَى لنا صَفْحَته، حطَطْنا عِلَاوَتَه ؛ ثم قام رجل من ذى الكَلَاع فأشار الى معاوية فقال : هذا أمير المؤمنين، فإن مات فهذا — وأشار الى يزيد — فمن أبى فهذا — وأشار الى السيف — ثم قال :

معاويةُ، الخَليفةُ لا تُمَارَى * فإن تَهْلِكْ فَسَائِسُنا يزيد
فمن غَلَب الشقاءُ عليه جَهْلا * تَحَكَّم فى مَفارِقه الحَدِيد

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا الرياشىّ للعَرْجىّ :

وما أنْسَ مِلْأَشياء لا أنْسَ مَوْقِفا * لنا ولها بالسَّفْح دون ثَبِير
ولا قولَها وَهْنًا وقد بَلَّ جَيْبَها * سوابقُ دَمْع لا يَجِفُّ غَزِير
أأنتَ الذى خُبِّرت أنَّك باكرٌ * غَدَاة غدٍ أو راحلٌ بِهَجِير
فقلت يَسِيرٌ بعضُ شَهْرٍ أَغِيبُه * وما بعضُ يَوْمٍ غِبْتِه بيسير
أحِينَ عَصَيْتُ العاذلين اليكم * ونازَعْتُ حَبْلِى فى هواكِ أميرى
وباعَدَنى فيك الأقارب كلُّهم * وباح بما يُخْفِى اللسانُ ضميرى
وقلت لها قولَ امرئ شَفَّه الهوى * اليها ولو طال الزمان فقير
فما أنا إن شَطَّت بِك الدارُ أو نأتْ * بى الدار عنكم فاعْلَمى بصَبُور

وقرأت على أبى بكر رحمه الله :

وما أنْسَ مِلْأَشياء لا أنس قولَها * وأدْمُعُها يُذْرِين حَشْو المَكَاحِل
تَمَتَّع بذا اليوم القَصِير فإنه * رَهِينٌ بأيام الشهور الأطاول

وقرأت على أبى بكر أيضا :

شَيَّبَ أيامُ الفراق مَفَارِقى * وأَنْشَزْن نفسى فَوْقَ حَيْثُ تكون
وقد لان أيامُ اللِّوَى ثُمَّ لم يَكَدْ * من العيش شىءٌ بعدهُنَّ يَلِين
يقولون ما أبْلَاكَ والمال غامِرٌ * عليك وضَاحِى الجِلْد منك كَنِين
فقلت لهم لا تَعْذُلونِىَ وانظروا * إلى النازع المقصور كيف يكون

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا الرياشى عن بعض أصحابه قال : أخبرنى رجل قال : أتيت المجنون فجلست إليه فى ظل شجرة فقلت : ما أشْعَرَ قَيْسًا ! حيث يقول :

يَبِيت ويُضْحِى كلَّ يوم وليلة * على مَنْهَـجٍ تَبْكِى عليـه القبائل
قَتِيلٌ لِلُبْنَى صَـدَّع الحبُّ قلبَه * وفى الحب شُغْل للحبين شاغل

فقال أنا أشعر منه حيث أقول :

سَلَبْتِ عظامى لَحْمَها فتركْتِها * مُعَرَّقةً تَضْحَى لَدَيْك وتَخْصَر
وأَخْلَيْتِها من مُخِّها فكأنها * قَوَارِيرُ فى أجوافها الريحُ تَصْفِر
اذا سمعتْ ذِكرَ الفراق تَقطَّعَتْ * علائقُها ممـا تَخاف وتَحْـذَر
خُذِى بِيَدِى ثم انْهَضى بى تَبَيَّنِى * بِيَ الضُّرَّ إلا أننى أتَسَـتَّر

قال أبو على ويروى :

... ... تَقَعْقَعَتْ * مَفَاصِلُها من هَوْل ما تَتَنَظَّر

ثم مَرَّ فأَجْمَزَ فى الصحراء، فلما كان فى اليوم الثانى أتيته فجلست فى ذلك الموضع، فلما أحْسَسْت به قلت : ما أشعر قيسا ! حيث يقول :

تُبَاكِرُ أم تَرُوح غَدًا رَواحا * ولن يَسْـطِيعَ مُرْتَهَنٌ بَراحا
سَـقِيمٌ لا يُصاب له دواء * أصاب الحبُّ مَقْتَـلَه فباحا
وعَـذَّبه الهوى حتى براه * كَبَرْىِ القَيْنِ بالسَّفَنِ القِدَاحا
وكاد يُذِيقُهُ جُرَعَ المَنايا * ولو سَـقَّاه ذلك لاسـتراحا

فقال : أنا أشعر منه حيث أقول :

قال أبو على : وأنشدناها ابن الأنبارى عن أبيه ولم ينسبه إلى أحد، وفى الروايتين اختلاف وأنا أذكرهما إن شاء الله :

فما وَجْدُ مغلوبٍ بِصَنْعاء مُوثَقٍ * بساقَيْـهِ من ثِقْلِ الحديد كُبُولُ

وروى ابن الأنبارى :

فما وَجْدُ مسجونٍ بصنعاء عَضَّهُ * بسـاقيه من صنع القُيود كُبول
قليل الموالى مُسْـتهام مُرَوَّع * له بعـد نومات الغشاء عَوِيل

وروى ابن الأنبارى :

ضعيف الموالى مُسْلَمٌ بجريرة * له بعد نومات العيون عويل

يقول له الحدّاد أنتَ مُعذَّب * غداةَ غدٍ أو مُسْلَمَ فقتيل

بأعظمَ منّى رَوْعةً يوم راعنى * فراقُ حبيبٍ ما إليه سبيل

وروى ابن الأنبارى : بأوجَعَ منى لَوْعةً :

غداةَ أسيرُ القصدَ ثم يردُّنى * عن القصد لَوْعاتُ الهوى فأميل

وروى ابن الأنبارى : غداة أريد القصد ، وروى : مَيْلات الهوى فأميل . ثم قام هاربا وتركنى، فعدت بعد ذلك مرارا فلم أره، فأُخبرت أنه قد مات . وأنشد الأخفش :

أقول لمُقْلَتى يوم التقينا * وقد شَرِقتْ مآقيها بماء

خُذِنَّ اليومَ مِنْ نَظَرٍ بحظٍّ * فسوف تُوكَّلين إلى البكاء

وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى لابن أبى مرة المكى :

ساعةَ وَلَّى شَمِتَ العاذل * أذاك منه الفرجُ العاجلُ

لم أنسَ اذ ودّعته والتقى * ذا البدنُ الناعم والناحل

كأنما جسمى على جسمه * غُصْنانِ ذا غَضٌّ وذا ذابل

يا ربِّ ما أطيَبَ ضَمِّى له * إلىَّ لولا أنه راحل

وانشدنا أحمد بن يحيى النديم قال أنشدنا أبى قال أنشدنا الجاحظ عمرو بن بحر :

أزِفَ البَيْنُ المُبِين * قَطَعَ الشكَّ اليقين

حَنَّتِ العيسُ فأبكا * نى من العِيسِ الحَنين

لم أكن ـ لا كنتُ ـ أدرى * أن ذا البَيْنَ يكون

عَلّمونى كَيْفَ أشتا * ق اذا خَفَّ القَطِين

وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : أتيت الزبير لأودّعه وأخرج من المدينة ، فقال لى : بلغنى أنك لما أتيت هشام بن إبراهيم لتودّعه قال : لا أودّعك حتى أغنِّيك :

وأنا بَكَيْتُ من الفــرا * ق فهل بَكَيْتَ كما بكيتُ
ولَطَمْتُ خَــدِّى خاليــا * ومَرَسْــتُه حتى آشتفيت
وعــواذلى يَنْهَيْنَــنى * عَمَّن هَوِيتُ فما آنتهيت

قال الزبير : وأنا لا أودّعك حتى أنشدك :

أزف البين المبيـــن * وجــلا الشك اليقين
لم أكن لا كنت أدرى * أن ذا البين يكون
علمونى كيف أشتا * ق اذا خفّ القطين

وأنشدنا الأخفش قال أنشدنا آبن المدبر للمجنون وقال لى : ما سمعت أغْزَل من هذين البيتين :

أَمُزْمِعــةٌ لَيْــلَى ببين ولم تَمُت * كأنَّك عَمًّا قــد أَظَلَّك غافــل
سَتَعْلَم إن شَطَّتْ بهم غَرْبَةُ النوى * وزالوا بِلَيْــلَى أن قَلْبَــك زائل

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه :

نحن غادُونَ مِنْ غَدٍ لافتراق * وأُرَانى أموتُ قَبْــلَ يَكون
فلئن مُتُّ فاسترحتُ من البَيْـ * ـن لقد أحْسَنَتْ إلىَّ المَنُون

قال أبو بكر : وأنشدنا أبو الحسن المُظَفَّر بن عبد الله :

ما يُرِيدُ الفِراق ــ لا كان ــ مِنَّا * أشْمَتَ اللهُ بالفِراق التَّــلَاقى
لو وَجَدْنا على الفراق سـبيلا * لأَذَقْنا الفِراق طَعْمَ الفــراق

وأنشدنا أبو بكر بن دريد لأعرابى، وغيره يقول : إنها لحبيب :

لو كان فى البَيْن إذ بانوا لَهُــمْ دَعَةٌ * لكان بَيْنُهُـــمُ من أعظـم الضرر
فكيف والبَــيْنُ موصولٌ به تَعَبٌ * تَكَلُّف البِيــدِ فى الإدْلاج والبُكَر
لو أنَّ ما تبتلينى الحادِثاتُ به * يكون بالمـاء لم يُشْرَبْ من الكدر
أو كان بالعِيس ما بى يومَ رِحْلَتِهـم * أعْيَتْ على السائق الحادى فلم تَسِر
كأنَّ أيْدِى مَطَاياهــم اذا وَخَدَتْ * يَقَعْنَ فى حُرِّ وجهى أو على بصرى

وقرأت على أبى بكر بن دريد للحسين بن مطير الأسدى وفى نوادر آبن الأعرابى ، وفى الروايتين زيادة ونقصان، وأنا آتى بهما إن شاء الله تعالى :

لقد كنتُ جَلْدًا قبل أن تُوقِدَ النَّوى * على كبدى نارا بَطِيئًا خُمودُها
ولو تُرِكَتْ نارُ الهوى لتضرَّمَتْ * ولكنَّ شَوْقًا كلَّ يوم يزيدها
وقد كنتُ أرجو أن تموت صبابتى * اذا قَدُمَتْ أيامها وعهودها
لقد جَعَلَتْ فى حَبَّة القلب والحَشا * عِهَادُ الهوى تُولِى بشوق يُعيدها
لمُرْتَجَّة الأطراف هِيف خُصورُها * عِذَابٍ ثناياها عِجافٍ قُيودُها
بسُودٍ نَوَاصِيها وحُمْرٍ أكُفُّها * وصُفْرٍ تَرَاقِيها وبِيضٍ خُدودُها

وروى آبن الأنبارى :

وصفر تراقيها وحمر أكفها * وسود نواصيها وبيض خدودها
مُخَصَّرة الأوساط زانتْ عُقودَها * بأحْسنَ مما زيَّنَتْها عُقودُها
يُمَنِّيننا حتى تَرِفَّ قُلوبُنا * رَفيف الخُزامَى بات طَلٌّ يجُودُها
وفيهنَّ مِقْلاقُ الوِشَاح كأنها * مَهاةٌ بِتُرْبانٍ(1) طَويلٌ عُقُودُها

يريد : موضع العقود، وهو العنق . قال : وقوله :

* ولو تُرِكَتْ نار الهَوى لَتَضَرَّمَتْ *

أجود، لأنها كانت تَضْرَم وحدها، فكيف إذا زادها غيرها وأوقدها! وقرأت عليه لآبن مَيَّادة :

كأنَّ فؤادى فى يَدٍ ضَبَثَتْ به * مُحاذِرةً أن يَقْضِبَ الحَبْلَ قاضِبُهْ
وأُشْفِق من وَشْكِ الفراق وإنَّنى * أظُنُّ لَمحْمُولٌ عليه فَرَاكِبُهْ
فوالله ما أدرى أيَغْلِبُنى الهوى * اذا جَدَّ جَدُّ البين أم أنا غالبُه
فإن أسْتَطِعْ أغْلِب وإن يَغْلِبِ الهوى * فمثلُ الذى لاقيْتُ يُغْلَبُ صاحبُه

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى :

قد قُلْتُ والعَبَرَاتُ تَسْفَحُها على الخدِّ المَآقى

(1) تربان : آسم موضع .

حين ٱنحدَرْت إلى الجزيـــ * ـــرة وٱنْقَطَعتُ عن العراق
وتَخَبَّطَتْ أيــدِى الرِّفا * ق مَهَامِهَ البِيــد الرِّقاق
يا بُؤْس مَنْ سَـلَّ الزما * نُ عليــه سَيْفًا للفــراق

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء : قال أنشدنى ٱبن غالب :

ذَكَرَ الحبيبُ حبيبَـه ففؤادُه * مثلُ الجَناح من الصَّبابة يَخْفِق
عَمَرا زمانا يَكْتُمانِ هواهمــا * وكِلَاهما بادى الهوى مُتَشَوِّق
حتّى اذا ٱجتمعا بأحْسَنِ أُلْفَةٍ * ما مِنْهمــا فى وُدِّه مُتَخلِّق
كَرَّ الزمانُ عليهما بفــراقه * وكذاك لم يَزَلِ الزمان يُفَــرِّق

وأنشدنا أبو بكر التاريخى قال : أنشدنى البُحْتُرِىّ لنفسه :

اللهُ جارُك فى ٱنطلاقِــكْ * تِلْقَــاءَ شامك أو عِرَاقِــك
لا تَعْـــذُلَنِّى فى مَسِيـــ * ـــرك يَوْمَ سِرْت ولم أُلَاقِك
إنى خَشِيتُ مَوَاقِفًــا * للبين تَسْفَح غَرْب ماقِــك
وعَلِمْتُ ما يَلْقَى المُتَــيَّـ * ـمُ عنـــد ضَمِّــك وٱعْتِنَــاقك
وعلمتُ أن لقــاءنا * سَبَبُ ٱشتيــاق وٱشــتياقك
فَتَرَكْتُ ذاك تَعَــمُّدا * وخَرَجْتُ أهْرُب من فراقك

وقرأ أبو غانم الكاتب على أبى عبد الله نفطويه فى المسجد الجامع بالمدينة قبل الصلاة وأنا أسمع لتَوْبة بن الحُمَيِّر :

قالت مَخَافةَ بَيْنِنــا وبَكَتْ له * فالبَــيْن مبعوثٌ على المُتَخَوِّف
لو مات شىء من مخــافة فُرْقةٍ * لأماتَنى للبينِ طُولُ تَخَوُّفى
مَلَأَ الهوى قلبى فضِقْتُ بحَمْله * حتى نَطَقْتُ به بغــير تَكَلُّف

وقرأ عليه :

راعَكَ البــينُ والمَشُوقُ يُرَاع * حين قالوا تَشَتُّتٌ وٱنْصِداع
لَسْتُ أنْسى مقالَها يوم وَلَّتْ * وقُصارَى المُشَيِّعين الوَدَاع

وقرأ عليه :

بَكَيْت دَمًا حتَّى القيامةِ والحَشْر * ولا زلت مَغْلُوبَ العَزِيمةِ والصبر
أَتَظْعَن طَوْعَ النفس عَمَّن تحبه * وتَبْكِى كما يَبْكِى المُفَارِق عن صُغْر
أَقِمْ لا تَسِرْ والهمُّ عنك بمَعْزِل * ودَمْعُك باقٍ فى جفونك مايَجْرى

وقرأ عليه أيضا :

أتظعن عن حبيبك ثم تبكى * عليه فَمَنْ دَعاك الى الفراق
كأنَّك لم تَذُقْ للبَين طَعْماً * فتَعْلَم أنه مُرُّ المَذاق
أَقِمْ وآنْعَمْ بطُول القرب منه * ولا تَظْعَنْ فَتَكْبَتَ باشتياق
فما آعتاض المفارِقُ من حبيب * ولو يُعْطَى الشَّآمَ مع العراق

وقرأ عليه أيضا :

تَطْوِى المَرَاحلَ عن حبيبك دائبا * وتَظَلُّ تبكيه بدمع ساجم
كَذَبَتْكَ نفسُك لست من أهل الهوى * تشكو الفراق وأنت دين الظالم
ألَّا أَقَمْتَ ولو على جَمْرِ الغَضَى * قُلِّبْتَ أو حدّ الحسام الصارم

أنشدنى جَحْظَةُ بعض هذه الأبيات وأنشدَناها بتمامها الأخفشُ علىّ بن سليمان لمسلم بن الوليد :

وإنّى وإسماعيلَ يَوْمَ وَداعه * لكالغِمْد يوم الرَّوْع فارَقَهُ النَّصْل
أَمَا والحِبَالات المُمَرَّاتِ بيننا * وَسائلُ أَدَّتْها المَوَدَّةُ والوَصْل
لَمَا خُنْتُ عَهْدا من إخاء ولانَأَى * بِذِكْرِك نَأْىٌ عن ضميرى ولاشُغْل
وإنِّىَ فى مالى وأهلى كأننى * لِنَأْيِك لا مالٌ لدىَّ ولا أهل
يُذَكِّرُنيكَ الدِّينُ والفضلُ والحِجا * وقِيلُ الخَنَا والحِلْمُ والعلمُ والجهل
فألقاك عن مذمومها متنزِّها * وألقاك فى محمودها ولك الفضل
وأَحْمَدُ من أخلاقك البُخْلَ إنه * بِعِرْضِك لا بالمال حاشا لك البُخْل
أَمُنْتَجِعًا مَرْوًا بأثقال هِمَّة * دَعِ الثِّقْل وآحمل حاجةً ما لها ثِقْل
ثناءً كعَرْف الطِّيب يُهْدَى لأهله * وليس له إلا بَنِى خالدٍ أهل
فإن أغشَ قومًا بعدهم أو أَزُورهم * فكالوَحْشِ يَسْتَدْنِيه للقَنَص المَحْل

وروى جحظة: يُدْنيه من الأُنس المحل. وأنشدنا بعض أصحابنا قال: أنشدنى عمرو بن بحر الجاحظ:

أنا أبكى خَوْفَ الفِراق لأنى * بالذى يَفْعَـلُ الفـراقُ عليم

أنا مُسْتَيْقِن بأنـ مُقَـامى * ومَسِـيرَ الحبيب لا يسـتقيم

قال أبو على: وقرأت على أبى بكر بن دريد لجميل:

رَحَلَ الخَليط جِمـالَهم بسَـواد * وحَدَا على أَثَرِ البَخِيـلة حادى

ما إن شَعَرْتُ ولا سَمِعْت ببَيْنِهم * حتى سمعت به الغرابَ ينادى

لمـا رأيتُ البينَ قلت لصاحبى * صَدَعَتْ مُصَدِّعةُ القلوب فؤادى

بانوا وغُـودرَ فى الديار مُتَيَّم * كَلِفٌ بذكرِكِ يا بُثَيْنَـةُ صادى

وقال أبو زيد: من أمثال العرب «تَفْزَعُ من صوت الغراب وتَفْتَرِس الأسدَ المُشَبَّم» وهو الذى قد شُدَّ فُوهُ، وذلك أن آمرأة آفترست أسدا وسمعت صوت غراب فَفَزِعت منه، يقال ذلك للذى يخاف اليسير من الأمور وهو جرىء على الجسيم. ويقال: «كالمُشْتَرِى القاصِعاءَ باليَرْبُوع» يقـال ذلك للذى يَدَعُ العين ويتبع الأثر ويختار مالا ينبغى له. ويقال: «رُوغِى جَعَارِ وآنْظُرِى أَيْنَ المَفَرّ» يضرب مثلا للذى يَهْرُب ولايقدر أن يفلت صاحبه. ويقال: «كَلْبٌ آعْتَسَّ خَيْرٌ من كَلْبٍ رَبَض» يقال ذلك اذا طَلَب رجل الخير وقَعَـدَ آخرُ فلم يطلب. وقال يعقوب بن السكيت: يقال: قَطَبَ يَقْطِب قُطُوبا وهو قاطب اذا جمع ما بين عينيه، وآسم ذلك الموضع المَقْطِب، ومنه قيل: الناس قَاطِبَةً، أى الناس جَمِيعٌ، ويقال: قَطَبَ شرابه اذا مَزَجَه فَجَمَع بين المـاء والشراب. ويقـال: عَبَس يَعْبِس عُبُوسا، وبَسَر يَبْسُر بُسُورا. ويقال: رجل أَبْسَلُ وباسِلٌ، أى كريه المَنْظَر، ويقال: تَبَسَّل فى عينيه، أى كَرُهَتْ مَرْآتُه، قال أبو ذؤيب:

فكنت ذَنُوبَ البِـئْر لمـا تَبَسَّلَتْ * وسُرْبِلْتُ أكفانى ووُسِّدْتُ ساعدى

قال أبو زيد: يقال: دَهَيْتُ الرجلَ أَدْهاه دَهْيًا، أى عِبْته وآعْتَبْتُه وآغْتَبْته وتَقَصَّتُه. ويقال: نَجَهْت الرجلَ أَنْجَهُه نَجْها، وجَبَهْتُه أَجْبَهُه جَبْهًا، والاسم الجَبِيهة والنَّجْه، والمعنى واحد، وهو آستقبالُك الرجل بما يكره، وهو رَدُّك الرجل عن حاجة طلبكَها، وأنشد:

حُيِّيتَ عَنَّـا أيُّها الوَجْهُ * ولغَـيْرِك البَغْضاءُ والنَّجْهُ

ويقال : نَدَهْتُ الإبل أَنْدَهُها نَدْهًا ، وهو السَّوْق للإبل مجتمعة ، والثلاث من الإبل تُنْدَه إلى ما بَلَغَتْ ، وإذا سِيقَ البعيرُ وَحْدَه فقد يُقْتَاس له من النَّدْه ، فيقال : بَعِيرٌ مَنْدُوهٌ ، ويقال : عند فلان نَدْهَة من صامت أو ماشية ، ونُدْهة وهى العشرون من الغنم ونحوُها ، والمائةُ من الإبل أو قُرابَتُها ؛ ومن الصامت الألفُ أو نَحْوُه .

[مطلب خطبة هانئ بن قبيصة فى قومه يحرضهم على الحرب يوم ذى قار]

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : قال هانئ بن قَبِيصة الشيبانىّ لقومه يوم ذى قار وهو يُحَرِّضهم : يامعشر بكرٍ ، هالكٌ معذور ، خير من ناجٍ فَرُور ؛ إن الحذر لايُنْجِى من القَدَر ، وإن الصبر من أسباب الظَّفَر ، المَنِيَّة ولا الدَّنِيَّة ؛ آستقبالُ الموت خيرٌ من آستدباره ؛ الطَّعْن فى ثُغَر النحور ، أكرم منه فى الأعجاز والظهور . ياآل بكر ، قاتلوا فما للمَنَايا من بُدٍّ .

وقرأت على أبى بكر بن دريد لحُمَيْد بن ثور الهلالىّ :

ولقد نَظَرْتُ إلى أَغَرَّ مُشَهَّرٍ * بِكْرٍ تَوَسَّنَ بالخَمِيلة عُونا
مُتَسَنِّمٍ سَنِماتِها مُتَفَجِّسٍ * بالهَدْرِ يملأ أنفسا وعيونا
لَقِحَ العِجافُ له لسابع سَبْعَةٍ * وشَرِبْنَ بَعْدَ تَحَلُّؤٍ فَرَوِينا

يعنى بأغَرّ : سحابا فيه برق أو هو أبيض . وبِكْرٍ : لم يُمْطِر قبل ذلك . وتوسَّن : طَرَقَها ليلا عند الوَسَن ، أى وقت آختلاط النُّعَاس بعيون الناس ، يقال : تَوَسَّنْت الرجلَ ، أى أتيته وهو وَسْنان . والخَمِيلة : رَمْلَة كثيرة الشجر . وعُون جمع عَوَان ، وهى الأرض التى قد أصابها المطر مرة ، وهذا مثل وأصله فى النساء ؛ قال الكسائىّ : العَوَانُ : التى قد كان لها زوج ، ومنه قيل : حَرْبٌ عَوَانٌ . وقوله : مُتَسَنِّمٍ ، شبهه بالبعير الذى يَتَسَنَّم أَسْنِمَة الإبل ، أى يعلوها . والسنمات : العظام الأَسْنام ، يريد أن هذا السحاب كأنه يَتَسَنَّم التِّلَال والآكام ، أى يعلوها ؛ وهو مَثَل . ومُتَفَجِّس : متكبر . بالهَدْر : يعنى رَعْدَهُ . وقوله : يملأ أنفسا : تعجبا منه ، وقال بعضهم : لهَوْلها . ولَقِحَتْ : نَبَت عُشْبُها . والعِجاف : الأَرَضُون التى لم تُمْطَر ، وهو مثل . بعد تَحَلُّؤ : بعد مَنْعٍ من الماء .

قال أبو علىّ : وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن قال سمعت عمى يحدث سُرَّان أبا العباس آبن عمه — وكان من أهل العلم — قال : سَهِرْت ليلةً من لَيَالىَّ بالبادية ، وكنت نازلا عند رجل

من بنى الصَّيْداء من أهل القَصِيم ، وكان — والله — واسِعَ الرَّحْل ، كَرِيم المَحَلّ ؛ فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق ، فأتيت أبا مَثْوَاىَ فقلت : إنى قد هَلِعْتُ من الغُرْبة وآشْتَقْت أهلى ، ولم أُفِدْ فى قَدْمَتى هذه إليكم كبير علم ، وإنما كنت أغْتَفِر وَحْشة الغُرْبة وجَفاء البادية للفائدة ، فأظهر تَوَجُّعا ، ثم أبْرَزَ غَداءً له فتغدّيت معــه ، وأمَر بناقة له مَهْرِيّة كأنها سَبِيكة لُجَيْن فارتَحَلها وآكْتَفَلَها ؛ ثم ركب وأرْدَفَنِي وأقْبلَها مَطْلِــع الشمس ، فما سِرْنا كبير مسير حتى لَقِيَنا شيخٌ على حمار له جُمَّةٌ قد ثَمَغَها كالوَرْس فكأنها قُنَّبِيطة ، وهو يترنّمُ ، فسلم عليه صاحبى وسأله عن نَسَبه ؛ فاعتَزَى أسَدِيًّا من بنى ثَعْلَبة ؛ فقال : أتنشد أم تقول ؟ فقال : كُلًّا ؛ فقال : أين تَؤُمُّ ؟ فأشار الى ماء قريب من الموضع الذى نحن فيه ؛ فأناخ الشيخ وقال لى : خُذْ بيد عمك فأنزِلْه عن حماره ، ففعلت ؛ فألقى له كِيسًا قد كان آكْتَفَل به ، ثم قال : أنشدنا — رحمك الله — وتَصَدَّقْ على هذا الغريب بأبيات يَعِيهِنَّ عنك ويذكرك بهن ؛ فقال : إى ها الله إذًا ! ثم أنشدنى :

لقــد طال ياسَوْداء منكِ المَوَاعِدُ * ودُونَ الجَدَا المأمول منك الفَراقِدُ
إذا أنت أُعْطِيتَ الغنى ثم لم تَجُدْ * بفَضْل الغِنى أُلْفِيت مالَكَ حامد
تُمَنِّيننا غَــدًا وغَيْمُكم غَــدا * ضَبَابٌ فلا صَحْوٌ ولا الغيم جائد
وقَلَّ غَنــاءً عنــكَ مالٌ جَمَعْتَــه * اذا صار مــيراثا وَوَارَاكَ لاحد
اذا أنت لم تَعْرُكْ بجَنْبِك بَعْضَ ما * يَرِيبُ من الأدْنَى رَماكَ الأباعد
اذا الحِلْمُ لم يَغْلِبْ لك الجهلَ لم تَزَل * عليك بُرُوقٌ جَمَّـــةٌ ورواعـــد
اذا العزم لم يَفْرُجْ لك الشَّكَّ لم تزل * جَنِيبًا كما آستَتْلَى الجَنِيبة قائد
اذا أنت لم تــترك طعاما تُحِبُّــه * ولا مَقْعَــدًا تُدْعَى اليــه الوَلائد
تَجَلَّلْت عارا لا يزال يَشُبُّــهُ * سِــبَابُ الرجال نَثْرُهم والقَصائد

وأنشدنى أيضا :

تَعَزَّ فإنّ الصبر بالحُرّ أجمــل * وليس على رَيْبِ الزمان مُعَــوَّل
فلو كان يُغْنِى أن يُرَى المرءُ جازِعا * لنازلة أو كان يُغْنِى التَّذَلُّل
لكان التَّعَزِّى عند كل مُصِيبة * ونازلةٍ بالحــر أولى وأجمـــل

فكيف وكُلٌّ ليس يَعْدُو حِمَامَه * وما لامرئٍ عما قَضَى اللهُ مَزْحَل
فإن تكن الأيام فينا تَبَدَّلَتْ * ببُؤْسٍ ونُعْمَى والحوادث تَفْعَل
فما لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً صَلِيبةً * ولا ذَلَّلَتْنا للذى ليس يَجْمُل
ولكن رحَلْناها نفوسا كريمة * تُحَمَّل ما لا يُسْتطاع فتَحْمِل
وَقَيْنا بعَزْم الصبرِ مِنّا نفوسَنا * فَصَحَّتْ لنا الأعراضُ والناسُ هُزَّل

قال أبو بكر قال عبد الرحمن قال عمى : فقمت والله وقد أُنْسِيت أهلى ، وهان علىَّ طُول الغربة وشَظَفُ العيش سرورا بما سمعت ، ثم قال لى : يا بنىّ ، من لم تكن ٱستفادةُ الأدب أحَبَّ اليه من الأهل والمال لم يَنْجُب . وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنى أبو عثمان :

إذا ما فقدتُمْ أسْوَدَ العين كُنْتُمُ * كراما وأنتم ما أقام ألائم

أَسْود العين : جبل ، والجَبَل لا يَغيب ، يقول : فأنتم لئام أبدا . وقرأت عليه لعَدِىّ بن زيد يصف فرسا :

أحالَ عليه بالقَناة غلامُنا * فأَذْرِعْ به لخَلَّةِ الشاة راقعا

أذرع به ، أى ما أذرعَه ، أى ما أسرعه ! وقوله : لخلة الشاة راقعا ، أى يَلْحَقُها فيَرْقَع ما بينه وبينها من الفُرْجة حتى لا يكون بينهما فُرْجة ؛ وحكى عن خلف الأحمر أنه قال : يَعْدُو الفرسُ وبين الشاتين خَلَّةٌ ، أى فُرْجة فيدخل بينهما فكأنه رَقَع الخلة بنفسه لَمَّا سار فيها .

[مطلب وصف بعض الأعراب للطر وشرح غريبه]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابىّ عن مَطَر فقال : ٱسْتَقَلَّ سُدٌّ مع ٱنتشار الطَّفَل ، فَشَصَا وٱحْزَأَلَّ ؛ ثم ٱكْفَهَرَّت أرجاؤه ، وٱحْمَوْمَتْ أرحاؤه ، وٱبْذَعَرَّتْ فَوَارِقه ، وتَضَاحَكَتْ بَوَارِقُه ، وٱستطَار وادِقُه ، وٱرْتَتَقَتْ جُوَبُه ، وٱرْتَعَن هَيْدَبُه ، وحَشَكَتْ أخلافُه ، وٱسْتَقَلَّت أردافُه ، وٱنتشرت أكنافه ، فالرَّعْد مُرْتَجِس ، والبرق مُخْتَلِس ، والماء مُنْبَجِس ، فأتْرَعَ الغُدُر ، وٱنْتَبَثَ الوُجُر ، وخَلَط الأوعال بالآجال ، وقَرَن الصِّيران بالرِّئال ، فللأَودية هَدِير ، وللشِّرَاج خَرِير ، وللتِّلاع زَفِير ، وحَطَّ النَّبْعَ والعُتْم ، من القُلَل الشُّمّ ، الى القِيعَان الصُّحْم ، فلم يَبْقَ فى القُلَل إلا مُعْصَمٌ مُجْرَنْثِم ، أو داحِصٌ مُجَرْجَم ، وذلك من فضل رب العالمين ، على عباده المذنبين .

قال أبو علىّ : السُّدُّ : السحاب الذى يَسُدُّ الأفق ، وهـذا قول أبى بكر، وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : جاءنا جَرَادٌ سُـدٌ اذا سدّ الأفق . والطَّفَل : العَشِىُّ الى حدّ المغرب . وشَصَا : ٱرْتَفَعَ ، ويقال : شصا برجله اذا رفعها عنـد الموت ، وشصا الزِّقُّ اذا ٱمتلأ وٱرتفعت قوائمه . ويقال : شصا بَصَرُه يَشْصُو شُصُوًّا اذا طَمَحَ ، وطمح معناه ٱرتفع ، ولهذا قيل للدابة : طَمُوح اذا كان يرفع رأسه حتى يُفْرِط . وٱحْزَأَلّ : ٱرتفع أيضا . وٱكْفَهَرّ وٱكْرَهَفّ : تَرَاكَمَ ، والمُكْفَهِرُّ والمُكْرَهِفُّ من السحاب : الذى يركب بعضه بعضا . وأرجاؤه : نواحيـه ، واحدها رَجًا مقصور . وٱحْمَوْمَتْ : ٱسْوَدّت ، والحُمَّة : سواد تعلوه حمرة . وأرحاؤه واحدها رَحًا وهو أوساطه . وٱبْذَعَرَّت : تفرّقت . والفَوَارِق واحدها فارق ، وهو السحاب الذى ينقطع من مُعْظَم السحاب ، وهذا مَثَلٌ وأصله فى الإبل ، يقال : ناقة فارق ، وهى التى تَنِدُّ عن الإبل عند نتاجها ؛ قال الكسائىّ : فَرَقَتْ تَفْرُق فُروقا . وٱستطار : ٱنتشر . والوادِق : الذى يكون فيـه الوَدْق ، وهو المَطَر العظيم القطر ، ويكون الدانى من الأرض ، يقال : ودَقَ يَدِق اذا دنا ، والوَدِيقة من هذا ، وهى شدّة الحر ، لأن حرارة الشمس تدنو من الأرض . وٱرْتَتَقَتْ : ٱلتأمتْ . وجُوَبُه : فُرَجُه . وارْثَعَنَّ : اسـترخى . والهَيْدَب : الذى يتدلّى ويدنو من الأرض ، مثل هُدْب القَطِيفة . وحَشَكَت : ٱمتلأت ، قال زهير :

كما ٱسْـتَغَاث بِسِىٍّ فَزُّ غَيْطَلَةٍ * خافَ العيونَ فلم يُنْظَر به الحَشَكُ

قال الأصمعىّ : إنما هو الحَشْك فحرّكه للضرورة ، كما قال رؤبة :

* مُشْتَبِه الأعلامِ لَمّـاعِ الخَفَق *

وإنمـا هو الخَفْق . والخالف : ما يقبِض عليه الحالبُ من ضَرْع الشاة والبقرة والناقة . وٱستَقَلّت : ٱرتفعت . وأردافُه : مآخيرُه . والأكناف : النَّواحى . ومُرْتَجِس : مُصَوِّت ، والرِّجْس : الصوت . ومُخْتَلِس ، كأنه يختلس البصرَ لشدّة لمعانه . ومُنْبَجِس : منفجر . وأَتْرَعَ : ملأ . والغُدُر : جمع غَدِير . وٱنْتَبَثَ : أخرج نَبِيثَتها ، وهو تراب البئر والقبر . يريد أن هـذا المطر لشدّته هَدَمَ الوُجُر ، وهى جمع وِجَار ، وهو سَرَب الثّعلب والضَّبُع ، حتى أخرج ماداخلها من التراب . والأوعال : واحدها وَعِل ، وهو التيس الجبلىّ . والآجال : جمع واحدها إجْلٌ ، وهو القَطِيع من البقر . يريد أنه لشدّته حَمَلَ الوعولَ وهى تسكن الجبال ، والبقر وهى تسكن القِيعان والرمال ، فجمع بينهما . وقوله : وقَرَنَ الصِّيران

بالرِئال، فالصِّيران واحدها صُوارٌ وصِيَار أيضا ، وهو القطيع من البقر . والرِّئال : فراخ النَّعام ، واحدها رأْلٌ مهموز، فالرئال تسكن الجَلَد، والصيران تسكن الرمال والقيعان، فقرن بينهما . وهَدِير: صَوْت كهدير الإبل . والشِّراج : مَجَارِى المـاء من الحِرَار الى السهولة . والتِّلاع : مجارى ما آرتفع من الأرض إلى بطن الوادى، فإذا آتسعت التَّلْعة حتى تصير مثل نصف الوادى أو ثلثيه، فهى مَيْثاء، فإذا عَظُمَت فوق ذلك، فهى مَيْثاء جِلْواخ . والنَّبْع : شجر يتخذ منه القِسىُّ ينبت فى الجبال . والعُتُم: الزيتون الجبلىّ؛ قال الشاعر(١) :

تَسْتَنُّ بالضَّرْوِ منْ بَرَاقِش أو * هَيْلانَ أو ناضِرٍ من العُتُمِ

تستن : تستاك . والضرو : البُطْم، وهو الحبة الخضراء . والقُلَل : أعالى الجبال . والشُّمُّ : المرتفعة . والقِيعان : واحدها قاع، وهى الأرض الطيبــة الطين الحُرَّة . والصُّحْم : التى تعـلوها حمرة واحدها أصْحَم . والمُعْصِم : الذى قد تَمَسَّك بالجبال وآمتنع فيها، ويقال للرجل الذى يُمْسِك بعُرْف فَرَسه خوف السقوط : مُعْصِم؛ قال طُفَيْل :

اذا ما غدا لم يُسْقِط الرَّوْعُ رُمْحَه * ولم يشهد الهَيْجا بألْوَثَ مُعْصِم

وألْوث : ضـعيف . والمُجْرَنْثِم : المتقبض . والداحص : الذى يَفْحَص برجليه عنـد الموت؛ قال عَلْقَمة بن عَبَدَة :

رغا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السماء فداحِصٌ * بشِكَّتِه لم يُسْتَلَبْ وسَليب

والمُجَرْجَم : المصروع .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : سمعت أعرابيا من غَنِيٍّ يذكر مطرا صاب بلادَهم فى غِبِّ جَدْب فقال : تَدَارَكَ ربُّك خَلْقَــه وقد كَلِبت الأمحال ، وتقاصرت الآمال ، وعَكَفَ اليَاس، وكُظِمَت الأنفاس، وأصبح المـاشى مُصْرِما، والمُتْرِب مُعْدِما، وجُفِيَت الحلائل، وآمْتُهِنَت العَقائل، فأنشأ سحابا رُكَاما، كَنَهْوَرًا سَجَّاما، بُرُوقه متألِّقة، ورُعُوده مُتَقَعْقِعة، فَسَحَّ ساجيا راكدا، ثلاثا غير ذى فُوَاق، ثم أَمَرَ رَبُّك الشَّمال فَطَحَرت رُكَامه، وفَرَّقت جَهَامَه، فانقشع محمودا، وقد أحيا وأغنى، وجاد فأرْوَى، والحمد لله الذى لا تُكَتُّ نِعَمه، ولا تَنْفَد قِسَمُه، ولا يَخِيبُ سائلُه ولا يَنْزُر نائله .

(١) الشاعر هو النابغة الجعدىّ، كما فى اللسان مادة «برقش» .

قال أبو عليّ : قوله : صاب : جاد، والصَّوْب : المطر الجَوْد . وكَلِبَتْ : آشتدّت، وكذلك كَلِبَ الشتاء . والأمحال جمع مَحْل، وهو القحط . وعكف : أقام؛ قال الراجز :

مَحَلُّها إن عَكَفَ الشَّفيف * الزَّرْبُ والعُنَّة والكَنيف

الشفيف : البَرْد . والعُنَّة : الحَظيرة يحبس فيها الإبل، ومنه قيـل للبعير : مُعَنًّى، وهو الذى قد هاج فحُبس فى العُنَّة ، ويكون مُعَنًّى من التعنية وهو الحبس، وهذا هو الوجه، لأنه اذا جعـل مُعَنًّى من العُنَّة وجب أن يكون الأصل مُعَنَّنًا، ثم أبدل من النون الأخيرة ياء، كما فُعِل بتَظَنَّيْت، وأصـله تَظَنَّنْت . وكُظِمَت : ردّت إلى الأجواف ، يقال : كَظَم غَيْظَه اذا حبسه . والمـاشى : صاحب المـاشية، يقال : مَشَى الرجل وأَمْشَى اذا كثرت ماشيته؛ قال الشاعر(١) :

وكلُّ فَتًى وإن أَمْشَى وأَثْرَى * سَتَخْلِجُه عن الدُّنيـا مَنُون

والمُصْرِم : المقارِبُ المـال المُقِلُّ، كذا قال أبو زيد والأصمعىّ؛ وأنشدنا الأصمعىّ للعلوط :

يصـدُّ الكِرَامُ المُصْرِمُون سَوَاءها * وذو الحق عن أقرانهـا سَيَحِيد

والمُتْرِب : الغَنِيُّ الذى له المـال مثل التراب كثرة ، يقـال : أَتْرَبَ الرجلُ اذا آستغنى ، وتَرِب اذا آفتقر، كأنه لَصِق بالتراب . وآمْتُهِنَت : آستُخْدِمت وآعْتَمَلَتْ، يقال : مَهَنْت القومَ أَمْهَنهم مِهْنَة ومَهْنَة ومَهْنا ، أتَى بهـا اللحيانى ثلاثتها . والعَقَائل : الكرائم واحدتها عَقِيـلة . وأنشأ : أحدث . والنَّشْءُ : السحاب أوّل ما يخرج . والكَنَهْوَر : قِطَع كأنهـا الجبال ، واحدتها كَنَهْوَرة . وسَجّام : صَبّاب . ومُتَأَلِّقة : لامعة . ومُتَقَعْقِعة : مُصَوِّتة، والقَعْقَعه : صوت السلاح وما أشبهه، ويقال : إن قُعَيْقِعان ــ وهو جبل بمكة ــ سمى بذلك لتَقَعْقُع السلاح لحرب كانت فيه . وسَحّ : صَبَّ، سَحَحْته أسُحُّه سَحًّا؛ انشدنى أبو بكر بن دريد قال أنشدنى عبد الرحمن عن عمه :

ورُبَّتَ غارةٍ أَوْضَعْتُ فيهـا * كَسَحِّ الهَـاجِرِىِّ(٢) جَرِيمَ تَمْـــر

وساجٍ : ساكن، يقال : ليلة ساجِيَة وساكِرَةٌ وساكنة بمعنى واحد؛ قال الحادى(٣) :

ياحَبَّـذَا القَمْراءُ والليـلُ الساجْ * وطُرُقٌ مِثْـلُ مُـلَاء النَّسَّاج

(١) الشاعر هو النابغة الذبيانىّ كما فى اللسان مادة «مشى» . (٢) فى اللسان مادة (سحح) : «الخزرجىّ» والبيت لدريد بن الصمة . (٣) فى اللسان مادة (سجا) : «الحارثىّ» .

وراكد : ثابت . والفُوَاق : أن يَصُبَّ صَبَّةً ثم يسكن ثم يصب أخرى ثم يسكن، مأخوذ من فُوَاق الناقة، وهو ما بين الحَلْبتين، كأنه يُحْلَب حَلْبة ثم يسكن ثم يحلب أخرى ثم يسكن . وطَحَرَتْ: أذهبت وأبعدت، ومنه قيل : سَهْمٌ مِطْحَر اذا كان بعيد الذهاب؛ قال أبو كبير الهذلىّ :

لَمَّا رأى أن ليس عنهم مُقْصِرٌ * قَصَرَ الشِّمال بكل أبيض مِطْحَر

وركَامُه : ما تراكم منه . والجَهَام : السحاب الذى قد هَرَاق ماءه . وتُكَتُّ : تُحْصَى؛ أنشدنى أبو بكر بن دريد :

إلَّا بجَيْش لا يُكَتُّ عَدِيدُه * سُودِ الجلود من الحديد غِضابِ

ويَنْزُر : يَقِلُّ، ومنه قيل : آمرأة نَزُورٌ اذا كانت قليلة الولد .

وحدثنى غير واحد من أصحاب أبى العباس أحمد بن يحيى النحوىّ أنه قال : كُلُّ شىء يَعِزُّ حين يَنْزُرُ إلا العِلْم ، فإنه يَعِزُّ حين يَغْزُر . وقال الأصمعىّ : من أمثال العرب «أَسْمَعُ جَعْجَعَة ولا أرى طِحْنا» أى أسمع جَلَبةً ولا أرى عملا ينفع .

قال أبو علىّ : الجعجعة : صوت الرحا وما أشبه ذلك الصوتَ . والطِّحن : الدقيق . ويقال: «كِلَا جانبَىْ هَرْشَى لَهُنَّ طريقُ» يضرب مثلا للأمرين يشتبهان ويستويان أىَّ مَأْخَذٍ أَخَذْتَهُما . ويقال : «حِرَّةٌ تَحْتَ قِرَّة» يضرب مثلا للأمر يظهر وتحته أمْرٌ خَفِىٌّ غيره .

قال أبو على : الحِرَّة : حرارة العطش. والقِرَّة : البَرْد . ويقال : «ضِغْثٌ على إبَّالة» يضرب مثلا للرجل تُكَلِّفه الثِّقْل ثم تزيده على ذلك .

قال أبو علىّ : الإِبَّالةُ : الحُزْمة من الحطب . والضِّغْث : القُبْضة من الحشيش .

[مطلب الكلام على مادة ح س س]

وقال الأصمعىّ : يقال : «جِئْ به من حَسِّك وبَسِّك» أى من حيث كان ولم يكن ، وروى أبو نصر : من حيث شئت ، والمعنى واحد ، والحِسُّ والحَسِيس : الصوت ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ والحِسُّ : وجع يأخذ المرأة بعد الولادة . والحِسُّ : بَرْدٌ يُحْرِق الكَلَأَ .

ويقال : أصابتنا حاسّة، ويقال : البَرْد مَحَسَّة للنبت، أى يحرقه، ويقال : ضَرَبه فما قال : حَسِّ مكسور، وهى كلمة تقال عند الجَزَع، قال الراجز[1] :

فما أراهـــم جَزَعًا بِحَسِّ * عَطْفَ البَلايا المَسَّ بَعْدَ المَسِّ

ويقال: اشْتَرِ لى مَحَسَّةً للدابة . والحُسَاس : سَمَك صِغَار يجفف يكون بالبحرين . وقال اللحيانى : الحُسَاس : الشُّؤم والنَّكَد، وأنشدنا أبو زيد :

رُبَّ شَرِيبٍ لك ذى حُسَاسِ * أقْعَسَ يَمْشِى مِشْيَـةَ النِّفَـاسِ

* لَيْسَ بِرَيّان ولا مُوَاسِى *

ويقال : انْحَسَّت أسنانُه اذا تكسرت وتَحَاتَّتْ، قال العجاج :

فى مَعْدِنِ المُلْك القديم الكِرْسِ * ليس بمَقْـلُوعٍ ولا مُنْحَسِّ

ويقال : حَسَسْتُهم اذا قتلتهم، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ . ويقال : أحْسَسْتُ بالخبر وحَسَسْت به وأَحَسْت به وحَسِيت به، قال أبو زبيد :

خَلَا أن العِتَاق من المَطَـايا * حَسِينَ به فَهُنَّ إليه شُوسُ

ويقال : حَسَسْت له أَحِسُّ، أى رَقَقْت له، يقال : إنى لأَحِسُّ له، أى أَرِقُّ له وأَرْحَمُـه، قال القطامىّ :

أخوكَ الذى لا تَمْلِكُ الحِسَّ نَفْسُه * وتَرْفَضُّ عنـد المُحْفِظات الكَتَائف

والكَتَائف جمع كَتيفة، وهى هاهنا الحِقْـد . والكَتِيفة أيضـا : ضَبَّة الحـديد، وقال أبو نصر : الكَتيفة : بَيْضَة الحديد، ولا أعرف هذه الكلمة عن غيره . يقول : أخوك الذى إذا رآك فى شدة لم يَمْلِك أن يَرِقّ لك، وقال الأصمعىّ : يقال : إنَّ البَكْرِىَّ لَيَحِسُّ للسَّعْدِىّ، أى يَرِقُّ له . وقرأنا على أبى بكر بن دريد :

إذا تَجَافَيْنَ عن النَّسَائج * تَجَـافِىَ البِيض عن الدَّمالِج

يعنى : إبلا، يقول : بِهِنَّ جِراح من حُزُمِهِنَّ، فهن يَتَجَافَيْن عنها كما تَجَافَى النساء عن دَمَالِجِهن اذا بَرَدَت عليهن .

(١) الراجز هو العجاج كما فى اللسان مادة : «حسس» .

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه وقرأته على أبى عمر المطرز فى أمالى أبى العباس أحمد بن يحيى للحسين بن مطير الأسدى :

مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ * بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاء
كثُرَتْ لكثرة وَدْقه أطباؤه * فإذا تَحلَّب فاضَتِ الأطباء
فَلَهُ بلا حَزَنٍ ولا بمَسَرَّةٍ * ضَحِكٌ يُراوِح بَيْنَه وبكاء
وكأنَّ عارضَه حَرِيقٌ يَلْتَقى * أَشَبٌ عليه وعَرْفَجٌ وأَلَاء
لو كان من لُجَجِ السَّواحِلِ ماؤه * لم يَبْقَ فى لُجَجِ السواحل ماء

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا الرياشى عن أبى عبيدة لعَبيد بن الأبرص :

يامَنْ لِبَرْقٍ أَبِيتُ الليلَ أَرْقُبُه * فى عارِضٍ كَمُضِيءِ الصُّبْحِ لَمَّاح
دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدَبُه * يكاد يدفعه من قام بالراح
كأنَّ رَيِّقَه لما علا شَطِبًا(١) * أَقْرابُ أَبْلَقَ يَنْفِى الخيلَ رَمَّاح
يَنْزِعُ جِلْدَ الحَصَى أَجَشُّ مُبْتَرِكٌ * كأنه فاحِصٌ أو لاعِبٌ داحى
فَمَن بنَجْوَتِه كَمَنْ بمَحْفِلِه * والمُسْتَكِنُّ كَمَن يَمْشِى بقِرْواح
كأنَّ فيه عِشَارًا جِلَّةً شُرُفًا * شُعْثًا لَهَامِيمَ قد هَمَّتْ بإرشاح
هُدْلًا مَشَافِرُها بُحًّا حَناجِرُها * تُزْجِى مَرَابِيعَها فى صَحْصَحٍ ضاحى

وأنشدنا بعض أصحابنا لكُثَيِّر :

فالمُسْتَكِنُّ ومَنْ يَمْشِى بِنَجْوَتِه * سِيَّانِ فيه ومَنْ بالسَّهْلِ والجَبَل

وأنشدنا للحمانى :

دِمَنٌ كأنَّ رِياضَها * يُكْسَيْنَ أَعْلَامَ المَطارِف
وكأنَّما غُدْرانُها * فيها عُشُورٌ فى مصاحف
وكأنَّما أنوارُها * تَهْتَزُّ بالرِّيحِ العَوَاصِف
طُرَرُ الوَصَائف يَلْتَقِيـ * ـنَ بها الى طُرَرِ الوَصائف
باتَتْ سَوَارِيها تَمَخَّضُ فى رَوَاعِدِها القَوَاصِف

(١) شطب : جبل .

ثُمَّ انــبَرَتْ سَحًّا كما * كِيَـــةٍ بأرْبَعَـــة ذَوَارِف
وكأنَّ لَمْـــعَ بُـــرُوقِهـا * فى الجَوِّ أسْـياقُ المُثَاقِف

وأنشدنا أبو بكر لعبيد :

ســـقى الرَّبابَ مُجَـلْجِلِ الْأَكنافِ لمَّاعٌ بُرُوقُـــهْ
جَـــوْنٌ تُكَفْكِفُـــه الصَّبـا * وَهْنًـا وتَمْـرِيه خَرِيقُــه
مَرْىَ العَسِيفِ عِشـارَهُ * حَتَّى اذا دَرَّتْ عُرُوقُـــه
ودَنـــا يُضِىءُ رَبابُـــه * غابًا يُضَرِّمُـــه حَرِيقُــه
حَـــتَّى اذا ما ذَرْعُـــه * بالمـاء ضاق فمـا يُطِيقُــه
هَبَّتْ له مِنْ خَلْفِـــه * رِيحٌ شآمِيَـــةٌ تَسُـــوقه
حَلَّتْ عَزَالِيَـــه الجَنُـــو * بُ فَثَجَّ واهِيَـــةً خُرُوقُـــه

وقرأت على أبى بكر لكثير :

تَسْمَعِ الرَّعْـدَ فى المُخِيـلةِ منهـا * مِثْلَ هَزْمِ القُروم فى الأشْـوَال
وتَرَى البَرْقَ عارِضًا مُسْتَطِـــيرا * مَرَحَ البُـلْقِ جُلْنَ فى الأجْلال
أو مَصابِيـحَ راهِبٍ فى يَفَـاعٍ * سَغَّمَ الزَّيْتَ ساطعاتِ الذُّبَال

وقرأت عليه لكثير :

أهاجَكَ بَرْقٌ آخرَ اللَّيْلِ وَاصِبُ * تَضَـــمَّنَهُ فَرْشُ الجَبَا فالمَسَارِبُ
يَجُـــرُّ ويَسْـتَأْنِى نَشاصًا كأنَّه * بِغَيْقَةَ حادٍ جَلْجَلِ الصَّوْتِ جالِبُ
تألَّقَ واحْمَـــوْمَى وخَـــيَّمَ بالرُّبا * أحَمُّ الذُّرَى ذو هَيْدَبٍ مُتَراكِبُ
اذا حَرَّكَتْه الريحُ أرْزَمَ جانبٌ * بلا هَزَقٍ منــه وأوْمَضَ جانب
كما أوْمَضَتْ بالعَيْنِ ثم تَبَسَّمَتْ * خَرِيعٌ بدا منهـا جَبِينٌ وحاجِبُ
يمجُّ النَّدى لا يذكُر السيرَ أهــله * ولا يرجع المـاشى به وهو جادِبُ

وأنشدنا بعض أصحابنا لعبد الله بن المعتز :

ومُزْنَةٍ جادَ من أجفانهـا المَطَرُ * فالرَّوْضُ مُنْتَظِمٌ والقَطْرُ مُنْتَـثِرُ
تَرَى مَوَاقِعَهُ فى الأرض لائحــةً * مِثْلَ الدَّراهم تَبْــدُو ثم تَسْـــتَتِرُ

وأنشدنى له أيضا :

مـا تَرى نِعْمَةَ السَّماء على الأر * ض وشُكْرَ الرِّياض للأمطار
وكأنَّ الرَّبيع يجلو عروسا * وكأنَّا من قطْرِه فى نِثَار

وأنشدنى له أيضا :

ومُوقَرةٍ بِثِقْلِ الماء جاءت * تَهَادَى فوق أعناق الرياح
فجادَتْ لَيْلَهَا وَبْلًا وسَحًّا * وهَطْلًا مثل أفواه الجِراح

ولابن المعتز فى وصف السحاب :

كأن الرَّبَاب الجَوْنَ والفجرُ ساطع * دُخَانُ حَرِيقٍ لا يُضِيء له جَمْر

وأنشدنى بعض أصحابنا لأبى الغمر الجبلىّ :

نَسَجَتْه الجَنُوب وهو صَنَاعٌ * فَتَرَقَّى كأنّه حَبَشِىٌّ
وقَرَى كلَّ قَرْيةٍ كان يَقْرُو * هاقِرًى لا يَجِفُّ منه القَرِىُّ

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى فى صفة سحابة :

كأنَّه لَمَّا وَهَى سِقَاؤه * وانْهَلَّ من كلِّ غَمَامٍ ماؤه
* حَمٌّ اذا حَمَّشَه قَلَّاؤه *

قال ابو على : الحَمُّ : ما بَقِى من الشَّحْم اذا أُذيب . وحَمَّشَه : أحرقه . وأنشدنا محمد بن السرى السراج :

بدا البرقُ من أرض الحِجاز فَشَاقَنِى * وكلُّ حِجازىٍّ له البَرْقُ شائق
سَرَى مثل نَبْضِ العِرْقِ والليلُ دونه * وأَعْلامُ أُبْلَى كلها والأسالِقُ

قال أبو على : أخذه منه الطائى فقال :

اليك سَرَى بالمَدْح رَكْبٌ كأنهم * على المَيْس حَيّاتُ اللِّصَابِ النَّضَانِضُ
تَشِيمُ بُرُوقًا من نَدَاك كأنها * وقد لاح أُولاها عُرُوقٌ نَوابِض

وأنشدنى بعض أصحابنا :

أَرِقْتُ لبَرْق آخرَ اللَّيْل يَلْمَع * سَرَى دائبًا منها يَهُبُّ ويَهْجَع
سَرَى كاقْتِذَاء الطير والليلُ ضاربٌ * بأرْواقه والصبحُ قد كاد يَسْطَع

وأنشدنى أيضا بعض أصحابنا :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ سَرَى مَوْهِنًا * خَفِيٍّ كغَمْزِك بالحاجب
كأَنَّ تَأَلُّقَه فى السما * يَدَا حاسِبٍ أو يَدَا كاتب

ولأبن المعتز :

رأَيْتُ فيهـا بَرْقَهـا مُـنْذُ بَدَتْ * كمثل طَرْف العين أو قَلْبٍ يَجِبْ
ثم حَدَتْ بهـا الصَّـبا حتى بدا * فيها لِىَ البرقُ كأمثـال الشُّهُبْ
تَحْسَبُه فيهـا اذا ما انْصَـدَعَتْ * أحشاؤها عنه شُجاعًا يَضْطَرِب
وتارة تحسـبه كأنّه * أَبْلَقُ مـال جُلُّه اذا وَثَب
حتى اذا ما رَفَعَ اليـومُ الضُّحَى * حَسِبْتَه سَلاسِـلًا من الذهب

وينشد أصحاب المعانى :

نار تُجَـدِّد للعيـدان تُضْرِمُها * والنـارُ تَلْفَح عِيـدانًا فتحترق

وللطائى :

ياسَهْـمُ للبَرْقِ الذى استَطارا * ثابَ على رَغْـمِ الدُّجَى نهـارا
* آضَ لنـا ماءً وكان نارا *

وأنشدنى بعض أصحابنا لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أما تَرَى اليومَ قـد رَقَّتْ حَواشِيه * وقد دَعاك الى اللَّـذّات داعيـه
وجادَ بالقَطْـر حتى خِلْتُ أن له * إِلْفًـا نَآه فما يَنْفَـكُّ يَبْـكيه

[مطلب حديث الرواد الذين أرسلتهم مذحج ووصفهم الأرض لقومهم بعد رجوعهم]

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبى عن أبيه عن أشياخ من بنى الحارث بن كعب قالوا : أَجْدَبَتْ بلاد مَـذْحِج فأرسلوا رُوّادا من كل بطن رجلا، فبعثتْ بنو زَبيد رائدًا، وبعثت النَّخَع رائدا، وبعثت جُعْفِىٌّ رائدا؛ فلما رجع الرُّوّاد قيـل لرائد بنى زبيـد : ما وراءك؟ قال : رأيت أرضًا مُوشِمَةَ البِقاع ، ناتِحَةَ النِّقاع، مُسْتَحْلِسَةَ الغِيطان، ضاحكَةَ القُرْيان؛ واعدةً وأَحْرِ بوفائها، راضيةً أرضُها عن سمائها . وقيل لرائد جعفى : ما وراءك؟ قال : رأيت أرضا جَمَعَت السماءُ أقطارَها، فأَمْرَعَتْ أَصْبارَها، ودَيَّثَتْ أَوْعَارَها؛ فبُطْنانُها غَمِقَة، وظُهْرانُها غَدِقَة،

ورياضُها مُسْتَوسِقة، ورَقَاقُها رائح، ووَاطِئُها سائخ، وماشيها مَسْرور، ومُصْرِمُها محسور. وقيل للنَّخَعِيّ: ما وراءك؟ فقال: مَدَاحِي سَيْل، وزُهَاء لَيْـل، وغَيْلٌ يُواصي غَيْلا، قد ٱرْتَوَتْ أجرازُها، ودُمِّثَ عَزَازُها — وقال مرة: ودَمِثَ — والْتَبَدَتْ أقوازُها، فرَائِدُها أَنِق، ورَاعِيها سَنِق، فلا قَضَض، ولا رَمَض، عازِبُها لا يُفْزَع، ووارِدُها لا يُنْكَع، فاختاروا مَرَادَ النَّخَعِي.

قال أبو على: قال الأصمعيّ: أَوْشَمَت السماءُ اذا بدا فيهـا برق، وأَوْشَمَت الأرضُ اذا بدا فيهـا نَبْتٌ، وأنشد:

* كَمْ من كَعَابٍ كالمَهَاةِ المُوشِمِ (١) *

وهى التى قد نبت لها وَشْمٌ من النبات تَرْعى فيه، هـذا قوله فى كتاب الصفات، وقال فى كتاب النبات: أَوْشَمَت الأرضُ اذا بدا فيها شيء من النبات. ونائحَة: راشِحة، كذا قال أبو بكر. وقال: المُسْتَحْلِسة: التى قد جَلَّلت الأرضَ بنباتها، وقال الأصمعيّ: ٱسْتَحْلَس النَّبْتُ اذا غَطَّى الأرض أو كاد يغطِّيها، والمعنى واحد. والقُرْيان: مجارى المـاء الى الرِّياض، واحدها قَرِيٌّ، وقرأت على أبى بكر فى كتاب الصفات للعجاج:

* مَاءُ قَرِيٍّ مَدَّهُ قَرِيُّ *

وواعدة: تَعِدُ تمامَ نباتها وخيْرِها، وأنشد الأصمعى:

رَعَى غَيْرَ مَـذْعُورٍ بهـنّ وراقَهُ * لُعَـاعٌ تَهَـاداه الدَّكَادِكُ واعِدُ (٢)

وأَحْرِ: أَخْلِق. والسماء: المطر هاهنا، يريد أن المطر جاد بها فطال النبت فصار المطر كأنه قد جَمَعَ أكنافَه، وأنشد ٱبن قُتَيبة:

اذا سَقَط السماءُ بأرْضِ قَـوْمٍ * رَعَيْنـاه وإن كانوا غِضَـابا (٣)

وقال أبو بكر: يقال: ما زلنا نَطَأُ السماء حتى أتيناكم، أى مَوَاقِع الغيث. وأَمْرَعَتْ: أَعْشَبَتْ وطال نباتها، يقال: أَمْرَع المكان ومَرُع، فهو مُمْرِع ومَرِيع، قال الشاعر:

يُقيم أمورَها ويَذُبُّ عنهـا * ويترك جَدْبَهـا أَبَدًا مَرِيعًـا

(١) ويروى: المرشم بالراء، وقائله أبو الأخزر الحمانى كما فى اللسان مادة: «رشم». (٢) البيت لسويد بن كراع يصف ثورا وكلابا كما فى اللسان مادة: «لعع». (٣) البيت لمعود الحكماء معاوية بن مالك وسمى معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة:

أعوّد مثلها الحكماء بعـدي * اذا ما الحق فى الحدثان نابا

كذا فى اللسان مادة: «سما».

والأَصْبار : نواحى الوادى ماعلا منه . . ودُيِّثَتْ : لُيِّنت . والأوعار جمع وَعْر ، وهو الغِلَظ والخُشُونة . والبُطْنان جمع بَطْن ، وهو ماغَمُض من الأرض . وغَمِقة : نَدِيَّة ، كذا قال أبو بكر ، وروى أبو عبيد عن الأصمعىّ فى صفة الأَرَضين : فإن أصابها نَدًى وثِقَلٌ وَوَخامَةٌ فهى غَمِقَةٌ ، وذكر الحديث : "إنَّ الْأُرْدُنَّ أرضٌ غَمِقَةٌ وإن الجابيــةَ أَرْضٌ نَزِهَةٌ" أى بعيــدة من الوباء . والظُّهْران جمع ظَهْر ، وهو ماأرتفع يسيرا . وغَدِقة : كثيرة البلل والمــاء . ومُسْتَوْسِقة : منتظمة . والرَّقَاق : الأرض اللينة من غير رمل . ورائخ : مُفْرِط اللِّين ، يقال : رَيَّخت العَجِينَ اذا كَثَّرت ماءه ، وراخَ العَجِينُ يَرِيخ . وقوله : وواطئها سائخ ، أى تَسُوخ رجلاه فى الأرض من لينهــا ، تَسُوخ وتَثُوخ بمعنى واحد ؛ وحدثنى أبو بكر قال : قال الأصمعىّ : لم يكن لأبى ذؤيب بَصَرٌ بالخيل لقوله :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لهــا فَشُرِّجَ لَحْمُها * بالنَّىّ فَهْىَ تَثُوخ فيهــا الإصْبَعُ

قال : وهذا عَيْب فى الفرس أن يكون رِخْوَ اللحم . والمــاشى : صاحب المــاشية . والمُصْرِم : المُقِلُّ المُقارِب المــال . ومَدَاحِى : مفاعل من دَحَوْته إذا بسطته ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ أى بَسَطَها ، ودَحَوْتُ الكُرَة اذا ضربتها حتى تســير على وجه الأرض . وقوله : وزُهَاءُ ليل ، فالزُّهاء : الشخص ، وإنمــا جعل نباتها زُهَاءَ ليل لشدة خضرته . والغَيْلُ : المــاء الجارى على وجه الأرض ، وفى الحديث : "ما سُقِىَ بالغَيْل ففيــه العُشْرُ وما سُقِى بالدَّلْو فنِصْف العشر" . ويُوَاصِى : يُواصِل . والأجراز جمع جُرُز ، وهى التى لم يُصِبْها المطر ، ويقال : التى قد أُكل نباتُها . ودُمِّث : لُيِّن ، ودَمِثَ : لانَ . والعَزَازُ : الصُّلْب السريع السيل ، وكذلك النَّزْلُ والجَلَدُ . والأقواز جمع قَوْز ، قال الأصمعىّ : القَوْز : نَقًى يستدير كالهلال ، وجمعه أقواز وقِيزان ؛ وأنشد الأصمعىّ قول الراجز :

لمــا رَأَى الرَّمْلَ وقِيزَانَ الغَضَى * والبَقَــرَ المُلَمَّعَــاتِ بالشَّوَى

* بَكَى وقال هل تَرَوْن ما أَرَى *

أَنِق : مُعْجَب بالمَرْعَى . وراعيها : الذى يَرْعاها . والسَّنِق : البَشِم . والقَضَض : الحَصَى الصِّغار ، يريد أن النبات قد غَطَّى الأرض فلا ترى هناك قَضَضا ؛ قال أبو ذؤيب :

أَمْ ما لجَنْبِك لا يُلائم مَضْجَعا * إلا أَقَضَّ عليك ذاك المَضْجَع

والرَّمَض : أن يَحْمَى الحَصَى والحجارةُ من شدة الحر، يقول : فليس هناكَ رَمَضٌ لأن النبات قد غطَّى الأرضَ . والعازب : الذى يَعْزُب بإبله ، أى يَبْعُـد بها فى المرعى . ويُنْكَع . يُمْنَع، يقول : الذى يَرِدُها لا يُمْنَع . وقرأنا على أبى بكر بن الأنبارى :

مَسَحُوا لِحَاهم ثم قالوا سَالِمُوا * يالَيْتَنِى فى القوم اذ مَسَحُوا اللِّحَى

يقول : إنهم اجتمعوا للصلح عنـد الطمأنينة لَمَّا أخذوا الدية ورَضُوا بهـا فمسحوا لحاهم، ثم قال بعضهم لبعض : سَالِموا، وذلك أن الرجل لا يَمْسح لحيته إلا عند الرضا، فقال : ياليتنى كنت فيهم حتى لا أرضى بما يصنعون .

وأنشدنا ابن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوىّ عن ابن الأعرابىّ :

سَـقَى اللهُ حَيًّـا بَيْنَ صارةَ والحِمَى * حِمَى فَيْدَ صَوْبَ المُدْجِناتِ المَواطِرِ

أَمِينَ فَأَدَّى اللهُ رَكْبًا اليهـمُ * بِخَـيْرٍ وَوَقَّاهُـمْ حِمَامَ المَقَـادِرِ

كأَنِّى طَرِيفُ العَيْنِ يومَ تَطالَعَتْ * بنا الرَّمْلَ سُلَّافُ[1] القِلَاصِ الضَّوامِرِ

حِذَارًا على القلب الذى لا يَضِيره * أَحَاذَرَ وَشْـكَ البَيْنِ أم لم يُحَـاذِرِ

أَقُـول لقَمْقَامِ بن زَيْدٍ أما ترى * سَنا البَرْق يَبْـدُو للعيون النواظر

فإن تَبْكِ للبَرْقِ الذى هَيَّجَ الهَوَى * أُعِنْكَ وإن تَصْـبِرْ فلستُ بصابر

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء قال أنشدنا إبراهيم بن سهيل لجميل بن معمر العُذْرى — قال أبو على : وليست هذه الابيات فى شعر جميل — :

خَلِيـلَىَّ هـل فى نَظْرة بعـد تَوْبةٍ * أُداوِى بهـا قلبى عَـلَىَّ فُجُـورُ

الى رُجُحِ الأكفال هِيفٍ خُصورُها * عِذَابِ الثَّنايا رِيقُهُنَّ طَهُـور

تَذَكَّرْت مَن أَضْحَتْ قُرَى اللُّدِّ دونَه * وهَضْبٌ لِتَيْمَا والهِضابُ وُعُـور

فَظَلَّتْ لِعَيْنَيْـكَ الجُوجَيْنِ عَبرةٌ * يُهيِّجها بَرْحُ الهَـوَى فتَـمُور

على أننى بالـبَرْقِ من نَحْـوِ أرضها * اذا قَصُرَتْ عنـه العُيون بَصِـير

(١) كذا هو فى الأصـل . وفى معجم ياقوت، (ص ٣٦١ ج ٣) سلان ، بالنون بدل الفاء . وهذه الأبيات لمحمد بن عبد الملك الفقعسى .

وإنى اذا ما الرِّيحُ يوما تَنَسَّمَت * شآمِيَــةٌ عادَ العِظَـامَ فُتُــور
ألا يا غُرابَ البَيْنِ لَوْنُك شاحب * وأنتَ بَرْوعاتِ الفِـراق جَـدِير
فإن كان حَقًّا ما تَقـول فأصبحت * هُمومُك شَتَّى والجَناح كَسِير
ودُرْتَ بأعــداء حَبِيبُـك فيهـم * كما قـد تَرانى بالحَبِيب أدُور
وكَيْفَ بأعداء كأنَّ عيونهـم * اذا حانَ إتْيـانى بُثَيْنَـةَ عُور
فإنى وإن أصبحت بالحبِّ عالمـا * على ما يَعْنِيني من قَذًى لَخَبِير

قال الأصمعىّ : من أمثال العرب : «إنَّ البَغَاثَ بأرضِـنا يَسْتَنْسِر» يضرب مثلا للرجل يكون ضعيفا ثم يَقْوَى .

قال أبو على : سمعت هــذا المثل فى صباى من أبى العباس وفسره لى فقــال : يعود الضعيف بأرضنا قويا ؛ ثم سألت عن أصــل هذا المثل أبا بكر بن دريد رحمــه الله فقال : البَغَاثُ ضِـعَاف الطير، والنَّسْر أقوى منها، فيقول : إن الضعيف يصير كالنَّسْر فى قُوَّته . ويقال : «لو أَجِدُ لشَفْرة مَحَزًّا» أى لو أجد للكلام مَسَاغا . ويقال : «كأنَّمـا قُدَّ سَيْرُه الآن» يقال للشيخ اذا كان فى خِلْقة الأحداث . ويقال : «يَجْرِى بُلَيْقٌ ويُذَمُّ» يضرب مثلا للرجل يُحْسِن ويُذَمّ. ويقال : «خُذْ ما قَطَعَ البَطْحاء» أى خذ ما آستطاع أنْ يمشى فيخوض الوادى . والبطحاء : بطن الوادى . ويقال : «ماَيُنْدِى رَضْفةً» أى لايخرج منه من البلل مايُنْدِى الرَّضْفة . ويقال : «لايَبِضُّ حَجَرُه» أى لايخرج منه خير، يقال : بَضَّ المـاءُ اذا خرج قليــلا قليلا . والبَضُوض من الآبار : التى يخرج ماؤها قليلا قليلا ، وكذلك البَرُوض والرَّشُوح والمَكُول ، والعرب تقول : قد آجتمعت فى بئرك مُكْلَةٌ نَخُذْها ؛ أى ماء قليل .

[مطلب الكلام على مادة ع ق ب]

قال الأصمعىّ : عَقَبت الخَوْق، وهى حَلْقة القُرْط، وهو أن يُشَدَّ بالعَقَب اذا خَشُوا أن يَزِيغ ؛ وأنشــد :

كأنَّ خَوْقَ قُرْطِها المَعْقُوب * على دَبَاةٍ أو على يَعْسُــوب (١)

(١) البيت لسيّار الأبانىّ كما فى اللسان مادّتى : « عقب » و «خوق» .

وعَقَبْت القِدْح بالعَقَب، مثلُه . وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : عَقَّب قِدْحَه يُعَقِّبه تَعْقيبا اذا شَدَّ عليه عَقَبا . وقال اللحيانى : عَقَب قِـدْحَه يعْقُبه عَقْبا اذا انكسر فَشَدَّه بعَقَب ، وكذلك كل ماتكَسَّر فَشُدّ. وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : عَقَبَ يَعْقُب عَقْباً ، وهو ماءٌ يجىء بعد ماء، أو جَرْىٌ بعد جَرْىٍ، ويقال : لهذا الفرس عَقْبٌ . وحدثنى أصحاب أبى العباس قالوا قال أبو العباس أحمد بن يحيى قال عُمارة بن عُقَيل بن بلال بن جرير فى قول سلامة [ابن جندل] (١) :

وَلَّى الشَّبابُ وهذا الشَّيبُ يَطْلُبه * لو كان يُدْرِكُه رَكْضُ اليَعاقِيب

قال : اليَعاقِيب : ذوات العَقْب من الخيل. وقال اللحيانى : فَرَسٌ ذو عَقْب اذا كان له عَدْوٌ بعد عَدْو. وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : عاقَبَ يُعاقِب مُعاقَبة اذا رَاوَح، يقال : عاقَبَ بَيْنَ رِجْلَيْه، وعاقَبَ زَميلَه ، ويقال : مَتَى عُقْبَتُك؛ قال ذو الرمة :

أَلْهاهُ آءٌ وتَنُّـومٌ (٢) وعُقْبَتُـهُ * مِنْ لائح المَرْوِ والمَرْعَى له عُقَبُ

وقوله : وعُقْبتُه، يقول : يَرْعَى فى هذا مَرَّةً وفى هذا مرة . وقال اللحيانى : أَعْقَبْتُ فلانا من الركوب اذا نَزَلْتَ رَكِب، ويقال : عاقَبْتُه فى هذا المعنى اذا رَكِبْتَ عُقْبةً وحَمَلْتَه عُقْبة . وقال أبو عبيد — رحمه الله — عن الأصمعىّ : أَعقَبْتُ الرجلَ اذا رَكِبْتَ عُقْبة ورَكِبَ عُقْبة، وقال : قال غير واحد : عاقَبْتُ الرجلَ من العُقْبة . قال : وقال الأصمعىّ : ويقال : أَكَل أُكْلةً أَعقَبَتْه سَقَما، والعَقِبُ : الوَلَد يَبْقَى بعد الإنسان ، وعَقِبُ القَدَمِ : مؤَخَّرُها ، وفرس ذو عَقِب، قال : ومن العرب من يجزم القاف فى هـذه الثلاث . وقال أبو زيد : جئت على عُقْب رمضان وفى عُقْبه اذا جئت وقد مَضَى الشهرُ كُلُّه، وجئت على عَقِب رمضان وفى عَقِبه اذا جئت وقد بَقِيَتْ أيامٌ من آخره . وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : عَقَّب يُعَقِّب تَعْقيبا اذا ما غَزَا ثم ثَنَّى من سَنَته . قال طُفَيل الغَنَوىّ :

عَناجيجُ من آل الوَجيهِ ولاحِقٍ * مَغَاوِير فيها لِلأَرِيب مُعَقَّب

وأَعقَب يُعْقِب إعقابا اذا تَرَك عَقِبا، قال طفيل :

كَرِيمة حُرِّ الوَجْهِ لم تَدْعُ هالكًا * من القوم هُلْكًا فى غَدٍ غيرَ مُعْقِب

قال أبو بكر : وروى أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر، وروى أبو العباس ثعلب عن أبى نصر: غير معقب، يقول : لم تَقُل : وافُلانَاه قَطُّ إلا وقد بَقِىَ من يقوم مكانه، قال أبو عبيد عن

(١) الزيادة عن اللسان مادة : « عقب » . (٢) الآء : مرشجر، والتنوم : شجر .

الأصمعيّ: عَقَبْتُ الرجلَ فى أهله اذا بَغَيْته بشَرّ وخَلَفْته، وعَقَبْتُ الرجل: ضَرَبْتُ عَقِبه وعَقْبَه جميعا. وقال أبو نصر عن الأصمعيّ: العُقَاب: الرّاية. قال الأصمعيّ: يقال للحجر النادر فى طَيِّ البئر: العُقَاب أيضا. والعُقْبة: ما بَقِى فى القِدْر من المَرَق، وجمعها عُقَبٌ، قال دريد بن الصِّمّة:

اذا عُقَبُ القُدُور عُدِدْنَ مالا * يُحِبُّ حَلائِلُ الأَبْرَامِ عِرْسى

وقال اللحيانى: يقال لما ٱلتصق فى أسفل القِدْر من محترق التَّابَل وغيره: عُقْبة. وقال أبو نصر عن الأصمعيّ: العُقْبُ: العاقبة، قال الله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ويقال: ٱحذر عُقُوبةَ الله وعِقَابَه. وعُقْبه. وعِقْبَةُ الجَمَال: أثَرُه وهيئته. وقال اللحيانى: عليه عِقْبة السَّرْوِ والكَرَم اذا كان عليه سِيمَا ذلك. قال: وعِقْبة القَمَر: عَوْدَتُه، وأنشد:

لايُطْعِمُ(١) الغِسْلَ والأَدْهَانَ لِمَّتَه * ولا الذَّرِيرَةَ إلا عِقْبَةَ القَمَر

وحدّثنى أبو عمر المطرز وعبد الله الورّاق قالا حدّثنا أبو عمرو بن الطوسى أن أباه قال: سمعنا عُقْبة القمر بالضم. ويقال: العُقْبَى لك فى الخير، والعُقْبَى الى الله، أى المَرْجِع الى الله. وحكى الكسائىّ: وهو خَيْرٌ لك فى العُقْبَى والعُقْبان، أى فى العاقبة. ويقال: أَعْقَبَ الرجلُ يُعْقِب إعْقابا اذا رَجَع الى خير، وعَقَبَ الشَّيْبُ بعد السواد يَعْقُب عُقُوبا اذا جاء بعده. ويقال فيه أيضا: عَقَّب يُعَقِّب تَعْقِيبا اذا جاء بعده تَخَلَّفه، وكذلك كلُّ شيء خَلَفَ شيئا فقد عَقَبَه وعَقَّبه. ويقال: عَقَبَت الإبلُ اذا تحوّلت من مكان الى مكان تَرْعَى فيه. ويقال: أَعْقَبْته خيرا وشرا بما صَنَع، ويقال: عاقَبْته بذنبه عِقَابا شديدا. ويقال: عَقَب فلانٌ يَعْقُب عَقْبا اذا طلب مالا أو شيئا، وأَعْقَب هذا هذا اذا ذهب الأوّلُ فلم يبق منه شيء وصار الآخر مكانه. ويقال: عَقَبَ هذا هذا اذا جاء وقد بَقِيَ من الأول شيء. ويقال: جئت على عُقُب ذلك بالتثقيل، وعُقْب ذلك بالتخفيف، وعلى عَقِب ذلك بالتثقيل، وعَقْب ذلك بالتخفيف، وعُقْبان ذلك. قال: والعاقِبَةُ: الوَلَد.

أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى ٱبن الأعرابىّ:

أَيَا وَالِيَىْ سجن اليمامة أَشْرِفا * بِيَ القَصْرَ أَنْظُرْ نَظْرَةً هل أَرَى نَجْدا

فقال اليَمَامِيَّان لَمَّا تَبَيَّنا * سَوابِق دَمْع ما مَلَكْتُ لها رَدّا

(١) هكذا فى الأصل، وفى اللسان مادة «عقب»:

لا تَطْعَمُ المسكَ والكافورَ لِمَّتُه * ولا الذريرةَ إلا عُقْبةَ القمر

وفسره بأن «العقبة» بالضم نجم يقارن القمر فى السنة مرة. والبيت لبعض بنى عامر.

أَمِنْ أَجْلِ أَعرابيَّةٍ ذات بُرْدةٍ * تُبَكِّى على نَجْد وتَبْلَى كذا وَجْدا
لَعَمْرِى لَأَعْرابيَّةٌ فى عَبَاءة * تَحُلُّ دِماثًا مِنْ سُوَيْقةَ أو فَرْدا
أَحَبُّ الى القلب الذى لَجَّ فى الهوى * من اللابسات الرَّيْطَ يُظْهِرْنَه كَيْدا

وقرأت على أبى بكر بن دريد لمَعْدان بن مُضَرِّب الكِنْدى :

إنْ كان ما بُلِّغْت عَنِّى فلامَنى * صَدِيق وشَلَّتْ من يَدَىَّ الأنامِلُ
وكَفَّنْتُ وَحْدِى مُنْذِرا فى رِدَائه * وصادَفَ حَوْطًا من أَعادِىَّ قاتلُ

وأنشدنى الرياشىّ لأعرابىّ :

وفى الحِيرة الغَادِينَ مِنْ بَطْن وَجْرةٍ * غَزَالٌ أَحَمُّ المُقْلَتَيْن رَبِيب
فلا تَحْسَبِى أنَّ الغريبَ الذى نَأَى * ولكنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عنه غَرِيب

وقرأت عليه لأعرابىّ :

هَجَرْتُك أيّاما بذى الغَمْرِ إنّنى * على هَجْرِ أَيّامٍ بذى الغَمْرِ نادم
وإنّى وذاك الهَجْرَ لو تَعْلَمِينَه * كَعَازِبةٍ عن طِفْلها وهْىَ رائم

الرائم : التى تَرْأَم ولدَها .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا عبد الله بن خلف لقيس بن ذريح :

هَبِينِى آمْرأً إن تُحسنِى فَهْوَ شاكِرٌ * لذاك وإن لم تحسنى فهو صافح
وإن يَكُ أقوامٌ أساءوا وأَهْجَرُوا * فإنّ الذى بينى وبَيْنَك صالح
ومَهْمَا يَكُنْ فالقلب يا لُبْنَ نَاشِرٌ * عليك الهوَى والجَيْبُ ما عِشتُ ناصح
وإنّكَ من لُبْنَى العَشيَّةَ رائحٌ * مَريضُ الذى تُطْوَى عليه الجوانح

[مطلب حديث الجوارى الخمس اللاتى وصفن خيل آبائهن]

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنى عمِّى عن أبيه عن آبن الكلبىّ عن أبيه قال : آجتمع خَمْسُ جوارٍ من العرب فَقُلْن : هَلُمَّمْنَ نَصِف خيل آبائنا . فقالت الأولى : فَرَس أبى وَرْدة، وما وَرْدة! ذاتُ كَفَلٍ مُزَحْلَقٍ، ومَتْنٍ أَخْلَقَ، وجَوْفٍ أَخْوَق، ونَفْسٍ مَرُوح، وعَيْنٍ طَرُوح، ورِجْلٍ ضَرُوح، ويَدٍ سَبُوح، بُدَاهتها إهذاب، وعَقْبها غلاب. وقالت الثانية : فرس أبى اللَّعَّاب، وما اللَّعَّاب!

غَبْيَةُ سَحاب، وٱضطرامُ غاب، مُتْرَصُ الأَوْصال، أَشَمُّ القَذَال، مُلَاحَكُ المَحَال، فارسُه مُجِيد، وصَيْدُه عَتِيد، إنْ أَقْبَل فَظَبْيٌ مَعَّاج، وإن أَدْبَر فَظَلِيم هَدَّاج، وإن أَحْضَر فَعِلْجٌ هَرَّاج . وقالت الثالثة : فَرَسُ أبي حُذَمة، وما حُذَمة! إن أقبلَتْ فَقَنَاةٌ مقوَّمة، وإن أَدْبَرَتْ فأُثْفِيَّة مُلَمْلَمة، وإن أَعْرَضَتْ فذِئْبَةٌ مُعَجْرَمة؛ أَرْساغُها مُتْرَصة، وفُصُوصها مُمَعَّصة، جَرْيها ٱنْثِرار، وتَقْرِيبُها ٱنْكِدَار. وقالت الرابعة : فَرَسُ أبي خَيْفَق، وما خيفق! ذات ناهِقٍ مُعْرَق، وشِدْقٍ أَشْدَق، وأَدِيم مُمَلَّق؛ لها خَلْقٌ أَشْدَف، ودَسِيعٌ مُنَفْنَف، وتَلِيلٌ مُسَيَّف؛ وَثَّابة زَلُوج، خَيْفانة رَهُوج؛ تَقْرِيبُها إهْماج، وحُضْرها ٱرْتِعاج . وقالت الخامسة : فَرَسُ أبي هُذْلُول، وما هُذْلُول! طَرِيدُه مَحْبول، وطالبُه مَشْكُول؛ رَقِيق المَلَاغِم، امِين المَعَاقِم؛ عَبْلُ المَحْزِم، مِخَدٌّ مِرْجَم؛ مُنِيف الحارك، أَشَمُّ السَّنَابِك؛ مَجْدُول الخَصَائل، سَبِطُ القَلَائل؛ غَوْجُ التَّلِيل، صَلْصال الصَّهِيل؛ أَدِيمُه صاف، وسَبِيبُه ضاف، وعَفْوُه كاف .

قال أبو علي : المُزَحْلَق : المُمَلَّس الذى كأنّه زُحْلُوقة، وهى آثار تزلّج الصبيان من فوق إلى أسفل . والأخلق : الأملس، ومنه قيل : صَخْرة خَلْقاء . وأَخْوَق : واسع؛ وقال أبو عبيدة عن أبي عمرو : الخَوْقاء : الصَّحْراء التى لا ماء بها، ويقال : الواسعة . ومَرُوح : كثيرة المَرَح . وطَرُوح : بَعِيدة مَوْقِع النظر . وضَرُوح : دَفُوع، يريد أنها تَضْرَح الحجارة برجليها اذا عَدَتْ . وسَبُوح : كأنّها تَسْبَح فى عَدْوِها من سرعتها . وبُدَاهَتُها : فُجَاءَتها، والبُدَاهة والبَدِيهة واحد . والإِهْذاب : السرعة، يقال : أَهْذَب الفَرَسُ إهْذابا فهو مُهْذِب . والعَقْب : جَرْىٌ بعد جَرْى . وغِلَاب، مصدر غالبته مُغالَبة وغِلَابا، كأنها تُغَالِب الجَرْى . والغَبْية : الدُّفْعة من المطر . والغابُ جمع غابة، وهى الأَجَمة . ومُتْرَص : مُحْكَم، أَتْرَصْتُ الشىء : أَحْكَمْته . وأَشَمُّ : مرتفِع . والقَذَال : مَعْقِد العِذار . ومُلَاحَك : مُدَاخَل، كأنه دُوخِل بعضُه فى بعض . والمَحَال جمع مَحَالة، وهى فَقَار الظَّهر، وواحدة الفَقَار فَقَارة . وحدثنى أبو بكر قال : ذكر الأصمعىّ أنه رأى فَقَار فرسٍ مَيِّت فإذا ثلاث فِقَر من عَظْم واحد، وكذا تكونُ العِرَابُ فيما ذَكَروا . ومُجِيد : صاحب جَوَاد . وعَتِيد : حاضر . قال أبو عبيدة : مَعَجَ الفرسُ اذا ٱعْتَمد على إحدى عِضَادَتَى العِنَان مرة فى الشِّق الأيمن ومرة فى الشق الأيسر، وقال الأصمعىّ : يقال : مَعَجَ فى سيره وعَمَجَ اذا أَسْرَع . وهَدَّاج : فعّال من الهَدْج، وقال الأصمعىّ : الهَدْج : المَشْى الرُّوَيْد، ويكون السـ[illegible] .

قال أبو على : وقال لى أبو بكر : الهَدْج والهَدَجان : مَشْيُ الشيخ اذا أسرع عن غير إرادة، قال وحدثنا أبو حاتم قال : نَهَضَ أبو العباس سُرَّانُ ابن عمّ الأصمعىّ من عنده يوما فأتْبَعَه بصرَه فقال : هَدَج أبو العباس هَدَج، ثم أنشدنا :

ويأخذه الهُـــدَاجُ اذا هَدَاه * ولِيـدُ الحَىِّ فى يَدِهِ الرداءُ (١)

وأنشدنى أبو بكر :

وهَدَجانًا لم يكن من مِشْيَتِى * كَهَدَجانِ الرَّأْلِ خَلْفَ الهَيْقَتِ (٢)

قال أبو نصر : هَرِجَ الفرسُ يَهْرِج هَرْجا اذا كان كثير الجَرْى، وإنه لِمِهْرَج وهَرَّاج، قال أوس :

فأعْقَبَ خَيْرًا كُلُّ أهْوَج مِهْرَجٍ * وكُلُّ مُفَــدَّاة العُلالة صِــلْدِمِ

أهوج : يعنى فرسا، أى أعْقَبَ خيرا ممــا أقاموا عليــه وصَنَعوه . والأهْوَج : الذى يَرْكَب رأسَــه فيمضى . ومُفَدَّاة العُلَالة، والعُلَالةُ : الجرى الذى بعد الجرى الأوّل، فيقال لهــا اذا طلبت عُلَالتها وَيهًا فِدًا لك . والصِّلْدِم : الشديدة، قال الراجز :

* منْ كُلِّ هَرَّاجٍ نَبِيلٍ مَحْزِمُهْ *

والعِلْج : الحمار الغليظ . وحُذَمــة فُعَــلة من الحَذْم، قال أبو بكر : الحَــذْم : السُّرْعة، وقال غيره : الحَذْم : القَطْع، ومنه قول عمر — رحمه الله — فى الأذان : فإذا أقَمْتَ فاحْذِمْ . وقولهــا : قَقَناةٌ مُقَوَّمة، تريد أنها دقيقة المُقَدَّم، وهو مدح فى الإناث . والأُثْفِيَّة : واحدة الأثافى . ومُلَمْلَمة : مجتمعة، تريد أنها مدوّرة المُؤَخَّر، لأن الأثافى تُخْتار مُدَوَّرة . وقولهــا : مُعَجْرَمة، قال أبو بكر : العَجْرَمة : وَثْبٌ كَوَثْبِ الظَّبْى، ولا أعرف عن غيره فى هذا الحرف تفسيرا . ومُمَحَّصة : قليلة اللحم قليلة الشَّعَر، ومَحِص الجِلْد اذاسَقَط شــعره وٱمْلاسّ . وٱنثرار، قال أبو بكر : ٱنصباب، كأنه يَثُرُّه ثَرًّا . وخَيْفَق فَيْعَل، من الخَفْق وهو السرعة، وقال أبو بكر : والخَفْق أيضا : ٱضطراب السَّراب فى الهاجرة .

قال أبو على : ويقال : خَفَق النجم اذا غاب، وخَفَق الرجــلُ اذا ٱضطرب رأسُه من شــدّة النعاس . والناهِقان : العَظْمان الشاخصان فى خَدَّىِ الفرس . ومُعْرَق : قليل اللحم . وقال أبو عبيدة :

---

(١) البيت للحطيئة كما فى اللسان مادة : « هدج » . (٢) قال فى اللسان : أراد الهيقة، فصيّر هاء التأنيث تاء فى المرور عليها . والبيت لأبن علقمة التيمىّ كما فى النوادر لأبى زيد ص ٢٥٥

النّواهق من الحمار : مَخْرَج نُهَاقه . وأَشْدَق : واسع الشِّدْق . ومُملَّق : مُملَّس، وحُدِّثت عن أبي العباس أحمـد بن يحيى أنه قال : المَلَقات : الجِبَال المُلْس . والشَّـدَف : الشخص، والأَشْدف : العظيم الشَّخْص . والدَّسِيع : مُرَكَّب العُنُق فى الحارِك . ومُنَفْنَف : واسـع، وهو مُفَعْلَل من النَّفْنَف، وهو الهواء بين السماء والأرض . والتَّلِيـل : العُنُق . ومُسَيَّف، كأنّه سيْف . وزَلُوج : سريعة، قال الأصمعيّ : الزَّلِيج والزَّلَجان : السرعة . والخَيْفانة : الجرادة التى فيهـا نُقَط سود تخالف سائر لونها، وإنمـا قيل للفرس : خَيْفانة لسرعتهـا، لأنّ الجرادة اذا ظهر فيهـا تلك النُّقَط كان أسْرع لطَيَرانها . ورَهُوج : كثيرة الرَّهَج، والرَّهَج : الغبار . وإهْمَـاج : مبالغة فى العَدْو، وقال الأصمعيّ : أهْمَجَ الفرس إهماجا اذا اجتهد فى عَدْوِه . والارْتِعاجُ : كثرةُ البرق وتتابعه . ومَحْبُول : فى حِبَالة . ومَشْكُول : مُوثَقٌ فى شِكَالٍ . والمَلاغِم : أرادت هاهنـا الجَحَافل، وإنمـا المَلَاغِم من الإنسـان ما حوْلَ الفم، ومنه قيل : تَلَغَّمتُ[1] بالطِّيب اذا جَعَلْتَه هناك . والمَعَاقِم : المَفَاصل . وعبْل: غليظ . والمَحْزِم : موضع الحِزَام . ومِخَدّ : يَخُدُّ الأرضَ أى يجعل فيهـا أَخَادِيد، والأخادِيدُ : الشُّقوق، واحدها أُخْدُود . ومِرْجَم : يَرْجُم الحجر بالحجر، كما قال رؤبة يصف الحمار :

* يَرْمِى الجَلَاميدَ بجُلْمُودٍ مِدَقّ *

وقد يكون أن تَرْجُم الأرضَ بحوافرها، والتفسير الأوّل أحب إلىّ . ومُنِيف : مُرْتَفِـع . والحارِكُ : مِنْسَج الفرس . والسَّـنَابِكُ : أطراف الحوافر، واحدها سُنْبُك . ومَجْدُول : مفتول . والسَّبِيبُ : شعر الناصية . وضَافٍ : سابِـغٌ . والفَلِيلُ : الشعر المجتمع، وحدّثنى أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى عن أحمـد بن عبيد قال : يقال للقطعة من الشعر : الفَلِيلة، وللقطعة من الصوف : العميتة . والغَوْجُ : اللّيِّن المِعْطَف . والصَّلْصَلَة : صوتُ الحديد، وكُلُّ صوت حادٍّ .

وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعىّ للصِّمَّة بن عبدالله القُشَيرىّ :

حَنَنْتَ الى رَيَّا ونَفْسُك باعَدَتْ * مَزَارَك من رَيَّا وشَـعْبَاكُمَا معا

فمـا حَسَنٌ أن تأتىَ الأمْرَ طائعا * وتَجْزَعَ أنْ داعِى الصبابة أسْمَعا

قِفَا وَدِّعَا نَجْـدًا ومَنْ حَلَّ بالحِمَى * وقَلَّ لنجْدٍ عندنا أن يُوَدَّعا

(١) قوله : تلغمت، أى المرأة كما فى عبارة اللسان وغيره .

ولمّا رأيت البِشْر أعْرَضَ دُوننا * وجالَتْ بَنَاتُ الشَّوْق يَحْنِنَّ نُزَّعا
بكَتْ عَيْنِيَ اليسرى فلمّا زَجَرْتُها * عن الجهل بعد الحلم أَسْبَلَتَا معا
تَلَفَّتُّ نحو الحَيِّ حتى وجَدْتُني * وَجِعْتُ من الإصْغاء لِيتًا وأَخْدَعا
وأَذْكُرُ أيام الحِمَى ثم أَنْثَني * على كبِدِى من خَشْيةٍ أن تَصَدَّعا
ولَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَواجعٍ * اليك ولكن خَلِّ عَيْنَيك تَدْمعا

قال وأنشدنى الرياشىّ :

فإن كنتم تَرْجُون أن يَذْهَب الهوى * يقيناً ونَرْوَى بالشراب فَنَنْقَعا
فَرُدُّوا هبوب الريح أو غَيِّرُوا الجَوَى * اذا حَلَّ ألواذَ الحشا فتَمَنَّعا
تَلَفَّتُّ نحو الحَيِّ حتى وجدتنى * وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

وأنشد نفطويه :

أَحِنُّ الى نجْدٍ وانى لَيَآئسٌ * طَوَالَ الليالى من رجوع الى نجد (١)
فإنك لا لَيْلٌ ولا نَجْدَ فاعْتَرِفْ * بهجر الى يوم القيامة والوعْد

وأنشدنى أيضا نفطويه :

ياليْتَ شِعْرِى عن الحى الذين غَدَوْا * هل بعدَ فُرْقتهم للشَّمْل مُجْتَمَعُ
وكُلُّ ما كنتُ أخشى قد فُجِعْت به * فليس لى بَعْدَهُمْ من حادث جَزَعُ

قال وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أحمد بن يحيى النحوىّ :

ألا أَيُّهَا البَيْتان بالأجْرَعِ الذى * بأسفلِ مُفْضاه غَضًا وكَثِيبُ
هَجَرْتُكما هَجْرَ البَغِيض وفيكما * من الناس إنسانٌ إلىَّ حَبِيبُ

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا الرياشىّ لرجل طلّق امرأتين من أهل الحمى :

أَلَا تسألان الله أن يَسْقِيَ الحِمَى * بلى فسقى الله الحِمَى والمَطَاليا
وأَسْأَلُ من لاقَيْتُ هل سُقِيَ الحِمَى * وهل يَسْأَلَنْ عنّى الحمى كيف حاليا
وإنى لَأَسْتَسْقِى لِبِنْتَيْنِ بالحِمى * ولو تَمْلِكَان البحر ما سَقَتَانيا

(١) البيتان لأعرابىّ من بنى طهية ، كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٧٤٨).

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه عن أحمد بن عبيد :

لا تَعْـذُلينا(١) فى الزيارة إنَّـا * وإيّاكِ كالظمآنِ والمـاءُ بارد

يراه قريبـا دانيا غــير أنه * تَحُول المنايا دونه والرَّوَاصِـد

وقال الأصمعىّ : من أمثال العرب "ذَكَّرَنى الطَّعْنَ وكنتُ ناسيا" يضرب مثلا للرجل يسمع الكلمة فيتذكر بها شيئا . قال : ويقال : "الحُسْنُ أَحْمَرُ" أى من أراد الحُسْنَ صَبَرَ على أشياء يكرهها . وقال أبو زيد : يقال : "مَنْ حَفَّنا أو رَفَّنا فَلْيَتْرُكْ" زعمـوا أن امرأة كان قَوْمٌ يُعْطُونها ، فوجدت نَعامة قد غَصَّتْ بِصُعْرُور ، فَعَمَدتْ الى ثوب فَغَطَّت به رأسها ؛ ثم أتت القوم الذين كانوا يَصِلُونَها فقالت لهم هذا الكلام ، أى إنى قد ٱسْتَغْنَيْتُ عما كنتم تَصِلُونَنى به . والصُّعرور : صمغ السَّمُر ، ولا يُسَمَّى صُعْرورا حتى يَلْتوى . وقال الأصمعىّ : من أمثالهم : "يَدَاكَ أَوْكَتَاوفُوكَ نَفَخ" يقال للرجل اذا فَعَل فَعْلة أَخْطأ فيها ، يراد بذلك أنك مِنْ قِبَلِك أُتِيتَ ؛ وزعموا : أن أصل ذلك أن رجلا قَطَع بَحْرا بِزِقٍّ فانفتح ، فقيل له ذلك .

[مطلب شرح مادّة خ ل ل]

وقال أبو النصر عن الأصمعىّ : يقال : فلان كريم الخُلَّة والخِـلّ والخُلَّة ، أى كريم الإخاء والمُصَادَقة ، وزاد اللحيانى : والخِلالة والخِلال ، وأنشد للنابغة :

وكيف تُصَادِقُ من أَصْبَحَتْ * خِلالَتُـه كأبى مَرْحَب

وغيره يروى : وكيف تُوَاصِلُ . وقال أبو عبيد : الخُلَّة : الصَّـداقة ومنه الخَليل . وقال أبو نصر عن الأصمعىّ واللحيانى : فلان خُلَّتِى وفلانة خُلَّتِى ، الذكر والأنثى فيها سواءٌ . وقال أبو بكر بن الأنبارى فى كتاب أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر : وَخِلِّى ؛ وأنشد أبو نصر واللحيانى لأَوْفَى بن مَطَر :

أَلَا أَبلِغَا خُلَّتِى جابرًا * بأنَّ خَليلَكَ لم يُقْتَل

وأنشد اللحيانى قال : أنشدنا أبو الدينار :

شَبِعْتُ من نَوْمٍ وزَاحَتْ عِلَّتِى * وطَرَقَتْنِى فى المَنَـام خُلَّـتِى

وما عَلِمْتُ أنهـا أَلَمَّتِ * حَتَّى قَضَتْ حاجَتَها ووَلَّتِ

(١) هو من الطويل دخله الخرم . وهو حذف الحرف الأوّل من «فعولن» .

قال اللحيانى : زاحت : ذَهَبَتْ ، قال : وقال أبو الدينار : أَشَدّ الزَّيَحَان ، قال : وحكى الكسائىّ : أَشَدّ الزُّيُوح بضم الزاى . قال : ويقال : خَالَلْتُــه مُخَالَّة وخِلَالا ؛ قال أبو عبيــد : ومنه قول آمرئ القيس :

* ولستُ بمَقْلِيّ الخِلَال ولا قالى *

وقال أبو نصر : المُخْتَــلُّ الجسم : النحيف الجسم . وقال اللحيانى : يقال للهزول القليل اللحم : إنه لخَــلُّ الجسم وخَلِيل الجسم ومُخْتَلّ الجسم . وقال أبو عبيد عن الأصمعىّ : الخَلُّ : القليل اللحم ، قال : وقال الكسائىّ مثله ، وزاد : خَلَّ لحمُهُ يَخُلُّ خَلًّا وخُلُولا . وقال أبو نصر : يقال : ما أَخَلَّكَ الى هــذا أى ما أَحْوَجَكَ اليه . والخَلَّة : الحاجة ، ويقال للرجل اذا مات : اللهم آخْلُفْ على أهله بخَيْرٍ وآسْدُدْ خَلَّته ، يريد الفُرْجة ؛ قال أوس بن حجر :

لِهُلْكِ فَضَالَةَ لا تَسْتَوى الــ * ـفُقُودُ ولا خَلَّةُ الذاهب

يريد الفُرْجة التى تَرَك والثُّلْمة ؛ يقول : كان سَيِّدا فلما مات بقيت ثُلْمَتُهُ . وقال اللحيانى : آلْزَقْ بالأَخَلِّ فالأَخَلِّ أى بالأفقر فالأفقر . والعرب تقول : الخَلَّة تدعو الى السَّلَّة . قال أبو على قال أبو بكر آبن دريد : والسَّلَّة : السَّرِقة . ويقال : فلان مُخْتَلّ الحال . وقال أبو نصر وأبو عبيد عن الأصمعىّ : الخَلِيل : الفقير المحتاج ؛ قال زهير :

وإن أتاه خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْئَلةٍ * يَقُول لاغائبٌ مالِى ولا حَرِمُ

وقال أبو نصر : يقال : فى فلان خَلَّة حَسَنة ، أى خَصْــلة . وقال اللحيانى : يقال : إن شراب بنى فلان لَيْسَتْ بخَمْطة ولا خَلَّةٍ ، أى ليست بحامضة ؛ قال : وجمع خَلَّة خَلٌّ . والخَمْطة : التى أخذت شيئا من الريح كريح النَّبِق والتُّفَّاح . ويقال : خَلَّل الشرابُ اذا صار خَلًّا ، وكذلك كل شىء من الأشربة حَمُضَ فقد خَلَّل . وقال الأصمعىّ : الخُلَّة : ماحَلَا من النَّبْت . والعرب تقول : الخُلَّة : خُبْزُ الإبل ، والحَمْض : لَحْمها أو فاكهتها . ويقال : جاءت إبل بنى فلان مُخْتَــلَّة أى قد أَكَلت الخُــلَّة ، وجاءوا مُخِلِّين اذا جاءوا وقد أَكَلَت إبلُهم الخُلَّة ؛ قال العجاج :

* جاءوا مُخِلِّينَ فلاقَوْا حَمْضا *

قال أبو على : وقال أبو بكر بن دريد : هـذا البيت يضرب مثلا لكل من أَتى مُتَهَدِّدا فصادف ما يَقْمَع تَهَدُّده . قال : والعرب تقول : أنت مُخْتَلٌّ فَتَحَمَّضْ . وقال اللحيانى : يقال : قـد عَمَّ فلان وخَلَّ وخالَّ ، والمُخَلِّل : الذى يَخُصُّ ؛ وأنشد :

قد عَمَّ فى دعائه وخَلَّا * وخطَّ كاتباه وآسْتَمَلَّا

وأنشد أيضا :

عَهِدْتُ بها الحَىَّ الجَمِيعَ فأصبحوا * أَتَوْا داعِياً لله عَمَّ وخَلَّلا

وقال أبو نصر وأبو عبيدة واللحيانى عن الأصمعىّ : خَلَّ كِساءه وثوبه يَخُلُّه خَلًّا اذا شَكَّه بالخِلَال . وقال اللحيانى : يقال : طعنته فآخْتَلَلْتُ فؤاده ؛ وأنشد :

نَبَذَ الجُؤَارَ وضَلَّ هِدْيَةَ رَوْقِه * لَمَّا آخْتَلَلْتُ فؤادَه بالمِطْرَد

وقال أبو نصر : أَخَلَّ بمَوْعده اذا لم يُوف به . وقال اللحيانى : الخِلَّة : جَفْن السيف ، وجمعها خِلَلٌ . قال : ويقال : وَجَدْتُ فى فمى خِلَّةً فتَخَلَّلْت ، وهو ما يبقى بين الأسـنان من الطعام ، والجمع خِلَل ، ويقال : أَكَل خُلَالته . وقال أبو نصر : الخِلَّة والخُلَالةُ واحد ، وهو ما يبقى بين الأسنان من الطعام ، والجمع خِلَلٌ . وقال اللحيانى : خَلَّل بين أصابعه بالمـاء وخَلَّل لحيتَه اذا تَوَضَّأ . ويقال : خَلَّ الفَصِيلَ يَخُلُّه خَلًّا اذا جعل فى أنفه عُودا لئلا يَرْضَع . والخَلُّ : الطريق فى الرَّمْل ، والخَلُّ والخمر : الخير والشر ، يقال : ما فلان بِخَلٍّ ولا خَمْرٍ ، أى ليس عنده خير ولا شر ، قال النمر بن تولب :

هَلَّا سألْتِ بعادِياء وبَيْتِـه * والخَلِّ والخَمْـرِ التى لم تُمْنَع

[مطلب حكم ومواعظ من كلام الحكماء]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : قال معاوية : الفُرْصةُ خُلْسة ، والحَيَاءُ يَمْنَع الرِّزق ، والهَيْبةُ مَقْرُون بها الخَيْبة ، والكَلِمةُ من الحِكْمة ضَالَّةُ المؤمن .

وحدّثنا قال أنبأنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا من بنى مُرَّة يَعِظُ آبْنًا له وقد أَفْسَدَ ماله فى الشراب فقـال : لا الدَّهْر يَعِظُكَ ، ولا الأيام تُنْذِرُك ، والساعاتُ تُعَـدُّ عليك ، والأنفاس تُعَدّ منك ؛ أَحَبُّ أَمْرَيْك اليك ، أَرَدُّهما بالمَضَرَّة عليك . قال : وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيـا يقول لأخ له : اِعلم أن الناصح لك المُشْـفِقَ عليك مَنْ طالَعَ لك ما وراءَ العَواقِب

برويّته ونظره ، ومثّل لك الأحوال المخوفة عليك، وخلط الوعر بالسّهل من كلامه ومشورته، ليكون خوفك كفاء رجائك، وشكرك إزاء النعمة عليك ؛ وأن الغاشّ لك والحاطب عليك من مدّ لك فى الاغترار، ووطّأ لك مهاد الظلم، تابعًا لمرضاتك، منقادًا لهواك .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال حدّثنا أحمد بن يحيى النحوىّ قال حدّثنا عبد الله ابن شبيب قال : قال شبيب بن شبّة لخالد بن صفوان : منْ أحبّ إخوانك اليك؟ قال : من سدّ خللى، وغفر زللى، وقبل عللى .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو عيسى الختّلى قال حدّثنا أبو يعلى الساجى قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال : كان يقال : عليكَ بدينك، ففيه معادُك؛ وعليك بمالك، ففيه معاشك؛ وعليك بالعلم، ففيه زينُك . وقرأنا على أبى بكر بن دريد رحمه الله تعالى :

فلمّا مضى شهرٌ وعشرٌ لعيرها * وقالوا تجىء الآن قد حان حينُها
أمرّتْ من الكتّان خيطًا وأرسلت * جريًّا الى أخرى قريبا تُعينها

هذه امرأة تنتظر عيرًا تقدم وزوجها فيها، فأرادت أن تنتف بالخيط وتتهيأ له . والجرىّ : الرّسول، يقول : أرسلته الى جارة لها تنتفها لتتزيّن؛ وبعد هذا قال :

فما زال يجرى السّلك فى حُرّ وجهها * وجبهتها حتّى تنتّه قرونُها

تنتّه : كفّته . وقرونها : ذوائبها . وقرأت على أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة لعمر بن أبى ربيعة :

ياليتنى قد أجزتُ الحبل نحوكمُ * حبلَ المعرّف أو جاوزتُ ذا عُشَر
إنّ الثّواء بأرض لا أراك بها * فاستيقنيه ثواءٌ حقّ ذى كدر
وما مللتُ ولكن زاد حبُّكمُ * ولا ذكرتُك إلا ظلْتُ كالسّدر
أُذرى الدموع كذى سُقم يخامره * وما يخامرنى سُقمٌ سوى الذّكر
كم قد ذكرتُك لو أُجزى بذكركمُ * ياأشبه الناس كلّ الناس بالقمر
إنى لأجذلُ أنْ أُمسى مُقابلَه * حُبًّا لرؤية من أشبهت فى الصّور

وأنشدنى أبو بكر بن دريد للبَعيث الهاشمىّ :

ألا طَرَقَتْ لَيْـــلَى الرِّفاق بغَمْرةٍ * ومِنْ دونــ لَيْلَى يَذْبُلٌ فالقَعاقِعُ
على حِين ضَمَّ الليلُ من كل جانبٍ * جَناحيه وٱنْصَبَّ النجومُ الخَوَاضِع
طَمِعْت بلَيْلَى أنــ تَرِيعَ وإنما * يُقطِّـــع أعناقَ الرجال المَطامِـع
وبايَعْت ليلى فى الخَلَاء ولم يكنــ * شُهودٌ على ليـــلى عُدُولٌ مَقَانِـــع
وما كـُلُّ ما مَنَّتْك نَفْسُك مُخْلِيًــا * يَكُونــ ولا كُلُّ الهوَى أنت تابع
فما أنت من شىء اذا كُنْتَ كلّمــا * تذكَّرْتَ لَيْـــلَى ماءُ عينيك دامــع

وقرأت على أبى بكر بن دريد ليزيد بن الطَّثْرِيَّة :

عُقَيْلِيَّـــة أمّا مَـــلَاثُ إزارها * فَدِعْصٌ وأما خَصْرُها فبَتِيل
تَقَيَّظُ أكنافَ الحِمَى ويُظِلُّها * بنَعْمانَ من وادى الأراك مَقِيــل
ألَيْس قليــلًا نَظْرَةٌ إن نظرتُها * اليك وَكَلّا لَيْس منــك قليــل
فياخُلَّةَ النفس التى ليس فوقها * لَنَا مِنْ أخِلَّاءِ الصَّفاء خليل
ويامَنْ كَتَمْنا حُبَّــه لم يُطَعْ به * عَدُوٌّ ولم يُؤْمَنــ عليه دَخِيل
أمَا منْ مقَامٍ أشْتكى غَربةَ النَّوى * وخَوْفَ العدا فيه اليك سبيل
فَدَيْتُك أعدائى كـثيرٌ وشُقَّتى * بعيـــدٌ وأشياعى لديك قليـــل
وكنتُ اذا ماجئتُ جئتُ بِعِلَّةٍ * فأفْنَيْتُ عِلَّاتِى فكـيف أقول
فمـــا كُلَّ يوم لى بأرضِك حاجة * ولا كُلَّ يوم لى اليـــك رسول

قال أبو على : أخذ من هذا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، حدثنا جحظة قال حدثنى حماد عن أبيه إسحاق بن إبراهيم قال : أنشدت الأصمعىّ :

هل الى نَظْرةٍ اليـــكِ سبيلُ * يُرْوَ منها الصَّدَى ويُشْفَ الغَليل
إنّــ ماقَلّ منك يكثرُ عندى * وكـثيرٌ ممنــ تُحِبُّ القليل

قال : فقال لى : هذا والله الديباج الخُسْرَوَانِىُّ ، فقلت : إنهما لليلتهما ؛ فقال : أفسدتهما .

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه :

والله لا نَظَرَتْ عينى اذا نَظَرَتْ * إلّا تَحَدَّر منها دَمْعُها دِرَرا
ولا تَنَفَّسْتُ إلا ذاكِرًا لَكُمُ * ولا تَبَسَّمْتُ إلا كاظِمًا عِبرًا

وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال أنشدنا الأشناندانىّ عن التوّزىّ لطَهْمَان بن عمرو من بنى بكر بن كلاب :

ولو أنَّ لَيْلَى الحارِثيَّةَ سَلَّمَتْ * عَلَىَّ مُسَجًّى فى الثِّياب أَسُوق
حَنُوطِى وأَكْفانى لَدَىَّ مُعَدَّةٌ * وللنَّفْس من قُرْب الوفاة شَهِيق
إذًا لَحَسِبْتُ الموتَ يَتْرُكُنِى لها * ويُفْرَجُ عَنِّى غَمُّه فأُفِيق
ونُبِّئْت لَيْلَى بالعراق مَرِيضةً * فماذا الذى تَغْنِى وأنتَ صَدِيق
شَفَى الله مَرْضَى بالعراق فإننى * على كُلِّ شاكٍ بالعِراق شَفِيق

قال : وقرأت عليه لتوبة بن الحُمَيِّر :

ولو أنَّ ليلى الأَخْيَلِيَّة سَلّمت * عَلَىَّ ودونى تُرْبةٌ وصفائح
لسلَّمْت تَسليمَ البشاشةِ أوزَقَا * اليها صَدًى من جانب القبر صائح
وأُغْبَطُ من لَيْلَى بما لا أنالُه * أَلَا كُلُّ ماقَرَّتْ به العينُ صالح

وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلا يقول : الحَسَدُ ماحِقُ الحَسَنات ، والزَّهْوُ جالِبٌ لَمَقْت الله ومَقْتِ الصالحين ، والعُجْب صارِفٌ عن الازدياد من العلم داعٍ الى التَّخَمُّط والجهل ، والبُخْل أَذَمُّ الأخلاق وأَجْلَبُها لسُوء الأُحْدُوثة . قال : وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلا يوصى آخر وأراد سفرا فقال : آثِرْ بعَمَلِك مَعادَك ، ولا تَدَعْ لشهوتك رَشادَك ، وليَكُنْ عَقْلُك وَزِيرَك الذى يَدْعُوك الى الهدى ، ويَعْصِمُك من الرَّدَى ؛ أَلْجِمْ هواك عن الفواحش ، وأَطْلِقْه فى المَكارم ؛ فإنك تَبَرُّ بذلك سَلَفَك ، وتَشِيد شَرَفَك .

وحدثنا قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يوصى ابنه فقال : ابْذُلِ المَوَدَّة الصادقةَ تَسْتَفِدْ إخوانا ، وتَتَّخِذْ أعوانا ؛ فإن العَداوةَ موجودةٌ عَتِيدَة ، والصَّداقة مُسْتَعْزَةٌ بَعِيدة ؛ جَنِّبْ كَرامتَك اللئام ، فإنهم إن أَحْسَنْتَ اليهم لم يَشْكُروا ، وإن نَزَلَتْ شديدةٌ لم يَصْبِروا .

قال أبو على : مُسْتَعْرزة: مُنْقَبِضة شديدة، يقال : رأيت فلانا ٱعْتَرَزَ مِنِّى أى ٱنقبض. وٱسْتَعْرَزَتِ الجِلدةُ فى النار اذا تَقَبَّضَت؛ قال الشماخ :

وكلُّ خليــــلٍ غَيْرِ هاضِمِ نَفْسِه * لوَصْلِ خليــلٍ صارِمٌ أو مُعَارِزُ

يقول : كل مَنْ لم يَظْلِمْ نفسَه لأخيه ويَحْمِلْ عليها فإنه قاطع أو منقبض .

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن العتبىّ قال : قال رجل لعبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى : يا أمير المؤمنين، هَزَزْتُ ذوائب الرِّحال اليك ، فلم أجد مُعَوَّلا إلا عليك؛ أَمْتَطِى الليلَ بعد النهار، وأَقْطع المَجاهِل بالآثار؛ يَقُودنى نحوَك رجاء، وتَسُوقُنى اليك بَلْوَى؛ والنفس راغبة، والاجتهاد عاذر؛ واذا بَلَغْتُك فَقَدْنِى ؛ قال : ٱحْطُطْ عن راحلتك فقد بَلَغْت .

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا الرياشىّ عن العتبىّ قال : سئل أعرابىّ عن ٱمرأة فقال: هى أَرَقُّ من الهواء، وأطْيَب من الماء، وأحسن من النَّعْماء، وأبعد من السماء .

وحدثنا قال حدثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : العرب تقول : لا ثَناء مع الكِبْر، ولا صَديق لذى الحَسَد، ولا شَرَف لسَيِّئ الأدب . قال : وكان يقال : شَرُّ خصال الملوك الجُبْن عن الأعداء ، والقَسْوة على الضعفاء، والبُخْل عند الإعطاء .

وحدثنى أبو يعقوب ورّاق أبى بكر بن دريد قال حدثنا أحمد بن عبيد الجوهرىّ قال سمعت أحمد بن عبـد العزيز يقول سمعت أبى يقول : قام رجل الى معاوية فقال له : سألتك بالرحِم التى بينى و بينك؛ فقال : أَمِنْ قريش أنت ؟ قال : لا ؛ قال : أفمن سائر العـرب ؟ قال : لا؛ قال : فأيّةُ رَحِمٍ بينى و بينك ؟ قال : رَحِمُ آدم؛ قال : رَحِمٌ مَجْفُوّة ، والله لأكونَنَّ أوّلَ من وَصَلَها؛ ثم قضى حاجته .

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ قال: قيل لأعرابى قَدِم الحَضْرة: ما أقْدَمَك؟ فقال : الحَيْن الذى يُغَطِّى العَيْن .

وحدثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدثنا محمد بن موسى السامى قال حدثنا الأصمعىّ قال: مات ولد لرجل من الأعراب فصلّى عليه فقال : اللهم إن كنتَ تعـلم أنه كريم الجَدَّيْن، سَهْـلُ الخَدَّيْن؛ فٱغفر له و إلا فلا .

وحدثنا قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوىّ عن ٱبن الأعرابىّ قال : ضَلَّت ناقةُ أبى السَّمّال فقال : والله لئن لم يَرُدَّها الله علىّ لا أصلى أبدا ؛ قال : فوجدها متعلقة بزمامها بشجرة؛ فقال : علم الله أنها مِنّى صِرّى، أى عزيمة .

وحدثنى أيضا قال حدثنى أحمد بن يحيى عن ٱبن الأعرابىّ قال : قيل لٱبنة الخُسّ : ما أَحَدُّ شَىْءٍ ؟ قالت : ضِرْسٌ جائع، يَقْذِف فى مِعًى ضائع (١) . قيل : فما أَلَذُّ شىء ؟ قالت : قُبْلة فَتاةٍ فَتًى، وعيشك ما ذُقْتُها . وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر :

وخِمارِ غانِيَةٍ شَدَدْت بِرَأْسِها * أُصُلًا وكان مُنَشَّرا بِشِمالِها

هذه ٱمرأة فَزِعة، أخذت خمارها بيدها، فلما أَدْرَكها أَمِنَت فاخْتَمَرت؛ ونحوٌ منه بيت عنترة :

ومُرْقِصةٍ رَدَدْتُ الخَيْلَ عنها * وقد هَمَّتْ بإلقاء الزِّمام

مُرْقصة : ٱمرأة قد ركبت بعيرا فهى تُرْقِصه، أى تُنَزِّيه وتَحُثُّه، وقد هَمَّت أن تُلْقِى زمامَها وتستسلم .

[مطلب ٱستعطاف إبراهيم بن المهدىّ للمأمون وعفوه عنه وردّ ماله وضياعه اليه]

وحدثنا الأخفش قال : بلغنى أنّ إبراهيم بن المهدىّ دخل على المأمون قبل رضاه عنه فقال : يا أمير المؤمنين، وَلِىُّ الثَّأْرِ مُحَكَّم فى القصاص، ومن تَنَاوَله الٱغترارُ بما مُدَّ له من أسباب الرخاء أَمِنَ عاديةَ الدَّهْر، وقد جَعَلك الله فوق كل ذى ذَنْب، كما جَعَل كل ذى ذنب دُونَك، فإن تأْخُذْ فبِحَقِّك، وإن تَعْفُ فبفَضْلِك؛ ثم قال :

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحَقِّك أَوْ لا * فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن فى فعالى * من الكِرام فَكُنْه

فقال : القدرة تُذْهِب الحَفِيظة، والندمُ توبة، وعفوُ الله بينهما، وهو أكبر ما يُحَاوَل؛ يا إبراهيم، لقد حَبَّبْتَ الىّ العفوَ حتى خِفْت ألّا أُوجَرَ عليه، لا تَثْرِيب عليك، يغفر الله لك . وعفا عنه وأمر بردّ ماله وضِياعه؛ فقال :

رَدَدْتَ مالى ولم تَبْخَلْ عَلَىَّ به * وقبل رَدِّك مالى قد حَقَنْتَ دَمى

فأُبْتُ منك وما كافَأْتُها بيدٍ * هما الحَياتان من وَفْرٍ ومن عَدَم

(١) ضائع : جائع .

وقام علمُكَ بى فاحْتَجَّ عندك لى * مَقامَ شاهـــدِ عَدْلٍ غيرِ مُتَّهَـــمِ
فلو بَذَلْتُ دَمِى أَبْغِى رِضاك به * والمالَ حَتَّى أُسُلَّ النَّعلَ من قَدَمى
ما كان ذاك سوى عاريَّةٍ رَجَعَتْ * اليـك لو لم تَهَبْهَـا كنتَ لم تُلَمِ

قال الأصمعىّ : ومن أمثال العرب : «حُرٌّ ٱنْتَصَر» يضرب مثلا للرجل يُظْلَم فَيَنْتَقِم . ويقال : « أَصْرَدُ مِن عَنْزٍ جَرْباء » يضرب مثلا للرجل يجِـد البرد . ويقال : « خَرْقاءُ عَيَّابَة » يضرب مثـلا للرجل العاجزعن الشىء وهو يَعِيب العجز . ويقال : « أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَنًا » أى من بَلَغ من الأمر هذا المبلغ فقد بَلَغ مُعْظَمَه . وحَضَنٌ : جبل بنجد . ويقال : « حَنَّ قِدْحٌ(١) ليس مِنْها » يضرب مثلا للرجل يُدْخِل نَفْسه فى القوم ليس منهم . قال : وبلغنى أنــ عمر رضى الله عنه لمـا قال ٱبن أبى مُعَيْطٍ : أَأُقْتَل مِنْ بين قريش ؟ قال : « حَنَّ قِدْحٌ ليس منها » فلا أدرى أقاله مبتدئا أم قيل قبل . وقال أبو زيد : يقال : «رِبَضُكَ منك وإن كان سَمَارا» يقول: منك قَصِيلتُك، وهم بنو أبيه، وإن كانوا قَوْمَ سَوْء . ويقال : « منك عِيصُك وإن كان أَشِبًا » يقول : منك أصْلك وإن كان غير صحيح . ويقال : « أَعْيَيْتَنِى مِن شُبَّ الى دُبَّ » أى أعييتنى من لَدُنْ شَبَبْتَ الى أن دَبَبْتَ على العصا، يقال ذلك للمرأة والرجل . ويقال : «أَعْيَيْتِنى بأُشُرٍ فكيف أَرْجُوكِ بِدُرْدُر» يقول : أعييتنى وأنت شابة باردة الأسنان، فكيف أرجوك اذا سقطت أسنانُك . والدُّرْدُر : مكان السِّنّ من اللَّحْى .

[مطلب شرح مادة ذرأ مهموزا ومعتلا]

وقال أبو نصر عن الأصمعىّ : ذَرِئَ رأسُ الرجل يَذْرَأُ ذَرَأً، وقد عَلَتْه ذُرْأَة، أى بياض؛ وأنشد :

* وقد عَلَتْنِى ذُرْأَةٌ بادى بَدِى(٢) *

وأنشد أبو بكر بن دريد بعد هذا البيت :

* ورَثْيَةٌ تَنْهَضُ فى تَشَدُّدِ *

وقوله : بادى بدى ، أى فى أوّل الأمر، ويقال : جَدْىٌ أَذْرَأُ وعَنَـاق ذَرْآء اذا كانــ فى رأســه ورأسها بياض؛ ومنه قيــل : مِلْح ذَرْآنِىٌّ ، أى شديد البياض؛ وقال غيره : وذَرَآنِىٌّ أيضـا . وقال

(١) القدح : أحد قداح الميسر، واذا كان أحد القداح من غير جوهر إخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فيعرف أنه ليس منها .
(٢) البيت لأبى نخيلة السعدىّ كما فى اللسان مادة « ذرأ » والأغانى (ج ١٨ ص ١٥١) .

اللحياني : يقال : ذَرَأَ اللهُ الخَلْق يَذْرَؤُهم ، والله البارِئُ الذّارِئ، والخَلْق مَذْرُوءون ومَبْرُوءون . وقال أبو نصر : ذَرَا يَذْرُو ذَرْوًا اذا مَرّ مَرًّا سريعا ، وذرا نابُ الجمل يَذْرُو ذَرْوًا اذا انكسر حَدُّه ؛ وقال أوس بن حجر :

وإنْ مُقْرَمٌ(١) منّا ذَرَا حَدُّ نابِه * تَخَمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ

وذَرَت الريحُ الترابَ تَذْرُوه ذَرْوًا، ومنه قيل : ذَرّى الناسُ الحِنْطة ؛ قال : ويقال : ذَرَت الريحُ الترابَ تَذْرِيه ، بمعنى ذَرَتْه تَذْرُوه، وطَعَنَه فأذْراه عن فرسه، أى رَمَى به وقَلَعَه عن السَّرْج؛ وقال الأصمعيّ : أذْرَتْه اذا قَلَعَتْه من أصله قَلْعًا، وذَرَتْه طَيَّرَته؛ قال ابن أحمر :

لها مُنْخُلٌ تُذْرِى اذا عَصَفَتْ به * أهَابِىَّ سَفْسافٍ من التُّرْب تَوْأَمِ

وقال اللحيانى : ذَرَت الريحُ الترابَ تَذْرُوه وتَذْرِيه اذا سَحَفَتْه وأذهبته . قال : وقال الكسائىّ : ذَرَوْت وذَرَيْت وذَرَّيْت بمعنى واحد، أى نَقَّيْتها فى الريح . قال أبو نصر: فلان يُذَرِّى فلانا ، أى يرفع من شأنه ويمدحه؛ قال الراجز .

عَمْدًا أُذَرِّى حَسَبِى أن يُشْتَمَا * بِهَدْرِ هَدَّارٍ يَمُجّ البَلْغَمَا

وقال أبو زيد : ذَرَّيْت الشاة اذا جَزَزْتها وتركت على ظهرها شيئا منه لتُعرف به، ولا يكون ذلك إلا فى الضأن ؛ وقال أبو نصر وغيره : ذِرْوةُ كلِّ شيء أعلاه ، ويقال : فلان فى ذَرَى فلان، أى فى دِفْئه وظِلّه . ويقال : اسْتَذْرِ بهذه الشجرة، أى كن فى دِفْئها، وهو الذَّرَى مقصور . ويقال: «جاء يَنْفُضُ مِذْرَوَيْه» اذا جاء باغيا يَتَهَدّد، قال : والمِذْرَوانِ : الناحيتان؛ قال بعض هُذَيْل(٢) يذكر القوس:

على كُلِّ هَتّافةِ المِذْرَوَيْـ * ـنِ صَفْراءَ مُضْجَعَةٍ فى الشِّمال

يعنى : الجانبين اللذين يقع عليهما الوتر من أسفل ومن أعلى .

قال أبو على : وهذا القول مشتمل على من سَمّى ناحيتى الرأس مِذْرَوَيْن؛ وعلى ما رواه أبو عبيد عن أبى عبيدة أن المِذْرَوَيْن أطراف الأليتين؛ وأنشد لعنترة :

أحَوْلِى تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوَيها * لِتَقْتُلَنى فهأنذا عُمَارا

(١) فى اللسان مادة «قرم» : اذا مقرم الخ . (٢) هو أمية بن أبى عائذ كما فى منتهى أشعار الهذليين لأبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى ص ١٩٣ طبع لندن سنة ١٨٥٤ م ورواية البيت فيه هكذا :

على عجس هتانة المذرو * ين زوراء مضجعة فى الشمال

والعجس : المقبض . وزوراء : معوجة .

قال : وليس لها واحد ، لأنه لو كان لها واحد فقيل مِذْرَى لقيل فى التثنية مِذْرَيَان بالياء وما كانت بالواو؛ وقال أبو نصر : يقال : بَلَغَنِى عنــه ذَرْءٌ من خبر، أى طَرَفٌ ولم يتكامل .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد لمعقر بن حمار البارقىّ :

اذا ٱسْتَرْخَتْ عِمَادُ الحَىِّ شُدَّتْ * ولا يُثْــنَى لقائمــةٍ وَظِيفُ

يقول : هم سائرون وبيوتهــم على ظهور إبلهم، فاذا ٱسترخى منها شىء شُدَّ من غير أن يُنِيخوا بعيرا ويَثْنُوا وَظِيفَه . وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى المعروف بنفطويه :

أمَا واللهِ ثُمَّ اللهِ حقــا * يَمِيــنَ البِرِّ أُتْبِعُها يمينــا
لقد حَلَّتْ أُمَيْمَةُ من فؤادى * تِلاعًا ما أُبِحْنَ وما رُعِينــا
ولكــنَّ الخليــلَ اذا قلانا * وآثر بالمــوَدَّة آخَرينــا
صَدَدْتُ تكرُّما عنــه بنفسى * وإن كان الفؤاد به ضَنِينــا

وأنشدنا قال أنشدنى عبيد الله بن إسحاق بن سلام :

نَزَلَتْ بمكّةَ فى قَبائل نَوْفَلٍ * ونَزَلْتُ خَلْفَ البئرِ أبْعَدَ مَنْزِلِ
حَذَرًا عليهــا من مَقالةِ كاشحٍ * ذَرِبِ اللسان يَقُول ما لم أفْعَلِ

وأنشدنى نفطويه لنفسه :

أتَخَالُنِى من زَلَّةٍ أتَعَتَّبُ * قَلْبِى عليــك أرَقُّ ممــا تَحْسَبُ
قلبى وروحى فى يديك وإنمــا * أنت الحياة فأَيْنَ عنك المَذْهَبُ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى البيت الأوّل من هذين البيتين عن أبى العباس أحمــد بن يحيى ، وقرأت القصيدة بأسرها على أبى بكر بن دريد لجميل بن مَعْمَر العذرىّ :

وقالوا لا يَضِــيرك نأْىُ شهر * فقلت لصاحبىَّ فمن يَضِــير
يَطُول اليومُ إن شَحَطَتْ نَواها * وحَوْلٌ نلتقى فيــه قصير

وحدّثنا أبو بكر بن أبى الأزهر مستملى أبى العباس المبرّد قال أنشدنا الزبير لبثينة :

وإن سُلُوِّى عن جميــل لَساعةٌ * من الدهر ما حانت ولا حان حِينُها
سواءٌ علينا يا جميــلُ بن مَعْمَــر * اذا مُتَّ بأساءُ الحيــاة ولِينُها

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله قال أنشدنى أبى :

لما تبدّت من الأستار قلت لها * سبحان سبحان ربى خالق الصور
ما كنت أحسَبُ شمسا غير واحدة * حتى رأيت لها أختا من البشر
كأنها هى إلا أن يُفَضِّلَها * حُسْنُ الدلال وطَرْفٌ فاترُ النظر

وقرأت على أبى بكر بن دريد لابن الدمينة :

ألا لا أرى وادى المياه يُثيب * ولا النَّفْسَ عن وادى المياه تَطيب
أُحبُّ هبوط الواديين وإننى * لَمُسْتَهْتَرٌ بالواديين غريب
أحقًّا عبادَ الله أن لست واردا * ولا صادرا إلا علىَّ رقيب
ولا زائرا وحدى ولا فى جماعة * من الناس إلا قيل أنت مُريب
وهل ريبةٌ فى أن تَحِنَّ نجيبةٌ * الى إلفها أو أن يَحِنَّ نجيب
وإن الكثيب الفردَ من جانب الحمى * الىَّ وإن لم آتِه لحبيب

وقرأت عليه أيضا :

صفراء من بَقَرِ الجِواء كأنما * تَرَكَ الحياءُ بها رُداعَ سقيم (١)
من مُحْذِيات (٢) أخى الهوى جُرَعَ الأسى * بدَلالِ غانيةٍ ومُقْلة رِيم
وقصيرة الأيام وَدَّ جَليسُها * لو دام مجلسها بفَقْدِ حَميم

وقرأت عليه أيضا :

لكِ الله إنّى واصلٌ ما وَصَلْتِنى * ومُثْنٍ بما أوْلَيْتِنى ومُثيب
فلا تترُكى نفسى شَعاعاً (٣) فإنها * من الوجد قد كادت عليك تذوب
وإنى لأستحييك حتى كأنما * علىّ بظَهْر الغيب منك رَقيب

وقرأت عليه لجميل بن معمر العذرىّ، وأنشدنى البيتين الأوّلين أبو معاذ عبدان المتطبب :

فلو أرسلتْ يوما بُثَيْنةُ تَبْتغى * يمينى ولو عَزَّت علىّ يمينى
لأَعْطيتُها ما جاء يَبْغِى رسولُها * وقلت لها بعد اليمين سَلينى

(١) الأبيات لقيس بن معاذ مجنون بنى عامر [المعروف بمجنون ليلى] كما فى اللسان مادة «ردع» . والرداع هنا : وجع الجسد .
(٢) محذيات : من أحذيته اذا أعطيته .   (٣) نفس شعاع : متفرقة . والأبيات لقيس بن معاذ مجنون بنى عامر كما فى اللسان مادة «شعع» .

سَــلِيني مالى يا بُثَيْن فإنما * يُبَيِّن عنــد المــال كلُّ ضَنين
فمــا لك لمَّــا خبَّر النــاس أننى * أسأتُ بظَهْــرِ الغَيْب لم تَسَلِيني
فأُبْلِيَ عُـــذْرا أو أجىءَ بشــاهد * من الناس عَدْلٍ أنهــم ظلمونى
ولَسْتُ وإن عَزَّت علىَّ بقائلٍ * لهــا بعــد صَرْمٍ يا بُثَيْنُ صِلِينى
ونُبِّئْتُ قوما فيك قد نَذَرُوا دَمِى * فَلَيْتَ الرِّجال المُوعِــدِين لَقُونى
اذا ما رَأَوْنِى مُقْبِــلا عن جَنابةٍ * يقولون مَنْ هــذا وقد عَرَفُونى

وأنشدنا أبو بكر بن السراج هذين البيتين الأخيرين :

فَلَيْتَ رجالا فيك قد نَذَرُوا دَمِى * وهَمُّوا بقتــلى يا بُثَيْنُ لَقُونى
اذا ما رأونى طالعــا من ثَنِيَّــةٍ * يقولون من هــذا وقد عرفونى

[مطلب من حرّم الخمر على نفسه فى الجاهلية تكرما وصيانة لنفسه]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس بن هشام قالا : حَرَّم رجالٌ الخمرَ فى الجاهلية تكرُّما وصِيانة لأنفسهم، منهم عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر ابن بكر بن عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلان، وقال فى ذلك :

سآلةٌ للفــتى ما ليس فى يده * ذَهَّابة بعُقُول القوم والمــال
أقسمت بالله أَسْقِيها وأَشْرَبُهــا * حَتَّى يُفَرِّق تُرْبُ القــبرِ أوصالى
مُورِثةُ القــومِ أضْغانا بلا إحَنٍ * مُزْرِيَةٌ بالفتى ذى النَّجْدَة الحالى

وحَرَّم قَيْس بن عاصم الخمر وقال فى ذلك :

لَعَمْرُك إنّ الخمــر ما دُمْتُ شاربا * لَســالبةٌ مالى ومُذْهِبَــةٌ عقــلى
وتارِكَتِى من الضِّعاف قُوَاهُمُ * ومُورِثَتِى حَرْبَ الصَّديق بلا تَبْلٍ (١)

قال : وحَرَّم صَفْوان بن أُمَيَّة بن مُحَرِّث الكِنَانىّ الخمر فى الجاهلية وقال فى ذلك :

رأيتُ الخمــر صالحــةً وفيهــا * مَنَاقِبُ تُفْسِد الرجل الكريمــا
فــلا والله أشْرَبُهــا حيــاتى * ولا أَشْــفِى بهــا أبدًا سَــقيما

(١) كذا فى الأصل المخطوط، والتبل : العداوة . وفى الطبعة الأولى «نبل» بالنون .

قال : وحَرَّمَ عفيفُ بن مَعْدِ يكَرِبَ عمّ الأشعث بن قيس الخَمْرَ وقال :

وقائلةٍ هَلُمَّ الى التصابى * فقلتُ عَفَفْتُ عما تَعْلَمِينا
وَوَدَّعْتُ القِداحَ وقد أرانى * بها فى الدَّهْرِ مَشْعُوفاً رَهِينا
وحَرَّمْتُ الخُمُور علىَّ حتّى * أكون بقَعْرِ مَلْحُودٍ دَفِينا

وقال عفيف بن معديكرب أيضا :

فلا والله لا أُلْفَى وشَرْباً * أُنازِعُهم شراباً ما حَيِيتُ
أبَى لِىَ ذاك آباءٌ كِرَامٌ * وأخوالٌ بِعِزِّهِمُ رَبِيت

قال : وحَرَّمَ سُوَيْد بن عدىّ بن عمرو بن سلسلة الطائىّ ثم المَعْنِىُّ الخَمْرَ وأدرك الإسلام فقال :

تَرَكْتُ الشِّعر واستبدلت منه * اذا داعى مُنادِى الصُّبْح قاما
كِتابَ الله ليس له شريك * وَوَدَّعْتُ المُدامة والنَّدامَى
وحَرَّمْتُ الخُمُورَ وقد أرانى * بها سَدِكاً وإن كانت حَراما

[مطلب شرح مادة الشعف بالمهملة والشغف بالمعجمة]

قال أبو علىّ : الشَّعَف : حُرْقة يَجِدُها الرجل مع لَذَّة فى قلبه؛ ولذلك قال امرؤ القيس :

أيَقْتُلُنِى وقد شَعَفْتُ فؤادَها * كما شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطالى

لأن المهنوءة تجد للهِناء لَذَّةً مع حُرْقة . والشَّغَف : أن يَبْلُغ الحُبُّ شَغَاف القلبِ، وهى جلدة دونه؛ والشَّغَاف أيضا : داء يكون فى أحد شِقَّى البطن؛ ولذلك قال النابغة :

وقد حَالَ هَمٌّ دون ذلك والِجٌ * وُلُوجَ الشَّغافِ تَبْتَغِيه الأصابع

يعنى أصابع الأطباء يَلْمُسْنَه : هل وَصَل إلى القلب أم لا، لأنه اذا اتصل بالقلب تَلِفَ صاحبُه. ويقال : سَدِكَ به وعَسِكَ وعَسِقَ ولَكِدَ ولَكِيَ وحَلِسَ وعَبِقَ ولَذِمَ وغَرِىَ اذا لَصِق به ولَزِمه، وكذلك دَرِبَ به وضَرِىَ به ولَهِجَ به وأَعْصَم به وأَخْلَدَ به وعَضَّ به وأَزِم به وألَظَّ به، قال الحارث ابن حِلِّزة :

طَرَقَ الخَيالُ ولا كَلَيْلَةِ مُدْلِجِ * سَدِكاً بأرْحُلِنا ولم يَتَعَرَّجِ

وقال الآخر :

وما كُنْتُ أَخْشَى الدهرَ إحلاسَ مُسْلِمٍ * من الناس ذَنْبًا جاءه وهْوَ مُسْلِما

أراد : وما كنت أخشى الدهر إلزامَ مسلم مسلما ذنبا جاءه وهو، أى جاءاه معًا . وقال رؤبة :

* والمِلْغُ يَلْكَى بالكلامِ الأَمْلَغ *

المِلْغُ : الماجن . والأَمْلَغُ : الأَمْجَن . وقال كعب بن زهير يمدح الأنصار :

دَرِبُوا كما دَرِبَتْ أُسُودُ خَفِيَّة * غُلْبُ الرِّقاب من الأسود ضَوارِى

وقال العجّاج :

يَقْتَسِرُ الأقرانَ بالتَّقَمُّمِ * قَسْرَ عَزِيزٍ بالأَكَال مِلْذَمِ

والأَكَال : ما أُكِل . وقال أوس بن حجر :

فما زَال حَتَّى نالَها وهو مُعْصِمٌ * على مَوْطِنٍ لو زَلَّ عنها تَفَصَّلا

قال أبو علىّ : حدّثنا أبو بكر بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن العتبىّ قال سمعت أعرابيا يقول: أَسْوأُ ما فى الكريم أن يَكُفَّ عنك خَيْرَه، وخيرُ ما فى اللئيم أن يَكُفَّ عنك شَرَّه .

وحدّثنا أبو عثمان الأشناندانىّ عن الأخفش سعيد بن مسعدة قال : كتب رجل من أهل البصرة الى أخ له : أما بعد، فإنه يُسَهِّل علىّ طلبَ الحاجة أمران فيك ، وأمران لى ، وأمر من قِبَل الله، وبه تمامها، فأما اللذان فيك : فاجتهادك فى النُّجْح ومبالَغتُك فى الاعتذار، وأما اللذان لى: فإنى لا أُضَيِّقُ عليك بعذرى، ولا أصون عنك شكرى؛ وأما الذى من قبل الله جلّ وعزّ: فإيمانى بأنّ كُلَّ مَقْدورٍ كائنٌ، والسلام .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان عن التوّزى عن أبى عبيدة قال: مَرَّ رجل من أهل الشام بامرأة من كَلْب فقال : هل مِن لَبَنٍ يُباع؟ فقالت : إنك لَلَئيمٌ أو حديث عهد بقومٍ لئام، هل يبيع الرِّسْلَ كريمٌ أو يمنعه إلا لئيم! إنا لَنَدَع الكُومَ لأضيافنا تَكُوس، اذا عَكَفَ الزمانُ الضَّروس؛ ونُغْلِي اللحمَ غَريضا، ونُهينه نَضِيجا . قال أبو علىّ : الرِّسْل : اللَّبَن .

وأنشدنا أبو بكر :

فتىً لا يَعُدُّ الرِّسْل يَقْضِى مَذَمَّةً * اذا نزل الأضياف أو يَنْحَر الجُزُرا

وكذلك أيضا الرِّسْل فى المَشْى بكسر الراء : وهو الهَيِّن الرِّفيق، قال صخر الغىّ :

لو أنَّ حَوْلِى من تَمِيم رَجْلا[1] * لَمَنَعُونى نَجْدَةً أو رِسْـــلا

يقول : لمنعونى بأمر شديد أو بأمر هين، والرَّسَل بفتح الراء والسين : الإبل، قال الأعشى :

يَبْغِى[2] ديارًا لها قد أَصْبَحَتْ غَرَضًا * زَوْرا تَجانَفَ عنها القَوْدُ والرَّسَـل

القَوْدُ : الخيل . وتَكُوس : تَمْشِى على ثلاث . ونُغْلِى من الغَلَاء .

قال أبو علىّ : وحدثنا أبو بكر عن العكلىّ عن آبن أبى خالد قال : قال زياد : ماقَرَأتُ كِتاب رَجُلٍ قَطُّ إلا عَرَفْتُ عَقْلَه فيه ، وما رأيت مثلَ الربيع بن زياد رَجُلا ، ما كَتَبَ الىّ كِتَابا قط إلا فى جَرِّ منفعة أو دفع مَضَرَّة ، ولا سألتُه عن شىء قط إلا وَجَدْتُ منه عنده علما ، ولا نَظَرْتُه فى شىء إلا وجدته قد سَبَقَ على الناس فيه ، ولا سايَرَنِى قَطُّ فَمَسَّتْ رُكْبَتُه رُكبتى .

وحدّثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدّثنا محمد بن يونس قال حدّثنا الأصمعىّ قال : توضأ أعرابىّ فبدأ بوجهه ورجليه ثم آستنجى ، فقيل له : أخطأْتَ السُّنَّة ، فقال : لم أكن لأبدأ بالخَبِيثة قبل جوارحى .

[مطلب ما قال الشعراء فى البكاء ووصف الدموع]

وحدّثنا أيضا قال حدّثنا أحمد بن يحيى النحوى قال حدّثنا عبدالله بن شبيب قال حدّثنى القروى عن موسى بن جعفر بن أبى كثير قال : كان المجنون لمّا أصابه ما أصابه يخرج فيأتى الشأم فيقول : أين أرض بنى عامر؟ فيقال له : أين أنت عن أرض بنى عامر؟ عليك بنجم كذا وكذا، فينصرف حتى يأتى أرض بنى عامر فيقف عند جبل لهم يقال له : التَّوْباذ، وينشد :

وأَجْهَشْتُ للتَّوْباذ حين رأيته * وكَبَّرَ للرحمن حين رآنى

فأذْرَيْتُ دمعَ العين لمَّا رأيتـــه * ونادى بأعلى صوته فدعانى

فقلت له أَيْنَ الذين عَهِدْتُهُمْ * حَوَالَيْـكَ فى أَمْنٍ وخَفْضِ زمان[3]

فقال مَضَوْا وآسْتَوْدَعُونى بلادهم * ومن ذا الذى يبقى على الحَدَثان

(١) فى اللسان مادة «رسل» قُرَيْم . (٢) فى اللسان (مادة رسل) «يَسْقِى رِياضا» . (٣) رواية معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٨٨٨ : * بربك فى خفض وعيش ليان *

وإنى لأَبْكِى اليوم من حَذَرِى غَدًا * فـراقَك والحَيَّـان مجتمعان
سِجَـالًا وتَهْتانًا وَوَبْلا وديمــةً * وَسَحًّا وتَسْكَابا وتَنْهِملان

ثم يمضى حتى يأتى العراق فيقول مثل ذلك ، ثم يأتى اليمن فيقول مثل ذلك .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه عن أحمد بن عبيد عن أبى عمرو الشيبانى للمجنون :

ذُدِ الدَّمعَ حتى يَظْعَنَ الحَىُّ إنما * دُموعُك إن ناضت عليك دليل
كأَنَّ دموعَ العين يوم تَحَمَّلوا * جُمانٌ على جَيْبِ القَميص يَسيل .

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال أنشدنا أحمد بن يحيى :

ومُسْتَنْجِدٍ بالحُزْن دَمْعًا كأنه * على الخَـدِّ مِمَّـا لَيْسَ يَرْقَأُ حائر
اذا دِيمةٌ منـه ٱسْتَقَلَّتْ تَهَلَّلَت * أوائلُ أُخْرَى ما لَهُنَّ أواخر
مَلَا مُقْلَتَيْــه الدمعُ حــتّى كأنه * لِمَـا ٱنْهَلَّ من عينيه فى المـاء ناظر

وأنشدنا هٰذه الأبيات أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دستوريه النحوى عن أبى العباس محمد بن يزيد الثُّمـالى ، وقال : قال أبو العباس : هذه الأبيات أحسن ما قيل فى الدموع ، وزاد فى آخرها بيتا :

ويَنْظُرُ مِنْ بين الدموعِ بمُقْلَةٍ * رَمَى الشَّوْقُ فى إنسانها فهو ساهر

وقرأت على أبى بكر بن دريد رحمه الله :

نَظَرْتُ كأنِّى من وراء زُجاجةٍ * الى الدار من ماء الصَّبابة أَنْظُرُ
فَعَيْنَاىَ طَوْرًا تَغْرَقانِ من البكا * فأَعْشَى وحِينًـا تَحْسِران فأُبْصِر

وأنشدنى أبو عبد الله نفطويه عن أحمد بن يحيى لذى الرمّة :

وما شَنَّتَا خَرْقاء واهِيَتا الكُلَى * سَقَى بهما ساقٍ ولَمَّـا تَبَـلَّلا
بأَضْيَعَ مِن عَيْنَيك للدمعِ كُلَّما * تَذَكَّرْتَ رَبْعًا أو تَوَهَّمْت مَنْزِلا

وحدّثنى أبو بكر التـاريخى قال : قال بشار : ما زال غلامٌ من بنى حنيفــة (١) يُدْخِل نَفْسَه فينـا ويخرجها مِنّا حتى قال :

(١) غلام من بنى حنيفة : يعنى به العباس بن الأحنف ، فان العباس من بنى حنيفة وهــذان البيتان فى ديوانه (ص ٦٨ طبع الجوائب) .

نَزَفَ البكاءُ دُموعَ عَيْنِك فاْسْتَعِرْ * عَيْنًا لغيرك دَمْعُها مِدْرارُ
من ذا يُعيرك عَيْنَه تَبْكِي بها * أرأيتَ عَيْنًا للبكاء تُعارُ

وأنشدنى أيضا قال أنشدنى البُحْتُرى لنفسه :

وَقَفْنا والعيونُ مُشَغَّلاتٌ * يُغَالِب دَمْعَها نَظَرٌ كليل
نَهَتْهُ رِقْبةُ الواشين حَتَّى * تَعَلَّق لا يَغِيض ولا يَسيل

وأنشدنى بعض أصحابنا لِدعْبِل الخُزَاعى :

يا رَبْعُ أَيْنَ تَوَجَّهتْ سَلْمَى * أَمَضَتْ فَمُهْجةَ نفسه أَمْضَى
لا أَبْتَغِى سَقْىَ السحاب لها * فى مُقْلَتِى عِوَضٌ من السُّقْيا

وأنشدنى جحظة لنفسه :

ومِنْ طاعتى إيَّاه أُمْطِرُ ناظرى * له حين يُبْدِى من ثناياه لى بَرْقا
كأنَّ دُموعى تُبْصِر الوصل هارِباً * فَمِن أَجْلِ ذا تَجْرِى لِتُدْرِكَه سَبْقا

وكان أبو بكر بن دريد يستحسن قول أبى نُواس(١) فى هذا المعنى :

لا جَزَى اللهُ دَمْعَ عينىَ خَيْرا * وجزى الله كلَّ خَيْرٍ لسانى
نَمَّ دمعى فليس يكتُم شيئًا * ورأيتُ اللسانَ ذا كِتمان
كنت مِثْلَ الكِتاب أَخْفاه طَىٌّ * فاْستدَلُّوا عليه بالعُنْوان

وأنشدنا نفطويه لنفسه :

قلبى عليك أَرَقُّ من خَدَّيْكا * وقُوَاى أوهى من قُوَى جَفْنَيْكا
لم لا تَرِقُّ لمن تُعَذِّبُ نفسَه * ظُلْما ويَعْطِفُه هَواهُ عليكا

وأنشدنا أبو بكر لنفسه :

إن الذى أَبْقَيْتَ من جسمه * يامُتْلِفَ الصَّبِّ ولم يَشْعُر
صُبَابةٌ لو أنها دَمْعةٌ * تَجُول فى جَفْنِك لم تَقْطُر

(١) قوله : قول أبى نواس الخ، كتب بهامش الأصل : هذه الأبيات للعباس بن الأحنف اهـ .

قال الأصمعى : من أمثال العرب «لايَعْدَمُ شَقِىٌّ مُهْرًا» أى لايعدم شقى عَنَاء . ويقال : «لاتَعْدَمُ الحَسْناءُ ذامًّا» يراد : لا يخلو الرجل من أن يكون به مايُعَاب . ويقال : «لَيْسَ عليك نَسْجُه فاسْحَبْ وجُرَّ» يضرب مثلا للرجل يُفْسِد مالم يَتَعَنَّ فيه . ويقال : «اللَّيْلُ أخْفَى للوَيْلِ» أى الستر أستر من المُكاشَفة . ويقال : «قَبْلَ الرِّماء تُمْلَأُ الكَنَائن» يراد به : قَبْلَ وقوع الأمر يُعَدُّ له .

وأنشدنى أبو المَيَّاس البيتَ الأوّلَ من هذين البيتين، فأنشدته أبا بكر بن دريد، فزادنى البيت الثانى :

ولَذٍّ كطَعْم الصَّرْخَدِىِّ تَرَكْتُــه * بأرض العِدَا من خَشْيَة الحَدَثانِ
ومُبْدٍ لىَ الشَّــحْنَاءَ بينى و بينه * دَعَوْتُ وقد طال السُّرَى فَدَعانى

لَذٌّ يعنى النوم . والصَّرْخَدِىُّ : العَسَل، كذا قال أبو المياس . والعِدَا : الأعداء . والحَدَثان : ما يَحْــدُث من الأمور . وقال أبو بكر : اللَّذُّ : اللذيذ، يعنى النوم . والصَّرْخَدِىُّ : الخمر . وقوله : ومُبْدٍ لى الشَّحناء يعنى كلبا . وذلك أن الرجل اذا تحيّر فى الليــل فلم يَدْرِ أين البيوت نَبَحَ، فتســمعه الكلاب فتَنْبح، فيقصِد أصواتَها؛ وهذا الذى تقول له العرب : المُسْتَنْبِح . ثم أنشدنى :

ومُسْتَنْبِحٍ بات الصَّــدَى يَسْتَتِيهُه * فتَاه وجَوْزُ الليل مُضْطَرِبُ الكِسْر(١)
رَفَعْتُ له نارا تَقُــوبًا زِنادُها * تُليح الى السارى هَلُمَّ الى قِــدْرِى
فلمــا أتى والبُــؤْسُ رادِفُ رَحْلِهِ * تَلَقَّيْتــه مِنِّى بوَجْــهِ آمرئٍ بِشْر
فقلت له أَهْــلٌ كأَهْــلٍ فلم يَجُرْ * بك الليــلُ إلا للجميل من الأمر
وكادت تَطِيرُ الشَّوْلُ عِرْفَانَ صَوْتِه * ولم تُمْسِ إلا وهْىَ خائفة العَقْــر

[مطلب الكلام على مادة ب ش ر]

قال أبو على : بِشْرٌ : مصدر بَشَرْتُه أَبْشُره بَشْرًا، والبِشْرُ : الآسم، أراد بوجهِ آمرئٍ ذى بِشْر، فحذف المضاف، وفى بَشَرْتُ لغات(٢)، قال الكسائى : يقال : بَشَّرْت فلانا بخير أُبَشِّره تَبْشيرا، وبَشَرْتُه أَبْشُره بَشْرًا، وبَشَرْتُه أَبْشِره بَشْرًا وبُشُورا، وأَبْشَرْته أُبْشِرُه إبشارا فى معنى واحد؛ وحكى عن بعضهم

(١) الكسر (بالفتح وبكسر) : الناحية . (٢) حاصل أبواب هذا الفعل : أن بشر بوزن فرح لازم فقط، وبشر بوزن نصر وأبشر بوزن أكرم يتعديان ويلزمان، وبشر المضاعف متعد فقط .

أنه قال : دخلت على الناطفى فبَشَّرنى بِبِشْرٍ حَسَنٍ ، قال : وسمعت أبا ثَرْوان ورَجُلا من غَنِيٍّ يقولان : بَشَرَنى فلان بخير و بَشَرْتُه بخير . قال و يقال : أَبْشَر فلان بخير، أى ٱسْتَبْشَر، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ أى ٱستبشروا، وكذا كلام العرب اذا أخبروا عن أنفسهم قالوا : قد أَبْشَرْنا ، أى فرِحْنا . قال و يقال أيضا : بَشَرْت بهذا الأمر أَبْشُر بشُورا ، أى فَرِحت وٱسْتَبْشَرْت، على معنى أَبْشَرت ، وهى فى قضاعة؛ وقرأ أبو عمرو : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ﴾ بالتخفيف .

[مطلب الكلام على مادة خ ف ى]

وقال اللحيانى : خَفَيْتُ الشيءَ أَخْفِيه خَفْيًا وخُفِيًّا اذا ٱستخرجته وأظهرته؛ وأنشد :

خَفَاهُنَّ(١) من أَنْفاقِهِنّ كأنّما * خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سحاب مُرَكَّب

قال أبو على : وغيره يروى : من عَشِيٍّ مُجَلِّب ، أى مُصَوِّت . ويقال : ٱخْتَفَيْت الشيءَ ، أى أظهرته . وأهل الحجاز يسمون النَّبَّاش : الْمُخْتَفِى ، لأنه يستخرج أكفان الموتى . وأَخْفَيْت الشيء أُخْفِيه إخفاء إذا سترته؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ وهى قراءة العامة والناس؛ وروى عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرأ ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ أى أظهرها ، وقال أبو عبيدة : أَخْفَيْت الشيءَ كتمته وأظهرته . ويقال : دَعَوْتُ الله خُفْية وخِفْية ، أى فى خَفْض ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وخُفْيَةً﴾ وهى قراءة الناس والمجتمع عليها ، وكان عاصم يقرأ ﴿تَضَرُّعًا وَخِفْيَةً﴾ فى جميع القرآن . وقال اللحيانى وأبو نصر: الخافى: الجِنُّ . قال اللحيانى يقال : أصابته رِيحٌ من الخَوَافى، وأصابته رِيحٌ من الخافى، وهو واحد الخَوَافى ، وقال أبو نصر : الخَوَافِى جمع الجمع ، وسمعت أبا بكر بن دريد يقول : إنما قيل لهم خافٍ لخَفَائهم وٱستتارهم عن العيون . وقال اللحيانى : الخَوَافى من السَّعَف : مادُون القِلَبَة ، واحدتها خافِيةٌ . والخَوَافِى من ريش الطائر : ما دون المَنَاكب ، وهى أربع ريشات . قال و يقال لأربع ريشات فى مُقَدَّم الجناح : القَوَادم، ثم تليها أربع ريشات مَنَاكب ، ثم تليها أربع ريشات خَوَافٍ ، ثم يلى الخَوَافِىَ أربعٌ أباهرُ . وقال غيره : فى جناح الطائر عشرون ريشة مما يلى الجَنْب، فأربعٌ قوادِمُ، وأربعٌ مناكبُ ، وأربعٌ كُلًى ، وأربع خَوَافٍ ، وأربعٌ أباهر . ويقال : بَرِحَ الخَفاء ، أى ظهر الأمر ، وصار كأنه فى بَرَاحٍ ، وهو المكان المستوى المُتَّسع . وقال اللحيانى قال

(١) البيت لامرئ القيس يصف فرسا كما فى اللسان مادة «خفى» .

بعضهم : بَرِحَ الخَفاء، أى ذَهَب السِّر وظهر، والخَفاء ههنا : السِّر . وقال : الخَفَاء مصـدر خَفِيَ يَخْفَى خَفاء، وقال بعضهم : الخَفاء المُتطأطئ من الأرض، والبَرَاحُ : المرتفع الظاهر، فيقول : ٱرتفع المتطأطئ حتى صار كالمرتفع الظاهر، وقال أبو نصر : الخَفاء : ماغاب عنك .

[مطلب الكلام على مادة خيف وخوف]

وقال اللحيانى يقال : الناسُ أَخْيافٌ فى هـذا الأمر، أى مختلفون لايستوون . ويقال : خَيَّفَت المرأةُ أولادَها اذا جاءت بهم أَخْيافًا ، أى مختلفين؛ ويقال : تَخَيَّفَت الإبل وتَبَرْقَطَتْ اذا ٱختلفت وجوهُها فى الرعى . والخَيْفُ : ما ٱرْتَفَع عن مَجْرَى السـيل وٱنحدر عن غِلَظ الجبـل ، ومنه مسجد الخَيْف بِمِنًى . ويقال : أَخاف الرجلُ فهو مُخِيفٌ اذا أتى الخَيْف ، والقومُ مُخِيفُون . والخَيْف : جلد ضَرْعِ الناقة ، يقال : ناقة خَيْفاء ، والجمع خَيْفَاواتٌ وخِيفٌ ، ويقال : بَعـير أَخْيَف اذا كان واسع الخَيْف ، وهو جلد الثِّيل(١)؛ وأنشدنا أبو نصر :

صَوَّى لها ذا كِدْنةٍ جُلْذِيًّا * أَخْيَفَ كانت أُمُّهُ صَفِيًّا(٢)

وقال اللحيانى يقال : خَيِفَت الناقة تَخْيَف خَيَفًا اذا ٱتسع جلد ضَرْعِها . ويقال : فرس أَخْيَف ، والأنثى خَيْفاء، والجمع خِيفٌ، اذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء . والخَيْفانـ : الجراد اذا صارت فيها ألوان مختلفة، واحدتهـا خَيْفانَةٌ، وبه سميت الفرس خَيْفانة لسرعتها، وقال أبو بكر : إنما قيل للفرس خَيْفانة لأن الجرادة اذا ظهرت فيها تلك الألوان كان أسرع لطيرانها . وقال اللحيانى : تَخوَّفْت الشيءَ تَنَقَّصْتُه، قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أى على تَنَقُّص . ويقال : تَحَوَّفْتُ الشيءَ بالحاء غير معجمة، اذا أخذتَ من حافاته . وقال أبو نصر : وجَمْـعٌ مُخِيف اذا أخاف من ينظر اليـه . وحائطٌ مَخُوف، وثَغْرٌ مَخُوف، وطَريق مَخُوف، اذا كان يُفْرَق منه . وقال اللحيانى : وقد يقال : ثَغْر مُخيف اذا كان يُخِيف أهله . ويقال : خِفْتُ من الشيء أَخَاف خَوْفًا وخِيفَةً وخِيفًا، وهو جمع خِيفة؛ قال الهذلىّ(٣) :

فلا تَقْعُدَنّ على زَخَّـةٍ * وتُضْمِرَ فى القلب وَجْدًا وخِيفا

---

(١) الثيل (بالكسر والفتح) : وعاء قضيب البعير وغيره، أو هو القضيب نفسه (قاموس) . (٢) البيت للفقعسى يصف الراعى والإبل كما فى اللسان مادة «صوى» . (٣) هو صخر الغىّ كما فى منتهى أشعار الهذليين ص ٦ ٤ طبع لندن سنة ١٨٥٤ م .

والزَّخَّة : الدَّفْعة، يقال : زَخّ فى صـدره يَزُخُّ زَخًّا، أى دَفَع، ومنه قيـل للمرأة مِزَخَّة . ويقال : فلان خائفٌ والقوم خائفون وخُوَّف وخُيَّف، قال الله تبارك وتعـالى : ﴿ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ وفى حرف أُبَىّ وآبن مسعود ﴿أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خُيَّفًا﴾ والخَافَة : خَرِيطة من أدَم ضَيِّقة الرأس واسعة الأسفل، تكون مع مُشْتَار العَسَل اذا صَعِد لِيَشْتار .

وحدّثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عَمّى صَبَّاح بن خاقان قال قال خالد بن صـفوان لبعض الوُلاة : قَدِمْتَ فأَعْطَيْتَ كُلًّا بِقسْطه من وجهك وكرامتك، حَتَّى كأنك لَسْتَ من أَحَدٍ، أو حتى كأنك من كل أحد .

وأنشدنى أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى أبى عن أحمد بن عبيد :

مالِرَسُولى أتانى منك باليـاس * وقال أَظْهَرْتَ بعدى جَفْوَة القاسى
إنى أُحِبُّك حُبًّا لا لفاحشـة * والحُبُّ ليس به فى الله من باس

وقرأت على أبى بكر بن دريد :

ولَمَّا أبى إلا جِمَـاحا فؤادُه * ولم يَسْلُ عن لَيْلَى بمال ولا أهل
تَسَلَّى بأخرى غيرِها فاذا التى * تَسَلَّى بها تُغْرِى بليلى ولا تُسْلى

وأنشدنا أبو عبد الله :

يامُنْيَة النفس إن أُعْطِيتُ مُنْيَتَها * وسُؤْلَتِى إن دَنَوْنا أو تَأَيْنَـاكِ
هل بِعْتِنا ببَدِيلٍ مُنْـذُ لم نَرَكُمْ * فما بشىء من الأشياء بِعْناك
إن كُنْتِ لم تَذْكُرِينا عند فرقتنا * فيَشْهَـد اللهُ أنَّا ما نَسِـيناك

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : تَذَاكَرَ قومٌ صِلَةَ الرَّحِم وأعرابى جالس، فقال : مَنْسَاةٌ فى العُمْر، مَرْضَاةٌ للرب، مَحَبَّةٌ فى الأهل .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : وَصَف أعرابىٌّ ناقة فقال : اذا ٱكْتَالَّت عينُها، وأَلِلَتْ أُذُنُها[1]، وسَجِح خَدُّها، وهَدِل مِشْفَرُها، وٱستدارت جُمْجُمَتُها، فهى الكَرِيمة .

قال أبو على : سَجِح : سَهُل وحَسُن . وهَدِلَ : ٱسْتَرْخَى .

(١) ألِلت : ٱنتصبت فى دقة وٱستواء .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا عبـد الرحمن قال سمعت عمى يقول سمعت أعرابية تقول لرجل : رماكَ اللهُ بليلة لا أُخْتَ لها، أى لا تعيش بعدها .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال قال أَكْثَمُ بن صَيْفِىٍّ : سُـوءُ حَمْلِ الفاقةِ يُحْرِضُ الحَسَبَ(١)، ويُقوِّى الضّرورة، ويُذْئِرُ أهلَ الشّماتة .

قال أبو على : يُذْئِر : يُحَرِّش، يقال : أَذْأَرْتُه بأخيه اذا حَرَّشْته عليـه وأَوْلَعْته به ، وقد ذَئِرَ هو ذَأَرًا حين أَذْأَرْته ؛ قال الشاعر :

ولَقَدْ(٢) أَتانِى عن تَمِـيمٍ أنَّهم * ذَئِرُوا لِقَتْلَى عامرٍ وتَغَضّبوا

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال بعض العرب : أَوْلَى الناسِ بالفَضْلِ أَعْوَدُهم بفَضْله ، وأَعْوَنُ الأشياء على تَذْكِيَة العَقْل التّعلُّم ، وأدلُّ الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال رجل من العرب : ما رأيتُ كَفُلان ، إن طَلَب حاجةً غَضِبَ قبل أن يُرَدَّ عنها ، وإن سُئِل حاجةً ردَّ صاحِبَها قبل أن يَفْهَمَها .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمـه قال قال بعض الأعراب : لا أَعرف ضُرًّا أَوْصَلَ إلى نِيَاط القلب من الحاجة إلى من لم تَثِقْ بإسعافه ولا تأْمَنْ رَدّه ، وأَكْلَمُ المصائب فَقْدُ خليل لا عِوَضَ منه .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ذكر رجل حاتما الطائى فقال : كان إذا قاتَلَ غَلَبَ ، واذا غَنِم أَنْهَبَ ، وإذا سُئِل وَهَبَ ، واذا أَسَرَ أَطْلَقَ .

وحدّثنا قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قيل لأعرابى : أىُّ شىء أَمْتَعُ ؟ فقال : مُمَازَحَةُ المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ، وأَمَانِىُّ تَقْطَع بها أيّامَك .

وحدّثنا قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال سمعت أعرابيا يقول : مَنْ لم يَرْضَ عن صَـدِيقه إلا بإيثـاره على نفسه دام سَخَطُه ، ومن عاتَبَ على كل ذَنْبٍ كَثُرَ عَدُوُّه ، ومن لم يُوَاخِ من الإخوان إلا مَنْ لا عيب فيه قَلَّ صَدِيقُه . وأنشدنا أبو عبد الله :

الرُّمْحُ لا أَمْـلأُ كَفِّى به * واللِّبْـدُ لا أَتْبَـعُ تَزْوالَه

(١) يحرض : يفسد . (٢) البيت لعبيد بن الأبرص ، كما فى اللسان : (مادة ذأر) .

يقول : لا أُقاتل بالرمح وَحْدَه فأَشْـغَلَ كفى به دون غيره من السلاح، ولكنى أقاتل به وبغيره، واذا زال اللِّبْدُ عن مَتْن الفرس لم أَزُلْ معه وثَبَتُّ؛ يصف نفسه بالفروسية .

وحدّثنا أبو بكر ٱبن الأنبارى قال حدّثنا عبد الله بن خلف عن موسى بن صالح عن معاوية بن صَدَقة الجَحْـدَرِىّ قال : كان رجل من مُجَاشِع يقال له : سعد بن مُطَرِّف، يَهْوَى ٱبنةَ عَمٍّ له يقال لها : سُعاد، فكان يأتيها ويتحدّث إليها ولا يعلمها بما هو عليه من حبِّها، حتى سُلَّ جسمُه ونَحَل بدنه، فبينا هو ذات يوم معها جالس إذ نظر إليها وأنشأ يقول :

وما عَرَضَتْ لى نَظْرةٌ مُذْ عرفتها * فأَنْظُـرُ إلا مُثِّلَتْ حيث أَنْظُرُ
أَغَارُ على طَرْفى لهـا فكأننى * إذا رام طَرْفى غَيْرَها لست أُبْصِر
وأَحْذَرأن تَصْغَى إذا بُحْتُ بالهوى * فأكتُمها جُهْدِى هَوَاى وأستر

فلما سمعت ذلك منه ساءها وكرِهتْ أن ينشر خبرهما، فأقْصَتْه وأظهرت هجره، فكتب إليها :

مُتُّ شَوْقًا وكِدْتُ أَهْلِكُ وَجْدا * حين أَبْدَى الحبيبُ هجرا وصدّا
بأَبِى مَنْ اذا دَنَوْتُ اليه * زادنى القرب منه نأيا وبعـــدا
لا وحُبِّيـــه لا وَحَقِّ هـــواه * ما تناسيتُه ولا خُنْتُ عهـــدا
حاش لله أن أكـون خَلِيًّـا * من هواه وقـــد تَقَطَّعْتُ وجدا
كيف لا كيف عن هواه سُلُوِّى * وهو شمس الضحى اذا ما تَبَدَّى

فكانت تحب مواصلته، وتُشْفِق من الفضيحة فتُظْهِر هجره وتُبْعِده، فلم يزل عَلِيل البدن والقلب .

وأنشدنا أبو بكر الأنبارى قال أنشدنى أبى :

أَلَمَّتْ وهل إلمـامُها لك نافعُ * وزارت خَيالًا والعيون هَوَاجِعُ
بنفسى مَنْ تنْأَى ويَدْنو خيالُها * ويَبْـــذُل عنها طَيْفُها ويُمانِـع
خَليـــلَىَّ أَبْلانِى هَوَى مُتَمَنِّع * له شيمةٌ تأْبَى وأخرى تُطاوع
وإن شفاء النفس لو تعلمينــه * حبيبٌ مُواتٍ أو شَبابٌ مُراجِع

وأنشدنا أبو بكر بن دريد للمجنون :

وإنى لأَسْتَغْشِى وما بِىَ نَعْسـةٌ * لَعَـــلَّ خيالًا منـكِ يَلْقَى خَيالِيـا

وأُخْرُجُ من بين البيوت لَعلّني * أُحَدِّث عنك النفس فى السر خاليـا
أَصَــبْرًا ولمّـا تَمْضِ لى غيرُ ليــلة * رُوَيْدَ الهَـــوَى حَتّى يُغِبَّ لياليـا
أرى الدهر والأيام تَفْنَى وتنقضى * وحُبُّـــكِ ما يزداد إلّا تَمَـاديا

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه للمجنون :

وعُلِّقْتُ لَيْـــلَى وَهْىَ غِرٌّ صغيرةٌ * ولم يَبْدُ للأَتْراب من ثَدْيِها حَجْمُ
صغيرَيْن نَرْعَى البَهْمَ يا لَيْتَ أننا * الى الآنَ لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَرِ البَهْمُ

وأنشدنا أبو عبد الله أيضا فى هذا المعنى لخالد بن المهاجر :

أَمْسَتْ مَنَازِلُكم بمَكَّةَ مِنْكُمُ * قَفْـرًا وأَصْبَحَتِ المَعَـالمُ خاليه
لو كنتُ أَمْلك رَجْعَكُم لَرَجَعْتُكُم * قـــد كُنْتُم زَيْنِى بهـا وجَمَالِيَه
عُلِّقْتُهـا غِرًّا غــلاما ناشئا * غَضَّ الشَّباب وعُلِّقَتْنِى جاريه
حتى ٱسْتَوَيْنا لم تَزَلْ لِىَ خُـــلَّةً * أَبْكِى اذا ظَعَنَتْ بعينٍ باكيه

وأنشدنا أيضا :

اذا حُجِبَتْ لم يَكْفِكَ البَدْرُ فَقْدَها * وتَكْفِيك فَقْدَ البدر إن حُجِبَ البدر
وحَسْبُك من خَمْرٍ تَفُوتُك رِيقُها * وواللهِ ما مِنْ رِيقِها حَسْبُك الخمــر

وأنشدنا أيضا :

قد قلتُ للبدر وٱسْتَعْبَرْتُ حين بدا * يا بَدْرُ ما فيك لى من وَجْهِها خَلَف
تَبْـــدُو لنا كُلَّمـا شئنا مَحاسِنُها * وأنت تَنْقُص أحيانا وتَنْكَسِف

وقرأت على أبى بكر بن دريد لجميل بن مَعْمَر العُذْرى :

تَنَــادَى آلُ بَثْنَــةَ بالرَّواح * وقد تَرَكُوا فؤادك غير صاح
فيالَكَ مَنْظَرًا ومَســيرَ رَكْبٍ * شَجَانى حين أَمْعَنَ فى الفَيَـاح
ويا لَكِ خُلَّةً ظَفِــرتْ بعقلى * كما ظَفِرَ المُقامر بالقِـــداح
أريد صلاحها وتريد قتـــلى * فَشَتَّى بين قَتْلِى والصـــلاح
لَعَمْرُ أبيك لا تَجِدين عَهْدى * كعَهْدِك فى المـودَّة والسَّماح
ولو أرسلتِ تستهدين نفسي * أتاكِ بهـا رَسُولُكِ فى سَرَاح

وقرأت عليه له أيضا :

فإن يَكُ جُثْمَانِي بأرض سواكم * فإنَّ فؤادى عنــدك الدَّهْرَ أَجْمَعُ
اذا قلت هـذا حِينَ أَسْلُو وأَجْتَرِى * على صَرْمِها ظَلَّتْ لها النَّفْسُ تَشْفَع
وإن رُمْتُ نفسى كيف آتِي لِصَرْمِها * ورُمْتُ صـدودا ظَلَّت العينُ تَدْمَع

وكتبت من كتاب أبي بكر بن دريد رحمه الله وقرأت عليه أيضا قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

أَلَا يا كَأْسُ قد أَفْنَيْتِ قَوْلى * فَلَسْتُ بقائِلٍ إِلَّا رَجِيعـا
ولست بنـائم إلا بِهَــمٍّ * ولا مُسْــتَيْقِظٍ إلا مَرُوعا
أؤمّل أن ألاقى آل كأس * كما يَرْجُو أخو السَّنةِ الرَّبيعا
وإنكِ لو نَظَرْتِ فَدَتْكِ نَفْسِى * الى كَبِدِى وَجَدْتِ بها صُدُوعا

وقرأت عليه أيضا :

ولمـا بدا لى منك مَيْلٌ مع العدَى * سِوَاى ولم يَحْــدُثْ سواك بَدِيل
صَدَدْتُ كما صَــدَّ الرَّمِيُّ تَطَاوَلت * به مُــدَّة الأيام وهْوَ قتيــل

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا ابراهيم بن عبد الله الورّاق :

نَزَفت دمعى وأَزْمَعت الفراق غَدًا * فكيف أبكى ودَمْعُ العَيْنِ مَنْزُوف
وَاسَوْأَتَا من عُيون العاشقين غدًا * اذا رَحَلْت ودَمْعُ العين موقوف

وأنشدنا قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء لإبراهيم بن المهدىّ :

لم يُنْسِنِيكِ سرورٌ لا ولا حَزَنٌ * وكيف لا كَيْفَ يُنْسَى وَجْهُكِ الحَسَنُ
ما زِلْتُ مــذ كَلِفَتْ نفسى بُحبِّكُمُ * كُلِّى بكُلِّكِ مَشْــغُول ومُرْتَهَن
نُورٌ تَجَسَّم من شمس ومن قمــر * حتى تَكَامَل منــه الرُّوحُ والبَــدَن

قال أبو بكر : ويروى :

ولا خَلَا منك قلبى لا ولا بدنى * كُلِّى بكُلِّكِ مشــغول ومُرْتَهَن

قال أبو بكر وأنشدنى أبي للحسن بن وهب :

بِأَبِي كَرِهْتُ النارَ لمـا أُوقِدَتْ * فَعَرَفْتُ ما مَعْنـاكِ في إبعادها

هِيَ ضَرَّةٌ لك بٱلتمـاعِ ضيائها * وبحُسْنِ صُورتها لدى إيقادها
وأرى صَنيعَك بالقلوب صَنيعَها * بسَيالها وأراكها وعَرادِها
شَرِكَتْكَ فى كل الأمور بحسنها * وضيائها وصــلاحها وفسادها

وقرأت على أبى بكر بن دريد لأبى الشِّيص :

وَقَفَ الهوى بى حَيْثُ أَنْتِ فليس لى * مُتَأَخَّرٌ عنـه ولا مُتَقَــدَّمُ
أَجِدُ المَلامـةَ فى هَــواكِ لذيذةً * حُبًّا لذكرك فَلْيَلُمْـنِى اللُّوَّمُ
أَشْبَهْتِ أعـدائى فَصِرْتُ أُحِبُّهــم * اذ صارحَظِّى منـك حَظِّىَ منهــمُ
وأَهَنْتِـنِى فَأَهَنْتُ نفسى صاغرا * ما مَنْ يَهُون عليـك ممن أُكرِمُ

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنى أبو الحسن بن البراء لإبراهيم بن المهدى :

اذا كَلَّمتنى بالعيون الفــواتر * رَدَدْتُ عليهـا بالدموع البــوادر
فلم يَعْــلَم الواشون ما دار بيننـا * وقــد قُضِيَتْ حاجاتُنا بالضمائر
أقاتِلَتِى ظُلْمًـا بأسْـهُمِ لحظها * أَمَا حَكَمٌ يُعْدِى(١) على طَرْفِ جائر
فلو كان للعُشّاق قاضٍ من الهوى * اذًا لَقَضَى بين الفؤاد وناظرى

قال أبو بكر : وسرق هذا المعنى خالد الكاتب فقال :

أعان طَرْفِى على جسمى وأحشائى * بنَظْـرةٍ وَقَفَتْ جسمى على دائى
وكنتُ غِرًّا بمـا يَجْنِى على بَدَنِى * لا عِلْمَ لى أن بَعْضِى بَعْضُ أدوائى

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو الحسن بن البراء لبعض شواعر الأعراب :

ولو نظَرُوا بيــن الجَــوانح والحَشَا * رَأَوْا من كتاب الحُبِّ فى كَبِدِى سَطْرا
ولو جَرَّبوا ما قــد لَقِيتُ من الهوى * اذًا عَذَرُونى أو جعلت لهم عــذرا
صَدَدْتُ وما بى من صُدُودٍ ولا قِلًى * أَزُورُهُم يــوما وأَهْجُــرُهُم شهرا

وأنشدنى أيضـا قال أنشدنى على بن محمـد المدائنى قال أنشدنا أبو الفضل الرَبَعىّ الهاشمى قال أنشدنا إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

أخاف عليها العَيْنَ من طُول وَصْلِها * فأهجرها الشهرين خوفا من الهجــر

(١) يعدى : يعين و ينصر .

وما كان هِجْرانى لها عَنْ مَلَالة * ولكننى أَمَّلْتُ عاقبة الصَّبْرِ
أُفَكِّر فى قلبى بأىّ عُقوبةٍ * أُعاقِبُهُ فيكم لِتَرْضَوْا فما أدرى
سوى هجركم والهجرُ فيه دَمَارُه * فعاقبته فيكم من الهجر بالهجر
فكنت كَمن خاف النَّدَى أن يَبُلَّه * فعاذَ من المِيزاب والقطر بالبحر

وقال أبو زيد : من أمثال العرب « بَرِّقْ لمن لا يَعْرِفُكْ » يضرب مثلا للذى يُوعِد من يَعْرِفه ؛ يقول : اصنع هذا بمن لا يعرفك . وقال الأصمعىّ : ومن أمثالهم « حَرِّكْ خِشَاشَه » اذا عَمِل بما يؤذيه . ويقال : « ضَرَبَ لذلك الأمر جِرْوَتَه » أى وَطَّن عليه نفسه . ويقال : « لَوَى عنه عِذَارَه » أى عصاه فلم يُطِعْه فى أمره . ويقال : « شَرَّابٌ بأَنْقُعٍ » أى مُعاوِدٌ للأمور يأتيها مرة بعد مرة . وسألنا أبا عبد الله عن بيت أبى العَمَيْثَل بعد أن قرأناه على أبى بكر بن دريد مصححين له :

أيَّامَ أَلْحَفُ مِئْزَرِى عَفَرَ المَلَا * وأَغُضُّ كلَّ مُرَجَّلٍ رَيَّان

فأخبَرَنا عن أحمد بن يحيى بهذا التفسير قال أَلْحَف : أَلْبس . والعَفَرُ : التراب ، يقول : أَجُرُّه عليه من الخُيَلاء والنشاط . والمَلَا : الفضاء . وأَغُضُّ : أَنْقُصُه وأشرب ما فيه . والمُرَجَّل : زِقٌّ سُلِخ من قِبَل رِجله . ورَيَّان : ممتلئ ؛ قال وقال سعدان : أنشدنيه أبو العميثل وهذا معناه ؛ وقال ابن الأعرابىّ أَغُضُّ : أَكُفُّ . والمُرَجَّل : الشَّعَر يُرَجَّل ويُهَيَّأ ، ورَيَّان من الدُّهْن ، وهو كقول الأعشى :

ولقد أُرَجِّلُ جُمَّتِى بعَشِيَّةٍ * للشَّرْب قَبْلَ سَنَابِكِ المُرْتاد

ولم ينكر القول الأول ، وقال : قد سمعته من قائله .

[مطلب الكلام فى تفسير مادة أ كل]

وقال أبو نصر : إنه لَذُو أُكْلة فى الناس ، أى ذو نَمِيمة وَوَقِيعة ؛ وقال أبو عبيد عن الأصمعىّ : إنه لذو أُكْلة فى الناس وأَكْلة ، أى ذو غِيبة يَغْتَابُهم ؛ وقال اللحيانى : إنه لَذُو أُكْلة وإِكْلة لِلُحوم الناس . وقالوا جميعا الأُكْلة : اللُّقمة ، يقال : ما أَكَلْت إلا أُكْلة ، والأَكْلة الفَعْلة : الواحدة من الأكل . والإِكْلة : الحال التى تأكل عليها قاعدا أو متّكئا . وقال اللحيانى الأَكَال : ما يُؤْكَل ، يقال : ما ذُقْتُ اليوم أَكَالا . والأَكِلة غير ممدود والإِكْلة والأُكَال : الحِكَّة ، يقال : إنه ليجد أَكِلة على فَعِلة ، وإِكْلة وأُكَالا ؛ ويقال : أَكِلَت الناقةُ تأْكَلِ أَكَلًا اذا نبت وَبَرُ جنينها فى بطنها فوجدت

لذلك حِكّةٌ وأذًى ، وناقة أَكِلةٌ ، على فَعِـلة . وقال الأصمعيّ : بأسـنانه أَكَلٌ اذا كانت مُتأَكِّلة ، وقال أبو نصر : يقال : كَثُرت الآكلة فى أرض بنى فلان ، أى الراعية ؛ وقال اللحيانى : الأَكِلة على فَعِلة . وقال الأصمعيّ : تأَكّل السيفُ تأكُّلا اذا تَوَهّج من الحِدّة ؛ قال أوس بن حجر :

وأبيضَ صُـوليًا كأنّ غِرارَه * تَـلألُؤُ برقٍ فى حَبِيٍّ تأكُّلا

وزاد اللحيانى ، والتأكُّل : شدّة بَريق الكحل اذا كُسِرَ أو الفِضّة أو الصَّبِر . وقالوا جميعا : فلانٌ ذو أُكْلٍ اذا كان ذا حَظٍّ ورزق فى الدنيـا ، والجميع الآكال . وقال اللحيانى : يقال : أُكُلُ بستانك دائم ، أى ثَمَرُه . وقال أبو نصر والأصمعى : ثوب ذو أُكْلٍ اذا كان كثير الغزل صفيقا . وإنه لذو أُكْل اذا كان ذا رأى وعقل ، وقال اللحيانى فيهما بالتثقيل أُكُل . وقال اللحيانى الأَكِيل : الطعام المأكول ، والأكِيل : الذى يأكل معك رجلا كان أو امرأة ، يقال : هذا أكِيلى وهذه أكِيلى ، ولغة أبى الجراح : هذه أكِيلتى . ورَجُلٌ أَكُول ، وقومٌ أُكّال وأَكَلة ، يقال : هم أَكَلة رأس ، أى قليل بقدر ما يُشْبِعهم رأس . وقال اللحيـانى والمِئْكَلة : ضَرْب من البِرام ، وضَرْبٌ من الأقداح ؛ وكلُّ ما أُكِلَ فيـه فهو مِئْكلة ، والجمع مآكل . ورَجُلٌ وَكَلٌ ، أى ضعيف ليس بنـافذ . ورجل أُكَلة ، أى كثير الأكل . وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه :

أيازِينَـــة الدنيـا التى لا ينالُهـا * مُناى ولا يَبْـدُو لقلبى صَرِيمهـا
بِعَيْنى قَـــذاةٌ من هواك لو أنهـا * تُداوَى بمن أَهْوَى لَصَحّ سَقِيمُها
وبُرْءُ قذاة العين إن لم يكن لهـا * طبيبٌ يُداوِى نَظْـرةٌ تستديمهـا
فما صَبَرَتْ عن ذكرك النفسُ ساعةً * وإن كنتُ أحيانا كثيرا ألومهـا
عَلَىَّ نذورٌ يوم تَـبرُزُ خاليـا * لِعَيْنى وأيامٌ كثيرٌ أصـــومهـا

وحدثنى أبو يعقوب وَرّاق أبى بكر بن دريد قال حدثنى محمد بن الحسن عن المفضّل بن محمد ابن العلاف قال : لما قَدِمَ بغاء ببنى نمير أَسْرَى ، كنت كثيرا ما أذهب اليهم فأسمع منهم وكنت لا أعدَم أن ألقى الفصيح منهم ، فأتيتهم يوما فى عقب مطر ، واذا فَتًى حَسَنُ الوجه قد نَهَكه المرضُ ينشد :

ألَا يا سَنَا بَرْقٍ عـلى قُلَلِ الحِمَى * لَهِنّـكَ مِنْ بَرْقٍ عـلىّ كَرِيمُ
لَمَعْتَ اقْتِـذاءَ الطَّيْرِ والقَوْمُ هُجَّعٌ * فَهَيَّجْتَ أسقـاما وأنت سـليم

فهل من مُعيرٍ طَرْفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ * فإنسانُ طَرْفِ العامِرِىِّ كَلِيمُ
رَمَى طَرْفَه البرقُ الهلالىّ رَمْيَةً * بذكرِ الحِمَى وَهْنًا فبات يَهِيمُ

فقلت له : ياهذا، إنك لفى شُغُلٍ عن هذا؛ فقال : صدقت، ولكن أَنْطَقَنى البرق؛ ثم ٱضطجع فما كان ساعةً حتى مات، فما يُتَوَهَّم عليه غيرالحب. وكان أبو بكر بن دريد — رحمه الله — كثيرا ما ينشد آخر بيت من هذه الأبيات، ثم أنشدنى يوما :

ثِق بجميل الصبر منّى على الدهر * ولا تَثِقِ بالصَّبْرِ منى على الهَجْر
وإنى لَصَبَّارٌ على ما ينوبنى * وحَسْبُكَ أن الله أثنى على الصبر
ولَسْتُ بنَظَّار الى جانب الغنى * اذا كانت العلياءُ فى جانب الفقر

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس للمجنون :

أُصَلِّى فما أَدْرِى اذا ما ذَكَرْتُها * أثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُّحى أَمْ ثمانيا
أرانى اذا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَها * بوجهى وإن كان المُصَلَّى يمانيا
وما بى إشراكٌ ولكنّ حُبَّها * كعُود الشَّجا أَعْيَا الطبيبَ المداويا

[مطلب ما قالته بعض نساء الأعراب تصف زوجها بمكارم الأخلاق لأمها]

وحدثنا أبو بكر — رحمه الله — قال أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال: وَصَفَتْ أعرابيّة زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها فقالت : يا أُمَّهْ، من نَشَرَ ثَوْبَ الثناء فقد أَدَّى واجب الجزاء ، وفى كِتْمان الشُّكْر جُحُودٌ لما وَجَب من الحق، ودُخولٌ فى كُفْرِ النِّعم؛ فقالت لها أمها : أىْ بُنَيَّةُ! أَطَبْتِ الثناء، وقُمْتِ بالجزاء، ولم تَدَعِى للذمّ موضعا؛ إنى وجدت مَنْ عَقَل لم يَعْجَل بذَمٍّ ولا ثناء إلا بعد ٱختبار؛ فقالت: يا أُمَّه، ما مَدَحْتُ حتى ٱختبرت، ولا وصفت حتى عرفت .

وحدثنا أيضا عن العكلىّ عن ٱبن أبى خالد عن الهيثم قال : كتب مالك بن أسماء بن خارجة الى الهيثم بن الأسود النخعىّ، يشكر له قيامه بأمر رجل من آل حذيفة بن بدر عند الحجّاج حتى خَلَّصه منه : أما بعد، فإنه لما كَلَّت الألسن عن بلوغ ما ٱستحققت من الشكر، كان أَعْظَمَ الحِيَل عندى

فى مكافأتى إخلاصُكَ صِدْقَ الضمير، وكما لم نعرف الزيادة فى العلا اذ جَرَيْت غاية طَوْلك جَهِلْنا غاية الثناء عليك، فليس لك من الناس إلا ما أُلْهِموا من محبتك، فأنت كما وصف الواصف اذ يقول :

فما تعرف الأوهامُ غايةَ مـدحه * يقيناً كما ليست بغـايتـه تَدْرِى

وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدثنى أبى عن بعض أصحابه قال: وَقَّعَ جعفرُ بن يحيى بن خالد ابن برمك فى كتاب صديق له : ما جاوَزَتْنى نعمةٌ خُصِصْتَ بها، ولا قَصُرَت دونى ما كان بك مَحَلُّها. قال : ووَقَّع الى عمرو بن مسعدة ، اذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عِيًّا .

وحدثنا أيضــا عن أبيه عن أحمد بن عبيــد قال أخبرنا العتبى عن أبيه قال : أتت رَمْلَةُ بنت معاوية مُراغِمةً لزوجها عمرو بن عثمان بن عفّان فقال : مالَكِ يابُنَيَّة؟ أطَلَّقكِ زَوْجُكِ؟ قالت : لا، الكَلْبُ أضَنُّ بشَحْمته، ولكنه فاخَرَنى، فكلمـا ذكر رجلا من قومه ذكرت رجلا من قومى، حتى عدّ ابنىّ[1] منـه، فوَدِدْت أن بينى و بينه البحر الأخضر، فقال لها : يا بنية، آل أبى سفيان أقل حظا فى الرجال من أن تكونى رجلا .

وحدثنى أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : مر أعرابىّ برجل يكنى أبا الغمر، وكان ضخما جسيما، وكان بوّابا لبعض الملوك ، فقـال : أَعِنِ الفقيرَ الحسِير، فقال : ما أَلْحَفَ سائلكم، وأكثر جائعكم! أراحنا الله منـكم ؛ فقال له الأعرابىّ : لو فُرِّق قوتُ جسمك فى جســوم عشرة منا لكفانا طعامُك فى يوم شهرا، وإنك لَعظيم السُّرْطَة، شديد الضَّرْطَة، لو ذُرِّى بحَبْقتك بيدرٌ[2] لَكَفَتْه ريحَ الجِربياء[3] .

وحدثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدثنا محمد بن موسى السامى قال حدثنا الأصمعىّ قال: دخل رجل من الأعراب على رجل من أهل الحَضَر فقال له الحَضَرىّ : هل لك الى أن أعلّمك سورة من كتاب الله ؟ فقـال : إنى أُحْسِن من كتاب الله ما إن عَمِلْتُ به كفـانى؛ قال : وما تُحْسِن؟ قال : أحسن سُوَرًا؛ قال : اقرأ؛ فقرأ فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد، وإنّا أعطيناك الكوثر؛ فقال له

(١) فى الطبعة الأولى «خطا» بالمعجمة بعدها مهملة؛ وما أثبتناه عن نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية .

(٢) البيدر : موضع الطعام الذى يداس فيه . (٣) ريح الجربياء : ريح الشمال .

الرجل : أقرأ السورتين — يريد المُعَوِّذتين — ؛ فقال : قَدِمَ علىَّ ابن عمٍّ لى فوهبتُهما له ، ولستُ براجع فى هبتى حتى ألْقى الله .

وحدثنا أبو بكر — رحمه الله — قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: سمع يونس رجلا ينشد :

اسْتَوْدَع العِلْمَ قِرطاسا فَضَيَّعه * وبئس مُسْتَوْدَعُ العلم القراطيسُ

قال : قاتله الله ! ما أشدّ صَبَابَتَه بالعلم وصيانَتَه للحفظ ! إنّ علمك من روحك ، ومالَكَ من بدنك ، فصُنْ علمك صيانتَك رُوحَك ، ومالَكَ صيانتك بدنَك . وقرأت على أبى بكر بن دريد للنمر بن تولب :

أوْدَى الشبابُ وحُبُّ الخالةِ الخَلَبَه * وقد بَرِئْتُ فما بالصدر منْ قَلَبَه

وقد تَثَلَّمَ أنيابى وأدركنى * قِرْنٌ علىَّ شديد فاحش الغَلَبَه

وقد رَمَى بِسُرَاه اليومَ مُعْتمدا * فى المَنْكِبَيْن وفى الساقين والرَّقَبه

أوْدَى : ذهب وهلك . والخالة جمع خائل ، مثل بائع وباعة . والخلبة جمع خالب ، مثل كافر وكَفَرة ؛ يخبر أنه شيخ قد ترك صحبة الشباب والفتيان ، وهم الخالة الخلبة الذين يختالون فى مِشْيتهم ويَخْلُبون النساء . ثم قال : برئت ، أى برئ صدرى من وُدِّهم والعَلاقة بهم ، فما به قَلَبَة من وُدِّهم ، يقال للإنسان وغيره من الحيوان : ما به قلبة ، أى ما به وجع ولا مكروه ، وأصله من القُلَاب ، قال الاصمعىّ : القُلَاب : أن تُصيب الغُدَّةُ القلبَ ، فاذا أصابته لم يَلْبَث البعير أن تقتله . وقوله : وأدركنى قرن : يعنى الهَرَم . وقوله : * وقد رمى بسراه اليوم معتمدا * فالسُّرَى جمع سُرْوة ، مثل رُشْوة ورُشًى ، وهو نَصْل السهم اذا كان مُدوّرا مُدَمْلَكا ولا عرض له ؛ يريد أن الهرم قد رمى بسهامه فى جميع جسده فأضعفه ، كما قال :

* فى المنكبين وفى الساقين والرقبه *

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم قال : سمعت الأصمعىّ كثيرا ما يقول : من قَعَد به نَسَبُه ، نَهَض به أدَبُه .

وأنشدنا أبو بكر بن دريد لخارجة بن فليح المللى :

أحِنُّ الى ليلى وقد شَطَّ وَلْيُها * كما حَنَّ محبوس عن الإلف نازع

اذا خوفتنى النفسُ بالنأى تارة * وبالصَّرْم منها أكْذَبَتْها المطامع

أكَلَّ هواكِ الطَّرف عن كل بهجة * وصَمَّت عن الداعى سواكِ المَسامع

وقرأت عليه لجميل بن مَعْمَر العذرىّ :

أَلم تعلمى يا عَذْبة الماء أننى * أَظَلُّ اذا لم أُسْقَ ماءكِ صاديا
وما زلتِ بى يا بَثْنُ حتى لو اّننى * من الوجد أَسْتَبْكِى الحمامَ بَكَى ليا
وَدِدْتُ على حُبِّ الحياةِ لوَ انَّها * يُزاد لها فى عمرها من حياتيا

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى :

ومُسْتَوحِش للبين يُبْدِى تَجَلُّدا * كما أَوْحَشَ الكفين فَقْدُ الأصابع
وكم قد رأينا من قَتيل لخُلَّةٍ * بسهم التَّجَنِّى أو بسهم التقاطع
وكم واثقٍ بالدهر والدهرُ مولَعٌ * بتأليف شَتَّى أو بتفريق جامع

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا إبراهيم بن عبد الله لعُلَيَّة بنت المهدىّ :

تَجَنَّبْ فإن الحُبَّ داعية الحُبِّ * وكَمْ من بعيد وهو مُسْتَوجِبُ القرْب
تَفَكَّرْ فإنْ حُدِّثت أن أخا هَوًى * نجا سالما فارْجُ النَّجاة من الحب
فأَحْسَنُ أيام الهوى يومُك الذى * تُرَوَّع بالتحريش منه وبالعَتْب
اذا لم يكن فى الحب سُخْطٌ ولا رضا * فأيْنَ حَلاواتُ الرسائل والكُتْب

وقال الأصمعىّ : من أمثال العرب « إنَّه لَسَاكِنُ الرِّيح » يقال ذلك للرجل الوادع . ويقال : « إنه لَوَاقِعُ الطائر» مثل للرجل الساكن الأمر . ويقال : « فى رأسه نُعَرَةٌ » مثل للرجل الطامح الرأس، الذى لا يستقرّ . ويقال : « الخُرْقُ شُؤْم» يراد به أن الرجل اذا خَرُقَ فى أمر دخل عليه شؤمه . ويقال : « الرِّفْقُ يُمْنٌ» وهو خِلافُهُ .

[مطلب تفسير مادة ك ل ل]

وقال أبو نصر يقال : كَلَّ بصَرُه يَكِلُّ كُلُولا، وكَلَّ لسانُهُ يَكِلُّ كِلَّةً وكُلُولا، وكَلَّ السيفُ كِلَّةً وكَلًّا اذا لم يقطع، وكَلَّ فى الإعياء كَلالا، وكَلَّل يُكَلِّل تكليلا اذا حَمَل على القوم، يقال : كَلَّل تَكْليلة السَّبُع . والكَلالة : ما دون الوالد والولد، وانْكَلَّت المرأةُ اذا ما تبسمت، وانْكَلَّ السحاب اذا ما تبسم بالبرق، وكَلَأَ يُكَلِّئُ تَكْلِئة وتَكْليئا، وكَلَّى تَكْلِية اذا أتى مكانا فيه مُسْتَتَرٌ، والكَلَّاء والمُكَلَّا : مكان تُرْفَأُ فيه السفن، وهو ساحل كل نهر .

قال أبو على وقال أبو زيد : كَلَّأ القوم السفينةَ تَكْلِيئًا إذا حبسوها . وكَلَّأْت فى الطعام تَكْلِيئًا وأَكْلَأْتُ إكلاء اذا أَسْلَفْت فيه . وما أَعْطَيْتَ فيه من الدراهم نسيئة فهى الكُلْأَة .

قال أبو علىّ وقال أبو نصر : الكالئ: الدَّيْن المؤخَّر، لم يهمزه الأصمعىّ وهمزه غيره . وأنشدنى الأصمعىّ :

واذا تُبَاشِرُك الهمُو * مُ فإنهّا كالٍ وناجِزْ (١)

وفى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن الكالئ بالكالئ كأنه نهى عن الدين بالدين ، وهو النسيئة بالنسيئة ؛ وأبو عبيدة يهمز الكالئ . ويقال : تَكَلَّأْت كُلْأَةً اذا اَسْتَنْسَأْت . ويقال : بَلَّغَ الله بك أَكْلأَ العُمُر، يعنى آخره . ويقال : اكْتَلَأْتُ من الرجل اكْتِلاء اذا احترست منه، واكْتَلَأْت عينى اكْتِلاء إذا لم تَنَمْ وسَهِرْت .

[مطلب ما وقع بين المأمون والجارية بحضرة هارون الرشيد]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال حدّثنى عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن الورّاق قال حدّثنا المفضل بن حازم قال حدّثنا منصور البرمكىّ قال : كان لهارون الرشيد جارية غُلَامِيَّة ، — يعنى وَصِيفة على قدّ الغلام — وكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك أمرد، فوقفت يوما تصبّ على يد الرشيد من إبريق معها ، والمأمون جالس خلف الرشيد، فأشار المأمون اليها كأنه يُقَبِّلُها ، فأنكرتْ ذلك بعينيها، وأبطأت فى الصبّ على مقدار نظرها الى المأمون وإشارتها اليه ؛ فقال الرشيد: ما هذا ! ضعى الإبريق من يدك ، ففعلت ؛ فقال : والله لئن لم تَصْدُقِينى لأقتلنك ، فقالت : يا سيّدى ، أشار الىّ عبد الله كأنه يقبلنى فأنكرت ذلك ؛ فالتفت الى المأمون ونظر اليه كأنه ميّت لِمَا دخله من الجَزَع والخجل، فرحمه وضمّه اليه وقال : يا عبد الله، أتحبها ؟ قال: نعم يا أميرالمؤمنين؛ قال : هى لك، قم فادخل فى تلك القبة ، ففعل؛ ثم قال : هل قلت فى هذا الأمر شعرا؟ قال : نعم يا سيدى، ثم أنشد :

ظَبْيٌ كتبتُ بطَرْفِى * من الضمير اليه

---

(١) قائل البيت عَبيد بن الأبرص، كما فى اللسان مادة « كلأ » .

قَبَّلته من بعيـــد * فٱعْتَـــلَّ من شَفَتْيه
وردّ أخبث ردٍّ * بالكسر من حاجبيه
فـا بَرِحْتُ مكانى * حتى قَدَرْتُ عليـــه

[مطلب ما قيل فى عِناق الحبيب]

ومن أحسن ما قيل فى العِناق ما أنشدناه أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا عبد الله بن خلف قال: أنشدنى أحمد بن يحيى بن أبى فنن :

خَلَوْتُ فنادمتهـا ساعةً * على مثلها يَحْسُد الحاسد
كأنّا وثوبُ الدجى مُسْبَل * علينا لِمُبْصِرنا واحـــد

قال أبو بكر : وسرق هذا المعنى ٱبن المعتزّ فقال :

ما أَقْصَرَ الليـــل على الراقد * وأَهْوَنَ السُّقْم على العائد
يَفْديك ما أبقيت من مهجتى * لَسْتُ لمـا أوليتَ بالجاحد
كأننى عانقت رَيْحَـانة * تَنَفَّسَتْ فى ليلهـا البـارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حَسِبْتَنا من جســد واحد

وأحسن فى هذا المعنى علىّ بن العباس الرومىّ وأنشدناه الناجم عنه :

أُعانِقُها والنفسُ بَعْـــدُ مَشوقـةٌ * اليهـا وهَـــلْ بعـــد العِنَاق تدانِى
وألْـــثِمُ فاها كى تموت حرارتى * فيشـــتدُّ ما أَلْقَى من الهيَمَان
ولم يك مقدار الذى بى من الهوى * ليشفيَه ما تَرْشُـف الشفتان
كأن فؤادى ليس يَشْفِى غليلَه * سوى أن يُرَى الروحان يمـــتزجان

ولبعضهم فى هذا المعنى :

رأيت شخصك فى نومى يعانقنى * كما يعانق لامُ الكاتب الألفـا

ولبَشّار :

فبِتْنا معًـا لا يَخْلُص المـاءُ بيننا * الى الصبح دونى حاجب وسُتُور

أخذ منه علىّ بن الجهم فقال :

فبتنا جميعا لو تُرَاق زجاجـةٌ * من الخمر فيما بيننا لم تَسَرَّب

[ما قيل فى وصف الشعر بفتح الشين]

ومن أحسن ما قيل فى الشَّعَر قول ابن الرومىّ أنشدناه الناجم عنه :

وفاحِمٍ واردٍ يُقَبِّلُ مَمْـ * ـشاه اذا اختال مُرسِلًا غُدَرَهْ
أقبل كالليل من مَفارقه * مُنْحَدِرًا لا يَذُمُّ مُنْحَدَرَه
حَتَّى تَنَاهَى الى مَوَاطِئه * يَلْثِمُ من كل مَوْطِئٍ عَفَرَه
كأنه عاشق دنا شَغَفًا * حتى قضَى من حبيبه وَطَرَه

وقرأت على أبى بكر بن دريد لبكر بن النطّاح :

بيضاء تسحب من قيامٍ فَرْعَها * وتَغيب فيه وهو وَحْفٌ أَسْحَمُ
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مُظلِم

ولمسلم :

أَجِدَّكِ ما تَدْرِين أَنْ رُبَّ ليلةٍ * كأنَّ دُجاها من قُرونك تُنْشَر

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله لعبد الله بن المعتزّ :

سَقَتْنِيَ فى ليلٍ شبيهٍ بشَعْرها * شَبِيهَةَ خَدَّيْها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين بالشَّعْر والدُّجَى * وشمسين من خمرٍ وخدّ حبيب

[مطلب ما قيل فى فتور الطرف]

ومن أحسن ما قيل فى فُتور الطَّرْف قول أبى نُوَاس :

ضعيفة كَرِّ الطَّرْف تَحْسَب أنها * قريبةُ عهد بالإفاقة من سُقْم

وقرأت على أبى بكر بن دريد لنفسه :

ليس السليمُ سليمَ أَفْعَى حَرَّةٍ * لكنْ سَليمَ المُقْلة النَّجْلاء
نظرتْ ولا وَسَنٌ يخالِط عينها * نَظَرَ المريض بسَوْرة الإغْفاء

ولعبد الله بن المعتزّ :

وتجرح أحشائى بعينٍ مريضةٍ * كما لان مَتْنُ السيف والحدُّ قاطع
عليمٌ بما يُخْفِى فؤادى من الهوى * جَوَادٌ بهجْرانى وللوصل مانع

وأنشدنا أبو بكر التاريخىّ قال أنشدنى البُحْتُرِىّ لنفسه :

وفى القهوة أشكالٌ * من الساقى وألوانُ
حَبَابٌ مثل ما يَضْحَـ * ـك عنه وهو جَذْلان
وسُكْرٌ مثلُ ما أَسْكَـ * ـر طَرْفٌ منه وَسْنان
وطعْمِ الرِّيق اذ جاد * به والصَّبُّ هَيْمان
لنا مِنْ كفِّه راحٌ * ومن رَيَّاه رَيْحان .

وقرأت على أبى بكر بن دريد لعدىّ بن الرِّقَاع :

وكأنها وَسْطَ النساء أعارها * عينيه أَحْوَرُ من جآذر طاسِم
وَسْنان أقْصَدَه النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ * فى عينه سِنَةٌ وليس بنائم

[مطلب ما قيل فى الريق]

ومن أحسن ما قيل فى الريق ما أنشدَناه أبو بكر بن الأنبارى لبشّار :

يا أَطْيَبَ الناس رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ * إلا شهادةُ أطراف المَسَاوِيك
مَنَّيْتِنا زَوْرة فى النوم واحـدة * فأَثْنِى ولا تجْعَلِيها بَيْضَةَ الدِّيك
يا رحمة الله حُلِّى فى منازلنا * حَسْبِى برائحة الفِرْدَوْس مِنْ فِيك

ولعلىّ بن العباس الرومىّ أنشدناه الناجم عنه :

تَعُلُّك رِيقًا يَطْرُد النومَ بَرْدُه * ويَشْفِى القلوب الحائمات الصَّوَادِيا
وهل ثَغَبٌ(١) حَصْباؤه مثلُ ثَغْرِها * يُصادَف إلا طَيِّب الطَّعْم صافيا

وله أيضا أنشدناه الناجم عنه :

يا رُبَّ رِيقٍ بات بدرُ الدجى * يَمُجُّه بين ثَنَاياكا
يُرْوِى ولا ينهاكَ عن شربه * والماء يُرْوِيك ويَنْهاكا

[من أحسن ما قيل فى طروق الخيال]

ومن أحسن ما قيل فى طروق الخيال قول البُحْتُرِىّ — وهو أحد المُحْسِنين فيه حتى قيل : طَيْف البحترىّ — أنشدنيه التاريخىّ عنه :

أَلَمَّتْ بنا بعد الهُدُوءِ فسامَحَتْ * بوصل مَتَى تَطْلُبْه فى الجِدِّ تَمْنَع

(١) الثغب (بالتحريك) : ذوب الجمد ، والغدير فى ظل الجبل .

وَوَلَّت كأن البَيْن يَخْلِج شخصها * أَوَانَ تَوَلَّت من حَشَاى وأضلعى

وأنشدنا بعض أصحابنا للمؤمل :

أتانى الْكَرَى ليلًا بشخص أُحِبُّه * أضاءت له الآفاق والليـل مظلم

فكلمنى فى النوم غيرَ مُغاضِبٍ * وعَهْـدى به يَقْظانَ لا يَتَكلَّمُ

وذكر العباس بن الأحنف ما العلّةُ فى طروق الخيال فقال :

خَيالُكِ حين أرقد نُصْبَ عينى * إلى وقت آنتباهى لا يزول

وليس يزورنى صِلَةً ولكن * حديث النفس عنك به الوصول

وتبعه الطائىّ فقال :

زار الخَيالُ لهـا لا بل أَزَارَكَهُ * فِكْرٌ إذا نام فكر الخلق لم يَنَم

ظَبْىٌ تَقَنَّصْتُه لما نَصَبْت له * فى آخر الليـل أشراكا من الحُلُم

وأنشدنا علىّ بن هارون المنجّم لعلىّ بن يحيى المنجم :

بأبى والله مَنْ طَرَقا * كابتسام البرق إذ خَفَقا

زارنى طَيْفُ الحبيب فما * زاد أن أَغْرَى بى الأَرَقا

[من أحسن ما قيل فى مشى النساء]

ومن أحسن ماقيل فى مشى النساء ما أنشدناه صاحبنا أبو علىّ بن الأعرابىّ :

شَبَّهْتُ مِشْيتها بِمشْية ظافر * يختال بين أَسِنَّة وسُيُوف

صَلِفٍ تَنَاهتْ نفسُه فى نفسه * لَمَّا ٱنْثَنَى بِسِنانه المرعوف

وقرئ على أبى بكر بن الأنبارى فى شعر ٱبن مقبل وأنا أسمع :

يَهْزُزْن للمشى أوصالًا مُنَعَّمةً * هَزَّ الجَنُوب مَعًا عيدان يَبْرِينا

أو كاهتزاز رُدَيْنِىٍّ تَنَاوَلَه * أيدى التُّجار فزادوا مَتْنَه لِينا

يَمْشين هَيْلَ النَّقا مالت جوانبه * يَنْهال حِينًا ويَنْهاه الثَّرَى حينا

ولعمر بن أبى ربيعة قرأته على أبى عبد الله نفطويه :

أبْصَرْتُهـا غُدْوةً ونِسْـوتها * يمشين بين المَقام والحَجَر

بيضًـا حِسَانا خَرائدا قُطُفا * يَمْشِين هَوْنا كِمشْية البَقَــر
قد فُزْنَ بالحسن والجمال مَعًا * وفُزْنَ رِسْــلًا بالدَّلّ والخَفَـر

وللعباس بن الأحنف :

شمسٌ مُقَــدَّرةٌ فى خَلْق جاريةٍ * كأنّمــا كَشْـحُها طَىُّ الطّوامير
كأنها حين تَمْشِى فى وَصَائفها * تَمْشِى على البَيْض أو زُرْق القَوَارِير

[مطلب ما قيــل فى الحسن]

وممــا قيل فى الحسن :

اذا عِبْتُها شَبَّهْتُها البـــدرَ طالعــا * وحَسْبُكَ مِنْ عَيْبٍ لها شَبَهُ البَدْر

وأنشدنا الناجم لنفسه فى غير هذا المعنى :

طالَبْتُ مَنْ شَرَّد نومى وذَعَر * بقُبْـلة تُحْسِن فى القلب الأَثر
فقــال لى مُسْتَعْجِلًا وما ٱنتظر * ليس لغير العَيْنِ حَظٌّ فى القمر

أخذه من على بن الجَهْم حيث يقول :

وقُلْنَ لنــا نحن الأهِلَّةُ إنمــا * نُضِىء لمن يَسْرِى بلَيْــل ولا نَقْرِى
فلا نَيْـــلَ إلا ما تَزَوَّد ناظــرٌ * ولا وصل إلا بالخيال الذى يَسْرِى

[ما قيــل فى القيان والعود]

ومن أحسن ما قيل فى قَيْنة :

من كفِّ جارية كأن بَنانهــا * من فضّـــة قــد طُرِّفَتْ عُنّابا
وكأن يمنــاها إذا نطقت بهــا * تُلْقِى على يدهــا الشمال حســابا

وحدّثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدّثنا أبو العباس أحمــد بن يحيى قال : سمع بعض العرب صوت العود، فقيل له : ماتسمع ؟ فقال : حَسَنًا، ولكن ٱقْطَعْ هــذا الأبَحَّ فإنى أَشْنَؤه — يريد البَمَّ — . ومن أحسن ماقيل فى العُود :

فكأنه فى حِجْرها وَلَدٌ لهــا * ضَمَّتْــه بين ترائب ولَبَــان
طَوْرًا تُدَغْدِغ بطنه فإذا هفا * عَرَكَتْ له أُذُنا من الآذانِ

ومن أحسن ماشُبِّه به العود ما أنشدَناه بعض أصحابنا :

كأنّ تِمثاله ساقٌ الى قَــدَمٍ * نيطَت الى فَخِذٍ بانت عن الكَفَل
آذانه منه قــد جُمِّعنَ أربعــةٌ * تجيب أربعة فى كفّ مُعتَمِــل
فذا أغَنُّ وهــذا فيه زمزمــةٌ * وذاك صافٍ وهذا فيه كالصَّحَل

وللحمــدونىّ :

وناطق بلســان لا ضميرَ له * كأنه فَخِذٌ نيطت الى قَــدَم
يُبْدِى ضميرَ سواه فى الحديث كما * يبدى ضمير سواه الخَطُّ بالقلم

ومن أحسن ما قيل فى وصف مغنّيات قول آبن الرومىّ، وأنشدناه الناجم عنه :

وقِيانٍ كأنّهــا أمهــاتٌ * عاطفاتٌ على بَنِيهــا حَوَانى
مُطْفِلات وما حَمَــلْن جَنِينا * مُرْضِعات ولَسْنَ ذات لِبان
مُلْقِمات أطفــالَهنّ ثُدِيًّا * ناهــداتٍ كأحسن الرمّان
مُفْعَمات كأنهــا حافلات * وهى صِــفْرٌ من درّة الألبان
كلُّ طِفْل يُدْعَى بأسماء شَتَّى * بيــن عود ومِزْهَر وكِرَان
أمّــه دهرَها تترجم عنــه * وهو بادى الغنى عن الترجمان

[وصية بعض الحكماء لأبنه]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمــه الله قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال بعض الحكماء لأبنه : يابُنَيَّ، آقبل وصيتى وعهدى، إن سرعة آئتلاف قلوب الأبرار، كسرعة آختلاط قطر المطر بماء الأنهار، وبُعْــد قلوب الفجار من الأئتلاف، كبُعْد البهائم من التعاطف وإن طال آعتلافُها على آرِيٍّ(١) واحد؛ كن يابُنَيَّ بصالح الوزراء أَغْنَى منك بكثرة عدّتهم، فإن اللؤلؤة خفيف مَحْمِلُها كثير ثمنها، والحجر فادحٌ حَمْلُه قليل غَنَاؤه .

[حكمــة من حكم الأحنف بن قيس]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى زيد قال حدّثنا هشام بن حسان الفردوسىّ عن الحسن قال : قال الأحنف بن قيس : الكَذُوبُ لا حيــلة له، والحســود لا راحة له؛ والبخيــل

(١) الآرى (بتشديد الياء وتخفيفها) : الأخية، وهى مربط الدابة .

لا مُروءة له، والمَلُول لا وفاء له؛ ولا يَسُـود سَيِّئُ الأخلاق؛ ومن المروءة اذا كان الرجل بخيلا أن يكتُم ذلك ويَتَجمَّل .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم قال : قيل للأحنف : بِمَ بَلَغْتَ ما بلغت ؟ قال : لو عاب الناسُ المـاءَ ما شربته .

قال : وقال : من لم يَسْخُ نفسا عن الحظّ الجسيم للعيب الصغير، لم يُعَـدّ شفيقا على نفسه، ولاصائنا لعِرْضه . وقال الأصمعيّ : من أمثال العرب : «دَعْ بُنَيَّاتِ الطريق» أى اقْصِدْ لمُعْظَم الشأن . ويقال : «لا تُوبِسِ الثرى بيني وبينك» أى لاتقطع الودّ الذى بيننا . ويقال : «السعيد من اتّعظ بغيره» يراد من رأى غيره فاتعظ سَـعِد . ويقال : «طَوَيْتُه على بُلَلَتِه» يراد استَبْقَيْته قبـل أن يَبْلغ فساده، وذلك أن السقاء اذا طويته وهو مُبتَلٌّ تَثَنَّى، واذا طُوِى وهو يابس تَكَسَّر، أى فقد طلبت مصلحته .

[مطلب ما تقول العرب فى معنى لا أفعل ذلك أبدا]

وقال أبو زيد : يقال : لاتَرَى ذلك يافلان ما سَمَرَ ابْنَا سَمِير، وهمـا الليل والنهار؛ وأنشدنا ابن الاعرابىّ :

وشبابى قد كان من لَذَّةِ العيـــ * ـــش فأَوْدَى وغاله ابْنَـا سَمِير

وقال أبو زيد : ولا أفعل ذلك ما أَبَسَّ عَبْدٌ بناقته، وهو تحريكه شفتيه حين يريد أن تقوم له؛ وقال ابن الأعرابىّ : وإبساسه : استِدْراره إياها للحَلْب وخَدْعُه لها ولطفُه بها؛ وأنشدنى لأبى زبيد :

فلَحَا الله صاحبَ الصُّلْح منّا * ما أَطاقَ المُبِسُّ بالدَّهْمـاء

وقال أبو زيد : ولا أفعل ذلك ماغرّد الطائر تغريدا . ولا أفعل ذلك آخِرَ الأَوْجَس، وهو الدَّهْر . وأنشدنى أبو بكر بن دريد لمرّار الفقْعَسىّ :

لايشترون بهجعةٍ هجعوا بهـا * ودواء أعينهم خُلُود الأَوْجَس

وقال اللحيانى : لاأفعل ذلك سَجِيسَ الأَوْجَس، وسَجِيسَ عُجَيْس، وزاد ابن الأعرابىّ : وما غَبَا غُبَيْس، وأنشد :

قـد وَرَدَ المـاءَ بِلَيْلٍ قَيْسُ * نَعَمْ وفى أُمِّ البنيـن كَيْس

* عن الطعام ما غَبَا غُبَيْس *

ولا أفعله السَّمَرَ والقَمَر . ولا أفعله ما حَدَا الليلُ النهارَ . وما أَرْزَمَتْ أُمُّ حائل، والحائل : الأنثى من أولاد الإبل؛ قال أبو ذؤيب :

فتلك التى لا يَبْرَح القلبَ حُبُّها * ولا ذِكْرُها ما أَرْزَمَتْ أُمُّ حائل

ولا أفعله يَدَ المُسْنَد وهو الدَّهْر؛ قال الشاعر :

لَقُلْتُ من القول مالا يزا * لُ يُؤْثَرُ عَنّى يَدَ المُسْنَد

ولا أفعله يَدَ الدَّهْر . ولا أفعله ما أنَّ فى السماء نَجْمًا؛ معناه ما كان فى السماء نجم . ولا أفعله ماسَجَعَ الحَمام . وما حَمَلَتْ عينى الماء . وما بَلَّ بحرٌ صُوفَةً . ولا أفعل ذلك ما أَطَّت الإبل . وأطيطُها : حَنِينُها؛ وقال أبو عبيد : أطيط الإبل : تَقيض جلودها عند الكِظَّة؛ قال الأعشى :

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتنا * ولَسْتَ ضائرَها ما أَطَّتِ الإبلُ

وقال اللحيانى : ولا أفعل ذلك ما لألأت الفُوْرُ[1] والعفر والظباء ، أى ماحركت أذنابها . ولا أفعل ذلك ما حَنَّت الدَّهْماء؛ وهى ناقة . ولا أفعل ذلك ما حَنَّت النِّيب .

قال أبو علىّ : وقال أبو زيد : لا أفعل ذلك ما ٱخْتَلَفَ المَلَوانِ والأَجَدَّان ، وهما الليل والنهار؛ وزاد اللحيانى : والجَديدان، وهما الليل والنهار . وقال يعقوب : والفَتَيَانِ ، وهما الليل والنهار أيضا ، وكذلك العَصْران . وغيره يقول العَصْران : الغَداة والعَشِىُّ؛ وهو الأجود عندنا . وزاد ٱبن الأعرابىّ : ولا أفعله القَرَّتَيْن . وأنشدنا ٱبن الأعرابىّ للصَّلَتَان العَبْدىّ فى الفَتَيَيْن :

ما لَبَّثَ الفَتَيَانِ أن عَصَفا بهم * ولِكُلِّ حِصْنٍ يَسَّرَا مفتاحا

وأنشد أيضا فى العصرين :

ولا يَلْبَثُ العَصْران يومٌ وليلةٌ * اذا طَلَبا أن يُدْرِكا ما تَيَمَّما

وأنشد يعقوب فى المَلَوَيْن لابن مقبل :

ألا يادِيَارَ الحَىِّ بالسَّبُعانِ * أَمَلَّ عليها بالبِلَى المَلَوَانِ

وقال أبو زيد : لا أفعل ذلك ما هَدْهَدَ الحَمامُ، أى ماغَرَّد . وما خالفتْ دِرَّةٌ جِرَّةً، وما ٱخْتَلَفَت الدِّرَّة والجِرَّة، وٱختلافُهما أن الدِّرَّة تَسْفُل الى الرِّجْلين والجِرَّة تعلو الى الرأس . ولا آتيك حتى يَبْيَضَّ القارُ . ولا آتيك سَجِيسَ الليالى؛ وأنشد ٱبن الأعرابىّ :

(١) الفور : الظباء .

ذَخَرْتَ أبا عمرو لقومك كلِّهم * سَجِيسَ الليالى عندنا أكْرَمَ الذُّخْر

وقال أبو زيد : ولا أفعل ذلك حتى يَحِنَّ الضَّبُّ فى أثر الإبل الصادرة . ولا أفعل ذلك أَبَدَ الأَبِيد، وأَبَدَ الآبِدِين، وأَبَدَ الأَبَدِيَّة؛ وزاد اللحيانى : وأَبَدَ الآباد . وقال أبو زيد : ويقال لا آتيك سِنَّ الحِسْل: أى حتى يَسْقُط فُوه، وهو لا يسقط أبدا، إنما أسنانه كالمُشار؛ وأنشد ابن الأعرابىّ وغيره :

تَسْأَلُنى عن السِّنين كَمْ لى * فَقُلْتُ لو عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْلِ(١)

أو عُمْرَ نوح زَمَنَ الفِطَحْلِ * والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطين الوَحْلِ

وسألت أبا بكر بن دريد رحمه الله عن زمن الفطحل فقال : تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رَطْبة .

[مطلب شرح مادة و ت ر]

وقال الأصمعىّ : الحَتَار : الوَتَرالذى يكون فى القوس، وحَتَارُ كلِّ شىء : وَتَرَتُه، وهو حَرْفه، ووَتَرَةُ كل شىء : حرفه . ووترة الأنف : حرفه؛ ويقال : ما زال على وَتِيرة واحدة، أى على طريقة واحدة؛ والوَتِيرة : حَلْقة يُتَعَلَّم عليها الطَّعْن؛ وأنشد :

تُبَارِى قُرْحةً مِثْلَ الـ * ـوَتِيرة لم تَكُنْ مَغْدا

قال أبو علىّ : المَغْدُ النَّتْف . والوَتِيرة : شىء مستطيل من الأرض يَنْقاد؛ قال الهذلىّ(٢) :

فذَاحت بالوَتَائِر ثُمَّ بَدَّتْ * يَدَيْها عند جانبها تَهِيل

وقال الأصمعىّ : فَذَاحت أسرعت . وبَدَّت : فَرَّقت ؛ وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال : قال أبو عمرو الشيبانى : ذاحت : حَفَرَتْ . والوَتِيرة : الفَتْرة والتَّوانى، قاله أبو نصر؛ وأنشد لزهير :

نَجَاء مُجِدٌّ ليس فيه وَتِيرةٌ * وتَذْبِيبُها عنه بأَسْحَمَ مِذْوَد

وقال أبو نصر : سمعت من غير الأصمعىّ : الوتائر : ما بين الأصابع، الواحدة وَتِيرة؛ وقال الأصمعىّ : الوِتْر : الفَرْد، وأهل الحجاز يفتحون الواو فى الفرد ويكسرونها فى الذَّحْل، ومَنْ تحتهم من

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج، كما فى اللسان مادة «فطحل» . (٢) هو ساعدة بن جُؤَيّة الهذلىّ يصف ضبعا نبشت قبرا، كما فى اللسان مادة «ذوح» .

قيس وتميم يُسَوُّونهما فى الكسر، ويقولون فى الفَرْد : أَوْتَرْت أُوتِر إيتارا، وفى الذَّحْل: وَتَرْته فأنا أَتِرُه تِرَةً وَوَتْراً. ويقال: تَوَاتَرت الإبلُ والقَطَا اذا جاءت بعضها خلف بعض ولم يَجِئْنَ مُصْطَفَّات؛ وأنشد:

قَرِينَــةُ سَبْعٍ إنْ تَوَاتَرْنَ مَرَّةً * ضُرِبْنَ فَصَفَّتْ أرؤسٌ وجُنوب (١)

ومنه وَاتِرْ كُتُبَك . والمُوَاتَرة : أن يجيء الشيءُ بعد الشيء و بينهما هُنَيَّة، فإن تَتَابعَتْ فليست بمُتَواتِرة . ويقال : وَتَّرَ قَوْسَه وأَوْتَرَها .

وقرأت على أبى بكر بن دريد للنمر بن تولب :

أَشَاقَتْك أطلالٌ دوارسُ مِنْ دَعْد * خَلاَءٌ مَغَانيهــا كحاشــية البُرْد

على أنهــا قالت عَشــيَّةَ زُرْتُهــا * هُبِلْتَ ألم يَنْبُتْ لذا حِلْمُــه بعدى

أشاقتك : هيجتك وشوّقتك . والمَغَانى : المَنازل التى كانوا يَغْنَوْن بهــا ، أى يُقيمون بها، واحدها مَغْنًى . وهُبِلْت : ثُكِلْت؛ والعرب تقول : لأُمِّك الهَبَل، أى الثُّكْل . وقوله : ألم ينبت لذا حلمه بعدى، يعنى ضرْس حِلْمِه وهو أقصى الأضراس وآخرها نباتا .

وقال يعقوب: يقال: سانَيْته وفانَيْته وصادَيْته ودالَيْته ورَادَيْته، وهى المُسَاناة والمُفَاناة والمُصَاداة والمُدَالاة والمُرَاداة، وهى المُسَاهَلة؛ وأنشد للبيد :

وسانَيْتُ مِنْ ذى بَهْجةٍ ورَقَيْتُــه * عليه السُّموطُ عابسٍ متغَضِّبِ

وفارَقْتُــه والودُّ بينى و بينــه * وحُسْنُ الثَّنــاء مِنْ وراء المُغَيَّب

وأنشد : * اذا اللهُ سَنَّى عَقْدَ أمرٍ تَيَسَّرا *

وأخبرنا الغالبى قال قال لنا ٱبن كيسان أبو الحسن : أنشدنى هذا البيت المبرد :

فلا تَيْأَسا وٱسْـتَغْوِرا الله إنَّه * اذا الله سَنَّى عقد أمر تيسرا

ٱسْتَغْوِرَاه : سَلاَه الغِيرة، وهى المِيرة، أى سَلاَه الرزق . وأنشد يعقوب لنُصَيب (٢) فى المفاناة :

تُقِيمــه تارةً وتُقْــعِده * كما يُفَانِى الشَّموسَ قائدُها

وأنشد فى المصاداة لمُزَرِّد :

ظَلِلْنا نُصَادِى أُمَّنــا عن حَمِيتِها * كأهل الشَّموس كُلُّهم يَتَوَدَّد

(١) فى اللسان مادة «وتر» أن هذا البيت لحميد بن ثور . (٢) فى اللسان مادة «فنى» ينسب هذا البيت للكميت ؛

وقال العجّاج فى المُدالاة :

يَكادُ يَنْسَلُّ من التَّصْدِير * على مُـدَالاتِى والتَّوْقِير

وقرأت على أبى بكر فى المُراداة لطُفَيل الغنوىّ :

يُرادَى على فأس اللجام كأنّما * يُرادَى به مِرْقاةُ جِذْعٍ مُشَذَّب

وقال غير يعقوب : رَادَيْته ودَارَيْته واحد . وقرأنا على أبى بكر بن دريد للغنوىّ :

ظَلِلْنا معًا جارَيْن نَحْتَرِسُ الثَّأَى * يُسائِرُنى مِنْ نُطْفةٍ وأُسائِرُه

وَصَف سَبُعا . نحترس الثَّأَى، أى كلُّ واحد منا يخاف صاحبه أن يَغْـدر به . والثَّأَى : الفساد، وأصله فى الخَرْز، وهو أن تنخرم الخُرْزَتان فتصيرا واحدة فيتسع الثَّقْب فيَفْسُد، ثم جُعِل مثلا لكل فساد . ويُسائرنى، من السُّؤْر وهى البَقِيَّة، أى يَرِدُ قبلى فيشرب فيُبْقِى لى، وأرِدُ قبله فأُبْقِى له .

[مطلب خطبة عتبة بمكة عام حج وما دار بينه وبين الأعرابىّ]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبى عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعيد قال : حَجَّ عتبة سنة إحدى وأربعين — والناسُ قريبٌ عَهْدُهم بفتنة — فصلى بمكة الجمعة، ثم قال : أيها الناس، إنا قد وَلِينا هذا المقام الذى يُضاعَف فيه للمحسن الأجر، وعلى المُسِىء فيـه الوِزر، ونحن على طريق ما قَصَدْنا، فلا تَمُدُّوا الأعناق الى غيرنا، فإنها تنقطع دوننا، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتْفُه فى أُمْنِيَّته، فاقبلوا العافيـة ما قَبِلناها فيكم وقَبِلْناها منكم، وإياكم ولَوًّا فإنها أتعبت من كان قبلكم، وان تريح مَنْ بعـدكم، وأنا أسأل الله أن يعين كُلًّا على كل . فصاح به أعرابىّ : أيها الخليفة، فقال : لَسْتُ به ولم تُبْعِـد، فقال : يا أخاه، فقال : سمعت فقل، فقـال : تالله أنْ تُحْسِنُوا وقد أسأنا، خيرٌ من أن تُسيئوا وقد أحْسَنَّا، فإن كان الإحسان لكم دوننا فمـا أحَقَّكم باسْتِتْمامه وإن كان منّا، فمـا أولاكم بمكافأتنا، رجل من بنى عامر بن صَعْصَعَة يَلْقاكم بالعُمومة، ويَقْرُب اليكم بالخُئُولة، قد كَثَرَه العِيالُ، وَوَطِئَه الزمان، وبه فقر، وفيه أجر، وعنده شكر . فقال عتبة : أستغفر الله منكم، وأستعينه عليكم، قد أمرنا لك بِغِناك، فَلَيْتَ إسراعَنا اليك، يقوم بإبطائنا عنك .

وحدّثنـا أبو بكر قال أخبرنا العكلىّ قال حدّثنا أحمد بن محمد المزنىّ قال : قال أبو جهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كُلال :

نَمِيل على جوانبه كأنَّا * نَمِيل اذا نَمِيل على أبينا
نُقَلِّبُــه لنَخْبُرَ حالَتيه * فَنَخْبُرُ منهما كَرَماً ولِينا

فأمر له بمائة ألف .

[حديث أسيد بن عنقاء الفزارى وما كان من مواساة عميلة الفزارى له وما مدحه به]

وحدّثنا أبو بكر بن شقير النحوىّ فى منزله فى غَلّة صافى ونحن يومئذ نقرأ عليه كتب الواقدىّ فى المغازى وكان يرويها عن أحمد بن عبيد عن الواقدىّ ، قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال : كان أسيد آبن عنقاء الفزارىّ من أكثر أهل زمانه وأشدّهم عارضة ولسانا ، فطال عُمره ، ونَكَبه دَهْرُه ، وآختلّت حالته ؛ فخرج عشيّة يَتَبَقَّل لأهله ، فمرّ به عُمَيْلة الفَزَارىّ فسلّم عليه وقال : يا عمِّ ، ما أصارك الى ما أرى من حالك ؟ فقال : بُخْلُ مثلك بماله ، وصَوْنى وجهى عن مسألة الناس ؛ فقال : والله لئن بَقِيتُ الى غدٍ لأُغَيِّرَنَّ ما أرى من حالك ؛ فرجع آبن عَنْقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عُمَيْلة ؛ فقالت له : لقد غرّك كلامُ غلام جُنْحَ لَيْلٍ ؛ فكأنما ألقمتْ فاه حجرا فبات مُتَمَلْمِلا بين رجاء ويأس ؛ فلما كان السحر سمع رُغاء الإبل ، وثُغاء الشاء ، وصَهيل الخيل ، ولَجَب الأموال فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا عُمَيْلة ساق اليك ماله ؛ قال : فاستَخْرَج آبنَ عنقاء ثم قَسَمَ ماله شَطْرَيْن وسَاهَمَه عليه ؛ فأنشأ آبن عنقاء يقول :

رآنى على ما بى عُمَيْلةُ فاشْتَكَى * الى ماله حالى أَسَرَّ كما جَهَر
دعانى فآسانى ولو ضَنَّ لم أَلُمْ * على حين لا بَدْوٌ يُرَجَّى ولا حَضَر
فقلت له خيرا وأثنيت فِعْلَه * وأَوْفاك ما أَبْلَيْتَ مَنْ ذَمَّ أو شَكَر
ولما رأى المجدَ آستُعيرت ثيابُه * تَرَدَّى رداءً سابِغَ الذَّيْل وأْتَزَر
غلامٌ رماه الله بالخير مقبلا * له سِيمِيَاء لا تَشُقُّ على البصر
كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فوق نَحْرِه * وفى أنفه الشِّعْرَى وفى خدّه القمر
إذا قِيلَتِ العَوْراء أَغْضَى كأنه * ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لآنتصر

وأنشدنا أبو عبد الله قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى عن آبن الأعرابىّ :

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلَ حَيَائه * ويَدْنُو وأطرافُ الرماح دَوَانى

وكالسيف إن لاينْتَـــه لان مَتْنُهُ * وحَـــدّاه إن خاشَنْتَه خَشِنان

وأنشدنا أبو بكر بن دريد :

يُشَبَّهُـــون مُلُوكًا فى تَجِلَّتِهِـــم * وطُولِ أَنْضِيَةِ الأعنـاق والأُمَمِ[1]

اذا غدا المِسْك يَجْرى فى مَفارِقهم * راحوا كأنّهمُ مَرْضَى من الكرم

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أحمد بن يحيى :

تَخَالُهُـــمُ للحِلْم صُمًّا عن الخَنـا * وخُرْسًا عن الفَحْشاء عند التَّهاتُر

ومَرْضَى اذا لاقَوْا حَيـاءً وعِفَّةً * وعند الحروب كاللُّيوث الخَوادر

لهـــم ذُلُّ إنصافٍ ولِينُ تواضع * بهـــم ولهم ذَلَّتْ رِقاب المَعَاشِر

كأنّ بهـــم وَصْمًا يخافون عارَه * وما وَصْمُهُـــم إلا اتّقـاءُ المَعَاير

وأنشدنا أيضا عن أبى العباس :

أحلامُ عادٍ[2] لا يَخـاف جليسُهم * اذا نَطَقُوا العَوْراءَ غَرْبَ لسان

اذا حُدِّثُوا لم تَخْشَ سُوءَ اَسْتماعهم * وإن حَدّثوا أَدَّوْا بحُسْن بيـان

وأنشدنا أيضا قال أنشدنى أبى :

يَصَمُّ عن الفحشـاء حتى كأنه * اذا ذُكِرَتْ فى مجلس القوم غائبُ

له حاجبٌ عن كل ما يَصِمُ الفـــتى * وليس له عن طالب العُرْف حاجب

وأنشدنا أيضا قال أنشدنى أبى لبكر بن النطاح يمـدح نِحربان بن عيسى قال : وكان أبو عبيدة يقول : لم أسمع لهؤلاء المحدَثين مثل هذا :

لم ينقطع أحـــدٌ اليـــك بُودِّه * إلا اتَّقتْـه نوائبُ الحَـــدَثان

كلُّ السيوف يَرَى لسيفك هَيْبَةً * وتخـافك الأرواحُ فى الأبدان

قالت مَعَـــدٌّ والقبـائلُ كلُّهـا * إن المَنِيَّـــةَ فى يدى نِحرْبان

مَلِكٌ اذا أَخَـــذَ القَنـاةَ بكفّه * وَثِقَتْ بشِـــدّة ساعد وبَنَـان

(١) الأنضـية : جمع نضىّ ، وهو ما بين الرأس والكاهل من العنق . والأمم جمع أمة وهى القامة . وقد اختلف فى قائل هذين البيتين ، ففى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٤٤٣ طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٢ م والكامل للبرد ص٣٥ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤م والأغانى ج١٢ ص١٢١ طبع بولاق واللسان فى مادة «نضا» أنهما للشمردل بن شريك اليربوعى . وفى اللسان أيضا نقلا عن ابن برى أنهما لليلى الأخيلية . (٢) أحلام عاد ، هو من الطويل دخله الخرم ، وهو حذف الفاء من «فعولن» .

وقرأت على أبى جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة عن أبيه للأسدىّ :

ولائمةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ فى النَّدَى * فقلتُ لها هل يَقْدَحُ اللَّوْمُ فى البحر

أرادت لِتَثْنِي الفَيْضَ عن عادة الندى * ومن ذا الذى يَثْنِى السَّحابَ عن القَطْر

مَواقعُ جود الفيض فى كلِّ بَلْدة * مَواقعُ ماء المُزْن فى البلد القَفْر

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن أبيه عن يونس عن أبى عمرو بن العلاء قال : لما تُوِّجَ النعمان وآطمأنّ به سريرُه، دَخَلَ عليه الناس وفيهم أعرابىّ فأنشأ يقول :

اذا سُسْتَ قوما فاَجْعَل الجُود بينهم * وبينك تَأمَنْ كلَّ ما تَتَخَوَّف

فإن كُشِفَتْ عند المُلِمَّات عَوْرةٌ * كفاك لِباسُ الجُود ما يَتَكَشَّف

فقال : مقبولٌ منك نُصْحُك، مِمَّنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من جَرْم ؛ فأمر له بمائة ناقة ؛ وهى أوّل جائزة أجازها .

وقرأت على أبى بكر وأنشدناه أبو عبد الله نفطويه عن أحمد بن يحيى عن آبن الأعرابىّ لقيس ابن عاصم المِنْقَرِىّ :

إنى آمرؤ لا يَعْتَرِى حَسَبِي * دَنَسٌ يُفَنِّده ولا أَفْنُ

مِنْ مِنْقَرٍ فى بيت مَكْرُمة * والفرعُ ينبت حَوْلَه الغُصْن

خُطَباءُ حين يقول قائلهم * بِيضُ الوجوه مَصَاقِعٌ لُسْن

لا يَفْطَنُون لعيب جارِهمُ * وهُمُ لحفظ جواره فُطْن

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبى عبيدة للعَرَنْدَس أحد بنى بكر بن كلاب يمدح بنى عمرو الغَنَوِيِّين قال : وكان الأصمعىّ يقول : هذا المُحَال، كلابىٌّ يمدح غَنَويا !

هَيْنُون لَيْنُون أيسار ذَوُو كَرَمٍ * سُوَّاس مَكْرُمة أبناء أيسار

إن يُسْألوا الخيرَ يُعْطُوه وإن خُبِروا * فى الجَهْد أُدْرِكَ منهم طِيبُ أخبار

فيهم ومنهم يُعَدُّ الخير مُتَّلِدا * ولا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ ولا عار

لا يَنْطِقون عن الأهواء إن نَطَقُوا * ولا يُمارُون إن مارَوْا بإكثار

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدَهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقرأت عليه للنمر بن تولب :

ثم ٱسْتَمَرَّت تريد الرِّيح مُصْعِــدَةً * نحــو الجنوب فَعَزَّتْهـا على الريح

قوله : تريد الريح، يعني الطَّريدة تستقبل الريح أبدا، وإنما تفعل ذلك لتبرد أجوافها باستقبال الريح. وعَزَّتْها : غلبتها، يعنى فرسه غَلَبَت الطريدة، والدليل على ذلك قوله قبل هذا البيت :

لقــد غَدَوْتُ بصُهْبَى وهى مُلْهِبَةٌ * إلهابُهـا كضِرَام النـار فى الشِّيح

وصُهْبَى : ٱسم فرسه، ثم قال :

جاءت لِتَسْنَحَنى يَسْرًا فقلتُ لهـا * على يَمِينـــك إنِّى غـــير مَسْنُوح

جاءت، يعنى الطريدة . لتسنحنى، أى لتَمْضِى على يسارى، ثم قال : ثم ٱستمرت تريد الريح .

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قال بعض الحكماء : إن مما سَخَا بنفس العاقل عن الدنيا عِلْمَه بأن الأرزاق فيها لم تُقْسَمْ على قَدْر الأخطار .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنـا أبو العباس أحمـد بن يحيى قال حدثنـا عمر بن شَبَّة أبو زيد قال حدثنا الأصمعىّ قال حدثنا ٱبن أبى الزناد عن هشام بن عروة قال : قال عروة لبنيه : يابَنِيَّ، لا يُهْدِيَنَّ أحدكم الى ربّه ما يستحى أن يُهْدِيه الى حَرِيمه، فإن الله أكرم الكُرَماء، وأحق من ٱخْتِيرله . قال : وكان يقول : يابَنِيَّ، تَعَلَّموا العلم، فإنكم إن تكونوا صِغَار قوم فعَسَى أن تكونوا كُبراءهم، واسَوْءَتَا! ماذا أقبح من شيخ جاهل؟ وكان يقول : إذا رأيتم خَلَّةً رائعة من شر من رجل فاحذروه وإن كان عند الناس رَجُلَ صِدق، فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم خلة رائعـة من خير من رجل فلا تَقْطَعُوا إِنَاتَكُمْ(١) منه وإن كان عند الناس رجل سَوْء، فإن لهـا عنده أخوات . وقال : الناسُ بزمانهم أَشْبَهُ منهم بآبائهم .

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : وجد فى حكمة فارس : إنى وجدت الكُرماء والعقلاء يبتغون الى كل صِلَةٍ ومعروف سببا ؛ ورأيت المَوَدَّةَ بين الصالحين سريعـا ٱتصالهـا، بطيئا ٱنقطاعُها، كَكُوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثَلْمٌ أوكَسْر، ورأيت المودة بين الأشرار بَطِيئا ٱتصالُها، سريعا ٱنقطاعُها، كَكُوب الفَخّار، إن أصابه ثَلْمٌ أو كسر فلا إعادة له ؛ ورأيت الكريم يَحْفَظ الكريم على اللُّقاءة الواحدة ومعرفة اليوم، ورأيت اللئيم لا يَحْفَظ إلا رَغْبَةً أو رَهْبة .

(١) إناتكم : رجاءكم . عن اللسان مادة « أنى » .

[مطلب خطبة عتبة بمصر وكان قد غضب لأمور بلغته عن أهلها]

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو عثمان عن العتبي عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد قال: كنا بمصر فبلَغَنا أمور عن أهلها، فصَعِد عُتْبة المنبر مُغْضَبا فقال : أيا حامِلِين ألأَم أُنوفٍ رُكِّبَتْ بين أعين، إنما قَلَّمْت أظفاري عنكم لِيَلِين مَسّي إياكم، وسألتُكم صلاحَكم لكم إذ كان فسادكم راجعا عليكم ؛ فأمَّا إذ أبيتم إلا الطعنَ في الولاة والتنقُّص للسلف، فوالله لأُقَطِّعن على ظهوركم بطونَ السياط، فإن حَسَمَتْ داءكم وإلا فالسيف من ورائكم؛ فكم من موعظة مِنَّا لكم مَجَّتْها قلوبُكم، وزَجْرة صَمَّت عنها آذانُكم؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذ جُدْتُم لنا بالمعصية، ولا أُويِسُكم من مراجعة الحُسْنَى إن صِرتُم إلى التي هي أبرّ وأتقى .

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قال الأحنف بن قيس : إن الله جعل أَسْعَد عبادِه عنده وأرشدهم لديه وأَحْظاهم يوم القيامة، أبذلَهم للمعروف يدا، وأكثرَهم على الإخوان فضلا، وأحسنَهم له على ذلك شكرا .

وحدّثنا أبو بكر بن الأنباري — رحمه الله — قال حدثني أبي عن أحمد بن عبيد عن الزيادي عن المطلب بن المطلب بن أبي وداعة عن جده قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله تعالى عنه عند باب بني شيبة فمرّ رجل وهو يقول :

يأيُّها الرجلُ المُحَوِّل رحلَه * ألَّا نَزَلْتَ بآل عبد الدار
هَبِلَتْكَ أُمُّك لو نزلتَ برحلهم * مَنَعُوك من عُدْمٍ ومن إقتار

قال : فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال : "أهكذا قال الشاعر" ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق، لكنه قال :

يأيها الرجل المحوّل رحله[1] * ألّا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين فقيرهم بغنيِّهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي

(١) قائل هذه الأبيات هو مطرود بن كعب الخزاعيّ يرثي بها عبد المطلب جدّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، (انظر اللسان في مادة « رجف ») .

ويُكَلِّلونَ جِفَانَهــم بسَدِيفهم(١) * حتى تَغيبَ الشمسُ فى الرَّجَّاف(٢)
منهــم عَــلِىٌّ والنبىُّ محمدٌ * القائلان هَــلُمَّ للأضياف

قال : فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " هكذا سمعت الرُّواة يُنْشِدونه " .

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم وعبد الرحمٰن عن الأصمعىّ عن بعض موالى بنى أُمَيَّة قال : خرج داود بن سَلْم الى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فلما قَدِم عليه قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحَطُّوا عن راحلته ، فلما دخل أنشده :

ولما دُفِعْت لأبوابهــم * ولاقَيْتُ حَرْبًا لَقِيت النجاحا
وجــدناه يَحْمَــده المُعْتَفُون * ويأبى على العُسْر إلّا سمــاحا
ويُغْشَوْن حتى تَرَى كَلْبهــم * يَهَــاب الهَرِير ويَنْسَى النُّبــاحا

فأمر له بجوائز كثيرة ، ثم آستأذنه فى الآنصراف فأذِن له وأعطاه ألف دينار ، فلما خرج من عنده وغِلمانُه جُلوسٌ لم يقم إليه أحد منهم ولم يُعِنْه ، فظن أن حربا ساخط عليــه فرجع إليه وقال : أوَاجِدٌ أنت عَلَىَّ ؟ قال : لا ، ولم ذلك ؟ فأخبره خبر الغلمان ، قال : آرجع إليهم فَسَلْهُم ، فرجع اليهم فسألهم ، فقالوا : إنا نُنْزِل الضيف ولا نُرَحِّله ، فلما قدم المدينة ، سمع الغاضِرِىُّ بحديثه فأتاه فقال : إنى أحب أن أسمع هذا الحديث منك ، فحدّثه ، فقال : هو يهودىّ أو نصرانىّ إن لم يكن فِعْلُ الغلمان أحْسَنَ من شعرك .

وقرأت على أبى بكر بن دريد للنمر بن تولب :

تَضَمَّنْتَ أدْواء العَشيرة بينها * وأنْتَ على أعواد نَعْشٍ تُقَلَّب

قوله : تضمنت أدواء العشيرة بينها ، أى ضَمِنْت ما كان فى العشــيرة من داء أو فساد إذ كنت فيهم حيًّا ، وأنت اليوم على أعواد نعش . وقال الأصمعىّ : تضمنت : أصلحت ، والمعنى عندى : أنه كان يضمن دماء العشيرة فيصلح بينها .

---

(١) السديف : شحم السنام أو قطعه .

(٢) الرجاف : البحر ، سمى بذلك لاضطرابه وتحرّك أمواجه ، وقيل : يوم القيامة .

[مطلب آمتداح أبى العتاهية لعمر بن العلاء وحسد الشعراء له على ما أعطاه من الجائزة]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا عبد الله بن خلف قال حدّثنا إسحاق بن محمد النخعىّ قال حدثنى محمد بن سهل قال حدثنى المدائنىّ قال : آمتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء مولى عمرو آبن حريث صاحب المهدىّ ، فأمر له بسبعين ألف درهم ، وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه ، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب ؛ ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر، فقال بعضهم : ياعَجَبا للأمير، يعطى أبا العتاهية سبعين ألف درهم ! فبلغ ذلك عمر فقال : عَلَىَّ بهم ، فأُدْخِلوا عليه ، فقال : ما أَحْسَد بعضَكم لبعض يا معشر الشعراء ! إن أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيُشَبِّب فى قصيدته بصديقته بخمسين بيتا ، فما يَبْلُغنا حتى تذهب لَذَاذة مدحه ورَوْنَق شعره ، وقد أتانا أبو العتاهية فشَبَّب ببيتين ثم قال :

إنى أَمِنْتُ من الزمان ورَيْبِه * لما عَلِقْتُ من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من إجلاله * لَحَذَوْا له حُرَّ الوجوه نِعالا
ما كان هذا الجودُ حتى كُنْتَ يا * عُمَرًا ولو يَوْمًا تزول لزالا
إنّ المطايا تشتكيك لأنها * قَطَعَتْ إليك سَبَاسِبًا ورمالا
فإذا أَتَيْنَ بنا أَتَيْنَ مُخِفَّةً * وإذا رَجَعْنَ بنا رَجَعْن ثقالا

فقال له عمر حين مدحه : أقِم حتى أنظر فى أمرك ، فأقام أياما ولم ير شيئا ، وكان عمر ينتظر مالًا يجىء من وجه فأبطأ عليه ، فكتب إليه أبو العتاهية :

يابن العَلاء ويابن القَرْمِ مِرْداس * إنى آمتدحتك فى صَحْبى وجُلّاسى
أُثْنِى عليك ولى حال تُكَذِّبُنى * فيما أقول فأَسْتَحْيِى من الناس
حتى إذا قيل ما أعطاك من صَفَد * طأطأت من سوء حال عندها راسى

فقال عمر لحاجبه : آكْفِنيه أياما ، فقال له الحاجب كلاما دفعه به ، وقال له : تنتظر ، فكتب إليه أبو العتاهية :

أصابت علينا جُودَك العَيْنُ ياعمر * فنحن لها نَبْغِى التَّمائم والنُّشَر (١)
أصابتك عينٌ فى سخائك صُلْبَةٌ * ويارُبَّ عين صُلْبة تَفْلِق الحَجَرْ

(١) النشر : جمع نُشرة ، وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض .

سـَــنْرقيك بالأشـعار حتى تملَّهـا * فإن لم تُفِقْ منهـا رَقَيْناك بالسُّوَرْ

قال : فضحك عمر، وقال لصاحب بيت ماله : كم عندك ؟ قال : سبعون ألف درهم، قال : ٱدفعها إليه، ويقال : إنه قال له : ٱعْذِرْنى عنده ولا تُدْخِله علىّ فإنى أستحى منه .

قال أبو علىّ : قال الأصمعىّ : مِن أمثال العرب : « العَبْدُ من لا عَبْدَ له » أى من لم يكن له عبد ولا كافٍ ٱمْتَهَنَ نفسَه . ويقال : «لو كُوِيتُ على داء لم أَكْرَه» أى لو عُوتِبت على ذنب ما ٱمْتَعَضْتُ . ويقال : « كَمُبْتَغِى الصَّيْد فى عِرِّيسة الأَسَد » يضرب مثلا للرجل يَطْلُب الغنيمة فى موضع الهَلَكة . ويقال : « أَجْوَدُ مِنْ لافِظَة » وأراد بلافِظَة البحرَ . ويقال : « أَجْبَنُ مِنْ صافِرٍ » وأراد بصافر : ما يَصْفِر من الطير، وإنما يوصف بالجبن لإنه ليس من سباعها . وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الراجز :

قد عَلِمَتْ إن لم أَجِدْ مُعِينا * لأَخْلِطَنَّ بالخَلُوق طِينـا

يعنى ٱمرأته، يقول : قد علمت إن لم أجد معينا يعيننى على سَقْيِها ، سأستعين بهـا وأستعملها حتى يَخْتلط ما عليها من الخَلُوق بالطين والمـاء .

[مطلب ما تقول العرب فى معنى أخذت الشىء كله]

وقال يعقوب بن السكيت : يقال : أخذه بأَجْمَعِه وأَجْمُعِه، وأخذه بِجَذَافِيره، وقال أبو عبيدة عن الكسائى : أخذه بجَذَافِيره وجَذَاميره وجَرَاميره وجَرَامِيزه، وحكى عن أبى عبيـدة : بِرَبَّانِه بفتح الراء فى معناها، وعن الأصمعى : بِرُبَّانه أى بجميعه، قال: وقال الفرّاء : أخَذَه بِصِنَّايَته وسِنَّايته مثله . وقال يعقوب : وأخَذه بِجَلْمَته، وقال لى أبو بكر بن الأنبارى : وبِجُلْمَته أيضا، وقال يعقوب : وأخذه بزَغْبَرِه، وقال لى أبو بكر بن الأنبـارى : ويقال : بِزِغْبِره ، وأظننى سمعت اللغتين جميعا من أبى بكر ٱبن دريد، وقال يعقوب : وأخَذه بزَوْبَرِه، وأنشد لٱبن أحمر :

وإن قال غاوٍ من تَنُوخَ قَصيدةً[(١)] * بهـا جَرَبٌ عُدَّتْ عَلَىَّ بِزَوْبَرا

وقال أبو عبيـدة : وأخذه بزَأْبَرِه، وقال يعقوب : وأخذه بِصُـبْرَتِه وبأَصْباره، وأَخَذه بزَأْبَجِه وبزَأْمَجِه، وأخذه بأَصِيلته، وأخذه بطَلِيفته، وأخَذه مُكَهْمَلا، قال : وحكى أبو صاعد : أخذه بزَوْبَرِه

(١) فى اللسان مادة زبر : وإن قال عاوٍ من معدّ الخ .

وبأزْمَله: كُلَّه أخذه جميعا؛ وأخَذه بِرَبَغِه وبحَدَاثته وبُرُّانه . قال أبو الحسن بن كيسان : هذه الثلاثة معناها : بأوله وٱبتدائه، وأنشد لٱبن أحمر :

وإنَّما العَيْشُ بِرُبَّانِه * وأنتَ من أفنانه مُقْتَفِر

أخبرنى بذلك الغالبىّ عن ٱبن كيسان، وروى أبو عبيدة فى بيت ٱبن أحمر :

* وأنت من أفنانه مُعْتَصِر *

وقال أبو نصر وغيره عن الأصمعىّ : إنه قال : بُرُّانه : بحداثته .

[مطالب شرح مادة جلا وجلل]

وقال الأصمعى: جَلَوْت العروس أَجْلُوها فهى مَجْلُوَّة، وجَلَوْت المرآة أَجْلُوها فهى مَجْلُوَّة، ومصدرهما جميعا جِلاء، ويقال : أَعْطِ العَروس جِلوَتها، وقد جَلَّاها زَوْجُها وَصِيفةً أى أعطاها حين سُئل الجِلْوة، وزَوْجُها يُجَلِّيها تَجْلية . وجَلَّى الطائرُ تَجْلية إذا أبْصَر الصيدَ من مكان بعيد . وجَلَّ القومُ يَجِلُّون جُلولا، وجَلا القومُ يَجْلُون جَلاءً إذا خَرَجُوا من بلد إلى بلد، ومنه قيـل : ٱسْتُعْمِل فلان على الجالَّة والجَالِية، وهو أن يُجْعَـل على قوم خرجوا من بلد إلى بلد، فالجالَّة من جَلَلْت، والجالِيَةُ من جَلَوْت . وجَلَّ البَعْرَ يَجُـلُّه جَلًّا إذا ٱلتقطه . والجِلَّة : البعر . والإبل الجَلَّالة : التى تأكل الجِلَّة . ويقال : خَرَج الإماء يَجْتَلِلْنَ، أى يأخُذْن الجِلَّة، وأنشد لعمر بن لجأ يصف ناقة :

تُحْسِبُ مُجْتَـلّ الإماء الحُرَّم * من هَدَب الضَّمْران لم يُحَزَّم (١)

تُحْسِب، أى تَكْفِى . والمُجْتَـلَّة : التى تَلْقُط الجِلَّة . وقوله : من هَدَب الضَّمْران، أى من بَعْر إبل رعَتْ هَدَب الضمران فَبَعَرت، وذكر الضمران لأنه من أجْوَد ما يُرْعَى . وقوله : لم يُحَزَّم، أى هو بعر منثور لم يحزم كما يُحَزَّم الضمران إذا ٱحْتُطِب . وجَلَّ الرجلُ يَجِـلُّ جِلَّة إذا عَظُم وغَلُظ، وكذلك الصبىّ والعُود . وإبلٌ جِلَّة، أى مُسِنَّة، وقد جَلَّت إذا أسَنَّت، ومَشْيَخة جِلَّة أى مَسَانّ، والواحد جليل . والمَجَلَّة : صحيفة كان يكتب فيها شىء من الحِكَم، وأنشد بيت النابغة الذبيانىّ :

مَجَلَّتُهـم ذات الإله ودِينُهـم * قَوِيمٌ فما يَرجُون غيرَ العواقب

(١) فى اللسان مادة : «جلل» أنه قاله فى وصف إبل، وروى « لم يحطم » بدل «لم يحزم» .

قال أبو حاتم : يروى مَجَلّتهــم ومَحَلّتهم ، فمن روى مجلتهم ، أراد الصحيفة ، ومن روى محلتهم ، أراد بلادهم الشام . والجَلَل : الصغير اليسير . والجَليل : العظيم . وقال أبو نصر : والجَلَل : العظيم أيضا . وقال أبو بكر بن الأنبـارى : وجدت فى كتاب أبى عن أحمد بن عبيـد عن أبى نصر ، كان الأصمعى يقول : الجَلَل : الصغير اليسير ، ولا يقول : الجَلَل : العظيم .

قال أبو على قال الأصمعىّ : لا يقـال : الجَـلَال إلا فى الله عزّ وجلّ ، وقال أبو حاتم : وقد يقال ، وأنشد :

فـــلا ذَا جَلالٍ هِبْنَهُ لِجَـــلَالِهِ * ولا ذا ضَيَـاعٍ هُنَّ يَتْرُكْنَ للفقر

وجُلُّ كل شيء : العظيمُ منه . وقرأت على أبى بكر بن دريد فى كتاب الأبواب للأصمعىّ : فَعَلْت ذاك من جَلَل كذا وكذا ، أى من عِظَمِه فى صدرى . وقال أبو نصر : فَعَلْت ذاك لِجَلَلِكَ وجَلَالِك أى لعظمتك فى صدرى ، وأنشد الأصمعىّ لجميل :

رَسْمِ دارٍ وَقَفت فى طَلَــلِهِ * كِدْتُ أقضِى الغداةَ مِنْ جَلَلِهِ

ورَوَيْتُ من غير هــذا الوجه تفسيرَ من جَلَلِه : من أجْلِهِ . ويقال : فعلت ذاك من أجْلك وجَلَلك وجَلَالِك ، وأنشد الأصمعى فى جلالك :

وغِيدٍ نَشَاوَى من كَرًى فوق شُزَّبٍ * من اللَّيْــــل قد نَبَّهْتُهم من جَلَالِكا

أى من أجلك . والجُلَّى : الأمر العظيم ، وجمعها جُلَل . والجَليل : الثُّمامُ ، واحدته جَلِيلة ، وأنشد الأصمعىّ :

ألا لَيْتَ شعرى هل أبيتَنّ ليلةً * بوادٍ (١) وحَوْلِى إذْخِرٌ وجَليــــل

وذكر شيوخنا : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم سمع بلالا ينشد هذا البيت فقال : "حَنَنْتَ يابن السوداء" . ويقال : هو ٱبْنُ جَلا ، أى المنكشف المشهور الأمر ، وأنشد الأصمعىّ :

أنا ٱبْنُ جَلَا وطَلّاع الثّنايا * مَتَى أَضَعِ العِمامة تَعْرِفونى (٢)

قال : وٱبن أَجْلَى مثلُه ، وأنشد للعجاج :

لاقَوْا به الحَجاجَ والإصْحارا * به ٱبنَ أجْلَى وافقَ الإسْفارا

(١) فى اللسان : « بفج » بالفاء المفتوحة والجيم المشدّدة .

(٢) القائل لهذا البيت هو سحيم بن وثيل الرياحىّ كما فى الجزء الأوّل من الأصمعيات ص ٧٣ طبع ليبزج سنة ١٩٠٢ .

قال : ولم أسمع بابن أجلى إلا فى بيت العجاج . وقوله : لاقوا به، أى بذلك المكان، وقوله : الإصحارا أى وجدوه مُصْحِرا، ووجدوا به ٱبْنَ أَجْلَى، كما تقول : لَقِيت به الأسـد، أى كأنى لَقِيت بلقائى إياه الأسد . وقوله : وافق الإسفارا، أى واضحا مثل الصُّبْح . وقال غيره : عَيْنٌ جَلِيَّةٌ، أى بصيرة، قال أبو دواد الإيادى :

بل تَأَمَّلْ وأنت أَبْصَرُ مِنِّى * قَصْدَ دَيْرِ السَّوَى[1] بِعينٍ جَلِيَّة

والجَلِيَّة أيضا : الأمر البَيِّن الواضح، قال النابغة :

فآبَ مُضِلُّوه بعَيْنٍ جَلِيَّـــة * وغُودِر بالجَوْلان حَزْم ونائل

وقال الأصمعىّ : والجَلا : انحسار الشعر من مُقَدَّم الرأس، رَجُلٌ أَجْلَى وٱمرأة جَلْواء، وقد جَلِى يَجْلَى جَلًا مقصور .

وقرأت على أبى بكر بن دريد لبكر بن النطاح :

ولو خَذَلَتْ أموالُه جُودَ كَفِّه * لقاسَمَ مَنْ يرجوه شَطْرَ حياته

ولو لم يَجِدْ فى العُمْر قِسْماً لزائرٍ * لجـادَ لَهُ بالشَّطْر منْ حَسَناته

وأنشدنى بعض أصحابنا لبكر بن النطاح :

وإذا بدا لك قاسِمٌ يَوْمَ الوَغَى * يَخْتَـالُ خِلْتَ أمامَه قِنْدِيلا

وإذا تَعَرَّض للعَمُود ولَيَّـه * خِلْتَ العَمود بكَفِّه مِنْدِيلا

قالوا ويَنْظِم فارسَيْنِ بطعنةٍ * يوم اللقاء ولا يراه جليـــلا

لا تَعْجَبوا فَلَوَ ٱنَّ طُول قَناتِه * مِيلٌ إذًا نَظَم الفوارس ميـلا

وأنشدنى بعض أصحابنا له :

يا عِصْمة العَرَب التى لو لم تَكُنْ * حَيًّـا إذًا كانت بغـــير عمـاد

إن العيونَ إذا رَأَتْك حِدَادُهـا * رَجَعَتْ من الإجلال غيرَ حِدَاد

وإذا رَمَيْت الثَّغْر منك بعَـزْمة * فَتَّحْت منـــه مَوَاضع الأسداد

فكأنَّ رُمْحَك مُنْقَعٌ فى عُصْـفُر * وكأنَّ سَيْفَك سُـلَّ من فِرْصاد[2]

(١) قال ياقوت : إنه بظاهر الحيرة، ومعناه دير العدل لأنهم كانوا يتحالفون عنده فيتناصفون . وقال الكلبى : هو منسوب الى رجل من إياد : وقيل غير ذلك . (٢) الفرصاد : الصبغ الأحمر .

لو صال منغَضَبٍ أبو دُلَف على * بِيض السيوف لَذُبْنَ فى الأغماد
أذْكَى وأوقد للعـداوة والقِرَى * نارَيْن نارَ وَغًى ونار رماد

وقرأت على أبى بكر بن دريد لليلى الأخيلية، وقال لى: كان الأصمعىّ يرويها لحميد بن ثور الهلالىّ

قال أبو على : فكذا وجدته بخط ٱبن زكريا ورّاق الجاحظ فى شعر حميد :

يأيُّها السَّدِم المُلَوِّى رأسَه * لِيَقُود من أهل الحجاز بَرِيما
أتريد عمرو بن الخَليع ودُونَه * كَعْبٌ إذًا لوجدته مرءوما
إن الخليع ورهطه فى عامر * كالقلب أُلْبِس جُؤْجُؤًا وحَزِيما
لا تَغْزُوَنَّ الدهرَ آلَ مُطَرِّف * لا ظالما أبدا ولا مظلوما
قومٌ رِباطُ الخيل وَسْطَ بيوتهم * وأَسِنَّةٌ زُرْقٌ تُخَال نجوما
ومُخَرَّق عنه القميصُ تَخَالُه * وَسْطَ البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رُفِعَ اللواء رأيتَه * تحت اللواء على الخَمِيس زَعِيما
لن تستطيع بأن تُحَوِّل عِزَّهُم * حَتَّى تحوّل ذا الهِضَاب يَسُوما(١)
إن سَالَمُوك فَدَعْهُمْ من هذه * وٱرْقُدْ كَفَى لك بالرُّقاد نَعِيما

قال أبو على : البَرِيم : الخيط فيه سواد وبياض . ويقال للقَطِيع من الغنم اذا كان فيه مَعَزٌ : بريم . وسألت أبا بكر بن دريد عن معنى قول المُتَنَخِّل الهذلىّ :

عَقَّوْا بسَهْم فلم يشعر به أحد * ثم ٱستفاءوا وقالوا حَبَّذَا الوَضَحُ

فقال : يقال : عَقَّ بسهم اذا رَمَى به نحو السماء لا يريد به أحدا، واذا ٱجتمع الفريقان للقتال ثم بدَا لأحد الفريقين وأرادوا الصلح رَمَوْا بسهم نحو السماء، فَعَلِم الفريقُ الثانى أنهم يريدون الصلح فتراسلوا فى ذلك . وٱستفاءوا : رجعوا عما كانوا عليه . وقالوا : حبذا الوضح أى اللبن، أى حبذا الإبل والغنم نأخذها فى الدية، كما قال الآخر :

ظَفِرْتَ بهَجْمةٍ سُودٍ وحُمْرٍ * تُسَرُّ بها يُسَاء به اللبيب

أى فَرِحْتَ بالدية .

(١) يسوم : اسم جبل فى بلاد هذيل .

[مطلب كتاب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضى يطلب اليه رجلا يستعين به فى أموره]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا الحسن بن خضر عن أبيه قال : كتب الحسن بن سهل الى محمد ابن سَمَاعة القاضى : أما بعد، فإنى آحتجتُ لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير ذى عفّة ونزاهة طُعمة[(١)]، قد هذّبته الآداب، وأحكمته التّجارب؛ ليس بظَنِينٍ فى رأيه، ولا بمطعون فى حسبه؛ إن آؤتُمن على الأسرار قام بها، وإن قُلّد مُهِمّا من الأمور أجزأ فيه؛ له سِنٌّ مع أدب ولسان، تُقْعده الرّزانة ويُسَكّنه الحلم، قد فُرّ عن ذكاء وفِطْنة، وعَضّ على قارحة من الكمال؛ تَكْفيه اللّحظة، وتُرْشده السّكتة؛ قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام فى أمورهم فَحُمِد فيها؛ له أناةُ الوُزَراء، وصَولة الأمراء، وتَوَاضُع العلماء، وفَهْم الفقهاء، وجواب الحكماء؛ لا يبيع نَصِيبَ يومه بحرمان غده، يكاد يَسْتَرِقّ قلوبَ الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه؛ دلائلُ الفضل عليه لائحة، وأماراتُ العلم له شاهدة؛ مُضْطَلِعًا بما آستُنْهِض، مُسْتَقِلًّا بما حُمّل؛ وقد آثرتُك بطلبه، وحَبَوْتُك بارتياده؛ ثِقَةً بفضل آختيارك، ومعرفةً بحسن تأتّيك؛ فكتب اليه : إنى عازم أن أرغب الى الله جل وعزّ حَوْلًا كاملا فى آرتياد مثل هذه الصّفة، وأُفَرّق الرسل الثّقاتِ فى الآفاق لآلتماسه، وأرجو أن يَمُنّ الله بالإجابة، فأفوزَ لديك بقضاء حاجتك والسلام .

وأخبرنا أبو عبد الله قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حُدّثت عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال : وصف رجل رجلا فقال : كان والله سَمْحًا سَحًّا، يمر سهلا؛ بينه وبين القلب نسب، وبين الحياة سبب؛ إنما هو عيادة مريض، وتُحْفة قادم، وواسطة قِلادة .

قال أبو عبد الله وحدّثنا أبو العباس قال : وصف أعرابىّ رجلا فقال : كان والله مَطْلُول المُحادَثة، يَنْبِذ إليك الكلام على أَدْرَاجه، كأنّ فى كل رُكْنٍ من أركانه قَلْبًا يَقِدُ . قال أبو علىّ : يعنى مُسْتَحْدَث[(٢)] الحديث .

[مطلب ما تقول العرب فى معنى ما بالدار أحد]

وقال يعقوب بن السكيت : يقال : ما بالدار أَحَدٌ، وما بها دَوِىٌّ ودُعْوِىٌّ وطُهْوِىٌّ ودُبِّىٌّ ولاعِى قَرْوٍ .

(١) الطعمة بضم الطاء وكسرها : وجه الكسب الطيب أو الخبيث . (٢) يريد : مستعذب الحديث حلوه .

قال أبو عليّ : وقال لى الغالبيّ : قال لنا آبن كيسان : دَوِّىّ ، منسوب الى الدوِّية . وقال اللحيـانى : دُعْوِىّ من دَعَوْتُ . ودُبِّىٌّ من دَبَبْت ، وزاد نُمِّىٌّ من نَمَمْت . الأصمعىّ : يقال : ما بالدار عَرِيبٌ . قال أبو علىّ : معناه مُعْرِب ، أى ما بها أحد ، قال عَبِيد :

فعَـرْدَةُ فَقَفَا حِـبِرٍّ * ليس بها منهم عَرِيب

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال : أنشدنا أبو العباس :

أُمَيْم أَمِنْـكِ الدّار غيّرها البِلَى * وهَيْفٌ[1] بجَوْلان التراب لَعُوب

بسَابِس لم يُصْبِحْ ولم يُمْسِ ثاويا * بها بَعْدَ بَيْنِ الحَىّ منك عَرِيب

وما بها دَبِّيجٌ ، ودِبِّيج فِعِّيـل من الدَّبْج ، وهو النقش والتزيين ، وأصله فارسىّ مأخوذ من الديباج ، وأنشد آبن الأعرابىّ :

هل تَعْرف المَنْزِل من ذات الهَوج * لَيْس بهـا مِنَ الأنِيس دِبِّيج

وما بها دُورِىٌّ ، وقال اللحيانى : دُورِىٌّ ودُؤْرِىٌّ ، يهمز ولا يهمز .

قال أبو علىّ : دُورِىٌّ منسوب الى الدُّور ، فأما دُؤْرِىّ بالهمز ، فهو عندنا غلط . وما بها طُورِىٌّ ، قال أبو علىّ : منسوب الى الطورة ، وفى بعض اللغات الطيرة . وما بها وابِرٌ ، وما بها نافِخُ ضَرَمَة ، وما بها صافِرٌ ، وما بها دَيّارٌ ، وأنشد غيره لجرير :

وبَلْدةٍ لبس بهـا دَيَّارُ * تَنْشَقُّ فى مَجْهُولها الأبْصَـارُ

وقال اللحيانى : وما بها أَرِمٌ ، على فَعِل . وقال أبو زيد : ما بها أَرِمٌ ولا أَرِيمٌ ، على فَعِيل ، وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى :

تلك القُرُونُ وَرِثْنَا الأرْضَ بَعْدَهُمُ * فمـا يُحَسُّ عليهـا مِنْهُـمُ أَرِمُ

وقال آبن الأعرابىّ : ما بها آرِمٌ ، على فاعل ، وما بها أَيْرَمِىٌّ وإِرَمِىٌّ . وقال اللحيانى : ما بها وابِنٌ ووابِرٌ ، وأنشد آبن الأعرابىّ :

يَمِينًا أَرَى من آل زَبّان وابِرًا * فَيُفْلِت منى دُونَ مُنْقَطع الحَبْل

(١) الهيف : كل ريح ذات سموم تعطش المال وتيبس الرطب .

وقال ابن الأعرابى : وما بها أَمَرٌ . وقال الأصمعىّ والكسائىّ : وما بها شَفْرٌ، وأنشدنى ابن الأنبارى :

فَوَاللهِ لا تَنْفَكُّ منّا عداوةٌ * ولا منهمُ ما دام من نَسْلنا شَفْرُ

وقال اللحيانى : ما بها شَفْرٌ ولا شُفْر . وقال غيره : ما بها طُؤْوِىٌّ، على مثال قولك : طُعْوِىّ، وما بها طُوئِىٌّ، على مثال طُوعِىٍّ، وأنشدنى أبو بكر بن دريد وأبو بكر بن الأنبارى للعجاج :

وبَلْدةٍ لَيْسَ بها طُوئِىٌّ * ولا خلا الجِنَّ بها إنْسِىٌّ

وزاد اللحيانى : ما بها طَاوِىٌّ غير مهموز . أبو زيد : ما بها تَأْمُور، مهموز، أى ما بها أحد ويقال : ما فى الرَّكِيَّة تَأْمُور، يعنى الماء، وهو قياس على الأول . الأصمعىّ : ما بها كَرَّابٌ ولا كَتِيع، أنشدنى ابن الأنبارى :

أَجَدَّ الحَىُّ فاحْتَمَلوا سِرَاعًا * فما بالدار إذ ظَعَنُوا كَتِيعُ

ولا بها دَارِىٌّ، قال الأصمعىّ وأبو عمرو : الدارِىُّ : الذى لا يَبْرَح ولا يطلب معاشا، قال الراجز :

لَبِّثْ قليلا يَلْحَقِ الدارِيُّون * ذوو الجِبَاب البُدَّنُ المَكْفِيُّون

* سَوْفَ تَرَى إن حَضَروا ما يُغْنُون *

وحقيقته أنه منسوب إلى الدار للزومه لها . وحكى يعقوب عن غيرهم : ما بها عَيْنٌ ولا عَيَنٌ، وقال الأصمعىّ : العَيَن : الجماعة، وأنشد :

إذا رآنى واحدًا أوفى عَيَنْ * يَعْرِفنى أَطْرَق إطْراق الطُّحَنْ[1]

والطُّحَنُ : دويبة تكون فى الرمل مثل العَظَاءة . وزاد أبو عبيد عن الفرّاء : ما بها عائِنٌ . وزاد اللحيانى : مابها عائنة . وقال غيره : ما بها طارِفٌ ولا أَنِيس . وقال اللحيانى : مابها تامور ولا تُومُور . وقال ابن الأعرابىّ : مابها عائرةُ عَيْنَيْن . وقال غيره : يقال إن له من المال عائرةَ عَيْنَيْن، أى مال يَعِير فيه البصرُ هاهنا وهاهنا من كثرته . وقال أبو عبيدة : عليه مال عائرة عَيْن، يقال هذا للكثير، لأنه من كثرته يملأ العينين حتى يكاد يفقؤهما من كثرته .

وسألت أبا بكر عن معنى قول المُتَنخِّل :

لكِنْ كَبِيرُ بْنُ هِنْدٍ يَوْمَ ذلِكُمُ * فُتْخُ الشَّمائل فى أَيْمانهم رَوَحُ

---

(١) فى اللسان مادة «طحن» : قال ابن برى : الرجز لجندل بن المثنى الطُّهَوِىّ .

فقال : فُتُخُ الشمائل مفتوخة الشمائل ، لأنهم قد أمسكوا بها الدَّرَق ، وأصل الفَتَخ : اللّين والاسترخاء . وقوله : فى أيمانهم رَوَحٌ ، أى تباعد عن الجنب ، لأنهم قد رفعوها بالسيوف وأمالوها للضرب .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

العَهْدُ عَهْدان فعهْد امرئٍ * يأنَفُ أن يَغْدِر أو ينْقُضا
يَرْعَى بظَهْر الغيب إخوانَه * حفظا ويَسْتَقْبِلُهُم بالرضا
لو قابل السيفَ على حدّه * فى بعض ما فيه أخوه مَضَى
وعهْدُ ذى لَوْنَيْن مَلّالةٍ * يُوشِك إنْ وَدّك أن يُبْغِضا
ليس له صبر على صاحب * إلا قليلا رَيْثَ أن يَرْفُضا
خُلّتُه مثلُ انخضاب الذى * بينا تراه قانِيًا إذ نَضَا
إن لم تَزُرْه قال قد مَلّنى * وبالحَرَى إن زرت أن يُعرِضا
فإن أسا يوما فعاتبته * قال عَفَا ربُّك عما مضى
ولن تراه الدهرَ فى حالة * إلا عَبُوس الوجه قد حَمّضا

قال أبو علىّ : أنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم :

وإن سعيد الجَدّ من بات ليلة * وأصبح لم يُؤْشَبْ(١) ببعض الكبائر
فَقَوْلاك لا يُهْضَمْ لديك فإنما * هَضِيمة مَوْلى المرء جَدْع المَنَاخر
وجارُك لا يَذْمُمْك إنّ مَسَبّة * على المرء فى الأدْنَيْن ذَمُّ المُجاور
وإن قلتَ فاعلم ما تقول فإنه * الى سامع ممن يُغَادِى وآثر
فإنك لا تَسْتَطِيع رَدَّ مقالة * شَأَتْك وزَلّت عن فُكَاهة فاغر
كما ليس رامٍ بَعْدَ إرسال سهمه * على رَدّه قبل الوقوع بقادر
إذا أنت عاديتَ الرجال فلا تَزَلْ * على حَذَرٍ لا خَيْرَ فى غير حاذر
ومن لا يُصَانِعْ فى أمورٍ كثيرةٍ * يُضَرَّس بأنيابٍ ويُوطَأْ بمناسم
ترى المرء مخلوقا وللعَيْن حَظُّها * وليس بأحْناء(٢) الأمور بخابر

(١) يقال أشَبَه بالأمر يأشبه : قذفه به وخلط عليه الكذب فيه . (٢) أحناء الأمور : ثناياها وخفاياها .

فذاك كماء البحر لَسْتَ مُسيغه * ويَعْجَبُ منه ساجيا(١) كلُّ ناظر
وتَلْقَ الأصيلَ الفاضلَ الرأى جِسْمُه * اذا ما مَشَى فى القوم ليس بقاهر
كذلك جَفْنٌ رَثٌّ عن طُول مُكْثِه * على حَدٍّ مَفْتُوق الغِرَارَيْن باتر
وعاشٍ بعَيْنَيه لما لا يناله * كساعٍ برجليه لإدراك طائر
ومُسْتَنْزِل حَرْبا على غير ثَرْوة * كمُقْتَحِم فى البحر ليس بماهر
ومُلْتَمِس وُدًّا لمن لا يَوَدُّه * كمعتذر يوما الى غير عاذر
ومُتَّخِذ عُذْرا فعاد ملامة * كوالى اليتامى مالُهم غيرُ وافر
فسارِعْ اذا سافرتَ فى الحمد وآعلمن * بأنَّ ثناء الركب حَظُّ المسافر
وطَاوِعْهم فيما أرادوا وقل لهم * فِدًى للذى رُمْتُمْ كَلَالُ الأباعر
فإن كنتَ ذا حَظٍّ من المال فالتمس * به الأجرَ وآرفع ذكر أهل المقابر
فإنى رأيت المال يَفْنَى وذِكْرُه * كظِلٍّ يَقِيك الظِّلُّ حَرَّ الهَواجر

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى :

سَمَّيْتُ مَعْنًا بمَعْنٍ ثم قلت له * هذا سَمِىُّ فَتًى فى الناس محمود
أنت الجَوَاد ومنك الجُود أوَّلُه * فإن فُقِدْتَ فما جُودٌ بموجود
من نور وجهك تُضْحِى الأرض مُشْرِقةً * ومن بَنَانِك يجرى الماءُ فى العود
أضحت يمينك من جود مُصَوَّرةً * لابل يَمِينُك منها صورةُ الجود

[خطبة بعض الأعراب فى قومه وقد ولاه جعفر بن سليمان بعض مياههم]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : وَلَّى جعفرُ بن سليمان أعرابيا بَعْضَ مياههم، فخَطَبَهم يوم الجمعة فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد، فإن الدنيا دار بَلاغ، والآخرة دار قرار، فخُذوا لمَقَرِّكم من مَمَرِّكم، ولا تَهْتِكوا أستاركم، عند من لا تَخْفَى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبَكم، قبل أن تَخْرُج منها أبدانُكم، ففيها حَيِيتم، ولغيرها خُلِقْتم، إن الرجل اذا

(١) ساجيا : ساكنا .

هَلَك ، قال النـاس ما تَرَكَ ، وقالت الملائكة ما قَدّم ، فلله آباؤكم ! قَدِّموا بعضا ، يكن لكم قَرْضا ، ولا تُخَلِّفوا كُلّا ، يكن عليكم كَلّا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبـد الرحمن عن عمـه قال : قلت لأعرابىّ ما تقول فى المراء ؟ قال : ما عَسَى أن أقول فى شيء يُفْسِد الصَّدَاقة القديمة ، ويَحُلُّ العُقْدة الوَثِيقة ، أقلّ مافيه أن يكون دُرْبة للغالبة ، والمغالبة من أَمْتَنِ أسباب الفتنة .

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو الحسن بن خضر عن حماد بن إسحاق الموصلىّ قال سمعت أبى يقول : قال رجل من العجم لَمِلكٍ كان فى دهره : أُوصيك بأربع خِلَال تُرْضِى بهنّ ربك ، وتُصْلح بهن رَعِيَّتَك ، لا يَغُرَّنَّك ٱرتقاءُ السهل اذا كان الْمُنْحَدَرُ وَعْرا ، ولا تَعِـدَنَّ عِدَةً ليس فى يدك وفاؤها ، وٱعلم أن لله نَقِمَاتٍ فكُنْ على حَذَر ، وٱعلم أن للأعمال جزاءً فٱتَّقِ العواقب .

وقرأنا على أبى بكر بن دريد قول الشاعر :

وعازِبٍ قد علا التَّهْوِيلُ جَنْبَتَـه ‏ * ‏ لا تَنْفَع النَّعْـلُ فى رَقْراقِه الحافى (١)
باكَرْتُه قبل أن تَلْغَى عَصافِرُه ‏ * ‏ مُسْتَخْفِيًا صاحِبى وغَـيْرُه الخافى

عازب : بعيد لا يأتيـه أحد . والتهاويل : الألوان المختلفة من الحمرة والشُّقْرة والصفرة . والجَنْبَة : ضرب من النبات . وقوله : لا تنفع النعل ، يقول : لا تنفعه النعل من كثرة نَدَاه . ورَقْرَاقُه : ماتَرَقْرَق منه . وتَلْغَى : تصيح .

وحدّثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكار قال : كان هارون الرشيد كثيرا ما يستنشد أبى لعبد الله بن مُصْعَب :

وإنى وإن أقْصَرْتُ عن غير بِغْضةٍ ‏ * ‏ لَرَاعٍ لأسـباب المـودّة حافظ
ومازال يدعونى الى الصَّرْمِ ماأرى ‏ * ‏ فآبَى وتَثْنِينى عليـك الحَفَـائظ
وأنتـظر الإقبال بالودّ منـكم ‏ * ‏ وأصبر حتى أوْجَعَتْنِى المَغَـايِظ
وأنتظر العُتْبَى وأُغضِى على القَذَى ‏ * ‏ أُلَايِنُ طَوْرًا مَرَّة وأُغالظ
وجَرَّبْتُ مايُسْلِى المحبَّ عن الصِّبا ‏ * ‏ فأقْصَرْتُ والتَّجريب للمرء واعظ

(١) البيتان لعبد المسيح بن عسلة كما فى اللسان مادة «لغا» .

وأنشدنى أبو يعقوب ورّاق أبى بكر بن دريد قال أنشدنى أحمد بن عبيد الجوهرىّ قال : أنشدت لمَخْلَد الموصلىّ :

أقول لِنِضْوٍ أنفَدَ السير نِيَّها (١) * فلم يَبْقَ منها غيرُ عَظْمٍ مُجَلَّد
خُذِى بى ٱبتلاكِ الله بالشوق والهوى * وشاقَكِ تَحْنانُ الحمام المُغَرِّد
فَمَرّت حِذَارًا خَوْفَ دعوة عاشق * تَشُقُّ بِىَ الظَّلماءَ فى كل فَدْفَد
فلما وَنَتْ فى السير ثَنَّيْت دعوتى * فكانت لها سوطا إلى ضَحْوة الغد

[مطلب قصيدة ذى الإصبع العدوانى التى منها البيت المشهور : يا عمرو إلّا تدع شتمى ومنقصتى الخ]

وقرأت على أبى بكر بن دريد قصيدة ذى الإصبع العَدْوانىّ وٱسمه حُرْثان بن مُحَرِّث ، وأملاها علينا الأخفش وأوّلها فى الروايتين :

* ولى ٱبْنُ عَمٍّ على ما كان من خُلُقٍ *

وقرأنا على أبى بكر بن الأنبارى فزادنا عن أبيه عن أحمد بن عبيد قبل هذا البيت الأول أبياتا أوّلها :

يا مَنْ لِقلْبٍ طويل البَثّ محزون * أمسى تَذَكّرَ رَيّا أمّ هارون
أمسى تذكرها منْ بعد ما شَحَطت * والدهر ذو غِلْظة حِينًا وذو لِين
فإن يكن حُبُّها أمسى لنا شَجَنا * وأصبح الوَأْىُ (٢) منها لا يُواتِينى
فقد غَنِينا وشملُ الدار يجمعنا * أُطِيع رَيّا ورَيّا لا تعاصِينى
نرمِى الوُشاةَ فلا نُخطِى مَقاتِلَهم * بصادقٍ من صفاء الودّ مكنون
ولى ٱبن عم على ما كان من خلق * مختلفان فأَقْلِيه ويَقْلِينى
أَزْرَى بنا أننا شالت نَعامَتُنا (٣) * فخالنى دُونه بل خِلْتُه دونى
لاهِ ٱبْنُ عَمِّك لا أَفْضَلْت فى حَسَبٍ * عَنِّى ولا أنت دَيّانِى (٤) فتَخْزُونى
ولا تَقُوت عيالى يوم مَسْغَبةٍ * ولا بنَفْسِك فى العَزّاء (٥) تكفِينى

(١) نيها : شحمها الذى عليها من سِمَنها . (٢) الوأى : الوعد . (٣) يقال : شالت نعامتهم اذا انتقلوا عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شىء . (٤) دانه : قهره . (٥) العزاء : السنة الشديدة .

فإن تُرِدْ عَرَضَ الدنيـا بمَنْقَصتى * فإن ذلك ممـا ليس يُشْجِينى
ولا يُرَى فِيَّ غَيْرَ الصَّـبْر مَنْقصةٌ * وما سواه فإن الله يكفينى
لولا أَوَاصِرُ قُرْبَى لَسْت تحفظها * ورَهْبَـةُ الله فى مَوْلًى يُعادِينى
إذًا بَرَيْتُــك بَرْيًا لا انْجِبار له * إنى رأيتـك لا تَنْـفَكُّ تَبْرِينى
إن الذى يَقْبِض الدنيا و يبسطها * إن كان أغناك عنى سوف يُغْنِينى
الله يعلمـنى والله يعلمـكم * والله يَجْـزِيكُم عنى ويجـزينى
ماذا علىَّ و إن كنتم ذوى رَحِمِى * ألّا أُحِبَّــكُمُ إذ لم تُحِبُّـونى
لو تَشْرَبون دَمِى لم يَرْوَ شاربُكم * ولا دماؤكم جَمْـعا تُرَوِّينى
ولى ابن عم لَوَ انَّ الناس فى كَبَدٍ * لَظَـلَّ مُحْتَجِرا بالنَّبْـل يَرْمِينى
يا عَمْرو إلّا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصتى * أضْرِبْك حيث تقول الهامة اسقونى
عَنِّى اليـك فمـا أُمِّى براعيــة * تَرْعَى المَخَاض ولا رَأْيِى بمغبون
إنى أبِىٌّ أبِىٌّ ذو محافظــة * وابْنُ أبِىٍّ أبِىٍّ من أبِيِّين
لا يُخْرِج القَسْرُ منى غَيْرَ مأْبِيَــة * ولا ألين لمن لا يبتغى لينى
عَفٌّ نَدُودٌ اذا ما خِفْت من بَلَدٍ * هُونًا فَلَسْتُ بوَقَّافٍ على الهُون
كلُّ امرئ صـائر يوما لشيمته * وإن تَخَـلَّق أخلاقا الى حين
والله لو كَرِهَتْ كَفِّى مصاحبتى * لَقُلْتُ اذ كَرِهتْ قُرْبِى لهـا بِينى
إنى لعَمْـرُك ما بابى بذى غَلَقٍ * عن الصديق ولا خَيْرِى بممنون
وما لسـانى على الأدْنَى بمُنْطَـلِق * بالمُنْكَرات ولا فَتْكِى بمأمون
عندى خلائقُ أقوام ذوى حَسَبٍ * وآخرينَ(١) كثير كلُّهُـمْ دُونى
وأنـتم مَعْشَرٌ زَيْدٌ عـلى مائة * فأجْمِعُـوا أمرَكم طُـرًّا فكيدُونى
فإن علمتم سبيل الرشـد فانطلقوا * وإن جهلتم سبيل الرشد فأتونى
يا رُبَّ ثوب حَوَاشـيه كأوسَطه * لاعَيْبَ فى الثوب من حُسْن ومن لين

(١) هكذا فى النسخ بالجر، وفى بعض المجاميع وآخرون بالرفع، والمدار على الرواية .

يَوْمًا شَدَدتَ على فَرْغاء فاهقةٍ (١) * طَوْرا من الدهر تاراتٍ تُمَارِينِى
قد كنت أعطيكمُ مالى وأمنحكم * وُدّى على مُثْبَتٍ فى الصدر مكنون
يا رُبَّ حَىٍّ شديد الشَّغْب ذى لَجَبٍ * دَعَوْتُهم راهنٍ منهم ومَرْهون
رَدَدْتُ باطلهم فى رأس قائلهم * حتى يَظَلُّوا جميعا ذا أفانين
يا عمرو لو لِنْتَ لى أَلْفَيْتَنى يَسَرًا * سَمْحًا كريما أُجَازِى من يُجَازِينى

[مطلب وصف صعصعة بن صوحان للناس وقد سأله معاوية ذلك]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو عثمان عن التَّوَّزِىّ عن أبى عبيدة قال : قال معاوية لصعصعة بن صُوحان : صف لى الناس، فقال : خُلِقَ الناس أخيافا : فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة، وطائفة خُطباء، وطائفة للبأس والنَّجْدة، ورِجْرِجَة فيما بين ذلك، يُكَدِّرون الماء، ويُغْلُون السِّعْر، ويُضَيِّقون الطريق .

قال أبو على : الرِّجْرِجة : شِرَار الناس ورُذَالهم ، وأصل الرِّجْرِجة : الماء الذى قد خالطه لُعاب، وجمعه رَجَارِج، قال هِمْيان بن قُحَافة :

فأَسْأَرَتْ فى الحوض حِضْجا (٢) حاضجا * قد عاد من أنفاسها رَجارِجا

وقال اللحيانى : الرِّجْرِج : اللُّعاب، قال ٱبن مقبل :

كاد اللُّعاعُ من الحَوْذان يَسْحَطُها * ورِجْرِجٌ بين لَحْيَيْها خَنَاطِيل

[حديث قيس بن رفاعة مع الحارث بن أبى شمر الغسّانى]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان عن التَّوَّزِىّ عن أبى عبيدة قال : كان قيس بن رِفاعة يَفِدُ سَنَةً إلى النعمان اللخمىّ بالعراق وسَنةً الى الحارث بن أبى شِمْر الغَسَّانىّ بالشام، فقال له يوما وهو عنده : يٱبن رفاعة، بلغنى أنك تُفَضِّل النعمان علىَّ، قال : وكيف أُفَضِّله عليك أَبَيْتَ اللعن ! فوالله لَقَفَاك أحسن من وجهه، ولأُمُّك أشرف من أبيه، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولَشِمالُك

(١) الفرغاء : الطعنة ذات الفَرْغ وهو السعة ، والفاهقة هى التى تفهق بالدم أى تنصبب . (٢) الحضج : بالكسر ويفتح : ما يبقى فى حياض الإبل من الماء .

أجْوَد من يمينــه ، ولِحرمانك أنفع من نداه، ولَقليلُك أكثر من كثيره ، ولَثِمَـادُك(١) أغْزَرُ من غَدِيره، ولَـكُرْسِيُّك أرفع من سريره، ولَجَدْوَلُك أغمر من بحوره ، ولَيَوْمُك أفضل من شهوره، ولَشَهْرُك أَمَدُّ من حَوْله ، ولَحَوْلُك خير من حُقُبه(٢)، ولَزَنْدُك أَوْرَى من زَنده ، ولَجُنْدُك أعز من جنده، وإنّك لَمِنْ غَسَّان أرباب الملوك، وإنه لَمِنْ لَخْمٍ الكثيرى النُّوك، فكيف أفضله عليك !

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوىّ قال حدّثنى عبد الله آبن شبيب قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزهرىّ قال قال معاوية : لقد وضعت رجلى فى الركاب يوم صِفِّين غير مرة، فما يمنعنى من الآنهزام إلا أَبْيات آبن الإِطْنابة

أَبَتْ لى عِفَّــتى وأَبَى بلائى * وأَخْذِى الحَمْـدَ بالثمن الرَّبِيح
وإعطائى(٣) على الإِعْدام مالى * وضَرْبِى هامةَ البَطَل المُشِيح
وقولى كلّما جَشَأَت وجاشت * رُوَيْدَكِ تُحْمَدِى أو تستريحى
لِأَدْفَعَ عن مآثر صالحـاتٍ * وأَحْمِى بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيح

قال أبو علىّ : المُشِيح : المبادر المنكمش، ويقال : بَطَل مُشِيح ، أى حامل، وقال الأصمعىّ : شَايَحْتُ فى لغة تميم وقيس : حاذَرْت، وفى لغة هذيل : جَدَدْتُ فى الأمر .

وحدّثنا أبو بكر عن أبى حاتم عن أبى زيد عن المُفَضَّل الضبىّ قال : كنت مع إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن صاحب أبى جعفر فى اليوم الذى قُتِل فيه ، فلما رأى البياض يَقِلُّ والسواد يكثر قال لى : يا مُفَضَّل، أنشدنى شيئا يُهَوِّن علىّ بعض ما أرى، فأنشدته :

ألا أيُّها الناهى فَزارةَ بعـــدما * أَجَدَّتْ لغـــزْوٍ إنمـا أنت حالم
أرى كُلَّ ذى تَبْلٍ يبيت بِهَمِّه * ويمنع منــه النوم إذ أنت نائم
قَعُوا(٤) وَقْعةً مَنْ يَحْىَ لم يَخْزَ بعدها * وإن يُخْتَرَمْ لم تَتَّبِعْـه المَلَاوِم

---

(١) الثماد : الماء القليل الذى لا يُمُدُّه شىء . (٢) الحقب بضم وبضمتين : ثمانون سنة . (٣) المشهور فى كتب اللغة والأدب * وإقدامى على المكروه نفسى * ولعلهما روايتان . (٤) فى الأغانى (ج ١٧ ص ١٠٩) : قفوا وقفة ... الخ .

قال : فرأيتــه يتطَالل على سَرْجه ، ثم حَمَل حَمْلة كانت آخر العهد به . وأنشــدنا أبو عبــد الله نِفْطَوَيْه لأبى سعيد المخزومىّ :

مَنْ لى بردّ الصِّبا واللهو والغَــزَل * هيهات ما فات من أيامك الأُوَل
طَوَى الجَديدانِ ما قد كنت أَنْشُره * وأنكرتْنى ذواتُ الأعيُنِ النُّجُــل
وقــد نهانى النُّهَى عنهــا وأدّبَنى * فلست أبكى عــلى رَسْمٍ ولا طَلَل
مالى وللدِّمْنــة البَــوْغاء(١) أَنْدُبها * وللمنازل من خَوْفٍ ومن مَلَل
متى ينــالُ الفتى اليَقْظان هِمَّتــه * إذ المُقَام بدار اللهــو والغــزل
فى الخيل والخافقات السُّود لى شُغُلٌ * ليس الصَّــبابةُ والصَّهْباء من شُغُلى
ما كانــ لى أمَلٌ فى غــير مَكْرُمَة * والنَّفْس مقــرونة بالحِرْص والأمل
ذَنْبى إلى الخيل كَرِّى فى جوانبهــا * اذا مَشَى الليث فيهــا مَشْىَ مُخْتبِل
ولى من الفَيْلَقِ الجَأْواء(٢) غَمْــرتُهــا * اذا تَقَحَّمَها الأبطال بالحِيَــل
كم جَأْنَبٍ(٣) خَشِنٍ صَبَّحْتُ عارضَهُ * بعــارضٍ للمنــايا مُسْــبِلٍ هَطِل
وغَمْــرةٍ خُضْت أعلاها وأسفلَهــا * بالضرب والطعن بين البِيض والأَسَل
سَــلِ الجَــرَادةَ(٤) عنى يوم تَحْمِلُنى * هل فاتنى بَطَلٌ أو نَخْمْتُ(٥) عن بطَل
وهــل شآنى(٦) الى الغايات سابقها * وهــل فَزِعْت الى غير القَنَا الذُّبُل
مالى(٧) أرَى ذِمَّتِى يَسْــتَمْطرون دَمى * ألسْتُ أولاهــمُ بالقول والعمل
كيف الســبيل الى وَرْدٍ(٨) خُبَعْثِنة * طلائعُ الموت فى أنيابه العُصُــل
وما يُريدون لولا الحَيْنُ من أسَــدٍ * بالليــل مُشْتَمِلٍ بالجَمْــرِ مكتحِل
لا يشرب المــاء إلا من قَليبِ دمٍ * ولا يَبِيت له جارٌ عــلى وَجَــل
لولا الإمام ولولا حَــقُّ طاعتــه * لقد شَرِبْتُ دمًا أحلى من العَسَــل

(١) الدمنة البوغاء : التراب النام المتلبد . (٢) يقال كتيبة جأواء : كدراء اللون فى حمرة وهو لون صدأ الحديد لكثرة ما عليها من الدروع . (٣) الجأنب : الرجل القصير الجافى الخلقة . (٤) الجرادة . فرسه . (٥) نخمت : نكصت وجُبُنت . (٦) شآنى فلان فلانا شأوا : سبقه . (٧) كذا فى بعض النسخ، وفى بعض المجاميع :

* ماذا أريد بقوم ينذرون دمى * ... ... الخ .

(٨) الورد . الأسد . والخبعثنة : العظيم الشديد من الأسود .

وقرأت على أبى بكر بن دريد للفِنْد الزِّمَّانىّ واسمه شَهْل[(١)] بن شيبان :

صَفَحْنا عن بنى ذُهْـلٍ * وقلنـا القـوم إخوان
عَسَى الأيام أن يَرْجِعْـــنَ قَـوْماً كالذى كانوا
فلمـا صَرَّح الشـــرُّ * فأمْسَى وهْـوَ عُرْيان
ولم يَبْقَ سوى العُـدْوا * ن دِنَّاهُـــمْ كما دانوا
مَشَـيْنا مِشْـيةَ اللَّيْث * غَدا واللَّيْثُ غَضْـبان

قال أبو على : يروى عدا وغدا بالعين والغين، ويروى * شَدَدْنَا شَدَّة الليث * فمن روى شددنا فالأجود عدا بالعين غير المعجمة، ومن روى مشينا . فالأجود غدا بالغين المعجمة

بضَرْبٍ فيـه تَوْهِينٌ * وتَخْضِيعٌ[(٢)] وإقـــران

وأنشدنا أبو بكر عن أبيه عن أبى رستم مستملى يعقوب هذا البيت :

بضرب فيـــه تأْيِـيمٌ * وتَفْجِيعٌ وإرْنانـ
وطَعْـــنٍ كَفَمِ الزِّقّ * غـدا والزِّقُّ ملْآن
وفى الشَّـــرِّ نجاةٌ حيـــن لا يُنْجِيك إحسان
وبعضُ الحِلْمِ عند الجهـــل لِلـــذِّلَّة إذعان

وقرأت عليه لأبى الغُول الطُّهَوِىّ وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه الى آخر بيت فيه :

فَـدَتْ نفسى وما مَلَكَتْ يمينى * فوارسَ صدّقوا فيهـم ظنونى
فـــوارسَ لا يَمَلُّون المَنَـايا * اذا دارت رَحَى الحَرْب الزَّبُون
ولا يَجْـــزُون من حَسَنٍ بِسَىْءٍ * ولا يَجْـزُون من غِلَظٍ بِلِين
ولا تَبْـلَى بَسَالَتُهُـــم وإن هم * صَلُوا بالحرب حِيناً بَعْـدَ حِين
هُـمْ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى[(٣)] بضرب * يُؤَلِّف بين أشتات المَنُون

(١) فى النسخة المطبوعة ببولاق : «سهل» بالسين وهو تحريف، والتصويب عن النسخة المخطوطة والقاموس وشرحه .

(٢) التخضيع : تقطيع اللحم . (٣) الوقبى : ماء لبنى مالك بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم لهم به حصن وكانت لهم به وقائع مشهورة، والوقبى على طريق المدينة من البصرة .

فنكّب عنهـــم دَرْءَ الأعادى (١) * وداوَوْا بالجُنــون من الجنــون
ولا يرعَــوْن أكنافَ الهُــوَيْنى * إذا حَلُّوا ولا رَوْضَ الهُــدُون (٢)

وحدثنى أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : رأيت رجلا بالحَفَر من بنى العَنْبَر به لَوْثة (٣) بل هَوَج ظاهر، أحفظ خَلْق الله للشِّعْر، وكان اذا قال له قائل : أنشدنا، تمَّــر له وشَتَمَه، واذا أنشَد وحَدَّث آندفق منه ثَبَجُ بحر مع فصاحة وحسن إنشاد، فأنشدنى يوما من غير أن أستنشده :

* فدت نفسى وما ملكت يمينى * الأبياتَ كُلَّها

وحدثنا أبو بكر عن أبى حاتم قال : لم يَرْثِ أحدٌ قتيلا قَتَلَه قومُه إلا قيس بن زهير، فإنه رَثَى حذيفة بن بدر وبَنُو عَبْس تَوَلَّت قتله :

ألم تر أنَّ خير الناس أضحى * على جَفْــرِ الهَباءةِ (٤) ما يَرِيمُ
ولولا بَغْيُــه ما زِلْتُ أبكى * عليه الدهرَ ما بَدَت النجومُ
ولكنَّ الفتى حَمَــلَ بن بَدْرٍ * بَغَى والبَغْىُ مرتَعُــه وَخِيمُ
أظُنُّ الحِلْمَ دلَّ علَىَّ قــومى * وقد يُستَجْهَل الرَّجُل الحليمُ

[مطلب حديث الأصمعىّ مع آمرأة ثكلى من بنى عامر نزل بها]

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: نَزَلْتُ على آمرأة من بنى عامر بن صَعْصَعَة وقد مات آبنٌ لها، وهى من القَلَق على مثل الرَّضْفَة (٥)، فقامت تعالج لى طعاما، فقلت لها: يا هذه، إنك لفى شُغُل عن هذا، فقالت: والله لا تجُوز بيتى إلا مَقْرِيًّا، ولكن أنشِدْنى أبياتا أسلو بهنّ، فإنى أراك لَوْذَعِيًّا، فأنشدتها أبيات نُوَيْرة بن حُصين المـازنىّ يَرْثِى آبنه :

إنى أُرى للشامِتِين تَجَــلُّدى * وأنِّى كالطاوى الجَناح على كَسْرِ
يُرَى واقعــا لم يُدْرَ ما تحت ريشــه * وإن ناء لم يَسْطِع نُهُوضا إلى وَكْرِ

---

(١) الدرء : الدفع . (٢) الهدون : الدعة والسكون . (٣) اللوثة : الحمق . (٤) الهباءة : أرض ببلاد غطفان قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان . وجفر الهباءة : مستنقع فى هذه الأرض . (٥) الرضفة : واحدة الرضف وهى الحجارة المُحْمَاة .

فـلولا سُرور الشامتين بِكَبْوَتِى * لما رَقأت عيناى مِنْ واكفٍ يَجْرِى
على مَنْ كفانى والعشـيرةَ كلَّها * نوائبَ رَيْبِ الدهرِ فى عَثْرة الدهـرِ
ومن كانت الجاراتُ تأمَنُ ليـلَهَ * اذا خِفْنَ مَنْ باتت غَوَائله تَسْرِى
بصـير بمـا فيـه لَهُنَّ حَصانَةٌ * غَبِىٌّ عن المحجوب بالباب والسِّتْرِ
يَكُفُّ أذاه بعـد ما بَـذْلِ عُرْفه * ويَحْـلُم حِلْمـا لا يُذَمُّ ولا يُزْرِى
ويأخذ ممن رام بالهَضْر هَيْضَـه[1] * اذا ما أراد الأخـذ بالهَضْر والقَسْرِ
ولا يُنظِـر الأيسـار إن نال يُسْرَه * ولا ينثنى عن فعـل خيرٍ لدى العُسْرِ
ولا يَتَأَرَّى[2] للعـواقب إنْ رأى * له فُرْصـةً يَشْفِى بها وَحَرَ[3] الصَّـدْرِ
ولكنه رَكَّاب كلِّ عظيمـة * يضيق بها صدر الحسود على الأمْرِ
ولَسْتُ وإن خَـبَّرْت أن قـد سَلِيتُه * بناسٍ أبا سَـوْداء إلّا على ذِكْرِ
شمـائلَ منـه طَيِّبات يَعُـدْنَنِى * وأخلاق محمـودٍ لَدَى الزاد والقِـدْرِ
فتى شَغْشَع[4] يُرْوِى السِّنان بكَفِّه * ويجمع للمـولى العطـاء مع النَّصْرِ

قال : فكأنى والله زَبَرْتُ[5] الأبياتَ فى صـدرها ، فمـا زالت تنشدها وتصلح طعامى حتى قَرَتْنِى ورُحْت من عندها . وقرأت على أبى بكر لقيس بن زهير :

شَفَيْتُ النفسَ من حَمَلِ بن بَدْرٍ * وسَيْفِى من حُذَيْفـة قد شَفَانى
فإن أكُ قد بَرَدْتُ بهم غليـلى * فـلم أقطع بهـم إلّا بَنَـانى

وقال وقرأت عليه للحارث بن وَعْلة الجَرْمِىّ[6] :

قَـوْمِى هُمُ قَتَـلوا أُمَيْمَ أخى * فاذا رَمَيْتُ يُصيبنى سهمى
فلئن عَفَـوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عظمى
لا تأمَنَنْ قوما ظَلَمتَهُـم * وبَدَأْتَهُـم بالشَّـتْم والرَّغْم[7]

---

(١) الهيض : الكسر . (٢) يتأرّى : ينتظر ويترقب . (٣) وحر الصدر : غيظه وفعله كفرح .
(٤) شعشع : طويل . (٥) زبرت : كتبت . (٦) فى شرح الحماسة طبع بولاق (ج ١ ص ١٠٧) الذهلىّ .
(٧) فى اللسان : رغما دغما شِنَّغا : كل ذلك إتباع ، وروى عن ابن السكيت «رغما له شنغا» قال الأزهرى : ولا أعرفه .

أَنْ يَأْبِرُوا نَخْلًا لغيرهم * والشىء تَحْقِره وقد يَنْمِى
وزَعَمْتُمُ أن لا حُلُومَ لنا * «إنَّ العصا قُرِعَتْ لِذِى الحِلْمْ»
وَوَطِئْتَنا وَطْئًا على حَنَقٍ * وَطْءَ المُقَيَّد نابتَ الهَرْمْ(١)
وتَرَكْتَنا لَحْمًا على وَضَمٍ * لو كُنْتَ تَسْتَبْقِى من اللحم

وقرأت عليه لأعرابىّ قَتَلَ أخوه ٱبنه، فقُدِّم اليه ليَقْتاد منه فألقى السيفَ من يده وهو يقول :

أقول للنفس تأساءً وتَعْزِيةً * إحدى يَدَىَّ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ مِنْ فَقْد صاحِبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وأملاهما علينا نفطويه .

وأنشدنا أبو بكر عن أبى عثمان عن التَّوَّزىّ عن أبى عبيدة لهشام أخى ذى الرمّة :

تَعَزَّيْتُ عن أوْفَى بغَيْلانَ بعده * عَزاءً وجَفْن العين مَلْآنُ مُتْرَعُ
نَعَى الرَّكْبُ أوْفَى حين وافت رِكابُهم * لعمرى لقد جاءوا بشَرٍّ وأوْجَعوا
نَعَوْا باسقَ الأخلاق لا يُخْلِفُونه * تكادُ الجبال الصُّمُّ منه تَصَدَّع
خَوَى المسجدُ المعمور بعد ٱبْن دَلْهَمٍ * وأمسى بأوفى قَوْمُه قد تَضَعْضَعوا
فلم يُنْسِنِى أوْفَى المصيباتُ بعده * ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوْجَع

[مطلب شرح مادة غ ر ر]

قال أبو علىّ قال أبو نصر : يقال كان ذلك فى غَرارَتِى وحَداثتى، أى فى غِرَّتِى . وعَيْشٌ غَرِير اذا كان لا يُفَزِّعُ أهلَه . وٱمرأة غَرِيرة اذا لم تُجَرِّب الأمور، ورجل غِرٌّ وٱمرأة غِرٌّ اذا كانا غير مُجَرِّبَيْن للأمور . ويقال : ما غَرَّك بفلان، أى كيف ٱجترأت عليه . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ . ويقال : مَنْ غَرَّك من فلان، أى من أوْطَأك عَشْوةً(٢) . وفى عَشْوة ثلاث لغات، يقال : عِشْوة وعَشْوة وعُشْوة . ويقال : أنا غَرِيرُك من فلان أى لن يأتيك منه ما تَغْتَرّ به، كأنه قال: أنا القَيِّم لك بذاك . ويقال : أتانا على غِرارٍ وغِشاش، أى على عَجَلة . ويقال : ما نَوْمُه إلا غِرار،

(١) الهرم : ضرب من النبات . (٢) يقال : أوطأه عشوة اذا حمله على أن يركب أمرا غير مستبين الرشد فربما كان فيه عطبه، يريد : من أضلك فى أمر فلان حتى اغتررت به .

أى قليــل، ويقال : غارّت الناقةُ تُغارُّ غِرَارا اذا رَفَعَتْ لبنها . والغُرُور : مَكَاسِر الجِــلد، واحدها غَرٌّ؛ قال دُكَيْن بن رجاء الفُقَيْمِىّ :

كأنَّ غَرَّ مَتْنِه إذ تَجْنُبُــهْ * سَيْرُ صَناعٍ فى خَرِيزٍ تَكْلُبُهُ

يعنى أن تَثْنِى الشَّعَرة أو اللِّيفة ثم تُدْخِل السيرَ فى ثِنْى الشَّعرة المَثْنِيَّة ثم تَجْذِبه فتخرج السير مع الشعرة. وزعموا أن رؤبة بن العجّاج آشترى ثوبا من بزّاز فلما آستوجبه قال : اطْوِه على غَرِّه، أى على كُسُور طَيِّه . ويقال : ضَرَبَ نَصْلَه على غِرَارٍ واحد، أى على مثال واحد؛ قال الهذلىّ (١) :

سَديدُ العَيْرِ لم يَدْحَضْ عليه الـــ * ــغِرَارُ فَقِــدْحُهُ زَعِلٌ دَرُوجُ

ويقال : لَيْتَ هذا اليومَ غِرَارُ شَهْرٍ فى الطول، أى مثال شهر فى الطول . والغِرَاران ما عن يمين النَّصْل وشماله . وغِرَارُ السيف : حَدُّه؛ قال الأصمعىّ يقال : بَنَى بَنُو فلان بُيوتَهم على غِرارٍ واحد، أى على سطر واحد . ويقال : غَرَّ الطائرُ فَرْخَه يَغُرُّه غَرًّا اذا زقّه؛ وقرأت على أبى بكر للشَّمّاخ :

ولَمَّـا رأيتُ الأمرَ عَرْشَ هَوِيَّةٍ * تَسَلَّيْتُ حاجاتِ الفُــؤاد بِشَمَّرا

قوله : ولمـا رأيت الأمر عرش هوية، مَثَلٌ . والعَرْشُ : الخَشَبُ الذى يُطْوَى به أعلى البــئر، قال أبو زيد : البئر المعروشة: التى طُوِيَتْ قدرَ قامة من أسفلها بالحجارة ثم طُوِىَ سائرها بالخشب وحده وذلك الخشب هو العَرْش . قال الأصمعىّ: المعروشة : المطوية بالخشب، والساق اذا قام على العَرْش فهو على خَطَرٍ إن زَلِق وقَعَ فى البئر . والهَوِيَّة : البئر، يقول : لمـا رأيت الأمر شديدا ركبت شَمَّرَ، وشَمّر آسم ناقته .

[حديث المهلب بن أبى صفرة مع رجل من الخوارج كان مختفيا فى عسكره يريد آغتياله]

وحدّثنــا أبو بكر رحمــه الله قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمــد بن عباد المُهَلّبِىّ قال : قيل للمهلب : إن فلانا عَيْنٌ للخوارج فى عسكرك، وإنه يتكفّن بالسلاح اذا دُعُوا للحرب ليغتالك ويلحق بالخوارج؛ فبعث اليه، فأُتِىَ به فقال له : قد تقرّر عندنا كَيْدُك لنا، ولم نُقْدم من أمرك على ما عَزَمْنا عليه إلا بعــد ما لم يَدَعِ اليقينُ للشك مُعْتَرَضا ، فآختَرْ أىَّ قِتْلة تحب أن أقتلك ؟ فقال : سَيْفٌ مُجْهِز

(١) البيت لعمرو بن الداخل وقوله : سديد أى مستقيم . والعير : الناتئ فى وسط النصل، وقوله : لم يدحض أى لم يزلق . والغرار : المثال الذى يضرب عليه النصل والزعل . النشيط . والدروج : الذاهب فى الأرض .

أو عَطْفة كريم مُحْتَقِرٍ لِضغْن ذوى الضغائن، قال : فإنها عطفة كريم محتقر للذنوب، نَخَلَّى سَبيله، فكان بعد ذلك من أوثق أصحابه عنده .

وحدّثنا أيضا قال حدّثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال: أَوْفَدَ المُهَلَّب كعبَ بن مَعْدان الأشقرىّ(١) حين هَزَمَ عَبْدَ ربه الأصغرَ وأَجْلَى قَطَرِيًّا حتى أخرجه من كرمان نحو أرض خراسان، فقال له الحجاج: كيف كانت محاربة المهلب للقوم؟ قال: كان اذا وَجَدَ الفُرصة سار(٢) كما يسُور الليث، واذا دَهَمَتْه الطَّحْمة(٣) راغ كما يروغ الثعلب، واذا مادّه القوم صَبَرَ صَبْرَ الدهر، قال: وكيف كان فيكم؟ قال: كان لنا منه إشفاقُ الوالد الحَدِب، وله منا طاعةُ الولد البرّ، قال: فكيف أفلَتَكُمْ قَطَرِىٌّ؟ قال: كادنا ببعض ما كِدْناه به، والأجلُ أحصن جُنَّة وأنفذ عُدَّة، قال: فكيف اتبعتم عَبْدَ ربه وتركتموه؟ قال: آثرنا الحَدَّ على الفلّ، وكانت سلامة الجُنْد أحبَّ إلينا من شَجَب(٤) العدوّ، فقال له الحجاج: أكنت أعددت هذا الجواب قبل لقائى؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو حاتم قال: أتيت أبا عبيدة ومعى شِعْر عروة بن الورد فقال لى: مامعك؟ فقلت: شعر عروة، فقال: فارِغٌ حَمَلَ شِعْر فقير ليقرأه على فقير، فقلت له: ما معى غيره، فأنشدنى أنت ما شئت، فأنشدنى:

يا رُبَّ ظِلِّ عُقابٍ(٥) قد وَقَيْتُ بها * مُهْرِى من الشمس والأبطالُ تجتلدُ
ورُبَّ يوم حمى أرْعَيْت عَقْوته * خَيْلى اقتصارا وأطرافُ القَنا قِصَدُ(٦)
ويَوْمِ لَهْوٍ لأهل الخَفْض ظَلَّ به * لَهْوِى اصطلاء الوَغَى ونارُهُ تَقِدُ
مُشَهَّرا مَوْقِفى والحربُ كاشفةٌ * عنها القِناعَ وبَحْرُ الموت يَطَّرِدُ
ورُبَّ هاجرةٍ تَغْلِى مراجِلُها * مَخَرْتُها بمَطايا غارةٍ تَخِدُ
تجتابُ أودِيَةَ الأفزاع آمنةً * كأنها أُسُدٌ تقتادُها أُسُدُ

(١) ورد فى الطبعة الأولى «الأشعرىّ» بالعين المهملة، وهو تحريف والتصويب عن إحدى النسخ المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية وتاريخ الطبرى وتاج العروس مادة «شقر». (٢) سار: وثب وثار. (٣) الطحمة: جماعة الناس. يريد جند العدو. (٤) الشجب: الهلاك. (٥) العقاب: الراية. (٦) القصد كعنب: القطع مما يكسر، واحده قصدة.

فإن أمتْ حتْفَ أنفي لا أمتْ كمَدًا * على الطِّعان وقصرُ العاجز الكمَدُ
ولم أقل لم أُساقِ الموتَ شاربَهُ * فى كأسه والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال : هذا الشّعر! لا ما تُعلّلون به أنفسكم من أشعار المخانيث! قال أبو بكر : والشعر لقطَرِىّ ابن الفُجاءة .

[حديث المفضل الضبىّ وقد دخل على المهدىّ فاستنشده]

وحدّثنا قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى زيد عن المُفضَّل الضبىّ قال : دخلت على المهدىّ فقال لى قبل أن أجلس : أنشدنى أربعة أبيات لا تَزِدْ عليهن — وعنده عبد الله بن مالك الخزاعىّ — فأنشدته :

وأشعثَ قَدْ قَدَّ الشِّفارُ قميصَه * يجُرُّ شِواءً بالعصا غير مُنضَجِ(١)
دعوت الى ما نابنى فأجابنى * كريمٌ من الفتيان غيرُ مُزَلَّجِ(٢)
فتًى يملأُ الشِّيزَى ويُرْوِى سِنانَهُ * ويَضْرِب فى رأس الكَمِىِّ المُدَجَّجِ
فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة * ولا فى بيوت الحَىِّ بالمُتَوَلِّجِ

فقال المهدىّ : هو هذا — وأشار الى عبد الله بن مالك — فلما انصرفت بعث الىّ بألف دينار، وبعث الىّ عبدُ الله بأربعة آلاف درهم .

وقرأت على أبى بكر لعبد الرحمن بن زيد :

يُؤَسِّى عن زيادةَ كُلُّ حَىٍّ * خَلِىٍّ ما تأوَّبَهُ الهموم
فلو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا * لَطَالَبَ لا أَلَفٌّ(٣) ولا سَئُوم
ولا هَيَّابَةٌ بالليل نِكْسٌ(٤) * ولا ضَرَعٌ(٥) اذا أمسى نَؤُوم
وكيف تجلَّدُ الأقوام عنه * ولم يُقْتَل به الثأر المُنِيم
غَشُومٌ حين يبصر مُستَقادٌ * وخيرُ الطالبِى التِّرَةِ الغَشُوم

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشماخ بن ضرار الغطفانىّ ، كما فى ديوانه (ص ٩ طبع مصر) . (٢) المزلج : الرجل الناقص أو الدون . (٣) يقال : رجل ألف وامرأة لفاء ، واللفف : تدانى الفخذين من السمن وهو عيب فى الرجل مدح فى المرأة . (٤) النكس : الضعيف . (٥) الضرع : الجبان الذليل .

وأنشدنا أبو بكر بن أبى الأزهر مستملى أبى العباس محمد بن يزيد قال: أنشدنا الزبير لأبى الهَيْذام المُرِّى فى أخيه:

سأَبْكيك بالبِيض الرِّقاق وبالقَنا * فإن بها ما يُدْرِكُ الماجدُ الوِتْرا
ولَسْتُ كمن يبكى أخاه بعَبْرة * يُعَصِّرها من جفن مقلته عَصْرا
وإنا أناسٌ ما تَفِيض دُموعُنا * على هالك منّا وإن قَصَمَ الظَّهْرا

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى:

ولقد رأيتُ مَطِيَّةً معكوسة * تَمْشى بكَلْكَلها وتُزْجيها الصَّبا
ولقد رأيت سَبِيئة من أرضها * تَسْبى القلوب وما تُنِيب الى هَوَى
ولقد رأيت الخيل أو أشباهَها * تُثْنَى مُعَطَّفةً اذا ما تُجْتَلَى
ولقد رأيت جَوَارِياً بمفازة * تَجْرِى بغير قوائم عند الحَرا
ولقد رأيت غَضِيضةً هِرْكَوْلةً(١) * رُودَ(٢) الشَّباب غَرِيرةً عادت فتى
ولقد رأيت مُكَفَّرا ذا نعمة * جَهَدُوه بالأعمال حتى تَمَدَّنَى

قال أبو العباس: المَطِيَّة المعكوسة: سفينة. والسَّبِيئة من أرضها: خَمْرٌ. والخيل أو أشباهها عنى بها تَصَاوِير فى وسائد. وجَوَارِيا بمفازة، عَنَى بهن السَّرَاب. والغَضِيضة الهِرْكَوْلة: آمرأة. وعادت، من العِيَادة. ومكفّرا ذا نعمة، عَنَى به السيف.

وأنشدنا أبو بكر بن السراج لعلىّ بن أبى العباس الرومىّ:

خَجِلَتْ خُدود الوَرْد من تَفْضِيله * خَجَلًا تَوَرُّدُها عليه شاهد
لم يَخْجَل الوَرْدُ المُوَرَّد لونُه * الا وناحِلُهُ الفَضِيلةَ عانِد
للنَّرْجس الفَضْلُ المُبين وإن أبى * آبٍ وحادَ عن الطريقة حائد
فَصْلُ القضية أن هذا قائد * زَهَرَ الرياض وأن هذا طارد
شَتَّانَ بين آثنين هذا مُوعِدٌ * بتَسَلُّب الدنيا وهذا واعد

(١) الهركولة: الحسنة الجسم والخلق والمشية. (٢) الرود مسهل رؤد المهموز: الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء.

واذا آحْتَفَظْتَ به فأَمْتِعْ صاحبٍ * بحيـاته لو أنَّ حَيًّا خالد
يَنْهَى النَّديمَ عن القبيح بلَحْظِه * وعلى المدامـة والسماع مساعد
أَطْلُبْ بعيشـك فى الملاح سَمِيَّه * أبدا فإنك لا محالة واجـد
والوَرْدُ إن فَتَّشْتَ فَرْدٌ فى آسمـه * ما فى الملاح له سَمِيٌّ واحـد
هـذى النجوم هى التى رَبَّتْهما * بحَيَا السحاب كما يُرَبِّى الوالد
فَتأَمَّل الأَخَوَيْنِ مَنْ أدناهمـا * شَبَهًا بوالده فذاك المـاجـد
أَيْنَ الخدودُ من العيون نفاسـةً * ورياسة لولا القياس الفاسـد

وأنشدنى أبو المَيَّاس قال أنشدنى الأخيطل لنفسه بواسط :

سَقْيًا لأرضٍ اذا ما شئتُ نَبَّهَنى * بعد الهُدُوء بهـا قَرْعُ النَّوَاقِيس
كأنَّ سَـوْسَنَها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطَّوَاوِيس

وأنشدنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال أنشدنا الزبير :

نجوم وأقمـارٌ من الزَّهْر طُلَّع * لِذِى اللَّهْو فى أكنافهـا مُتَمَتَّع
تَشَاوَى تُثَنِّيهـا الرياح فَتَنْثَنِى * ويَلْثَم بعضٌ بعضَهـا ثم ترجع
كأنّ عليهـا من مُجَاجة طَلِّهـا[1] * لآلئَ إلا أنهـا هى أَلْمَـع
ويَحْدُرها عنها الصَّـبا فكأنهـا * دُموعٌ مَرَاها البَيْنُ والبين يَفْجَع

وحدّثنـا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو عثمان عن سـعيد بن مَسْعَدَةَ الأخفش قال : آعتذر رجل من العرب الى بعض ملوكهم فقال : إن زَلَّتِى وإن كانت قـد أحاطت بحُرْمتى ، فإن فَضْلَك يُحِيط بها، وكَرَمَك يُوفِى عليها، ثم قال :

إنِّى اليك سَلِمْتَ كانت رحلتى * أرجو الالَه وصَفْحَك المبـذولا
إن كان ذنبى قد أحاط بحرمتى * فأَحِطْ بذنبى عَفْـوَك المأمولا

وحدّثنـا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان قال حدّثنا أبو قلابة الجرمىّ قال: تخلفت عن حلْقة العتبىّ أياما ، فكتب الىَّ : تَرَكْتنا تَرْكَ رَجُلٍ أَوْحَدَه جُرْمٌ ،أو أغناه عِلْم ، فإن كان عن جُرْم فعن غير إرادة بقلب ولا تعمد بلسان، وإن كان عن علم غَنِيت به فَتَصَدَّق علينا إن الله يجزى المتصدّقين .

(١) فى النسخة المطبوعة «ظلها» والتصويب عن النسخة المخطوطة .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبيّ قال: قال عبدالله بن على بعد قتله من قَتَلَ من بنى أميـة لإسماعيل بن عمرو بن سـعيد بن العاصى: أساءك ماَفعَلْتُ بأصحابك؟ فقال: كانوا يدا فقَطَعْتَها، وعَضُـدًا فَفَتَتَّها، ومِرَّةً فنقَضْتَها، وركنًا فهدَمْتَه، وجناحا فهِضْتَه، فقال: إنى لخليق أن أُلحقك بهم، قال: إنّى إذًا لَسَعيد .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبيّ قال: تَذاكر قوم فى مجلس الأحنف الطعامَ والنساءَ، فقال الأحنف: جَنِّبُوا مجالسكم النساء والطعام، فإنى أكره للرجل السَّرِىِّ أن يكون وَصّافًا لبطنه وقد عرف ما يَحُور اليه، ولفرجه وقد علم أين مَجْلِسُه .

[قصيدة السموءل بن عادياء]

قال أبو على: وقرأت على أبى بكر للسَّمَوْءَل بن عادياء اليهودى:

اذا المرءُ لم يَدْنَس من اللُّؤْم عِرْضُه * فكل رداء يرتديه جميـل
اذا المرء لم يَحْمِلْ على النفس ضَيْمَها(١) * فليس الى حسن الثناء سبيل
تُعَيِّرنا أنا قليـلٌ عَـديدُنا * فقلت لها إن الكرام قليـل
وما قَـلَّ من كانت بَقاياه مِثْلَنا * شَـبابٌ تَسامَى للعُلا وكُهُول
وما ضَرَّنا أنا قليـلٌ وجارُنا * عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليـل
لنا جَبَلٌ يحتـلُّه مَنْ نُجيـره * مَنِيعٌ يردُّ الطَّرف وهو كليـل
رسا أصلُه تحت الثرى وسما به * الى النجم فَرْعٌ لا يُرام طويل
وإنا لَقَوْمٌ ما نرى القتل سُـبَّة * إذا ما رأته عامرٌ وسَـلُول
يُقَرِّبُ حُبُّ الموت آجالَنـا لنا * وتكرهـه آجالهـم فتطـول
وما مات منا سـيد حَتْفَ أنْفِه * ولا طُلَّ(٢) منا حيث كان قتيـل

قال أبو على وهذا مثل قول عمرو بن شأس:

"وإنّـا نمـوت على مضاجعنا * بالليـل بل أدْوَاؤُنا القتـل"
تَسيل على حَدِّ الظُّبَات نفوسُنا * وليست على غير السيوف تَسِيل

(١) المشهور فى رواية هذا البيت وان هو لم يحمل بدل اذا المرء لم يحمل . (٢) طل: لم يؤخذ له بثأر .

صَفَوْنا فلم نَكْدُرْ وأخْلَصَ سِرَّنا * إناثٌ أطابت حَمْـــلَنا وفُحُول
عَلَوْنا الى خير الظهور وحَطَّنا * لوقتٍ الى خير البطون نُزول
فَنحْنُ كماء المُزْن ما فى نِصَــابنا * كَهامٌ ولافينا يُعَدُّ بَخِيـــل
وننكر إن شئنا على النــاس قولهم * ولا ينــكرون القول حين نقول
اذا سَـــيِّدٌ منا خَلَا قام ســيد * قَؤُول لمــا قال الكرام فَعُول
وما أُخْمِدَتْ نارٌ لنا دون طارق * ولا ذَمَّنا فى النازلينـــ نزيل
وأيامنـــا مشهورة فى عدوّنا * لهــا غُرَرٌ معـــلومة وحُجُول
وأسيافُنا فى كل غَرْبٍ ومشرق * بهــا من قِرَاع الدَّارعين فُلول
مُعَــوَّدة ألّا تُسَـــلَّ نُصولهُــا * فتغْمَـــد حتى يُسْتَبَاح قَبِيــــل
سَلِي إن جَهلْتِ الناس عنا وعنهم * وليس سَـــواءً عالمٌ وجهـــول
فإنَّ بَنِى الدَّيَّان(١) قُطْبٌ لقومهـــم * تَدُور رَحاهم حَوْلَهـــم وتجُول

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى للفرزدق :

يُفَلِّقْن هامَنْ لم تَنَــلْهُ ســيوفنا * بأســيافنا هامَ المُلوكِ القَمَاقــم

قال أبو العباس : هاتنبيهٌ والتقدير يفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقم ، ثم قال : ها للتنبيه ، ثم قال مستفهما : من لم تنله سيوفنا؟ . قال أبو بكر : وسمعت شيخا مُنْذُ حِينٍ يَعِيب هذا الجواب ويقول : يفلقن هامًا جمع هامة ، وهام الملوك مردود على هامًا ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ ٱللَّهِ﴾ فاحتججت عليه بقوله لم تَنَلْهُ ، وقلت له : لو أراد الهام لقال : لم تنلها ، لأن الهام مؤنثة لم يؤثر عن العرب فيها تذكير، ولم يقل أحد منهم : الهام فَلَقْتُهُ ، كما قالوا : النخل قطعته ، والتذكير والتأنيث لا يعمل قياسا إنما يُبْنَى فيه على السماع وٱتباع الأثر .

وأنشدنا أبو عبدالله نفطويه قال : أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى لمطيع بن إياس الكوفىّ يرثى يحيى بن زياد الحارثىّ :

(١) الديان . هو يزيد بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب الحارثى أبو قطين وكان شريف قومه (راجع تاج العروس مادة دين) .

ويُنادُونه وقــد صَمَّ عنهــم * ثم قالوا وللنســاء نَحِيبُ
ما الذى غالَ أن تُحِــيرَ جوابا * أيُّها المِصْقَع الخَطِيب الأديب
فَلَئِنْ كنت لا تُحِــيرُ جوابا * فَبِما قــد تُرَى وأنت خطيب
فى مقال وما وَعَظْتَ بشىء * مِثْلَ وَعْظٍ بالصَّمْت اذ لا تُجِيب

وقرأت على أبى بكر فى أشعار هذيل — ولم أر أحدا يقوم بأشعار هذيل غيره — لأبى خِراش (١) الهُذَلىّ:

حَمِــدْتُ إلٰهى بعــد عُرْوة إذ نجا * خِرَاشٌ وبَعْضُ الشرِّ أهْوَنُ من بعض
فوالله لا أَنْسَى قتيــلا رزِئْتُــه * بجانب قَوْسَى (٢) ما مَشَيْتُ على الأرض
بَلَى إنَّهــا تَعْفُــو الكُلومُ وإنمــا * نُوَكَّلُ بالأدْنَى وإن جَلَّ ما يَمْضِى
ولم أدْرِ من أَلْقَى عليــه رِدَاءه * خَلَا أنه قد سُلَّ عن ماجِدٍ مَحْضِ
ولم يك مَثْــلُوجَ الفُــؤاد مُهَبَّجا * أضاعَ الشَّبابَ فى الرَّبِيلة والخَفْضِ
ولكنَّه قــد لَوَّحَتْــه (٣) مَخَامِصٌ (٤) * على أنه ذو مِرَّة صادقُ النَّهْض
كأنهــمُ يَشَّــبَّثُون بطــائر * خَفِيفِ المُشَاشِ (٥) عَظْمُه غيرُ ذى نَحْض (٦)
يُبَــادِر قُرْبَ الليــل فهو مُهابِذٌ * يَحُثُّ الجنــاحَ بالتَّبَسُّط والقبض

قال أبو على : المَثْلُوج : البليد، ومثله قول الآخر :

* ولٰكِنَّ قلبًا بين جَنْبَيْك بارد *

والمُهَبَّج : المتنفخ، ويروى : مُهَبَّلًا، وهو الثقيل الجافى . والرَّبِيلة : الخَفْضُ والدَّعَة، ويروى : الرَّبَالة، وهو كثرةُ اللحم لا اللحمُ نَفْسُه . والمُهابِذُ : المُجاهد فى العَدْو والسَّيْر، ويقال : أَهْذَب وأَهْبَذ اذا آجتهد فى الإسراع .

وقرأت عليه لأبى عطاء السندىّ (٧) فى آبن هُبَيْرة :

أَلَا إنَّ عينًا لم تَجُدْ يومَ واسط * عليك بجارى دمعهــا لَجَمُود

(١) واسمه خويلد بن مرة مات زمن عمر بن الخطاب . (٢) قَوْسَى : بلد بالسراة قُتل بها عُروة أخو أبى خراش الهذلىّ ونجا ولده فقال فى ذلك الأبيات المذكورة . (٣) لوحته : غيرته . (٤) مخامص : جمع مخمصة وهى خلاء البطن من الطعام جوعا . (٥) المشاش . العظام اللينة . (٦) النحض . اللحم المكتنز . (٧) كذا فى تاج العروس، وحماسة أبى تمام . وفى الطبعة الأولى : (السدّى) بدون نون وهو تحريف .

عَشِيَّة قام النائحات وشُقِّقَتْ * جُيوبٌ بأيْدِى مَأْتَمٍ وخُدود
فإن تُمْسِ مَهْجور الفِناء فرُبَّما * أقام به بعـد الوُفُود وُفُود
فإنَّك لم تَبْعُـد على مُتَعَهِّـد * بَلَى كلُّ مَنْ تحتَ التراب بعيد

وأملى علينا أبو بكر بن الأنبارى هذه القصيدة لجميل قال: وقرأتها على أبى بكر بن دريد فى شعر جميل، وفى الروايتين اختلاف فى تقديم الأبيات وتأخيرها وفى ألفاظ بعض البيوت :

ألا لَيْتَ أيامَ الصَّـفاء تعود * ودهرًا تَوَلَّى يا بُثَيْنَ جَديد
فَنَغْـنَى كما كُنَّا نكون وأنتمُ * صَديقٌ وإذ ما تَبْذُلِين زَهِيـد
وما أَنْسَ مِلأَشْياء لا أَنْسَ قولَها * وقـد قُرِّبَتْ بُصْرَى أَمِصْرَ تُرِيد
خليلىّ ما أُخْفِى من الوجد ظاهرٌ * فدَمْعى بمـا أُخْفِى الغَـداةَ شَهِيد
ألا قد أرَى والله أنْ رُبَّ عَبْرةٍ * اذا الدار شَـطَّتْ بيننا سَـتَزُود
اذا قلت ما بى يا بُثَيْنَـةُ قاتلى * من الحُبِّ قالت ثابتٌ ويَزِيد
وإن قلت رُدِّى بعض عَقْلِى أَعِشْ به * مع النـاس قالت ذاك منك بعيـد
فـلا أنا مَردودٌ بمـا جئت طالبا * ولا حُبُّها فيما يَبِيـدُ يَبِيـد
جَزَتْكِ الجَوازِى يا بُثَيْنَ ملامةً * اذا ما خليـلٌ راح وهْوَ حميـد
وقلت لهـا بَيْنِى وبَيْنَك فاعلمى * من الله مِيثاقٌ لنـا وعهـود
وقد كان حُبِّيكُمْ طَرِيفًا وتالِدًا * وما الحُبُّ إلّا طارفٌ وتليـد
وإن عَرُوضَ(١) الوَصْل بينى وبينها * وإن سَهَّلَتْـه بالمُـنَى لَكَـؤُود
فأفنيْتُ عيشى بٱنتـظارى نَوالَهـا * وأبلَتْ بذاك الدَّهْرَ وَهْوَ جديد
فلَيْتَ وُشاةَ النـاس بَيْنِى وبينها * تَذُوفُ(٢) لهـم سُمًّا طَماطِـمُ سُود

وحدّثنى أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنى أبى قال : أنشدنا أحمد بن عبيد لامرأة من الأعراب

لَعَمْرُك ما الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مال * ولا شاةٌ تموت ولا بعـيرُ
ولٰكنَّ الرزية فَقْدُ قَرْمٍ * يَمُوت بمَوْتِهِ بَشَرٌ كثير

(١) العروض . الطريق فى عرض الجبل فى مضيق يريد الطريق الى وصلها . (٢) تذوف . تخلط وهى لغة فى تدوف بالدال المهملة . والطماطم : جمع طمطم بكسر الطاء وهو من فى لسانه عجمة ، وأراد بالطماطم هنا : الموالى .

قال أبو على : وانشدنيهما بعض أصحابنا وقال فى البيت الأوّل : "هُلْكُ مال" وقال فى الثانى : "هُلْكُ ميْتٍ" و"خَلْقٌ كثير" .

وأنشدنى بعض أصحابنا لعلىّ بن العباس الرومىّ :

خيرُ ما ٱستَعْصَمَتْ به الكَفُّ عَضْبٌ * ذَكَرٌ حَدُّه أَنيثُ المَهَزِّ
ما تأمّلتَه بعينيك إلّا * أُرْعِشَتْ صَفْحَتَاه من غير هَزِّ
مثله أفزع الشُّجاعَ الى الدِّرْ * ع فغالَى بها على كل بَزِّ
ما أبالى أصَمَّمَتْ شَفْرَتَاه * فى مَحَزٍّ أم جارتَا عن مَحَزِّ

[مطلب خطبة المأمون الحارثىّ فى نادى قومه]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو عثمان عن التَّوَّزِىّ عن أبى عبيدة قال : قعد المأمون الحارثىّ فى نادى قومه فنظر الى السماء والنجوم ثم أَفْكَرَ طويلا ثم قال : أَرْعُونى أسماعكم ، وأَصْغُوا الىَّ قلوبكم ، يَبْلُغِ الوعظُ منكم حيث أريد ؛ طَمَحَ بالأهواء الأَشَر ، وَرَان على القلوب الكَدَر ، وطَخْطَخَ الجهلُ النظرَ ، إن فيما تَرَى لَمُعْتَبَراً لمن ٱعْتَبَر ؛ أرضٌ موضوعة ، وسماءٌ مرفوعة ؛ وشمس تَطْلُع وتَغْرُب ، ونُجوم تَسْرِى فَتَعْزُب ؛ وقَمَرٌ تُطْلِعه النُّحور ، وتَمْحَقُه أدبارُ الشهور ؛ وعاجزٌ مُثْرٍ ، وحُوَّلٌ(١) مُكْدٍ ، وشابٌّ مُحْتَضَر ، ويَفَنٌ(٢) قد غَبَر ؛ وراحلون لا يَؤُوبون ، ومَوْقُوفون لا يُفَرِّطُون ؛ ومَطَرٌ يُرْسَل بقَدَر ، فيُحْيِي البشر ، ويُورِق الشجر ، ويُطْلِع الثَّمَر ، وينبت الزَّهَر ؛ وماء يَتَفَجَّر من الصَّخْر الأَيِّر ، فيَصْدَعُ المَدَر عن أفنان الخَضِر ، فيُحْيِي الأنام ، ويُشْبِع السَّوَام ، ويُنْمِى الأنعام ؛ إنَّ فى ذلك لأوضح الدلائل على المُدَبِّر المُقَدِّر ، البارئ المصوِّر . يأيها العقول النافرة ، والقلوب النائرة(٣) ، أَنَّى تُؤْفَكون ، وعن أىِّ سبيل تَعْمَهُون ، وفى أىِّ حَيْرة تَهيمون ، والى أىِّ غاية تُوفِضُون ؛ لو كُشِفَتِ الأَغْطِيَةُ عن القلوب ، وتَجَلَّتِ الغِشَاوة عن العيون ، لَصَرَّح الشَّكُّ عن اليقين ، وأفاق من نَشْوَةِ الجهالة ، من ٱسْتَوْلَتْ عليه الضلالة .

قال أبو على : قوله طمح : ارتفع وعلا . ورَانَ : غَلَب ؛ قال عَبْدة بن الطبيب :

أَوْرَدْتُه القومَ قد ران النعاس بهم * فقلت إذ نَهِلُوا من جَمِّه قِيلُوا

(١) الحول . الشديد الحيلة المتصرف . (٢) اليفن . الشيخ الكبير . (٣) النائرة . النافرة .

رانَ بهم : غلب، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . وطَخْطَخ : أظلم . والمُخْتَضَر: الذى يموت حَدَثا، وهو مأخوذ من الخُضْرة، كأنه حُصِد أخضر .

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان شابّ من العرب يَلْقَى شيخا منهم فيقول : اسْتَحْصَدْتَ ياعَمَّاه ! فيقول له الشيخ : يابْنَ أخى وتُخْتَضَرون، فمات الشاب قبل الشيخ بمدّة طويلة . ويُفرِّطُون : يُقدِّمون . وقال أبو عبيدة قال الأموىّ : الحَجَر الأَيَرُّ على مثال الأصمّ : الصُّلْب . وتُوفِضون : تُسْرِعون، يقال : أَوْفَض يُوفِض إيفاضا اذا أسرع ، قال الله جلّ وعزّ : ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ . فأما يُفيضون فيَدْفَعُون، قال الأصمعىّ : يقال أفاض من عرفة الى مِنًى أى دفع .

[مطلب ما دار بين معاوية بن أبي سفيان وعرابة بن أوس من الحديث]

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا الرياشىّ عن العتبىّ عن رجل من الأنصار من أهل المدينة قال : قال معاوية لعَرَابة بن أوس بن حارثة الأنصارىّ : بأىِّ شىء سُدْتَ قومَك ياعَرَابة ؟ قال: أخبرك يامعاوية بأنى كنت لهم كما كان حاتم لقومه، قال : وكيف كان؟ فأنشدته :

وأصْبَحْتُ فى أمرِ العَشيرة كلِّها * كذى الحِلْم يُرْضَى مايقول ويُعْرَف
وذاك لأنى لا أعادى سَرَاتَهـم * ولا عن أخى ضَرَّائِهـم أَتَنَكَّف
وإنِّى لَأُعْطى سائـلى ولربمـا * أُكَلَّف ما لا أسْـتطيع فأُكْلَف
وإنى لمـذموم اذا قيــل حاتم * نَبَا نَبْوةً إنّ الكريم يُعَنَّف

ووالله إنى لأعْفُو عن سفيهم، وأحلُمُ عن جاهلهم، وأسعى فى حوائجهم، وأُعطى سائلهم؛ فمن فَعَل فِعْلى فهو مثلى، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل منى، ومن قَصَّر عن فعلى فأنا خير منه؛ فقال معاوية : لقد صدق الشمّاخ حيث يقول فيك :

رأيت عَرَابةَ الأوْسىَّ يَسْمُو * الى الخيرات مُنْقَطِعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجـــد * تَلَقَّـاها عَـرَابَةُ باليمين

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم :

أَلُومُ النائبـاتِ من الليـالى * وما تَدْرِى اللَّيـالى مَنْ أَلُوم
ولكنّ المنيَّـة لو أُصِيبت * بمَصْرَعه هى الثَّأرُ المُنِيـم

وكان أخى زَعِيم بَنِى حُيَىٍّ * وكلُّ قبيلة لهُمُ زعيم
وكنت اذا الشدائدُ أرهقتنى * يقوم بها وأقعد لا أقوم

وأنشدنا أبو بكر عن أبى حاتم للعُجَيْر السَّلُولىّ :

تركنا أبا الأضياف فى ليلة الصَّبا * بمَرٍّ(١) ومِرْدَى كلِّ خَصْم يجادلُهْ
تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه * اذا مايَثوِى فى أرْحُل القوم قاتلُه
فتًى قُدَّ قَدَّ السيف لا مُتَضائل * ولا رَهِلٌ(٢) لَبَّاتُه وبآدلُه
اذا القوم أمُّوا بيتَه فهو عامد * لأحسن ماظَنُّوا به فهو فاعله
جَوادٌ بدنياه بَخِيل بعرضه * عَطُوف على المَوْلَى قليلٌ غَوائله
فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى * بصاحبه يوما دَمًا فهو آكله
اذا جَدَّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه * وذو باطل إن شئت أرْضاك باطله
يَسُرُّك مظلوما ويرضيك ظالما * وكلُّ الذى حَمَّلْتَه فهو حامله

قال أبو على قال الفراء : البَأْدَلَة : ما بين العنق الى التَّرْقُوَة وجمعه بآدل؛ وقال أبو عمرو : واحدها بَأْدَلٌ بغيرهاء . وقال قطرب : البآدل ويقال البَهادِل : أصول الثديين .

وقرأت على أبى بكر رحمه الله للحسين بن مطير الأسدىّ :

أَلِمَّا على مَعْن وقُولا لقبره * سَقَتْكَ الغَوادى مَرْبَعًا ثُمَّ مربعا
فيا قبر معن أنت أوّلُ حُفْرة * من الأرض خُطَّت للسماحة مَضْجَعا
ويا قبر معن كيف وارَيْتَ جُودَه * وقد كان منه البرّ والبحر مُتْرَعا
بَلَى قد وَسِعْتَ الجُود والجودُ مَيِّتٌ * ولو كان حَيًّا ضِقْتَ حتى تَصَدَّعا
فتًى عِيشَ فى معروفه بَعْدَ موته * كما كان بعد السيل مَجْراه مَرْتَعا
ولما مضى مَعْنٌ مضى الجودُ وانقضى * وأصبح عِرْنِينُ المكارم أجْدَعا

---

(١) فى الطبعة الأولى «بَمَيْر» وفى شرح الحماسة ج ٢ ص ١٩٣ طبع بولاق «بمرو» وكلاهما تحريف ، والتصويب عن معجم البلدان ، فقد ذكر ياقوت أن «مَرًّا» اسم موضع على مرحلة من مكة له ذكر كثير فى الحديث والمغازى ويقال له مر الظهران ، واستشهد بهذه الأبيات . (٢) هو من رهل لحمه اذا اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم من غير داء .

وقرأت عليه لبعض الشعراء :

ماذا أحالَ وثيرةُ بنَ سِمَـاك * من دَمْع باكيةٍ عليك وباك
ذَهَبَ الذى كانت مُعلَّقةً به * حَدَقُ العُناة وأنفس الهُلّاك

قال أبو على : أحال : صبّ ، يقال : إنه لَيُحيل الماءَ من البئر فى الحوض أى يَصُبُّ ؛ وقال لبيد :

* يُحيلون السِّجَال على السِّجَال *

وقرأت عليه لمسلم بن الوليد :

قَــبْرٌ بحُلْوانٍ أَسَــرَّ ضَريحُــه * خَطَــرًا تَقَــاصَرُ دُونه الأخطار
نُفِضَت(١) بك الأحْلاس(٢) نَفْضَ إقامة * وٱسْتَعْجَلَتْ(٣) نُزَّاعَهــا الأمصــار
فاذهب كما ذَهَبَتْ غَوادِى مُزْنةٍ * أَثْنَى عليهــا السَّــهْلُ والأوعار
سَلَكَتْ بك العَرَبُ السبيلَ الى العُلَا * حتى اذا سَــبَق الرَّدَى بك حاروا

وأنشدنى أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيْه النحوىّ قال : أنشدنا عبد الله بن جُوان صاحب الزيادى ، ولم يسم قائلها ، وأملاها علينا أبو سعيد السكرىّ لأبى العَتَاهِية فى بعض إخوانه :

وقد كنتُ أغدو الى قصره * فقــد صرْتُ أغْدو الى قبره
أخٌ طالمَا سَرَّنى ذِكْرُه * فقد صرت أَشْجَى لَدَى ذكره
وكنت أرانى غَنِيًّا به * عن الناس لو مُدَّ فى عُمْــره
وكنتُ اذا جئتُ فى حاجة * فأمرى يَجُــوزُ على أمره
فَتًى لم يَمَــلَّ النَّــدَى ساعة * على عُسْره كانَ أو يُسْره
تَظَــلُّ نهــارَك فى خيره * وتأمَنُ ليــلك من شَرّه
فصــار عَــلِىٌّ الى رَبِّه * وكان عَــلِىٌّ فَتَى دهره
أَتَمَّ وأَكْمَلَ ما لم يَــزَلْ * وأعظم ما كان فى قَدْره
أَتَتْــهُ المَنِيَّــةُ مغتــالةً * رُوَيْدًا تَخَلَّلُ من سِــتْره

(١) فى الطبعة الأولى « نقضت ... نقض » بالقاف فيهما وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع بليون سـنة ١٨٧٥ م .
(٢) الأحلاس جمع حلس ، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرحل . (٣) رواية الديوان : « وٱسترجعت نُزَّادَها... » .

فلم تُغْنِ أجنادُه حَوْلَه * ولا المُزْمِعُون على نصره
وخَلَّى القصورَ التى شادها * وحَلَّ من القبر فى قَعْره
وبُدِّل بالفَرْش بُسْطَ الثَّرَى * وطِيبَ نَدَى الأرض من عِطْره
وأصبح يُهْدَى الى منزل * عميقٍ تُؤَنَّق فى حَفْره
تُغَلَّق بالتُّرْب أبوابُه * الى يوم يُؤْذَن فى حَشْره
أشَدُّ(1) الجماعة وجدًا به * أشَدُّ(1) الجماعة فى طَمْره(2)
فَلَسْتُ مُشَيِّعَه غازيا * أميرًا يَسِيرُ الى ثَغْره
ولا مُتَلَقِّيَه قافلا * بقَتْلِ عَدُوٍّ ولا أسْره
وتُطْرِيه أيامُنا الباقيات * لَدَيْنا اذا نحنُ لم نُطْره
فلا يَبْعَدَنَّ أخى ثاويًا * فكُلٌّ سَيَمْضِى على إثْره

قال الأصمعىّ من أمثال العرب : « خَلِّ سبيل مَنْ وَهَى سِقاؤه » يراد به من لم يستقم أمره فلا تَعْبأ به . ويقال : « يَشُوب ولا يَرُوب » مثل للرجل يُخَلِّط . ويقال : « أَذَلُّ مِنْ قَقْعٍ بقَرْقَر » والقَقْعُ : الكَمْءُ الأبيض . والقرقر : القاع الأملس . ويقال : « شَرُّ الرَّأْىِ الدَّبَرِىّ » يراد به الذى يجىء بعد أن فات الأمر .

[مطلب شرح مادة جبأ وجأب]

وقال أبو نصر يقال : قد جَبَأ عليه الأَسْوَدُ يَجْبَأ جَبْئًا وجُبُوءًا اذا خَرج عليه . وجَبَأْت عن كذا وكذا اذا هِبْتَه وٱرْتَدَعْتَ عنه ، ومنه قيل : رجل جُبَّأٌ ، وقال رجل من بنى شيبان(3) :

وما أنا من رَيْبِ المَنُونِ بجُبَّإٍ * ولا أنا من سَيْبِ الإله بآيس

ويقال للمرأة اذا كانت كريهة المَنْظَر لا تُسْتَحْلَى : إنّها لَتَجْبأ عنها العين . وقال حميد بن ثور :

لَيْسَتْ اذا سَمِنَت بجابئة * عنها العيونُ كَريهةَ المَسِّ

---

(1) فى النسخة المخطوطة : « أجدّ » . (2) الطمر : الدفن . (3) هو مفروق بن عمرو الشيبانىّ يرثى إخوته قيسا والدَّعَّاء وبشرا القتلى فى غزوة « بارق » بشط الفيض كما فى اللسان مادة « جبأ » وقبل هذا البيت :

أبكى على الدعاء فى كل شتوة * ولهفى على قيس زمام الفوارس

والجَبْأَة : خَشَبة الحَذَّاء . والجَبْءُ : الكَمْءُ والجمع جِبَأَة ، وقال أبو زيد : الجَبْأَةُ منها الحُمْر . والكَمْءُ واحد الكَمْأَة . والجَأْب : الحمار الغليظ . والجَأْب : المَغَرة . والجِبَا مقصور مكسور : ماجَمَعت فى الحوض من الماء . والجَبَا مفتوح مقصور : ماحَوْل البئر . والجَبْءُ نُقْرة فى الجبل تُمسك الماءَ .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : كان عبد الله بن عامر بن كُرَيز من فتيان قريش جودا وحياء وكرما ، فدخل أعرابى البصرة فسأل عن دار ابن عامر فأُرْشِد اليها ، فجاء حتى أناخ بِفنائها فاشتغل عنه الحاجب والعبيد ، فبات القَفْر ، فلما أصبح ركب ناقته ووقف على الحاجب ، وأنشأ يقول :

كأنى ونِضْوِى عندباب ابن عامر * من الجوع ذِئْبا قَفْرةٍ هَلِعانِ
وَقَفْتُ وصِنَّبْرُ الشتاء يَلُفُّنى * وقد مَسَّ بَرْدٌ ساعدى وَبَنانى
فما أوقدوا نارا ولا عَرَضوا قِرًى * ولا اعتذروا من عَثْرةٍ بلسان

فقال بعض شعراء البصريين :

كم مِنْ فَتًى تُحْمَدُ أخلاقُه * وتَسْكُن العافُونَ فى ذِمَّته
قد كَثَّرَ الحاجبُ أعداءه * وأحْقَدَ الناسَ على نعمته

فبلغ ذلك ابن عامر ، فعاقب الحاجب وأمر ألّا يُغْلَق بابُه ليلا ولا نهارا .

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : كان المغيرة بن شعبة أعوَرَ دميما آدم ، فهجاه رجل من أهل الكوفة فقال :

اذا راح فى قُبْطِيَّةٍ مُتَأَزِّرا * فَقُلْ جُعَلٌ يَسْتَنُّ فى لَبَنٍ مَحْضِ
فأُقْسِم لو خَرَّت مِن اسْتِك بَيْضَةٌ * لما انْكَسَرَتْ مِن قُرْب بعضك من بعض

قال أبو بكر فقلت لأبى حاتم : ما أظن أحدا يسبقه الى قوله : (جعل يستن فى لبن محض) فقال : بلى ، كان إبراهيم بن عربى والىَ اليمامة ، فصَعِدَ المنبرَ يوما وعليه ثياب بيض فبدا وجهه وكفاه ، فقال الفرزدق :

تَرَى مِنْبَرَ العبدِ اللئيم كأنما * ثلاثةُ غِرْبانٍ عليه وُقُوعُ

قال : فهذا يشبه ذلك وإن لم يَكُنْه . قال أبو حاتم : وخرج نُصَيْب من عند هشام وعليه ثياب بيض، فنظر إليه الفرزدق فقال :

كأنه لما بدا للنــاس * أيرُ حمارٍ لُفّ فى قِرْطاس

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله

شَنِئْتُكُمُ حتى كأنكم الغَــدْرُ * وعِفْتُكُمُ حتى كأنكم الهجــر
ومازلت أَرْشُو الدهر صَبْرًا على التى * تسوءُ الى أن سَرّنى فيكم الدهر

وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوىّ :

أمَا إذ قــد بُليتَ بسُوء رأْيٍ * فما لكَ عنــد ربك من خَلاق
ستعلم أنّ حَرّ الشِّعر أمضى * وأبلغ فيك من حَرّ الحِلاق
سَمُجْتَ فكنت أقبح من شِقاقٍ * تُشَاب به الدَّناءة أو نِفاق
وأظلَمَ منك حُرُّ الوجه حتى * كأنّ سواده لَيْلُ المحاق
ولولا وَقْفَــةٌ للبين فيها * مَتَاعٌ من وَدَاع واْعتناق
وآمال مُسَــوَّفة لقلنا * كأنك قد خُلِقتَ من الفــراق

وأنشدنا عبد الله بن جعفر النحوىّ قال أنشدنا أبو العباس المبرد لعبد الصمد بن المُعَذَّل يهجو ابن أخيه أحمد :

لو كان يعطى المنى الأعمامُ فى ابْنِ أخ * أصبَحْتَ فى جوف قُرقُورٍ(١) الى الصِّين
قد كان هَمٌّ طويلٌ لا يُنَام له * لو أن رُؤْيتَنا إياك فى الحِين
فكيف بالصبر اذ أصبحتَ أكثر فى * مَجَالِ أعيننا من رَمْلِ يَبْرِين
يا أبغضَ الناس فى فَقْر ومَيْسَرة * وأقذَرَ الناس فى دُنْيا وفى دين
تِيهُ المُلوك اذا فَلْسٌ ظَفِرتَ به * وحِينَ تَفْقِده ذُلُّ المساكين
لو شاء ربى لأَضْحَى واهبًا لأخى * بِمَضِّ ثُكْلِك أجرا غير ممنون
وكان أحْظَى له لو كان مُتَّزِرًا(٢) * فى السالفات على غُرْمُول عِنِّين

(١) القرقور : السفينة . (٢) كذا فى الأصول وقد قيل إنه خطأ والصواب « مؤتزر » بالهمز، وذكر الصاغانى فى التكملة أنه صحيح (أنظر تاج العروس مادة أزر) وفى المصباح مادة وزر : « وآتزرت : لبست الإزار وأصله بهمزتين » .

وقائـــلٍ لِىَ ما يُضْنِيك قُلْتُ له * شَخْصٌ تَرَى عَيْنُـه عَيْنِى فيُضْنِينى
إن القلوبَ لَتُطْوى منك يابن أخى * اذا رأتك على مثـل السَّكاكين

وقرأنا على أبى بكر بن دريد لرجل يصف جَملا :

تَبيَّنِ القَرْنَيْن فانظُرْ ما هما * أحَجَـرًا أم مَدَرًا تراهمـا
إنك لَن تَذِلَّ أو تغْشاهما * وتَبْرُكَ الليل الى ذَرَاهمـا

القَرْنَان : اللذان يُبْنَيان على البئر يُعرض عليهما الخشب، فالبعير يَنْفِر منــه أول مايراه ثم يَذِلُّ حتى يجىء فَيَبْرُكَ عنده من الأنس به ، وذَرَاهما : كَنَفُهما ، وأنشدنى بعض أصحابنا لعلى بن العباس الرومىّ وأهدى قدحا الى يحيى بن المنجم :

وبَدِيــعٍ من البــدائع يَسْبى * كُلَّ عَقْــل ويَطَّبِى كلَّ طَرْف
دَقَّ فى الحســن والملاحة حتى * ما يُوَفِّيه واصفٌ حَقَّ وصف
كَفَــمِ الحِبِّ فى المَلَاحة أو أشْـــفَى وإن كان لا يُنَاغِى بحَرْف
تَنْفُـذ العينُ فيه حتى تراها * أخطأته من رِقَّــة المُسْتَشَـفِّ
كهَوَاء بلا هَبَاء مَشُــوبٍ * بضـياء أَرَقُّ بذاك وأَصْـفِ
وَسَــط القَــدْرِ لم يُكبَّر لجَرْعٍ * مُتَـوالٍ ولم يُصَـــغَّرْ لرَشْـف
لا عجــول على العقول جهــول * بل حليم عنهنَّ فى غير ضَعْف
ما رأى الناظرون قَدًّا وشــكلا * فارسًا مثـله على بطن كَفِّ
فيــه لَوْزٌ مُعَقْرَبٌ عَطَفَتْـــه * حُكَمَاء الغُيُوب(١) أَحْسَنَ عَطف
مثل عَطْف الأصداغ فى وَجَنات * مِن غَزَالٍ يُزْهَى بحُسْنٍ وظَرْف

وقرأت على أبى بكر بن دريد للمقنّع الكِندىّ :

يعاتِبُنى فى الدَّين قَوْمِى وإنَّما * دُيُونىَ فى أشياء تُكْسِبهُمْ حمــدا
ألم يرَ قومى كيف أُوسِر مَرَّة * وأُعْسِر حتى تَبْلُغَ العُسْرَةُ الجَهْدا

(١) كذا بالغين المعجمة فى احدى النسخ المخطوطة بدار الكتب المصرية والطبعة الأولى للأمالى : وفى ديوان ابن الرومى : «القيون» بالقاف والنون .

فما زادنى الإقتار منهم تقرّبا * ولا زادنى فضلُ الغِنَى منهمُ بُعْدا
أَسُدُّ به ما قد أخلّوا وضيّعوا * ثُغُورَ حقوق ما أطاقوا لها سَدّا
وفى جَفْنَةٍ ما يُغْلَق البابُ دونها * مكلَّلةٍ لحمًا مُدَفَّقة ثَرْدا
وفى فَرَسٍ نَهْدٍ عتيقٍ جعلته * حِجابا لبَيْتِى ثم أخدمته عبدا
وإن الذى بينى وبين بنى أبى * وبين بنى عمى لمختلفٌ جِدّا
أراهم الى نصرى بِطاءً وإن هُمُ * دَعَوْنى الى نصرٍ أتيتُهمُ شَدّا
فإن يأكلوا لحمى وفرتُ لحومهم * وإن يهدموا مجدى بنيتُ لهم مجدا
وإن ضيّعوا غيْبى حفظتُ غيوبهم * وإن هُمْ هَوُوا غَيِّى هويتُ لهم رُشْدا
وإن زَجَرُوا طيرًا بنحسٍ تمُرُّ بى * زجرتُ لهم طيرا تمر بهم سَعْدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جُلُّ مالى إن تتابع لى غِنًى * وإن قَلَّ مالى لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدا
وإنى لَعَبْدُ الضيف مادام نازلا * وما شيمةٌ لى غيرها تُشْبِه العبدا

قال أبو على كان أبو بكر بن دريد يقول : كَسَبْتُ المالَ وكَسَبْتُه غيرى، ولا يجيز أَكْسَبْتُه . وغيره يقول كَسَبْتُ المال وأَكْسَبْتُه غيرى . وهما عندى جائزان كَسَبْتُه وأكسبته .

[مطلب قصيده جحدر التى قالها وهو فى حبس الحجاج]

وأنشدنا أبو بكر عن الأشناندانىّ لجَحْدَر وكان لِصًّا مُبِرًّا فأخذه الحجاج فحبسه، فقال فى الحبس :

تأوّبنى فبِتُّ لها كَنِيعًا * هُمُومٌ ما تُفارِقُنى حَوَانى
هِىَ العُوَّاد لا عُوَّاد قومى * أطَلْنَ عِيادتى فى ذا المكان
اذا ما قلتُ قد أجْلَيْن عنّى * ثَنَى رَيْعانُهُنَّ علَىَّ ثانى
وكان مَقَرُّ مَنْزِلِهنَّ قلبى * فقد أَنْفَهْنَهُ والهَمُّ آنى
أليس الله يعلم أن قلبى * يُحِبُّك أيها البرقُ اليمانى
وأهْوَى أن أردّ إليك طَرْفى * على عُدَواء[1] من شُغُلى وشانى

(١) العدواء كغلواء : الشغل يصرفك عن الشيء .

نَظَرْتُ وناقَتَـاى على تَعَـادِ * مُطَاوِعة الأزِمَّة تُرْحَلان
الى نارَيْهِما وهُمَـا بعيـدٌ * تَشُوقانِ الحُبَّ وتُوقَدان
ومما هاجنى فازددت شوقا * بُكاءُ حَمامَتَيْن تَجَاوبان
تَجَاوبَتَـا بلَحْنٍ أعجمىٍّ * على غُصْنين من غَرَبٍ(١) وبان
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمَى * وفى الغَرَبِ اغترابٌ غير دانى
أليس الليـل يجمع أم عمرو * وإيانا فـذاك لنـا تَدَانِي
نَعَمْ وتَرَى الهـلال كما أراه * ويَعْـلُوها النَّهـار كما عَلانى
فما بَيْنَ التفرقِ غيرُ سَبْعٍ * بَقِينَ من المُحَرَّم أو ثمانى
فيا أَخَوَىَّ من كَعْبِ بن عمرو * أقِلَّا اللَّوْمَ إن لم تنفعانى
اذا جاوزتما سَعَفاتِ حَجْرٍ(٢) * وأوديةَ اليمـامة فانْعَيـانى
وقُولا جَحْـدَرٌ أمسى رهينـا * يُحاذِر وَقْعَ مصقول يمـانى
يحاذر صَوْلَةَ الحَجَّاج ظُلْمـا * وما الحجاج ظَـلَّام لِجَـانى
الى قـوم اذا سمعوا بقتـلى * بكى شُبَّانُهُمْ وبَكَى الغَوانى
فإن أَهْلِكْ فرُبَّ فَتًى سيبكى * عَلَىَّ مُهَذَّبٍ رَخْصِ البنَان
ولم أَكُ قد قَضَيْتُ حقوقَ قومى * ولا حَقَّ المُهَنَّد والسِّنان

قال أبو على المُبِرّ : الغالب ، والكَنيع : المُنْقِبِض ، وأَنْفِهْنَه : أَعْيَيْنه ، وأنشدنى بعض أصحابنا أحسبه قال لأبى العتاهية :

لا تَفْخَرَنَّ بلِحْيَـة * كَثُرتْ مَنابِتُها طويله
تَهْوِى بها هُوجُ الرِّيا * حِ كأنَّها ذَنَبُ الحَسِيله
قد يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفتى * يوما ولِحْيَتُـه قَلِيـله

قال أبو على الحَسِيلة : العِجْلة .

(١) الغرب : ضرب من الشجر . (٢) حجر : قصبة باليمامة .

[مطلب خطبة عبد الله بن الزبير لما سأل الوفد عن مصعب فأثنوا عليه خيرا]

وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو عثمان عن التَّوَّزىّ عن أبى عبيدة قال : قَدِمَ وَفْد العراق على ابن الزبير وهو فى المسجد الحرام فسلموا عليه فسألهم عن مُصْعَب، فقالوا : أحسنُ الناس سِيرة، وأقضاه بحق، وأَعْدَلُه فى حكم، فلما صلى الجمعة صعِد المنبر فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال :

قد جَرَّبُونى ثم جَرَّبونى * من غَلْوَتَيْنِ ومن المِئِين
حتى اذا شابوا وشَيَّبُونى * خَلَّوْا عِنَانى ثم سَيَّبونى

أيها الناس، إنى سألت الوفد عن مصعب فأحسنوا الثناء عليه وذكروا ما أُحِبُّه، وإن مُصْعَباً أطبى القلوبَ حتى ما تَعْدل به، والأهواءَ حتى ما تَحُول عنه، واستمال الألسن بثنائها، والقلوبَ بنُصْحها، والنفوس بمحبتها، فهو المحبوب فى خاصته، المحمود فى عامته، بما أطلق الله به لسانه من الخير، وبَسَطَ يَدَه من البَذْل، ثم نزل.

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال : قدم أعرابى البَصرة فنزل على قوم من بنى العنبر وكان فصيحا، فكنا نسير إليه فلا نَعْدَم منه فائدة، فجُدِرَ ثم بَرَأ فأتيناه يوما فأنشدنا :

ألم يأتِها أنى تَلَبَّسْتُ بعدها * مُفَوَّفةً[1] صَنَّاعُها غيرُ أخرقا
وقد كنت منها عاريا قبل لُبسها * فكان لِباسِيها أَمَرَّ وأعْلَقا

قال أبو على : أعلق : أشد مرارة، وهذه الكلمة أول كلمة سمعتها من أبى بكر بن دريد، دخلت عليه وهو يُمْلى على الناس، العرب تقول : هذا أعْلَق من هذا، أى أَمَرُّ منه، وأنشدنا :

نَهارُ شَراحِيلَ بنِ طَوْدٍ يَرِيبُنى * ولَيْلُ أبى لَيْلَى أَمَرُّ وأعْلَقُ

أى أشدّ مرارة.

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قَدِمَ أعرابى من بنى ضَبَّة البصرة فخطب امرأة من قومه فَشَطُّوا عليه فى المهر، فأنشأ يقول :

خَطَبْتُ فقالوا هاتِ عشرين بَكْرَةً * ودِرعًا وجِلبابًا فهذا هو المَهْرُ
وثَوْبَيْنِ مَرْوِيَّيْنِ فى كل شَتْوةٍ * فقلت الزنا خيرٌ من الجرب القشر[2]

(١) كذا فى نسخة، وفى أخرى مفرقة بالراء بعد الفاء ثم قاف. (٢) فى هذين البيتين إقواء وهو اختلاف حركة الروى.

وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال أنشدنى أبو عثمان سعيد بن هارون :

وشَعْثاءَ غَبْراءِ الفروع مُنيفـــة * بها تُوصَف الحسناء أَوْ هِىَ أَجْمَلُ
دَعَوْتُ بهـا أبناء ليـــل كأنهم * وقد أبصروها مُعْطِشُون قد أَنْهَلوا

يصف نارا وجعلها شعثاء لتفرق لَهَبها . وغبراء الفروع لدخانها . والفروع : الأعالى . ومُنِيفة : مرتفعة، يريد أنها على جبل أو فى مكان عال . وقوله : بها توصف الحسناء، أى بها تُشَبَّه الجارية، وذلك أن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شُعْلة نار أو كأنها بَيْضَة أُدْحِىٍّ . وقوله : دعوت بها أبناء ليل، يعنى النار دعا بضوئها أبناء ليل ، أى قوما سَرَوْا ليلا فجاروا عن القصد . وقوله : كأنهم وقد أبصروها معطشون، يعنى أنهم من فَرَحهم بهـذه النار كأنهم قوم كانت عَطِشت إبلهم فأَنْهَلُوا، أى رَوِيَتْ إبلهم .

تم الجزء الأوّل من كتاب الأمالى ويليه الجزء الثانى وأوّله وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعى الخ
